المملكة العربية السعودية
وزارة التعليم العالي
الجامعة الإسلامية المدينة المنورة
كلية الدعوة وأصول الدين
قسم العقيدة

التقسيمات المتعلقة بأنواع التوحيد الثلاثة

جمعا ودراسة

رسالة مقدمة لنيل درجة العالمية (الماجستير)

إعداد:
الطالب: محمد عارف عبد الحكيم

إشراف :
فضيلة الأستاذ الدكتور محمد خليفة التميمي حفظه الله
الأستاذ بقسم العقيدة في كلية الدعوة وأصول الدين

العام الجامعي ١٤٢١هـ

مُقَدِّمَة

بسم الله الرحمن الرحيم

إن الحمد لله نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونؤمن به، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيّئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضلّ له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أنّ محمداً عبده ورسوله،

﴿ يَا أَيُّهَا الذين آمنوا اتَّقُوا اللهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلاَ تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنْتُمْ مُسلمُونَ﴾ [(١)]

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاس اتَّقُوْا رَبَّكُمْ الَّذِيْ خَلَقَكُمْ من نَّفْسٍ وَّاحِدَةٍ وَخَلَقَ منها زَوْجَهَا وَبَثَّ منهُمَا رِجَالاً كَثِيْراً وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللهَ الَّذِيْ تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيْباً﴾ [(٢)]

﴿ يَا أَيُّهَا آمنوا اتَّقُوْا اللهَ وَقُوْلُوْا قَوْلاً سَدِيْداً يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوْبَكُمْ وَمَن يُّطِعِ اللهَ وَرَسُوْلَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزاً عَظِيْماً ﴾ [(٣)] [(٤)]

أمّا بعد : فإنّ أصدقَ الحديث كتابُ الله، وخيرَ الهدي هدي محمّدﷺ، وشرَّ الأمور محدثاتُها، وكلّ محدثةٍ بدعة، وكلّ بدعةٍ ضلالة، وكلّ ضلالةٍ في النّار .

إن الله بعث رسوله إلى جميع الثقلين الإنس والجن، بعثه إلى الناس كافة من غير قصر على طائفة دون طائفة أو عصر دون عصر، وجعل رسالته وشريعته هي المهيمنة على جميع الشرائع التي قبلها، وجعلها الباقية ما بقي الدهر، فكانت عامة من حيث المرسل إليهم ومن حيث الزمن، فكان من حكمة الله ﷻ أن جعلها شاملة وجامعة لكل ما يحتاج إليه

---

(١) سورة آل عمران الآية ١٠٢ .

(٢) سورة النساء الآية ١ .

(٣) سورة الأحزاب الآيتان ٧٠،٧١ .

(٤) هذه خطبة الحاجة التي كان النبي ﷺ يعلمها أصحابه ويستفتح بها خطبه، أخرجه أحمد ٣٩٢/١، ٣٩٣، ٤٣٢، وأبو داود في السنن كتاب النكاح باب خطبة النكاح برقم (٢١١٨)، والترمذي في الجامع كتاب النكاح باب ما جاء في خطبة الحاجة ٤١٣/٣/ برقم (١١٠٥)، والنسائي في السنن كتاب النكاح باب ما يستحب من الكلام في النكاح ٨٩/٦/ برقم (٣٢٧٧) من حديث ابن مسعود ﷺ، وقد توسع الشيخ الألباني رحمه الله في تخريج هذه الخطبة وألف في ذلك رسالة مستقلة باسم (خطبة الحاجة التي كان النبي ﷺ يعلمها أصحابه) .

العباد من أمور دينهم فهي المرجع الأساسي والمنطلق الرئيس للعبادات الدينية والمعاملات الدنيوية لكافة الأمم إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، وأنزل على نبيه ﷺ القرآن الكريم الذي هو في غاية البلاغة والإيجاز والتشابه والإحكام بلسان عربي مبين، وأنزل عليه السنة بالوحي الخفي لبيان مقاصد القرآن وشرح أحكامه وتوضيح مجملاته، قال سبحانه: ﴿ **وأنزلنا عليك الذكر لتبين للناس ما نزل إليهم** ﴾، وأعطاه جوامع الكلم واختصر له الكلام اختصاراً، فكان كلامه ﷺ قليل الألفاظ كثير المعاني لا يخرج منه شيء عن طالبه ومستنبطه لعذوبة لفظه وجزالته [1]، فالرسول ﷺ بين للناس بجوامع كلمه جميع مسائل الدين دقها وجلها جليها وخفيها، فما من خير يعلمه لأمته إلا ودلهم عليه وما من شر يعلمه لهم إلا ونهاهم عنه، فاحتوى هذان المصدران على جميع متطلبات العباد الدينية أصولا وفروعا، وهما فصل جميع النزاع والخلافات العقدية والتشريعية، ولذا أمر الله عباده بردّ ما تنازعوا واختلفوا فيه من أمر الدين إليهما، فقال ﷻ : ﴿ **يا أيها الذين أمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم فإن تنازعتم في شيء فردوه إلى الله ورسوله**﴾، وما ذلك إلا لشمولهما لجميع أمور الدين العلمية والعملية، فكان هذا الدين المحمدي حقا مهيمنا وقاضيا على جميع الأديان السابقة والعقائد الرائجة وجامعا لجميع محاسنها، فما فيها من حق فقد أثبته هذا الدين الحنيف وما فيها من باطل وتبديل فقد أبطله وبين الحق والصواب فيه، ولذا أمر الله سبحانه المؤمنين بالدخول في هذا الدين كافة والأخذ بجميع عرى الإسلام وشرائعه، وكان الصحابة ﷺ أبر الناس قلوبا وأعمقهم علماً فكانوا لا يتجاوزون بضع آيات حتى يفهموا ويعلموا ما فيها ويعملوا بها، مع كونهم أعرف الناس باللغة، فسلموا من البدع والأهواء، إلا أنه مع مرور الأيام وانقطاع الوحي ودخول الناس في دين الله أفواجا وانتشار الجهل واتخاذ الناس رؤوسا جهالا لا يستوعبون جميع معاني جوامع الكلم، ولا يدركون مقاصد الشارع في بعض أمور الدين، فلا يستوعب الواحد منهم معرفة بعض جزئيات المسألة الواحدة الأمر الذي قد يؤدي إلى

---

[1] انظر شرح مسلم للنووي ١٧٠/١٣ .

افتراق الأمة وتباين المناهج، لا سيما وأن كثيرا منهم قد دخلوا في هذا الدين الحنيف ظاهرا وقلوبهم متكدرة بعقائدهم الباطلة، والبعض الآخر قد دخل فيهم بغرض الإفساد بينهم وتفريق كلمتهم فلا يتركون موضع ضعف فيهم إلا ويدخلون منه لنيل أغراضهم وتحقيق أهدافهم، وقد أدرك علماء أهل السنة والجماعة هذا الأمر وتنبهوا لخطورته وعلموا منشأه فتصدوا لعلاجه ومقاومته بشتى الطرق والوسائل، ومن أهم تلك الطرق شرح جوامع الكلم وبيان مقاصد الشارع في كل مسألة وتقسيم بعض المسائل التي تحتوي على عدة جزئيات، وبيان أقسامها وما يتعلق بكل قسم منها من الأحكام، فاستخرجوا كثيرا من التقسيمات وذكروها في مؤلفاتهم تصريحا وتلويحا .

ولما أن وفقني الله للقبول في الدراسات العليا مرحلة الماجستير بقسم العقيدة وكان لزاما على الطالب في هذه المرحلة أن يقدم رسالة علمية اخترت أن يكون رسالتي في موضوع التقسيمات وذلك لأسباب سيأتي ذكرها، وأسأل الله سبحانه أن أكون قد وفقت في اختيار الموضوع وفي خدمته .

أهمية الموضوع وسبب اختياري له :

تبرز أهمية الموضوع في النقاط التالية :

- إن التقسيماتِ تُجمع جوانب الموضوع، وتُسهّل على القاري استيعابَه وفهمَه فهماً سليماً من التّناقض والتّعارض، وتجعل كلَّ نص في موضعه مما يساعد على تفسيره تفسيراً صحيحاً من غير ردّ ولا تعطيل ولا تحريف لبعض أجزائه، ولذلك كانت التقسيمات محطَّ أنظار العلماء في شتى فنون العلم، فقد أولوها عنايتهم ورعايتهم، فبينوها وأوضحوها، فما من فن من فنون العلم إلا واحتوى الكثير والكثير من التقسيمات التي أسهمت في توضيح المسائل وفهمها على الوجه الأمثل .

➢ إن كثيراً من الشبهات والآراء المبتدَعة إنّما تنجم من قصـور في فـهم نصـوص الكتاب والسنة فهماً سليماً ومن عدم التفريق بين الأقسام المختلفة والأنواع المتعـددة في بعض المواضيع، فيقع بسبب ذلك في أنواع من البدع والمناهج المنحرفة "وبالتقسيم والتفصيل في المقال يزول الاشتباه و يندفع الضلال "[1] ومن أجل ذلك كانت حاجة طالب العلم قبل العامي إلى معرفة تلك التقسيمات من أهم ما يحرص عليه، ومما يؤكد قيمة تلك المعرفة ما وقع فيه الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين في فهم معنى الظلم في قوله تعالى : ﴿ الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم ﴾ ففهموا منه المعنى العام للظلم فيتنـاول جميع أنواعه، حتى شق عليهم ذلك فبين لهم النبي ﷺ المراد منه وأنه خـاص بـالظلم الأكبر الذي هو الشرك بالله ﷻ دون غيره من الأنواع [2] .

➢ إن في جمع التقسيمات ودراستها إبراز لما بذله السّلف الصّالح من جهود جبّـارة في سبيل توضيح مواضيع العقيدة وبيانها بياناً شافياً، وإن كانت مسائل العقيـدة مبينـة وموضحة بأكمل البيان وغاية الفصاحة والبلاغة في كتاب الله وسنة رسولهﷺ إلاّ أنـه بسبب خوض الناس في البدع الكلامية والفلسفات اليونانية علقت بالعقيدة السـلفية الصافية أنواع من الشكوك والشبهات فانحرف كثير من الناس عـن القـول الحـق والصراط المستقيم .

➢ إن باب الإيمان بالله ومعرفته ومعرفة أسمائه وصفاته وأفعاله هو" أهم ما خلق لـه الخلق وأرسلت به الرسل، وأنزلت به الكتب، ونصبت عليه القبلة وأسست عليه الملـة "[3] فالعلم به من أشرف العلوم والاشتغال به من أسمى المطالب إذ العلم يتبع المعلـوم في الفضل والشرف ولا معلوم أعظم وأشرف وأفضل من ملك الأملاك ورب العـلمين

---

[1] مجموع الفتاوى ٢٠٢/٨ .

[2] والحديث في ذلك متفق عليه من حديث ابن مسعود ﷺ، أخرجه البخاري في استتابة المرتدين باب إثم من أشرك بالله برقم (٦٩١٨، ٦٩٣٧) ومسلم في الإيمان برقم (١٢٤) .

[3] الصواعق المرسلة لابن القيم ١٥٧/١ .

وإله أهل السماء والأرض، وحاجة العبد إلى معرفة ربه فوق كل الحاجات، فبمعرفته يزداد بها الإيمان، وكلما ازدادت معرفته سبحانه ومعرفة أسمائه وصفاته وأفعاله وما يجب على العبد من حقه كلما يقوي إيمان العبد ويزداد حبّه لله ﷻ، ورغبة مني في الإسهام في توضيح العقيدة وبالأخص باب الإيمان بالله ﷻخصصت بحثي في التقسيمات المتعلقة بهذا الباب الذي هو أهم أبواب الدين، فكم من سقم وعلل في أذهان الناس في هذا الباب العظيم الذي هو أهم أبواب الشريعة على الإطلاق، وقد يكون حل إشكالهم ودواء دائهم في بطون المطولات والمختصرات، إلا أنه قد لا يكون عندهم معرفة ولا اطلاع على هذه الكتب، أو لا يكون عندهم وسع وقدرة لنسق الدرر المتناثرة في الأمكنة المختلفة، فتبقى الشبهة عالقة في أذهانهم فهنا يجدر بل يلزم على طلاب العلم محاولة إيضاح مسائل العقيدة قدر المستطاع .

فهذا وغيره ما دفعني إلى الخوض في هذا الموضوع المهمّ مع الاعتراف بضعف السلاح ومزجاة البضاعة رجاء نصر الله سبحانه وتعالى القائل :﴿ **إِنْ تَنْصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ** ﴾ ولا شك أن هذا من نصر دينه الحنيف، فنسأله سبحانه وتعالى أن يعفو عني الخطايا والزلل وأن يهديني إلى الحق والصراط المستقيم ويرزقني الإخلاص في القول والعمل إنه سميع مجيب .

خطة البحث :

أما الخطة فهي تحتوي على : المقدمة، والتمهيد، وأربعة فصول، والفهارس، وهي بالتفصيل كالآتي :

المقدمة :

وفيها النقاط التالية :

أهمية الموضوع وأسباب اختياري له .

خطة البحث .

منهج البحث .

الشكر والتقدير .

التمهيد :

وفيه النقاط التالية .

((التقسيمات والأنواع))

تعريفها .

أهميتها .

جهود العلماء في العناية بها .

الفصل الأول :

التقسيمات المتعلقة بباب الإيمان بالله ﷻ .

وفيه مبحثان :

المبحث الأول : التقسيمات المتعلقة بباب الإيمان بالله ﷻ .

المبحث الثاني : التقسيمات المتعلقة بما يضاد باب الإيمان بالله ﷻ .

الفصل الثاني :

التقسيمات المتعلقة بتوحيد الربوبية .

وفيه مبحثان :

المبحث الأول : التقسيمات المتعلقة بتوحيد الربوبية .

المبحث الثاني : التقسيمات المتعلقة بما يضاد توحيد الربوبية .

الفصل الثالث :

التقسيمات المتعلقة بتوحيد الأسماء والصفات .

وفيه ثلاثة مباحث :

المبحث الأول : التقسيمات المتعلقة بأسماء الله ﷻ .

المبحث الثاني : التقسيمات المتعلقة بصفات الله ﷻ .

المبحث الثالث : التقسيمات المتعلقة بما يضاد توحيد الأسماء والصفات .

الفصل الرابـع :

التقسيمات المتعلقة بتوحيد الألوهية .

وفيه مبحثان :

المبحث الأول : التقسيمات المتعلقة بتوحيد الألوهية .

المبحث الثاني : التقسيمات المتعلقة بما يضاد توحيد الألوهية .

ثم الخاتمة وتليها الفهارس العلمية .

منهجي في البحث :

سرت في كتابتي للبحث وفق المنهج المجمل في النقاط التالية :

- أولاً : جمعت كل ما وجدت من التقسيمات المتعلقة بباب الإيمان بالله عز وجل .
- ثانياً : إذا كان المصطلح الواحد أو المسألة الواحدة يحتوي على عدة تقسيمات باعتبارات متعددة أتكلم عن المصطلح كتمهيد إما بذكر معناه اللغوي والاصطلاحي أو غير ذلك ، ثم أذكر عناوين التقسيمات إجمالا ثم أفصل الكلام في كل تقسيم على حدة .
- ثالثاً : أذكر الأقسام والأنواع والمراتب إجمالاً أوّلاً عند كل تقسيم .
- رابعاً : أنقل نصًّا أو نصّين من أقوال أهل العلم ممن ذكروا هذا التقسيم وقد أحيل إلى بعض المراجع الأخرى التي ذكر فيها ذلك التقسيم .
- خامساً : ثم أعلق على التقسيم والأقسام مستدلاً بالكتاب والسنة .
- سادساً : قمت بدراسة تحليلية لتلك التقسيمات، مع ذكر الاعتبار والمرجع الذي يعود إليه التقسيم، لا سيما إذا كان هناك أكثر من تقسيم للمصطلح الواحد .
- سابعاً : أذكر الفروق بين كل قسم وقسيمه وما يترتب على كل قسم منه .
- ثامناً : عزوت الآيات القرآنية إلى أماكنها من المصحف الشريف بذكر اسم السّورة ورقم الآية .

- تاسعاً : خرّجت الأحاديث الواردة في البحث بعزوها إلى مصادرها الأصلية، فإن كان الحديث في الصحيحين أو أحدهما اكتفيت بالعزو إليهما، وأما إن لم يكن فيهما أو في أحدهما خرجته من بقية الكتب التسعة وغيرها وحاولت الحكم عليه مستعينا بأقوال علماء أهل الحديث .
- عاشراً : ترجمت الأعلام الواردة في البحث، عدا الصحابة والأئمة الأربعة والعلماء المعاصرين .
- حادي عشر : قمت بعمل الفهارس العلمية المشتملة على الفهارس الآتية :
- فهرس الآيات القرآنية .
- فهرس الأحاديث والآثار .
- فهرس الأعلام المترجم لهم .
- فهرس المصادر والمراجع .
- فهرس الموضوعات .

كلمة الشكر

الحمد لله الذي لا يؤدَّى شكر نعمةٍ من نعمه إلا بنعمة منه، توجب على مؤدّ ماضي نعمه بأدائها : نعمةً حادثةً يجب عليه شكره بها، ولا يبلغ الواصفون كنه عظمته، الذي هو كما وصف نفسه وفوق ما يصفه به خلقه، أحمده حمدا كما ينبغي لكرم وجهه وعز جلاله[1] وأشكره على ما أنعم علينا بنعمة الإسلام وجعلنا من خير أمة أخرجت للناس، وسلك بنا مسلك طلاب العلم الشرعي الذين يدعو لهم الطير في السماء والحيتان تحت الماء .

[1] مقتبس من خطبة الإمام الشافعي في كتابه " الرسالة " .

ثم أشكر الجامعة الإسلامية التي تضيء العالم بنور الكتاب والسنة، وتستقبل الطـلاب من جميع أنحاء المعمورة وتسلحهم بالعلم النبوي الصحيح والعقيدة السـلفية الصافيـة في عصرِ غربة السنة وكثرة الحوادث والفتن والأهواء، وأخص بالشكر القائمين على كليـة الحديث الشريف والدراسات الإسلامية وقسم العقيدة بكلية الدعوة وأصـول الديـن، فجزى الله الجميع خير الجزاء

ثم انطلاقاً من قول المصطفى ﷺ: ﴿من لَمْ يَشْكُرِ النَّاسَ لَمْ يَشْكُرِ اللهَ﴾ [1] لا يسـعني إلا أن أشكر شيخي وأستاذي فضيلة الأستاذ الدكتور محمد بن خليفة التميمي - حفظـه الله ورعاه - الذي لم يدخر وسعاً و لم يألو جهداً في قراءة هذه الرسالة وتصحيحها وإبداء ملحوظاته القيّمة المقوّمة وتوجيهاته السديدة والمتابعة التامّة من حين فكرة الموضوع إلى أن تم إنجازها وخرجت إلى حيز الوجود، فجزاه الله عنّي كل خير وشكر مساعيه، وجعـل هذا في ميزان حسناته، ونَفَعه يوم لا ينفع مالٌ ولا بنون إلاّ من أتى الله بقلب سليم إنّـه ولي ذلك والقادر عليه، كما أنني أشكر كلا من فضيلة الشيخين الكريمين الفاضلين فضيلة الشيخ الدكتور عطية عتيق الزهراني وفضيلة الشيخ الدكتور محمود بن عبد الرحمن قـدح حفظهما الله على ما تحملا من متاعب ومشاق على قراءة الرسـالة وتقويمـها وإبـداء ملحوظاتهما فجزاهما الله خيرا وبارك الله في أعمالهما وأعمارهما، ثم أشـكر كـل مـن ساعدني ومدّ إلي يد عون بإبداء ملحوظات أو إعارة كتاب أو أي نوعٌ من المسـاهمة في إنجاز الرسالة فجزى الله الجميع أحسن الجزاء وجمعنا وإياهم في دار كرامته، وصلّـى الله وسلّم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

---

[1] الحديث أخرجه الإمام أحمد في المسند ٢٥٨/٢، والترمذي في البر والصلة باب ما جاء في الشكر لمن أحسـن إليك ٤/ ٣٣٩/ (١٩٥٥) من حديث أبي هريرة ﷺ، وقال حديث حسن صحيح، وقال الشيخ الألبـاني إسـناده صحيح، انظر المشكاة ٩١١/٢ .

التمهيد

ويشمل على العناصر الآتية :

((التقسيمات، الأنواع))

- تعريفها .
- أهميتها .
- جهود العلماء في العناية بها .

التعريف بالتقسيمات ، والأنواع .

أولا : التقســيمات :

التعريف بها لغـــة :

أصل الكلمة مأخوذ من قولهم : قَسَمَ الشيءَ يَقْسِمه قَسْماً فانقَسَم، ومعنـــاه إفـــراز النصيب،

والتَّقسيم هو مصدر قَسَّمه تَقْسِيما وهي القِسْمة، أي جَزَّأه وفرّقه تفريقاً، يقال قَسَّـــم فلان المالَ أي فرَّقه قِسما ههنا وقِسما ههنا،

والقِسْم النصيب والحظ، والجمع أقسام وهو القَسيم، وحقيقته : أنه جزء يقبل التقسيم، يقال : هذا ينقسم قِسْمين بالكسر إذا أُريد به الجزء من الشيء المقسوم، والقســيم هــو شطر الشيء،

فالتقسيم معناه في اللغة هو عملية الفرز والتفريق بين الأجزاء لشيء معين، وكل جــزء من المقسوم فهو قِسْم له [1] ،

وأما اصطلاحا ليس له تعريف زائد على معناه اللغوي، فيستعمل في الاصطلاح بمعنـــاه اللغوي، والله أعلم .

---

(1) انظر الصحاح للجوهري ٥/٢٠١٠، والمفردات للأصفهاني ص ٦٧٠، وتاج العروس للزبيدي ٢٥/٩، ولسان العرب ١١/١٦٢-١٦٤، .

ثانيا: الأنـواع:

التعريف بهـــا :

الأنواع جمع نَوع، وهي كلمة جامدة غير مشتقة، والنّوع كل ضرب من الشيء وكـل صنف من الشيء كالثياب والثمار ونحوها، ويقال : نَوَّعْت الشيءَ، إذا جعلتـه أنواعـاً، وتنوَّع الشيءُ أي صار أنواعاً،

والنوع أخص من الجنس، فالجنس يدخل تحته أنواع، وأما النوع فيدخل تحته أفراد، وقد يكون النوع جنسا باعتبار ما تحته إذا كان فرد من أفراده يشتمل علـى أفـراد أيضـاً، فالإنسان نوع باعتبار الحيوان، وهو يطلق على الذكور والإناث وفيهم الكبار والأطفـال ونحوها من الأفراد فهو باعتبار ما تحته جنس، وباعتبار ما فوقه نوع [1] والله أعلم .

---

(١) انظر : الصحاح ١٢٩٤/٣، وتاج العروس ٥٣٣/٥، ولسان العرب ٣٣٠/١٤ .

أهمية التقسيمات :

لاشك أن موضوع التقسيمات من المواضيع المهمة في العلوم الشرعية لاسيما في باب العقيدة الذي هو من أهم الأبواب وأخطرها لتعلقه بالغيبيات، لأن التقسيمات هي الّتي تقرب فهم الموضوع إلى القاري بكل وضوح، وعليها مدار معرفة الموضوع إما صحة أو خطأ، فالتقسيمات الصحيحة الواضحة المستنبطة من الكتاب والسنة ومن أقوال السلف تجعل القاري يستوعب جوانب الموضوع كلها ويفهمه فهماً صحيحاً سليماً من التناقض والاضطراب و"السبر والتقسيم مما يعلم به الدليل وإن لم يقصده الدليل"[1] ، لأن النصوص قد تتعارض في الظاهر لاختلاف دلالتها على الأقسام المختلفة والأنواع المتعددة، والمتأمّل في الكتاب والسنة يجد تقسيمات كثيرة تصريحا أو إشارة ويختلف حكم كل قسم عن قسيمه، فعدم التنبّه لها تنبّهاً كاملاً والقصور في فهمها فهماً جيّداً قد يوقع القارئ في تناقض وتعارض شديد، ومن ثم تنجم عن ذلك بدع خطيرة وعقائد فاسدة، فأهل البدع ما وقعوا في بدعتهم إلا بفهمهم الخاطئ لنصوص الكتاب والسنة وحملهم إياها على غير مراد الشارع وصرفها عن مدلولها الصحيح إلى معان تبعد كل البعد عن مقصود الشارع، فخرجوا بنتائج وخيمة وأضرار خطيرة على الأمة الإسلامية، فأول بدعة ظهرت على الساحة الإسلامية هي بدعة الخوارج بفهمهم الخاطئ لنصوص الكتاب والسنة وعدم تفريقهم بين نوعي الكفر الاعتقادي والعملي، فبالتالي صاروا يكفرون عامة المسلّمين ويستحلون دماءهم وأموالهم بالمعاصي العملية التي هي دون الشرك والكفر بمراتب، بحجة أن الشرع أطلق الكفر على بعض المعاصي العملية، فهذا يلزم منه أن مرتكبها كافر خارج من الملة حلال الدم والمال ... فهم نظروا إلى النصوص من جانب واحد ثم اعتمدوا على عقولهم وتشبثوا بهواهم .

---

[1] النبوات لشيخ الإسلام ابن تيمية ص ١٢٨ .

وكذا من جاء بعدهم من أهل الأهواء والبدع الّذين ضلوا في باب الأسماء والصفات لم تتحمل أذهانهم الفروق بين ما وصف الله به نفسه وبين ما هو موصوف به العبد، فكلما يذكر لهم صفة من صفات الله ﷻ الّتي لا يشبهه فيها شيء تبادر إلى أذهانهم التشبيه والتمثيل بصفات المخلوقين – ويا ليت شعري بصفة من وقع في أذهانهم التشبيه حتى احتاجوا إلى النفي المصطلح عندهم بالتأويل –، وهكذا من بعض المتأخرين – وما أكثرهم في هذا العصر – الذين ضلوا في مفهوم التوحيد حتى جعلوا التوحيد الذي دعت إليه الرسل وقاتلوا عليه أعداءهم هو التوحيد الذي كان المشركون يقرونه ويعترفونه – كما حكى الله عنهم في كتابه العزيز في غير واحد من المواضع – فحصروا التوحيد كله في نوع واحد من أنواعه الذي لم يعرف إنكاره إلا من بعض الناس فقط، وبالتالي وقعوا في نفس الأفعال التي صار أولئك بها يستحقون القتل والسبي في الدنيا والخلود في النار في الآخرة، وما ذلك إلا لعدم استيعابهم لأنواع التوحيد الذي أنزل الله به الكتاب وأرسل لأجله الرسل .

وأما أهل السنة والجماعة فقد عصمهم الله ﷻ من البدع والخرافات وهداهم إلى طريق الحق والصّراط المستقيم، فهم استقرءوا نصوص الكتاب والسّنة وفهموها وأدركوا مقصود الشّارع منها فبيّنوا مراده بكل وضوحٍ وأيسر طريق، ووضعوا كل نصّ في موضعه وجمعوا بين النّصوص الّتي ظاهرها فيه التعارض ببيان أقسامها وأنواعها حسب ما تدل عليه النصوص .

جهود العـلماء في العناية بها :

إنّ الله جعل في كل زمان فترة من الرسل بقايا من أهل العلم يدعون من ضلّ إلى الهدى، ويحيون بكتاب الله الموتى، ويبصرون بكتاب الله أهلَ العمى، ينفون عنه تحريفَ الغالين وانتحالَ المبطِلين وتأويلَ الجاهلين"[1] فلم يألوا جهداً في بيان الحقّ وإزاحة الغموض وتفنيد الشّبهات وإزالة الاعتراضات سواء كانت الشبهات والاعتراضات من قصور فهم مع إرادة الحقّ أو ممن أعمى الله قلبه فأينما يوجّه لا يأت بخير .

ولا شك أنّ نصوص الكتاب والسنة في الفصاحة والبلاغة ما قامت به الحجة على كل من سمعها وبلغها، فليس فيها غموض ولا لغز في مقاصدها وحقيقة دعوتها إلا أن في تفاصيلها ما لا يدركه إلا العلماء ومن خاض فيها ممن بضاعته في العلم مزجاة فلا يرجع إلا حائراً أو منحرفاً حافلاً بأنواع الشكوك والشبهات، سيما من كان أساسه على شفا جرف هار فسرعان ما ينهار بأدنى شبهة توافق هواه ومشربه، ولهذا نرى كثيرا من أنواع الشكوك والشبهات والانحرافات في مسائل العقيدة الّتي هي أصل الأصول ولبّ دعوة الرسل جميعاً - عليهم السلام - ولا ريب أن الصحابة الذين تربوا على يدي النبوة وتخرجوا من مدرسة المصطفى كانوا أبعد الناس عن التكلف فيما لم يأمرهم الشارع ولا يتجاوزون عما أخبرهم من الغيبيات مع كونهم أعرف الناس باللغة التي نزل بها القرآن الكريم، فلم ينقل عنهم أنهم استشكلوا مسألة من مسائل العقيدة ولا خطر في بال أحدهم أن يحاول الوصول إلى حقيقة وكنه الأمور الغيبية بالاعتماد على العقل أو الاستدلال بشواذ اللغة، وبذلك أعطوا كل نص حقه وفهموا كل مسألة على مراد الشارع، فلم يحتاجوا إلى زيادة التفاصيل وكثرة البحث والكلام في مسائل الدين، لكن الأمة من بعد هذا القرن المختار والجيل المصطفى لم تعصم من وصول بعض الأفكار الهدامة والمناهج

---

[1] مقتبس من افتتاحية الإمام أحمد لرسالته " الرد على الزنادقة والجهمية "، وانظر النبوات لشيخ الإسلام ص ١٣٨ .

المنحرفة إليها التي تهدف هدم كيان المجتمع الإسلامي بتدنيس العقيدة الإسلامية وتفريق كلمة المسلمين، وساعدهم في إنجاح تدبيرهم آذان صاغية وقلوب منكوسة قريبوا عهد بالكفر فلم يباشر الإيمان بشاشة قلوبهم بعد بل ما زالت عقائدهم الباطلة والمحرفة راسخة في أذهانهم، وصاروا يتشبثون بالمتشابهات والمجملات، فتصدى أهل العلم من أهل السنة والجماعة بالرد على هؤلاء وتفنيد شبهاتهم وبيان ما تحيروا فيه وانحرفوا، ومما اهتم به العلماء في تصنيفاتهم ومؤلفاتهم في سبيل إيضاح تلك المسائل والمصطلحات الّتي قد تضلّ فيها الأفهام وتنحرف فيها الأفكار تقسيمُها إلى الأقسام الّتي تضم جزئياتها وبيان الفروق بين تلك الأقسام المختلفة وبيان ما يخص كل قسم من أحكام مغايرة للآخر، من غير رد لبعض جزئيات المسألة لظاهر التعارض بين النصوص الواردة في تلك الأقسام المختلفة .

وهذا المنهج والاهتمام به قد ظهر منذ عهد قديم فنرى أهل العلم من الصحابة والتابعين يبيّنون بعض المسائل الغامضة أو المصطلحات الدقيقة بذكر أقسامها واستيعاب جوانبها وتفسير النصوص تفسيراً صحيحاً وذلك حسب ما يقتضي المقام لذلك، كما هو ثابت عنهم في تقسيم الكفر الذي ضلّ فيه الخوارج فسوّوا بين قسميه العملي والاعتقادي ما نتج منه تكفير عامة المسلمين وأئمتهم .

وأما في الأزمان المتأخرة حين انتشر الجهل وظهرت البدع واتخذ النّاس رؤوساً جهّالاً لا يحملون العلم الشرعي ولا يعرفون العقيدة السلفية فاتبعوا المتشابهات من النصوص وراموا الجمع بين وحي الله المعصوم وبين وحي الشيطان وحاولوا التوفيق بين الشريعة السماوية الربانية وأصول الفلاسفة اليونانية والوثنية الهندوكية فخرجوا بدين لا يمت بصلة بدين الإسلام الذي يتدين به الرعيل الأول من الصحابة والتابعين ومن تبعهم بإحسان، وشككوا العامة في عقيدتهم في الله وفي سائر الغيبيات، فحينئذ شمر علماء الطائفة المنصورة الناجية عن ساعدهم وأزاحوا الستار عما لفق ولبس الجهال على عامة المسلّمين، واعتنوا بالتقسيمات وبيان الأنواع المختلفة الواردة في نصوص الكتاب والسنة غاية الاعتناء وذكروها في مصنفاتهم ومؤلفاتهم تصريحاً وتلويحاً، وأزالوا بذلك كثيراً من الشبهات الواردة في باب العقيدة وحلوا كثيراً من الاشكالات فيه، فنجد العلماء يذكرون أو يشيرون إلى التقسيمات في المصنفات حتى وإن لم تكن تلك المصنفات مخصصة بالتأليف في

العقائد، كما سيأتي في هذه الرسالة، فبعض التقسيمات مأخوذ من كتب التفاسير وبعض منها مأخوذ من كتب شروح الأحاديث، وأما الإمام الحبر شيخ الإسلام الحافظ المحدث المفسر الأصولي أبو العباس تقي الدين ابن تيمية رحمه الله وتلميذه الرشيد العلامة أبو عبد الله شمس الدين ابن قيم الجوزية رحمه الله فهما من أكثر العلماء المصنفين اهتماما وعناية بالتقسيمات وجمع شتات المسألة الواحدة المتناثرة، فترى أن معظم مواد التقسيمات من مؤلفات هذين الإمامين ومن سار على نهجهما في التأليف والتصنيف، فكل من كان أكثر متأثرا بهما وشغفا بكتبهما كان اعتناؤه بالتقسيمات والسبر للمسائل والمصطلحات أعظم، فهذا الإمامان الجليلان شيخا الإسلام العلامة عبد الرحمن بن ناصر السعدي والعلامة محمد بن صالح العثيمين رحمهما الله هما أكثر العلماء المتأخرين معتنيا ومهتما بتصنيفاتهما فنشاهد لهذا الأثر العظيم في تصنيفات هذين الشيخين بحيث اشتملت على عديد من التقسيمات في العقيدة عموما وفيما يتعلق بالتوحيد خصوصا، وهكذا علماء أهل السنة سلفا وخلفا اعتنوا بالتقسيم والتفصيل . والله أعلم .

الفصل الأول :

التقسيمـــات المتعـــلقة بباب الإيمان بالله عز وجل .

وفيه مبحثان :

المبحث الأول : التقسيمات المتعلقة بالإيمان بالله عز وجل .

المبحث الثاني : التقسيمات المتعلقة بما ينافي الإيمان .

المبحث الأول :

التقسيمات المتعــلقة بالإيمان .

وفيه خمسة مطالب :

المطلب الأول : الدين .

المطلب الثاني : الإسلام .

المطلب الثالث : الإيمان .

المطلب الرابع : التوحيد .

المطلب الخامس : مراتب المؤمنين .

المطلب الأول : الدين

وفيه خمسة فروع :

الفرع الأول : معنى الدين لغة وشرعا .

الفرع الثاني : أنواع إضافة الدين .

الفرع الثالث : أنواع الدين باعتبار إضافتها إلى الرب أمرا وجزاء .

الفرع الرابع : أنواع الدين باعتبار إضافتها إلى الرب شريعة .

الفرع الخامس : مراتب الدين باعتبار إضافتها إلى العبد .

الفرع الأول : معنى الدين لغة وشرعا .

لغة : أصل هذه الكلمة الدال والياء والنون مأخوذ من دان يدين دينا، ويتعدى بنفسه وباللام وبالباء، فيقال: دانه دينا، ويقال : دان له ودان به،

قال العلامة ابن القيم[1] رحمه الله : " الدين فيه معنى الإذلال والقهر، وفيه معنى الذل والخضوع، يقال : دنته فدان أي قهرته فذل، ويقال : دنت الله ودنت لله وفلان لا يدين الله دينا، فدان الله أي أطاع، ودان لله أي ذل وانقاد " [2]

وأما في الشرع : فهو الشرع الإلهي الذي بعث الله به رسله صلوات الله وسلامه عليهم، وما أمر الله به خلقه من العبادات الظاهرة والباطنة.

---

(١) هو الإمام الحافظ المحقق شيخ الإسلام شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد الزرعي الدمشقي، المعروف بـ" ابن قيم الجوزية " التلميذ النبيه لشيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله، ولد سنة ٦٩١هـ، له تصانيف كثيرة نافعة، منها : مدارج السالكين، وزاد المعاد، وبدائع الفوائد، ومفتاح دار السعادة وغيرها، توفي رحمه الله في شهر رجب سنة ٧٥١هـ .

انظر : ذيل طبقات الحنابلة ٢/٤٤٧-٤٥٢، الدرر الكامنة ٣/٤٠٠-٤٠٣، البدر الطالع ٢/١٤٣-١٤٦ .

(٢) الجواب الكافي ص ٤٧٨ باختصار، وانظر لسان العرب ٤/٤٥٨ مادة دان، ومعجم مقاييس اللغة مادة دان.

قال الزجاج[1] رحمه الله في تفسير قوله تعالى: ﴿إن الدين عند الله الإسلام﴾[2] قـــال :" الدين اسم لجميع ما تعبد الله به خلقه وأمرهم بالإقامة عليه وأن يكـــون عـــادتهم وبـــه يجزيهم "[3]

وقال شيخ الإسلام ابن تيميه[4] رحمه الله : "دين الإسلام الذي ارتضاه الله وبعث بـه رسله هو الخضوع لله وحده بعبادته وحده دون ما سواه "[5]

الفرع الثاني : إضافة الدين

- يضاف إلى الرب.
- يضاف إلى العبد.

يقول الإمام ابن القيم رحمه الله : " والدين تارة يضاف إلى العبد، وتارة يضـــاف إلى الرب، فيقال: الإسلام دين الله الذي لا يقبل من أحد دينا سواه، وأما العبد فلما كـــانوا

---

(١) هو الإمام نحوي زمانه أبو إسحاق إبراهيم بن محمد بن السري الزجاج، له كتاب معاني القرآن، تـــوفي ســـنة ٣١١هـــ وقيل ٣١٠هـــ وقيل سنة ٣١٦هـــ .
انظر تاريخ بغداد ٦/٨٩-٩٣، وسير أعلام النبلاء ١٤/٣٦٠، وشذرات الذهب ٢/٢٥٩-٢٦٠ .

(٢) آل عمران الآية ١٩ .

(٣) زاد المسير لابن الجوزي ١/٣٦٢ .

(٤) هو شيخ الإسلام مفتي الأنام علامة الزمان ترجمان القرآن تقي الدين أبو العباس احمد بن الشـــيخ شـــهاب الدين أبي المحاسن عبد الحليم ابن الإمام مجد الدين أبي البركات عبد السلام ابن تيمية الحـــراني نزيـــل دمشـــق وصاحب التصانيف التي لم يسبق إلى مثلها، ولد سنة ٦٦١هـــ ومن مؤلفاته : درء تعارض العقـــل والنقـــل، ومنهاج السنة النبوية، والجواب الصحيح، وقد جمع أغلب رسائله وفتاويه في كتاب " مجموع فتـــاوى شـــيخ الإسلام ابن تيمية "، توفي رحمه الله في سنة ٦٢٨هـــ .
انظر : العقود الدرية من مناقب شيخ الإسلام ابن تيمية لابن عبد الهادي، والرد الوافر لابـــن نـــاصر الديـــن الدمشقي، والدرر الكامنة ١/١٦٧-١٨٧، .

(٥) الفتاوى ٧/٢٦٣ بتصرف يسير .

هم القائمين به الفاعلين له بتوفيق ربهم نسبه إليهم فقال: ﴿ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ ﴾[1]"[2]

التعليق :

هذا التقسيم مبني على المعنى اللغوي لكلمة الدين، فهي تضاف إلى المطاع والمطيع، والقاهر والمقهور، وكذا هو في الشرع أيضا يضاف إلى القاهر المطاع وهو الرب ﷻ، والمقهور المطيع وهو العبد .

فيضاف إلى الله ﷻ إذ هو مشرعه وأنه هو الآمر والناهي، وله الحكم في الدنيا والآخرة، وفي الحديث « اللهم يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك »[3]، والمراد به الإسلام الذي ارتضاه الله لعباده دينا .

وأما الثاني ويضاف إلى العبد لأنهم هم القائمون بشرائع هذا الدين، وهم الممتثلين للأوامر والنواهي، فيضاف إليهم كما في الحديث جبريل أن الرسول ﷺ قال في الأخير :« هذا جبريل أتاكم ليعلمكم دينكم »[4] .

الفرع الثالث : أنواع الدين باعتبار إضافتها إلى الرب أمرا وجزاء .

كما سبق أن الدين يضاف إلى الرب تارة وإلى العبد تارة، فهو باعتبار إضافته إلى الرب ينقسم إلى قسمين :

---

(١) سورة المائدة الآية ٣ .

(٢) اجتماع جيوش الإسلامية ص ٥ والآية من سورة المائدة ٣ .

(٣) أخرجه أحمد في المسند ٣/١١٢، ٢٥٧، والترمذي في السنن كتاب القدر باب ما جاء أن القلوب بين أصبعي الرحمن ٤/٤٤٨/ (٢١٤٠)، والبخاري في الأدب المفرد ص ٢٣٧والطبراني في الكبير ١/٢٦١، وابن أبي عاصم في السنة ١/١٠١ كلهم من حديث أنس ﷺ، والحديث صححه العلامة الألباني، انظر : ظلال الجنة ١/١٠١، وصحيح الأدب المفرد ص ٢٥٣ .

(٤) سيأتي تخريج الحديث قريبا .

- دين شرعي أمري .
- دين حسابي وجزائي .

يقول الإمام ابن القيم رحمه الله : " والدين دينان : دين شـــرعي أمـــري، وديـــن حسابي جزائي، وكلاهما لله وحده، فالدين كله لله أمراً وجزاء ... وكـــل واحـــد مـــن الدينين فهو صراطه المستقيم الذي هو عليه سبحانه، فهو على صراط مســـتقيم في أمـــره ونهيه، وثوابه وعقابه" [1] .

التعـــليق :

هذا التقسيم إنما هو باعتبار إضافة الدين إلى الرب في الدنيا والآخرة، لأنه سبحانه إنمـا يكلف عباده ويشرع لهم في دار التكليف، ثم يجازي ويعاقب في دار الجزاء، كل امـــرئ حسب عمله، وان كان يحصل كل من الأمرين لبعض المكلفين بالعكس، كما هو مشـاهد في الدنيا ومعلوم في الآخرة بالنسبة لمن مات ولم تقم عليه الحجـــة بعـــد، مثـــل الصـــبي والمجنون، والذي مات في الفترة، ومن هم على شاكلتهم، كما في حديث الأســـود بـــن سريع أن نبي الله صلى الله عليه وسلم قال: ﴿ **أربعة يوم القيامة يدلون بحجة: رجل أصـم لا يسمع، ورجل أحمق، ورجل هرم، ومن مات في الفترة، فأما الأصم فيقول: يـــارب جاء الإسلام وما أسمع شيئا، وأما الأحمق فيقول: جاء الإسلام والصبيـــان يقذفونـــي بالبعر، وأما الهرم فيقول: لقد جاء الإسلام وما أعقل، وأما الـــذي مـــات في الفـــترة فيقول: يا رب ما أتاني رسولك، فيأخذ مواثيقهم ليطعنه، فيرسل إليـــهم رســـولا أن ادخلوا النار، قال: فوالذي نفسي بيده لو دخلوها لكانت عليهم بردا وســـلاما** ﴾ [2] وزاد في رواية: ﴿ **ومن لم يدخلها يسحب إليها** ﴾ [3] لأن الله عز وجل بفضله وعدلـــه لا

---

(١) الجواب الكافي ص ٤٨٠ .

(٢) الحديث أخرجه الإمام أحمد في المسند٤/٢٤، والطبراني ٢/٧٩، وابن حبان في الصحيح ١٦/٣٥٧، وصححـه الشيخ الألباني، انظر سلسلة الأحاديث الصحيحة ٤/٤١٨ رقم(١٤٣٤) .

(٣) أخرجها الإمام أحمد في المسند ٤/٢٤، وابن أبي عاصم نحوها ص ١٧٦، وصححها الشيخ الألباني أيضا، انظر السلسلة ٤/٤١٨، وظلال الجنة ص ١٧٦.

يعذب أحدا حتى تبلغه دعوة الحق وتقوم به الحجة عليه كما قال سبحانه : ﴿ وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا ﴾ [1] ﴿ وما كان ربك مهلك القرى حتى يبعث في أمها رسولا ﴾ [2] .

الفرع الرابع : أنواع الدين باعتبار إضافتها إلى الرب شريعة.

فالدين باعتبار إضافته إلى الله سبحانه من حيث التشريع ينقسم إلى قسمين:

- أمور علمية اعتقاديه .
- أمور طلبية عملية .

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله :" الدين نوعان : أمور خبرية اعتقادية، أمور طلبية عملية .

فالأول كالعلم بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، ويدخل في ذلك أخبار الأنبياء وأممهم ومراتبهم في الفضائل، وأحوال الملائكة وصفاتهم وأفعالهم، ويدخل في ذلك أيضا صفة الجنة والنار، وما في الأعمال من الثواب والعقاب، وأحوال الأولياء والصحابة وفضائلهم ومراتبهم وغير ذلك .

والثاني الأمور العملية الطلبية من أعمال الجوارح والقلب، كالواجبات والمحرمات والمستحبات والمكروهات والمباهات " [3]

ويقول العلامة ابن جرير الطبري[4] رحمه الله : "لن يعدو جميع أمور الدين – الذي امتحن الله به عباده – معنيين :

---

(١) سورة الإسراء الآية ١٥ وانظر تيسير الكريم الرحمن ص٤٠٦ .

(٢) سورة القصص الآية ٥٩ .

(٣) الفتاوى ١١/٣٣٥ .

(٤) هو الإمام المفسر العلامة أبو جعفر محمد بن جرير بن يزيد بن كثير الطبري، ولد سنة ٢٢٤هـ، من تصانيفه البديعة : جامع البيان عن تأويل آي القرآن، التبيصير في معالم الدين، توفي سنة ٣١٠هـ .

=

أحدهما : توحيد الله وعدله، والآخر : شرائعه التي شرعها لخلقه من حلال وحرام و أقضية و أحكام"[1]

التعليق :

الدين الذي شرعه الله لعباده لا يخلو من أحد أمرين :

الأول : أمور علمية اعتقاديه تتعلق بقول القلب واعتقاده من الأمور الغيبية التي قد يقع فيها الريب، نحو العلم بالله وبما هو متصف بصفات الكمال ونعوت الجلال ما دلت عليها الأسماء الحسنى، وأحوال الملائكة وصفاتهم وأعمالهم، وأحوال الرسل وأممهم ومراتبهم، والأخبار المتعلقة بالساعة والجنة والنار وغير ذلك مما هو من أصول الدين الاعتقادية، يقول شيخ الإسلام : " وقد يسمى هذا النوع أصول الدين ويسمى العقد الأكبر ويسمى الجدال فيه بالعقل كلاما ويسمى عقائد واعتقادات ويسمى المسائل العلمية والخبرية " [2]

والثاني : أمور عملية طلبية، كسائر الواجبات والمحرمات والمستحبات والمكروهات والمباحات التي تتعلق بأعمال الجوارح والقلب، فان كان مع هذه علم ومعرفة واعتقاد فهو يدخل في القسم الأول من جهة كونه علما واعتقادا ومن جهة أنه عمل مطلوب منه يدخل في القسم الثاني .

يقول شيخ الإسلام ابن تيميه رحمه الله:" فإن الأمر والنهي قد يكون بالعلم والاعتقاد، فهو من جهة كونه علما واعتقادا، أو خبرا صادقا أو كاذبا يدخل في القسم الأول، ومن جهة كونه مأمورا به أو منهيا عنه يدخل في القسم الثاني، مثل شهادة أن لا اله إلا الله وأن محمدا رسول الله، فهذه الشهادة من جهة كونها صادقا مطابقة لخبرها فهي

انظر : تاريخ بغداد ٢/١٦٢-١٦٩، سير أعلام النبلاء ١٤/٢٦٧-٢٨٢، تذكرة الحفاظ ٢/٧١٠-٧١٦ .

(١) التبصير في معالم الدين ص ١١٢ .

(٢) الفتاوى ١١/٢٣٦.

من القسم الأول، ومن جهة أنها فرض واجب وان صاحبها بها يصير مؤمنا يستحق الثواب، وبعدمها يصير كافرا يحل دمه وماله، فهي من القسم الثاني " [1] .

وهذا التقسيم هو تقسيم شرع الله باعتبار العمل والتصديق أو بعبارة أخرى أنه باعتبار عمل سواء ظاهرا أو باطنا يصدر من العبد بإرادة وشعور واختيار، ومعرفة ويقين يكون في القلب بعوامل خارجية من غير إرادة واختيار، وقد تقوي هذه العوامل فيضطر العبد إلى القبول لكن مع ذلك لا يصدر منه عمل البتة لا ظاهرا ولا باطنا كما حصل لفرعون يقين على صدق موسى عليه السلام وكما حصل لأبي طالب ونحوه من كفار قريش معرفة تامة ويقين كامل أن محمداً ﷺ حق وأنه صادق فيما يدعو إليه لتظاهر الأدلة والبراهين على صدقه وبطلان ما هم عليه لكن مع ذلك لم يصدر منهم عمل حتى يكونوا من الصديقين حقا، والله أعلم .

الفرع الخامس : مراتب الدين باعتبار إضافتها إلى العبد .

إن الدين إما أمور ظاهرة على الجوارح وإما أمور باطنة في القلوب، والثاني هو أصل الأول ولا تتم الأعمال الظاهرة إلا بالانضمام إلى الأمور القلبية، ولهذا جعل النبي ﷺ الدين على ثلاث مراتب وهي :

- أولا : الإسلام .
- ثانيا : الإيمان .
- ثالثا : الإحسان.

المرتبة الأولى : الإسلام .

وهو لغة : الاستسلام والانقياد يقال أسلم الرجل إذا استسلم [1] .

وشرعا : هو الانقياد بالأفعال الظاهرة الشرعية [2]، فالإسلام يطلق على الاستسلام الظاهر بالأعمال الظاهرة على الجوارح كالصلاة والزكاة والصوم والحج وغيرها، كما

---

(١) المصدر السابق .

(٢) انظر لسان العرب ٣٥٤/٦، والمفهم للقرطبي ١٣٩/١، والفتاوى ٢٦٣/٧ .

فسر بذلك النبيﷺ في حديث جبريل المشهور[1]وفي حديث ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال : ﴿ بُنِيَ الإِسْلامُ عَلَى خَمْسٍ، شَهَادَةِ أَنْ لا إِلَهَ إلا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ، وَإِقَامِ الصَّلاةِ، وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ، وَالْحَجِّ، وَصَوْمِ رَمَضَانَ ﴾ [2] فجعل أركان الإسلام هذه الأعمال الظاهرة، فمن أتى بهذه الأحكام الظاهرة يحكم عليه بالإسلام ويكون من جملة المسلمين، وتجرى عليه الأحكام الإسلامية، وإن كان في حقيقة أمره منافق لا يدين به، فهذا أيضا يحكم عليه في الدنيا بالإسلام وأما في الآخرة فيكون في الدرك الأسفل من النار، ولهذا لم يأت في القرآن قط تعليق دخول الجنة بالإسلام [3] .

يقول شيخ الإسلام ابن تيميه رحمه الله :"واتفق علماء المسلمين على أن اسم المسلمين في الظاهر يجري على المنافقين لأنهم استسلموا ظاهرا وأتوا بما أتوا به من الأعمال الظاهرة ...كما كان النبيﷺ يجري عليهم أحكام الإسلام الظاهرة "[4]

المرتبة الثانية : الإيمان :

لغة : الإيمان لغة هو مصدر آمن إيمانا، وأصله (أأمن) بهمزتين ثم لينت الثانية، وقد ذكر أهل اللغة في معناه التصديق والطمأنينة [5] وزاد عليه شيخ الإسلام : الإقرار، وقال: وإن اشتقاقه من الأمن الذي هو الإقرار والطمأنينة"[6]

وشرعا : أما في الشرع فله أصل وفرع[7] وعند الإطلاق يشملهما على السواء، أما إذا اقترن بالإسلام فيشمل الأصل الذي هو قول القلب وعمله دون مقتضاه وموجبه الذي

---

(١) حديث جبريل رواه البخاري في الإيمان باب سوال جبريل ١/١٤٠/ برقم (٥٠)ومسلم في الإيمان ١/١٦١/ (٩،١٠) من حديث أبي هريرة ﷺ، ورواه مسلم في الإيمان ١/١٥٠/ (٨)من حديث عمر بن الخطاب ﷺ .

(٢) الحديث متفق عليه من حديث ابن عمر رضي الله عنهما، أخرجه البخاري في الإيمان باب بني الإسلام على خمس برقم (٨) ومسلم في الإيمان برقم (١٦) .

(٣) انظر الفتاوى ٢٦٠/٧ .

(٤) الفتاوى ٣٥١/٧ .

(٥) انظر تهذيب اللغة ٥١٢/١٥ ولسان العرب ٢١/١٣ مادة أمن .

(٦) الصارم المسلول ص ٥١٩ .

(٧) انظر تعظيم قدر الصلاة للإمام المروزي ٥١٧/٢.

هو الأعمال الظاهرة، ولهذا فسر النبيﷺ الإسلام في حديث جبريل المشهور بالأعمال الظاهرة وفسر الإيمان بالأعمال القلبية الباطنة .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله : "وأما الإيمان فأصله التصديق و إقرار ومعرفة، فهو من باب قول القلب المتضمن عمل القلب، والأصل فيه التصديق والعمل تابع له، فلهذا فسر النبيﷺ الإيمان بإيمان القلب وبخضوعه، وهو الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله"[1]

المرتبة الثالثة : الإحسان :

لغة : هو مصدر أحسن يحسن إحسانا، ويتعدى بنفسه وبغيره، تقول : أحسنت كذا إذا أتقنته، وأحسنت إلى فلان إذا أوصلت إليه النفع[2] .

وأما **شرعا** : فهو إتقان العبادة وهو الإخلاص فيها[3] والإتيان بها على أكمل وجهها ظاهرا و باطنا، وأن يستسلم لله بالقلب والجوارح حتى كأن الله بين يديه وهو يشاهده ويراه، كما في حديث جبريل :﴿ الإحسان أن تعبد الله كأنك تراه فان لم يكن تراه فانه يراك ﴾ [4]،

يقول الحافظ ابن رجب[5] رحمه الله : " أن العبد يعبد الله على هذه الصفة وهي استحضار قربه وأنه بين يديه كأنه يراه، وذلك يوجب الخشية والخوف والهيبة والتعظيم ... ويوجب أيضا النصح في العبادة، وبذل الجهد في تحسينها وإتمامها وإكمالها"[6]

---

(١) الفتاوى ٦٤٤/٧ .

(٢) انظر فتح الباري ١٤٦/١ .

(٣) انظر لسان العرب مادة حسن .

(٤) سبق تخريج الحديث وانظر شرح النووي ١٥٨/١ وفتح الباري ١٤٦/١ .

(٥) هو الحافظ المحدث زين الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن أحمد بن رجب البغدادي الدمشقي الحنبلي، ولد سنة ٧٠٦هـ، ومن تصانيفه الماتعة : فتح الباري شرح صحيح البخاري، جامع العلوم والحكم وغيرها، توفي سنة ٧٩٥هـ .

انظر : الدرر الكامنة ٣٢١/٣-٣٢٢، وذيل تذكرة الحفاظ ١٨٠-١٨٢، وشذرات الذهب ٣٣٩/٦-٣٤٠.

(٦) جامع العلوم والحكم ١٢٦/١.

وقال الإمام القرطبي[1] رحمه الله : "حاصله راجع إلى إتقان العبادات، ومراعاة حقوق الله فيها ومراقبته، واستحضار عظمته وجلاله حالة الشروع وحالة الاستمرار فيها"[2]

التعـــليق :

وهذه المراتب أساسها هو حديث جبريل المشهور الذي فسر فيه النّبيﷺ الإســـــلام و الإيمان و الإحسان، ثم قال النّبيﷺ في آخره : ﴿ **هذا جــبريل أتاكم ليعلمكم دينكم** ﴾ فجعل هذه الأمور الثلاثة هي الدين، وجعل الأعمال الظاهرة هي الإســـلام، والأعمـــال القلبية هي الإيمان، وإتقان العبادات والإتيان بها على أكمل وجهها هو الإحسان،

يقول شيخ الإسلام ابن تيميه رحمه الله : "فجعل الدين هو الإســـلام و الإيمـــان و الإحسان، فتبين أن ديننا يجمع الثلاثة، لكن هو درجات ثلاث : مســـلم، ثم مؤمـــن، ثم محسن ،كما قال تعالى : ﴿ ثـم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات بإذن الله ﴾ [3] ... وأما الإحسان فهو أعم مـن جهة نفسه وأخص من جهة أصحابه من الإيمان، والإيمان أعم من جهة نفسه وأخص مـن جهة أصحابه من الإسلام، والإحسان يدخل فيه الإيمان والإيمان يدخل فيـــه الإســـلام، والمحسنون أخص من المؤمنين والمؤمنون أخص من المسلمين" [4]فالرجل قد يكون مســـلما ولا يكون مؤمنا إذا لم يأت بالأعمال القلبية، وقد يكون مسلما مؤمنا ولا يكون محســـنا، لأن الإحسان هو اجتماع الظاهر والباطن وأن يأتي بالعبادة على أحسن الوجوه، فـــالعبد قد يأت بالواجبات فقط فيكون مؤمنا كامل الإيمان لكن لا يكون مع ذلك محسنا ســـابقاً إلى الخيرات بل مقتصد فقط، فكل محسن مؤمن وكل مؤمن مسلم، والله أعلم .

---

(١) هو الإمام المحدث أحمد بن عمر بن إبراهيم بن عمر الأنصاري الأندلسي القرطبي المالكي ضياء الديـــن أبـــو العباس، ولد سنة ٥٧٨هـــ، له كتاب المفهم في شرح مختصر صحيح مسلم، توفي سنة ٦٥٦هـــ .

انظر شذرات الذهب ٣/٢٧٣-٢٧٤ .

(٢) المفهم شرح صحيح مسلم ١/١٤٣ .

(٣) سورة فاطر الآية ٣٢ .

(٤) الفتاوى ٧/١٠.

المطلب الثاني : الإسلام .

وفيه ثلاثة فروع :

الفرع الأول : أنواع الإسلام لله.

الفرع الثاني : أنواع الإسلام .

الفرع الثالث : أنواع أركان الإسلام .

الفرع الأول : الإسلام لله

الإسلام معناه لغة هو الاستسلام والانقياد، والاستسلام لله نوعان:

- كوني .
- شرعي .

يقول الشيخ ابن عثيمين رحمه الله : "والمراد بقوله تعالى ﴿ وأسلموا له ﴾ [1] الإسلام الشرعي، وهو الاستسلام لأحكام الله الشرعية، وذلك أن الإسلام لله تعالى نوعان:

الأول : إسلام كوني وهو الاستسلام لحكمه الكوني، وهذا عام لكل من في السماوات والأرض من مؤمن وكافر، وبر وفاجر، لا يمكن لأحد أن يستكبر عنه ودليله قوله تعالى : ﴿وله أسلم من في السماوات والأرض طوعا وكرها واليه يرجعون﴾[2]

الثاني : إسلام شرعي وهو الاستسلام للحكم الشرعي وهذا خاص بمن قام بطاعته من الرسل واتباعهم بإحسان ودليله في القرآن كثير "[3]

---

(١) سورة الزمر الآية ٦٩ .

(٢) آل عمران الآية ٨٣

(٣) شرح ثلاثة الأصول لابن العثيمين ص ٥٧.

التعـــليق :

قال تعالى ﴿ وله أسلم من في السماوات والأرض ﴾ وذلك لأن المخلوقات كلها بمـــن في السماوات والأرض من الجن والإنس والمؤمن والكافر والبر والفاجر كلهم منقـادون لله سبحانه ومستسلمون لقدره طوعا وكرها، وحكمه ماض فيهم شـاءوا أم أبـوا، فـهذا استسلام لحكمه الكوني المتعلق بالمشيئة، فحكمه الكوني نافذ على كل أحد، لا يســتطيع أحد أن يدفعه، لكن المؤمنون منهم خاصة منقادون مسلمون لأمر الله الديـــني وحكمـه الشرعي، بخلاف الكافر فإنه وإن كان تحت حكم الله القدري إلا أنه غير مستسلم لحكمه الشرعي، فإسلامه إسلام كوني وإسلام المؤمن إسلام شرعي، وكل دعوة في القـــرآن إلى الإسلام أو رغبة فيه فالمراد به الإسلام الشرعي المتعلق بالحب والرضا، قال تعـالى : ﴿ فإن أسلموا فقد اهتدوا وإن تولوا فإنما عليك البلاغ ﴾[1] وقال : ﴿ فإلهكم إله واحد فله أسلموا وبشر المخبتين ﴾[2] وغيرها من الآيات، وأما الإسلام الكوني فهو وحده لا يثاب عليه ولا يحبه الله ما لم يستسلم لشريعته وأوامره، والله أعلم .

الفرع الثاني : أنواع الإسلام .

- الإسلام الخاص .
- الإسلام العام .

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله : " فالإسلام يتضمن الاستسلام لله وحـــده، والاستسلام له وحده يتضمن عبادته وحده، فهذا دين الإسلام الذي لا يقبل الله غيره ... وقد تنازع الناس فيمن تقدم من أمة موسى عليه السلام وعيسى عليه السلام هل هم مســـلمون أم لا؟

(١) سورة آل عمران الآية ٢٠ .

(٢) سورة الحج الآية ٣٤ .

وهو نزاع لفظي،فإن الإسلام الخاص الذي بعث الله به محمداًﷺ المتضمن لشريعة القرآن ليس عليه إلا أمة محمد ﷺ، وأما الإسلام العام يتناول لكل شريعة بعث الله بها نبيا، فإنه يتناول إسلام كل أمة متبعة لنبي من الأنبياء، ورأس الإسلام مطلقا شهادة أن لا إله إلا الله وبها بعث جميع الرسل"[1]

التعليق :

الإسلام هو الاستسلام الظاهر كما سبق معناه، وعلى هذا فهو يشمل جميع الأديان السماوية المنسوخة أيضا قبل نسخها[2] لأنهم كانوا أيضا مستسلمين منقادين لأمر الله، وأما بعد نسخها فليسوا هم مسلمون، فهو باعتبار معناه الشرعي ينقسم إلى قسمين :

الأول فهو الإسلام العام الذي لا يقبل الله من الأولين والآخرين دينا سواه، وهو الاستسلام والانقياد لدينه الذي بعث به كل رسول، فكل أمة مأمورة بالانقياد لشريعة نبيها " والشرائع تختلف باختلاف الأمم تتغير بحسب تغير الأزمنة والأحوال وكلها ترجع إلى العدل في وقت شرعها " [3] قال تعالى : ﴿ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا ﴾[4] وفي الحديث : « وَالأَنْبِيَاءُ إِخْوَةٌ لِعَلاتٍ أُمَّهَاتُهُمْ شَتَّى وَدِينُهُمْ وَاحِدٌ » [5] فكل أمة منقادة لأمر الله الذي جاء به نبيها فهي على الإسلام، وعلى هذا المعنى هو يتناول جميع الأديان السماوية .

وأما الإسلام الخاص الذي يراد به اليوم عند الإطلاق هو دين الله الذي أكمله لعباده ورضي به دينا، وبعث به خير رسله محمداﷺ، وختم به النبوة، وجعل شريعته خالدة إلى يوم القيامة، لأن الله نسخ بهذا الدين جميع الأديان السابقة وجعله مهيمنا عليها، فلا يقبل

---

(١) الفتاوى ٣/٩١-٩٤ بتصرف، وانظر الصفدية ٢/٣٠١ وما بعدها، والجواب الصحيح ٥/٣٤١.

(٢) انظر الصفدية لشيخ الإسلام ٢/٣٠٨ .

(٣) تيسير الكريم الرحمن للسعدي ص ١٩٦ .

(٤) المائدة الآية ٤٨ .

(٥) الحديث متفق عليه من حديث أبي هريرة ﷺ، أخرجه في كتاب أحاديث الأنبياء باب قوله تعالى ﴿ واذكر في الكتاب مريم إذ انتبذت ...﴾ برقم (٣٤٤٣) ومسلم في كتاب الفضائل برقم (٢٣٦٥) .

من أحد دينا غير هذا الدين الذي ختم به الرسالة، كما قال النبي ﷺ : ﴿ وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لا يَسْمَعُ بِي أَحَدٌ مِنْ هَذِهِ الأُمَّةِ يَهُودِيٌّ وَلا نَصْرَانِيٌّ ثُمَّ يَمُوتُ وَلَمْ يُؤْمِنْ بِالَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ إِلا كَانَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ ﴾ [1] فهذا هو الإسلام الخاص الذي يأمر الله عباده بالدخول فيه كافة، فهو بهذا المعنى لا يتناول الأديان السابقة المنسوخة بل هو خاص بمن اتبع الدين المحمدي فقط، والله أعلم .

الفرع الثالث : أنواع أركان الإسلام .

- قولية .
- فعلية .

يقول الشيخ حافظ الحكمي[2] رحمه الله : " أركان الإسلام، وهي على قسمين : قولية، وعملية، فالقولية الشهادتان، والعملية الباقي "[3] .

التعليق :

هذا التقسيم للأركان هو باعتبار تعلقها بالجوارح، فهي على قسمين :

قولية، وفعلية، فالقولي هو النطق بالشهادتين، فالواجب فيهما هو النطق باللسان والإقرار به ما لم يمنعه مانع كالخرس، فلو لم ينطق به من غير مانع فلا ينفعه التصديق القلبي ولا الانقياد الظاهري .

---

(١) الحديث أخرجه مسلم في كتاب الإيمان برقم (١٥٣) .

(٢) هو الشيخ العلامة حافظ بن أحمد بن علي الحكمي، ولد في سنة ١٣٤٢هـ، من مؤلفاته القيمة معارج القبول بشرح سلم الوصول، إعلام السنة المنشورة، توفي رحمه الله بمكة المكرمة سنة ١٣٧٧هـ وعمره خمس وثلاثون سنة .

انظر ما كتبه ابنه في ترجمته في مقدمة كتاب معارج القبول ١/١١-٢٦ .

(٣) معارج القبول ٢/٣٥ .

وأما الفعلي فسائر الأركان الخمسة : الصلاة والزكاة والصوم والحج، فهذه الأركان الأربعة تتعلق بسائر الجوارح، وإن كان في تفاصيلها أذكار وأقوال تؤدى باللسان أيضا، والله أعلم .

المطلب الثالث : الإيمان .

وفيه فرعان :

الفرع الأول : شعب الإيمان الظاهرة .

الفرع الثاني : مراتب شعب الإيمان.

الفرع الأول : أقسام شعب الإيمان الظاهرة .

وشعب الإيمان الظاهرة قسمان :

- قولية .
- وفعلية .

يقول العلامة ابن القيم رحمه الله :" شعب الإيمان قسمان : قولية، فعلية، ومن شعب الإيمان القولية شعبة يوجب زوالها زوال الإيمان، فكذلك من شعبه الفعلية ما يوجب زوالها زوال الإيمان" [1]

التعليق :

هذا التقسيم هو باعتبار شعب الإيمان الظاهرة، لأن شعب الإيمان كما في حديث أبي هريرة رضي الله عنه مشتملة : على الأعمال الظاهرة على الجوارح، والباطنة في القلب، فشعبه كثيرة ومتعددة، بل كل عمل خير يحبه الله تعالى فهو إيمان، لأن الإيمان عند أهل السنة والجماعة شامل للأقوال والأفعال والاعتقادات، و إنما أفردت الأعمال الظاهرة هنا

---

(١) كتاب الصلاة لابن القيم ص ٥٠ .

لأن الاعتقاد إذا خلا منه إيمان الرجل فلا يصح إيمانه ولا تقبل عباداته الظاهرة، وأما الأعمال الظاهرة فهي تنقسم إلى قسمين : قولية وفعلية، وكل منها ما يزول الإيمان بزوالها كالشهادتين وكذا الصلاة على خلاف بين أهل العلم، و منها ما لا يزول بزوالها كالأذكار المستحبة وكذا إماطة الأذى عن الطريق ونحوه .

الفرع الثاني : أنواع شعب الإيمان من حيث الحكم .

- ما يكفر بتركه .
- ما يفسق بتركه .
- ما لا يكفر ولا يفسق .

يقول الإمام البيهقي[1] رحمه الله :" ذهب أكثر أصحاب الحديث إلى أن اسم الإيمان يجمع الطاعات فرضها ونفلها، وأنها على ثلاثة أقسام :

فقسم يكفر بتركه، وهو اعتقاد ما يجب اعتقاده و الإقرار بما اعتقده، وقسم يفسق بتركه أو يعصى ولا يكفر إذا لم يجحده، وهو مفروض الطاعات واجتناب المحارم، وقسم يكون بتركه مخطئا للأفضل غير فاسق ولا كافر وهو ما يكون من العبادات تطوعا."[2]

التعليق :

هذا التقسيم للشعب هو من حيث الحكم على تاركها، لأن شعبه كثيرة كما في الحديث الصحيح : ﴿ **الإِيمَانُ بِضْعٌ وَسَبْعُونَ أَوْ بِضْعٌ وَسِتُّونَ شُعْبَةً فَأَفْضَلُهَا قَوْلُ لا إِلَـهَ**

---

(١) هو الحافظ المحدث أبو بكر أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخراساني البيهقي، ولد سنة ٣٨٤هـ، من مؤلفاته : السنن الكبرى، وكتاب البعث، وكتاب الإعتقاد، وكتاب الأسماء والصفات وغيرها، توفي سنة ٤٥٨هـ .

انظر : سير أعلام النبلاء ١٦٣/١٨-١٧٠، وتذكرة الحفاظ ١١٣٢/٣-١١٣٥، وطبقات الشافعية للسبكي ٨/٤-١٦.

(٢) الاعتقاد للبيهقي ص ٩٥ .

﴿إِلا اللَّهُ وَأَدْنَاهَا إِمَاطَةُ الأَذَى عَنْ الطَّرِيقِ وَالْحَيَاءُ شُعْبَةٌ مِنْ الْإِيمَانِ﴾[1] فهو شامل لجميع ما تعبدنا الله ﷻ من الأقوال والأعمال والاعتقادات إلا أن شعبها متفاوتة الدرجات، فمن شعبها شعب يكفر الرجل بتركها ويخرج بذلك من الملة، كالشهادتين وكذا الصلاة على خلاف بين أهل العلم، ومن شعبها ما لا يكفر بتركه لكن ينقص إيمانه من كماله الواجب، ومنها شعب لا يذم تاركها ولا يعاقب عليها وذلك كالنوافل والمستحبات،

يقول الإمام ابن القيم رحمه الله : *"ولما كان الإيمان أصلا له شعب متعددة، وكل* شعبة منها تسمى إيمانا فالصلاة من الإيمان، وكذلك الزكاة والحج والصيام، والأعمال الباطنة ... حتى تنتهي هذه الشعب إلى إماطة الأذى عن الطريق فإنه شعبة من شعب الإيمان، وهذه الشعب منها ما يزول الإيمان بزوالها كشعبة الشهادة، ومنها ما لا يزول بزوالها كترك إماطة الأذى عن الطريق و بينهما شعب متفاوتة تفاوتا عظيما "[2]

---

(١) الحديث أخرجه مسلم كتاب الإيمان برقم (٣٥) .

(٢) كتاب الصلاة لابن القيم ص ٥٠ .

المطلب الرابع : التوحيد .

وفيه ستة فروع :

الفرع الأول : معنى التوحيد لغة واصطلاحا .

الفرع الثاني : أقسام التوحيد باعتبار تعلّقه بالله سبحانه .

الفرع الثالث : أقسام التوحيد باعتبار ما يجب على العبد .

الفرع الرابع : أقسام التوحيد باعتبار ما يصدر من العبد .

الفرع الخامس : أقسام التوحيد القولي .

الفرع السادس : أنواع السلب .

الفرع الأول : معنى التوحيد لغة واصطلاحا .

التوحيد لغة : التوحيد على وزن التفعيل وهو مصدر وحدته - بالتشديد - توحيدا وأصل الكلمة الواو والحاء والدال، وقيل الواو مبدلة من الهمزة،

قال العلامة ابن فارس[1] رحمه الله : " الواو والحاء والدال أصل واحد يدل على الانفراد "[2]

ومعنى وحّدته أي اعتقدته منفردا ونسبت إليه الوحدانية، والتشديد فيه للمبالغة .

قال العلامة السفاريني[1] رحمه الله : " التوحيد للنسبة كالتصديق والتكذيب فمعنى وحدت الله نسبت إليه الوحدانية...لا جعلته واحدا فان وحدانية الله تعالى ذاتية ليست

---

(١) هو الإمام اللغوي أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا القزويني الرازي، من تصنيفاته : معجم مقاييس اللغة، كتاب المجمل في اللغة، توفي سنة ٣٩٥هـ .

انظر : المستفاد من ذيل تاريخ بغداد ص ٦٥-٦٦، وسير أعلام النبلاء ١٧/١٠٣-١٠٦، وشذرات الذهب ٣/١٣١-١٣٢.

(٢) معجم مقاييس اللغة ٦/٩٠ .

بجعل جاعل"[٢]" إلا إذا كان "جعل" بمعنى اعتقد كما قال تعـالى :﴿ أجعل الآلهة إلها واحدا إن هذا لشيء عجاب ﴾ [٣]

وقال الحافظ الأصبهاني[٤] رحمه الله :" ومعنى وحدته جعلته منفردا عما يشـاركه أو يشبهه في ذاته وصفاته"[٥]

شرعا : هو إفراد الله بما يستحقه من العبادة له والاعتقاد فيه والنسبة إليه .

يقول العلامة السفاريني رحمه الله :"إفراد المعبود بالعبادة مع اعتقاد وحدته ذاتا وصفاتـا وأفعالا"[٦]

يقول الشيخ ابن عثيمين رحمه الله : "هو إفراد الله سبحانه وتعالى بما يختص به" [٧]

وقال الشيخ سليمان بن عبد الوهاب[٨] رحمه الله : "وسمي دين الإسلام توحيـدا لأن مبناه على أن الله واحدا في ملكه وأفعاله لا شريك له وواحد في ذاته وصفاته لا نظير لـه

---

(١) هو العلامة محمد بن أحمد بن سالم السفاريني النابلسي الحنبلي الأثري، من مؤلفاته : لوامع الأنـوار البهيـة، ولوائح الأنوار السنية، توفي رحمه الله سنة ١١٨٨هـ .

انظر معجم المؤلفين لعمر رضا كحالة ٦٥/٣ .

(٢) لوامع الأنوار البهية ص ٥٦ .

(٣) الزخرف الآية ١٩.

(٤) هو الإمام الحافظ شيخ الإسلام أبو القاسم إسماعيل بن محمد بن الفضل بن علي بن أحمد بن طاهر القرشـي التيمي ثم الطلحي الأصبهاني الملقب بقوام السنة، ولد سنة ٤٥٧هـ، من مؤلفاته : كتاب الحجـة في بيـان المحجة، وكتاب دلائل النبوة، توفي رحمه الله سنة ٥٣٥هـ .

انظر : سير أعلام النبلاء ٢٠/٨٠-٨٨، تذكرة الحفاظ ١٢٧٧/٤-١٢٨٢،وشذرات الذهب ١٠٥/٤-١٠٦.

(٥) الحجة في بيان المحجة للأصبهاني ٣٠٥/١ .

(٦) لوامع الأنوار البهية ٥٧/١ .

(٧) شرح ثلاثة الأصول ص ٣٣ .

(٨) هو الحافظ المحدث الشيخ سليمان بن الشيخ عبد الله بن الشيخ محمد بن عبد الوهاب، ولد سنة ١٢٠٠هـ، من مؤلفاته : تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد، والدلائل في حكم موالاة أهل الإشراك، ورسـالة في عدد الجمعة وغيرها، وأكرمه الله تعالى بالشهادة سنة ١٢٣٣هـ .

=

وواحد في إلهيته وعبادته لا ند له" [1] فالتوحيد هو الاعتقاد بأن الله سبحانه هو رب كل شيء ومليكه وأنه هو الذي يستحق العبادة له وحده فلا إله غيره ولا رب سواه وأن صفاته لا تشبه صفات المخلوقين كما أن ذاته لا تشبه ذوات المخلوقين .

الفرع الثاني : أنواع التوحيد باعتبار تعلقه بالله عز وجل .

التوحيد هو إفراد الله سبحانه بما يختص به ،وهذا التقسيم هو ما يتعلق بالجزء الثاني من هذا التعريف- أي بما يتعلق بالله سبحانه وتعالى -وبهذا الاعتبار ينقسم إلى ثلاثة أقسام :

- توحيد الربوبية .
- توحيد الأسماء والصفات .
- توحيد الألوهية .

يقول الإمام أبو عبد الله ابن بطة[2] رحمه الله : " أن أصل الإيمان بالله الذي يجب على الخلق اعتقاده في إثبات الإيمان به ثلاثة أشياء :

أحدها : أن يعتقد العبد ربّانيته، ليكون بذلك مباينًا لمذهب أهل التعطيل الذين لا يثبتون صانعا.

والثاني : أن يعتقد وحدانيته، ليكون مباينًا بذلك مذاهب أهل الشرك الذين أقروا بالصانع وأشركوا معه في العبادة غيره .

انظر : ترجمة الشيخ بقلم الشيخ إبراهيم آل الشيخ في مقدمة كتاب تيسير العزيز الحميد، وكتاب علماء نجد للشيخ عبد الله آل بسام ٢/٣٤١-٣٤٩.

(١) تيسير العزيز الحميد ص ٣٢،٣٣ .

(٢) هو الإمام المحدث أبو عبد الله عبيد الله بن محمد بن محمد بن حمدان العُكبَري الحنبلي، ابن بطة، ولد سنة ٣٠٤هـ، من مصنفاته : الإبانة عن شريعة الفرقة الناجية، توفي سنة ٣٨٧هـ .

انظر : تاريخ بغداد ١٠/٣٧١-٣٧٥، وطبقات الحنابلة ٢/١٤٤-١٥٣، وسير أعلام النبلاء ١٦/٥٢٩-٥٣.

والثالث : أن يعتقده موصوفا بالصفات التي لا يجوز إلا أن يكون موصوفا بها من العلم والقدرة والحكمة وسائر ما وصف به نفسه في كتابه "[1].

وقال الإمام أبو جعفر الطحاوي[2] رحمه الله : "نقول في توحيد الله معتقدين بتوفيق الله : إن الله واحد لا شريك له ولا شئ مثله، ولا شئ يعجزه، ولا إله غيره "[3]

التعليق :

تقسيم التوحيد إلى هذه الأقسام الثلاثة استنبطه العلماء بعد استقراء تام لنصوص الكتاب والسنة، فقد دل الكتاب والسنة بأنواع من الأدلة على هذه الأقسام الثلاثة منطوقا ومفهوما، وذكرها العلماء في تصنيفاقم تصريحا وتلويحا بعبارات متنوعة وبألفاظ مختلفة ،

يقول العلامة بكر أبو زيد حفظه الله : " هذا التقسيم الاستقرائي لدي متقدمي علماء السلف أشار إليه ابن مندة[4] وابن جرير الطبري وغيرهما، وقرره شيخا الإسلام ابن تيميه وابن القيم،و قرره الزبيدي[5] في تاج العروس وشيخنا الشنقيطي في أضواء البيان في آخرين رحم الله الجميع، وهو استقراء تام لنصوص الشرع، وهو مطرد لدي أهل كل فن، كما في استقراء النحاة كلام العرب إلى اسم وفعل وحرف، العرب لم تفه بهذا و لم يعتب

---

(١) الإبانة لابن بطة العكبري ص ٦٩٣ .

(٢) هو الإمام العلامة أبو جعفر أحمد بن محمد بن سلامة بن عبد الملك الأزدي الحجري المصري الطحاوي الحنفي، ولد سنة ٢٣٩هـ، من مؤلفاته : معاني الآثار، والعقيدة الطحاوية، ومشكل الآثار، توفي سنة ٣٢١هـ .

انظر : سير أعلام النبلاء ٢٧/١٥-٣٣، وتذكرة الحفاظ ٨٠٨/٣-٨١١، وشذرات الذهب ٢٨٨/١.

(٣) العقيدة الطحاوية مع شرحها لابن أبي العز الحنفي ص ٧٧ .

(٤) هو الإمام الحافظ الجوال أبو عبد الله محمد بن إسحاق بن محمد بن يحيى بن مندة العبدي الأصبهاني، ولد ٣١٠هـ، من تصانيفه النافعة كتاب الإيمان، وكتاب التوحيد، توفي رحمه الله سنة ٣٩٥هـ .

انظر طبقات الحنابلة ١٦٧/٢، سير أعلام النبلاء ٢٨/١٧-٤٣ .

(٥) هو محمد بن محمد بن محمد بن عبد الرزاق الحسيني الزبيدي، ولد سنة ١١٤٥هـ، له مؤلفات كثيرة منها : تاج العروس، وإتحاف سادة المتقين، توفي بالطاعون في مصر سنة ١٢٠٥هـ .

انظر معجم المؤلفين ٢٨٢/١١ .

على النحاة في ذلك عاتب، وهكذا من أنواع الاستقراء "[1] فهذه حقيقة شرعية قررها العلماء بالتتبع والفهم الكامل لنصوص الوحي .

يقول الشيخ محمد الأمين[2] رحمه الله : "وقد دل استقراء القرآن العظيم على أن توحيد الله ينقسم إلى ثلاثة أقسام :

الأول : توحيده في ربوبيته .

الثاني : توحيده جل وعلا في عبادته .

الثالث : توحيده جل وعلا في أسمائه وصفاته" .[3]

القسم الأول : توحيد الربوبية :

الرب يطلق في اللغة على المالك والسيد والمدبر والمربي والقيم والمصلح والمنعم[4].

فتوحيد الربوبية هو إفراد الله تعالى بكل معاني الرب، فهو الخالق والرازق والمالك ومدبر الأمور ومصرف الأمور لا شريك له في ذلك كله، ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن، ويدخل في ذلك الإيمان بالقدر خيره وشره،

يقول العلامة ابن القيم رحمه الله : "وهو أن يشهد انفراد الرب تبارك وتعالى بالخلق والحكم وأنه ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن " [5]

يقول الشيخ ابن عثيمين رحمه الله :" هو إفراد الله سبحانه وتعالى في أمور ثلاثة ؛ في الخلق، والملك، والتدبير ".[1]

---

(١) التحذير من مختصرات الصابوني في التفسير ص ٣٠ وانظر " القول السديد " للشيخ عبد الرزاق البدر ص ٣٧-٤٩ فقد ذكر جملة من النقول عنهم .

(٢) هو الشيخ العلامة محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر محمد أحمد الجكني الشنقيطي، ولد سنة ١٣٠٥هـ، من مؤلفاته أضواء البيان في تفسير القرآن بالقرآن، والمنهج والدراسات في آيات الأسماء والصفات، توفي رحمه الله سنة ١٣٩٣هـ بمكة .

انظر ما كتبه الشيخ عطية محمد سالم رحمه الله عن الشيخ رحمه الله في نهاية كتاب أضواء البيان .

(٣) أضواء البيان ٣/٤١٠،٤١١ .

(٤) انظر المعاني اللغوية النهاية لابن الأثير ٢/١٧٩ تهذيب اللغة للأزهري ١٥/١٧٦ المفردات للأصفهاني ص ١٨٤ .

(٥) مدارج السالكين ١/٤١٠ .

فتوحيد الربوبية هو إفراد الله سبحانه وتعالى بأفعاله، وأنه لا شريك له ولا وزير، وهو المتفرد بالخلق والرزق والمحيي والمميت وأنه على كل شئ قدير، إلا أن هذا القدر من الاعتقاد لا يدخل أحدا في دائرة الإسلام ولا يحقن دمه حتى يأتي بلازمه من توحيد الألوهية وإخلاص العبادة لله سبحانه .[٢]

القسم الثاني : توحيد الأسماء والصفات .

تعريفه : هو إفراد الله سبحانه وتعالى بأسمائه الحسنى وصفاته العلى، وأن يوصف الله بما وصف به نفسه ووصفه به رسوله ﷺ نفيا وإثباتا من غير تحريف ولا تعطيل، ومن غير تكييف ولا تمثيل ولا إلحاد فيه، فيثبت ما أثبته الله في كتابه وعلى لسان رسوله ﷺ، وينفي ما نفاه الله سبحانه عن نفسه وما نفاه عنه رسوله ﷺ ويعتقد أن أسماء الله تعالى غير محصورة، وأن باب الصفات أوسع من باب الأسماء .

يقول شيخ الإسلام ابن تيميه رحمه الله :"ومن الإيمان بالله الإيمان بما وصف به نفسه في كتابه ووصفه به رسوله محمد ﷺ من غير تحريف ولا تعطيل، ومن غير تكييف ولا تمثيل، بل يؤمنون بأن الله سبحانه ليس كمثله شئ وهو السميع البصير، ولا يلحدون في أسماء الله وآياته "[٣] .

وقال الشيخ ابن عثيمين رحمه الله : " هو إفراد الله عز وجل بما له من الأسماء والصفات، وهذا يتضمن شيئين :

الأول : الإثبات، وذلك بأن نثبت لله عز وجل جميع أسمائه وصفاته .

الثاني : نفي المماثلة، وذلك بأن لا نجعل لله مثيلا في أسمائه وصفاته كما قال تعالى : ﴿ ليس كمثله شئ وهو السميع البصير ﴾[٤] "[٥].

---

(١) شرح العقيدة الواسطية ٢١/١ .

(٢) انظر الفتاوى لابن تيميه ٢٣/١، ٣١٠/١٤ . تيسير العزيز الحميد ص ٣٣ .

(٣) العقيدة الواسطية ص٦ .

(٤) الشورى الآية ١١ .

(٥) القول المفيد شرح كتاب التوحيد ١٢/١ .

القسم الثالث : توحيد الألوهية .

ويقال توحيد الإلهية، والإله هو المألوه الذي تألهه القلوب وتعبده، مأخوذ من أله يأله بمعنى عبد يعبد، [1]

وتوحيد الإلهية هو إفراد المعبود الذي يستحق أن يعبد وهو الله تعالى،فلا يشرك معه أحدا بل يعبد الله وحده ويفرده بالعبادة ويوحده،فلا يتقرب إلا إليه، ولا يصرف أي نوع من العبادة لأحد من خلقه بل يخلصه له وحده رغبة ورهبة وإجلالاً وإكراماً ومحبة وذلاً .

يقول الإمام ابن تيميه رحمه الله :"الإله هو الذي يؤله فيعبد محبة وإنابة وإجلالاً وإكراماً". [2]

وقال :"توحيد الإلهية وهو أن يعبد الله وحده لا شريك له ...فلا يدعو إلا إياه ولا يتوكل إلا عليه ولا يخاف إلا إياه ولا يرجو إلا إياه ويكون الدين كله لله " [3]

يقول الشيخ سليمان رحمه الله : " ويسمى هذا النوع توحيد الإلهية، لأنه مبني على إخلاص التأله،وهو أشد المحبة لله وحده، وذلك يستلزم إخلاص العبادة "[4]

فتوحيد الألوهية هو إفراد الله تعالى بكل أنواع العبادة ظاهرها وباطنها،وهذا التوحيد هو الذي جاءت به الرسل وأنزلت به الكتب،وهو أول الدين وآخره،ولأجله خلق الله الثقلين فمن لم يخلص هذا التوحيد لا يقبل منه أي عمل يعمله وهو في الآخرة من الخاسرين.

يقول شيخ الإسلام ابن تيميه رحمه الله :" وهذا التوحيد هو الفارق بين الموحدين والمشركين وعليه يقع الجزاء والثواب في الأولى والآخرة فمن لم يأت به كان من المشركين " [5]

---

(١) انظر معجم مقاييس اللغة ١/١٢٧، تفسير الأسماء الحسنى للزجاج ص ٢٦، والفتاوى ١/١٣٦، ١٠/٢٤٩، وتفسير الطبري ١/٥٤ .

(٢) الفتاوى ١/٢٢ .

(٣) الصفدية ٢/٢٢٨،٢٢٩ .

(٤) تيسير العزيز الحميد ص ٣٨ .

(٥) الفتاوى ١٤/٣٨٠ وانظر مدارج السالكين لابن القيم ١/٣٢٧ .

أما الأدلة على أنواع التوحيد الثلاثة فكثيرة لا تحصر ومتنوعة لا يستوعبها كتاب بل القرآن كله في التوحيد يقول ابن القيم رحمه الله : " بل نقول قولا كليا إن كل آية في القرآن فهي متضمنة للتوحيد، شاهدة به داعية إليه...فـ﴿ الحمد لله ﴾ توحيد ﴿ رب العالمين ﴾ توحيد، ﴿ الرحمن الرحيم ﴾ توحيد، ﴿ مالك يوم الدين ﴾ توحيد، ﴿ إياك نعبد ﴾ توحيد، ﴿ وإياك نستعين ﴾ توحيد، ﴿ اهدنا الصراط المستقيم ﴾ توحيد متضمن لسؤال الهداية إلى طريق أهل التوحيد الذين أنعم الله عليهم، ﴿غير المغضوب عليهم ولا الضالين ﴾ الذين فارقوا التوحيد، ولذلك شهد الله لنفسه بهذا التوحيد، وشهد له به ملائكته وأنبياؤه ورسله، قال :﴿ شهد الله أنه لا إله إلا هو والملائكة وأولوا العلم قائما بالقسط لا إله إلا هو العزيز الحكيم ﴾[1] "[2] .

الفرع الثالث : أنواع التوحيد باعتبار ما يجب على العبد .

التوحيد هو حق الله تعالى على عباده، فمن أدى حقه كاملا بعبادة الله وحده قولا وعملا لا يشرك به شيئا أوفى الله عهده وحقه بإكرامه وإدخاله جنته، كما جاء في حديث معاذ رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : **﴿ يا معاذ أتدري ما حق الله على العباد ؟ قال : الله ورسوله أعلم . قال : أن يعبدوه ولا يشركوه شيئا، أتدري ما حقهم عليه ؟ قال : الله ورسوله أعلم . قال : أن لا يعذبهم ﴾**[3] فالواجب على العبد

---

(١) سورة آل عمران الآية ١٨ .

(٢) مدارج السالكين ٣ / ٤٥٠ .

(٣) الحديث أخرجه البخاري، كتاب التوحيد باب ما جاء في دعاء النبي ﷺ أمته إلى توحيد الله تبارك وتعالى ٣٥٩/١٣/ (٧٣٧٣) ومسلم، كتاب الإيمان ٢٢٩/١ (٤٨،٤٩،٥٠) .

أن يعبدوا وحده قولا وعملا، معرفة واعتقادا، وبهذا الاعتبار ينقسم التوحيد إلى قسمين، إلا أنه قد تنوعت عبارات العلماء عن هذين القسمين واختلفت ألفاظهم .

التقسيم الأول :

فمن العلماء من عبر عنه بقوله :

- التوحيد القولي .
- التوحيد العملي .

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله : " فالتوحيد القولي مثل سورة الإخلاص ﴿ قل هو الله أحد ﴾ والتوحيد العملي ﴿ قل يا أيها الكافرون ﴾ ،ولهذا كان النبي صلى الله عليه وسلم يقرأ بهاتين السورتين في ركعتي الفجر وركعتي الطواف وغير ذلك ".[1]

ويقول الإمام ابن القيم رحمه الله في نونيته :

فاسمع إذا توحيد رسل الله * ثم اجعله داخل كفة الميزان

مع هذه الأنواع وانظر أيها * أولى لدى الميزان بالرجحان

توحيدهم نوعان قولي * وفعلي كلا نوعيه ذو برهان [2]

التعليق :

المراد بالتوحيد القولي ما يتعلق بالواجبات القولية من أقوال القلب واللسان، وأعلاها هي كلمة التوحيد واعتقادها وإقرارها ظاهرا وباطنا، والثناء على الله وتمجيده، واعتقاد الأسماء الحسنى والصفات العلى ونفي النقائص والشريك عنه في أسمائه وصفاته وأفعاله وهذا القسم يقابله القسم الأول والثاني من التقسيم الأول، وهما :توحيد الربوبية وتوحيد الأسماء والصفات .

---

(١) الفتاوى ٣٦٧/١ .

(٢) القصيدة النونية ٥٥/٢ .

وأما التوحيد الفعلي: فهو يتعلق بالواجبات الفعلية من أعمال الجوارح والقلوب وأن يوحّد الله بأعماله الظاهرة والباطنة فلا يصرف منها شئ لأحد من خلقه، وهذا التقسيم يقابله القسم الثالث من التقسيم الأول، وهو توحيد الألوهية [1] .

" تقسيم التوحيد إلى قسمين هذا هو الأغلب في كلام أهل العلم المتقدمين، لأنهم يجمعون توحيد الربوبية وتوحيد الأسماء والصفات، وذلك بالنظر إلى أنهما يشكلان بمجموعهما جانب العلم بالله ومعرفته عز وجل، فجمعوا بينهما لذلك، بينما توحيد الألوهية يشكل جانب العمل لله " [2]

التقسيم الثاني :

ومن العلماء من عبر عنه بقوله :

- توحيد المعرفة والإثبات .
- توحيد القصد والطلب .

يقول العلامة ابن أبي العز الحنفي[3] رحمه الله :

" ثم التوحيد الذي دعت إليه رسل الله ونزلت به كتبه نوعان :

توحيد في الإثبات والمعرفة، وتوحيد في الطلب والقصد ،

فالأول : هو إثبات حقيقة ذات الرب تعالى وصفاته وأفعاله وأسمائه، ليس كمثله شئ في ذلك كله ...وقد أفصح القرآن عن هذا النوع كل الإفصاح،

والثاني : وهو توحيد الطلب والقصد، مثل ما تضمنته سورة﴿ قل يا أيها الكافرون ﴾" [4]

---

(١) انظر الحق الواضح المبين للسعدي ص ٢١٢، وشرح النونية للهراس ٥٦/٢ .

(٢) معتقد أهل السنة والجماعة في الأسماء والصفات ص ٤٣، ٤٤ ..

(٣) هو العلامة صدر الدين علي بن علاء الدين علي بن محمد ابن أبي العز الحنفي، الأذرعي الصالحي الدمشقي، ولد سنة ٧٣١هـ، من مؤلفاته شرح العقيدة الطحاوية، توفي رحمه الله سنة ٧٩٢هـ .

انظر : الدرر الكامنة ٨٧/٣، وشذرات الذهب ٣٢٦/٦ .

(٤) شرح العقيدة الطحاوية ص ٨٩ .

التعـــليق :

ومعنى توحيد المعرفة والإثبات أي معرفة الله سبحانه وتعالى بأسمائه وصفاته وأفعالـــه الواردة في الكتاب والسنة , وتصديقه وإقراره بالقلب واللسان، ونفي النقائص والشـريك عنه، و هذا القسم يتعلق بقول القلب من التصديق والمعرفة وقول اللسان مـن الإثبـات والنفي، و هذا هو توحيد الربوبية وتوحيد الأسماء والصفات،

وأما القسم الثاني فمعناه أن يوحد الله بالقصد والطلب، وذلك أن العبد لما عرف ربـه حق المعرفة وعرف صفاته وما هو عليه من الكمال المطلق يتوجه إليه بقلبه وقالبه ويوحـده بالعبادة والتأله، و يكون همه كله مصروفا لنيل رضاه، فلا يقصد إلا وجهه ولا يطلـب إلا رضاه، ويكون هو وحده المقصود بالعبادة، فهذا القسم يتعلق بالأعمـال القلبيـة مـن الإخلاص والحب والخوف والرجاء المستلزم للأعمال الظاهرة على الجوارح، وهو المسمى بتـوحيـد الألوهية في التقسيم الأول .

التقسيم الثالث :

ومن العلماء من عبر عنه بقوله :

- التوحيد العلمي الخبري .
- التوحيد الإرادي الطلبي .

ويقول العلامة ابن القيم رحمه الله : " سورتا الإخلاص قد اشـتملتا علـى نوعـي التوحيد الذي لا نجاة للعبد ولا فلاح إلا بهما، وهما :

توحيد العلم والاعتقاد المتضمن إثبات ما يليق بجلاله من صفات الكمال، ونفي مـا لا يليق به من الشريك أصلا وفرعا ونظيرا، فهذا توحيد العلم والاعتقاد، والثاني : توحيـد القصد والإرادة، وهو أن لا يعبد إلا إياه، فلا يشرك به في عبادته سواه بل يكون وحـده هو المعبود، و سورة ﴿ قل يا أيها الكافرون ﴾ مشتـملة على هذا التوحيد"[1]

(١) بدائع الفوائد ١/١٤٦، وانظر مدارج السالكين له أيضا ١/٢٤.

يقول ابن أبي العز الحنفي رحمه الله : " وغالب سور القرآن متضمنة لنوعي التوحيد، بل كل سورة في القرآن، فالقرآن إما خبر عن الله وأسمائه وصفاته، وهو التوحيد العلمي الخبري، وإما دعوة إلى عبادته وحده لا شريك له، وخلع ما يعبد من دونه، فهو التوحيد الإرادي الطلبي " (١)

التعليق :

وهذا التقسيم أيضا مثل التقسيم السابق، ويراد بالتوحيد العلمي الخبري توحيد الربوبية وتوحيد الأسماء والصفات، وسمي بالعلمي الخبري لأنه متعلق بالعلم والمعرفة المبني على الخبر الخارجي سواء من الكتاب والسنة أو بما هو مشاهد وملموس حوله من آثار الربوبية.

وأما القسم الثاني فمعناه أن يوحّد الله بالإرادة والطلب لأن العبد لا بد له في عمله من إرادة وحركة فلا يريد بالعبادة إلا وجه الله ولا يطلب بالحركة إلا رضاه، وهذا هو معنى توحيد الألوهية , والله أعلم.(٢)

التقسيم الرابع :

وهناك تقسيم رابع للتوحيد باعتبار ما يجب على العبد، ذكره بعض أهل العلم وهو :

- توحيد المرسِل .
- توحيد المرسَل .

يقول العلامة ابن القيم رحمه الله : " الأدب مع رسول الله ﷺ كمال التسليم له، و الانقياد لأمره، فيوحده بالتحكيم والتسليم والانقياد و الإذعان كما وحد المرسِل سبحانه وتعالى بالعبادة والخضوع والذل و الإنابة والتوكل فهما توحيدان لا نجاة للعبد من عذاب الله إلا بهما :

---

(١) شرح العقيدة الطحاوية ص ٨٩ .

(٢) انظر معتقد أهل السنة والجماعة في توحيد الأسماء والصفات ص ٤٤ .

توحيد المرسِل , توحيد متابعة الرسول، فلا يحاكم إلى غيره، ولا يرضى بحكم غيره، ولا يقف تنفيذ أمره وتصديق خبره على عرضه على قول شيخه وإمامه، وذوي مذهبه، ومن يعظمه "[1] .

التعـــليق :

وهذا التقسيم هو باعتبار أن كل عمل فلا بد للعبد فيه إرادة وحركة، وبعبارة أخرى لا بد من نية باطنة في القلب وعمل ظاهر على الجوارح، ولذا صار أصدق الأسماء الحارث والهمام [2] لأن كل عبد لا يخلو من حركة وعمل وكل عمل وحركة لا بد فيه من الإرادة، والعبادات الشرعية الظاهرة مبنية على الأعمال القلبية الباطنة تتبعها صحة وبطلانا، كما قال النبيﷺ : ﴿ إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوى ﴾ [3]فالنية الباطنة هي الأصل والأساس للأعمال الظاهرة فمن كانت نيته وإرادته خالصة لله وحده فأعماله صحيحة ومقبولة، ومن فقد في عمله توحيد النية والقصد لله فأعماله مردودة على صاحبها، وهذا هو المراد بتوحيد المرسِل، وهو أحد شرطي قبول الأعمال عند الله تعالى[4] .

وأما توحيد المرسَل فالمراد به أن يوحد المرسَل ـ أي الرسول ـ بالمتابعة، فيستسلم لأمره، و ينقاد لشرعه، ويرضى بحكمه، وينفذ حكمه بلا توقف ولا تردد، ولا يشرك به أحدا في المتابعة والاستسلام، بل ولا في المحبة أيضا كما قالﷺ : ﴿ لا يؤمن أحدكم حتى

---

(١) مدارج السالكين ٣٨٧/٢ .

(٢) كما ورد بذلك حديث ﴿ أحب الأسماء إلى الله عبد الله وعبد الرحمن، وأصدق الأسماء حارث وهمام ﴾ أخرجه بن وهب في الجامع كما في سلسلة الصحيحة للألباني ٦٠٧/٢، وقال الشيخ : وهذا سند مرسل صحيح، وانظر مجموع الفتاوى ٤٣/٧، ١٣٥/٢٨.

(٣) الحديث متفق عليه من حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه، أخرجه البخاري في كتاب بدء الوحي، باب كيف كان بدء الوحي١/١٥/ (١) وأخرجه مسلم، كتاب الإمارة ١٣/٥١/(١٩٠٧) .

(٤) انظر الشروط في: الفتاوى لشيخ الإسلام ٣١١/١-٣١٢، ٣٣٤-٣٣٥، ٤٧٤/٢٧، ومدارج السالكين ٨٣/١-٨٤، وجامع العلوم والحكم ٧٢/١، ومعارج القبول /٣٥٤ .

أكون أحب إليه من ولده ووالده والناس أجمعين ﴾[1] وهذا حتى لا يكون أحد مساويا لـه في الطاعة والانقياد وحتى تكون أعماله مقبولة عند الله تعالى، لأن العبادة لا تقبل حتى تكون موافقة لما جاء به النبي ﷺ عن الله سبحانه، وهذا شرطٌ ثـان لصحة العبادات وقبولها، وهو المقصود بتوحيد المرسَل، والله أعلم .

الفرع الرابع : أنواع التوحيد باعتبار ما يصدر من العبد .

التوحيد هو مفتاح الجنة، وهو أول ما يدخل به العبد في الإسلام وآخر ما يخرج به من هذه الدنيا، و الناس في تحقيق هذه الكلمة علما وعملا وقيامهم بها ظاهرا وباطنا على درجات لا يحصيه إلا الله، وقد قسم بعض العلماء التوحيد بهذا الاعتبار إلى قسمين :

- توحيد عامي .
- توحيد خاصي .

يقول ابن القيم رحمه الله :"فإن التوحيد نوعان: عامي وخاصي، فالخاصية ما بذل فيها العامل نصحه وقصده بحيث يوقعها على أحسن الوجوه وأكملها، والعامية ما لم يكن كذلك ".[2]

ويقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله : " من كان توكله على الله ودعاؤه له هو في حصول مباحات فهو من العامة ،وإن كان في حصول مستحبات وواجبات فهو من الخاصة " [3]

التعـليق :

التوحيد هو أساس دين الإسلام، فلا يدخل أحد في هذا الدين الحنيف إلا بالإقرار بالتوحيد قولا وعملا ظاهرا وباطنا، والناس يتفاضلون في تحقيق التوحيد والعمل بشرائع

---

(١) الحديث متفق عليه من حديث أنس رضي الله عنه، أخرجه البخاري، كتاب الإيمان باب حب الرسول ﷺ من الإيمان ١/٧٥/ (١٥) ومسلم كتاب الإيمان ٢/١٥/ (٤٤) .

(٢) طريق الهجرتين ص ٥٥ .

(٣) الفتاوى ١٠/٣٦ .

هذا الدين الحنيف فمنهم المحسن السابق بالخيرات الذي يعبد الله كأنه يراه وحققوا التوحيد معرفة ويقينا وسلوكا، فعلموا معناه ومضمونه وقاموا به ظاهرا وباطنا، وأما عوام المسلمين الذين أقروا بالتوحيد وصاروا بذلك من أهل الإسلام، إلا أنهم لم يبلغوا في العلم والمعرفة والعمل مثل أولئك السابقين، وهذا حال عامة المسلمين، وهؤلاء فيهم من حققوا توحيد العمل والطاعة إلا أنهم عجزوا عن تحقيق توحيد الربوبية الذي يستلزم الإيمان التام المطلق بالقضاء والقدر والتوكل والاستعانة،

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله : " قوم ينظرون إلى جانب الأمر والنهي والعبادة والطاعة شاهدين لإلهية الرب سبحانه الذي أمروا أن يعبدوه ولا ينظرون إلى جانب القضاء والقدر والتوكل والاستعانة، وهو حال كثير من المتفقهة والمتعبدة، فهم مع حسن قصدهم وتعظيمهم لحرمات الله ولشعائره يغلب عليهم الضعف والعجز والخذلان لأن الاستعانة بالله والتوكل عليه واللجوء إليه والدعاء له هي التي تقوي العبد وتيسر عليه الأمور " [1] فالتوحيد الخاصي هو الذي حقق التوحيد معرفة بكل معانيه وعملا به وبلوازمه، وأما العامي ما نقص من ذلك إما معرفة وعلما أو عملا وطاعة، والله أعلم .

الفرع الخامس : أنواع التوحيد القولي .

التوحيد القولي هو توحيد الله سبحانه بالقول، ويدخل في ذلك توحيد الله تعالى بأسمائه وصفاته وأفعاله اعتقادا وإقرارا، وهذا ينقسم إلى قسمين :

- سلب للنقائص .
- وإثبات الكمال .

يقول ابن القيم رحمه الله في نونيته :

فالأول القولي ذو نوعين أيضا   في كتاب الله موجودان

إحداهما سلب وذا نوعان أيضا   فيه حقا فيه مذكوران

---

(١) الفتاوى ٣٢/١٠ .

هذا ومن توحيدهم إثبات * أوصاف الكمال لربنا الرحمن [1]

ويقول الشيخ عبد الرحمن السعدي[2] رحمه الله في شرحه للنونية : "والتوحيد القولي على نوعين : أحدهما سلب أي نفي للنقائص والعيوب عن الله عز وجل، والثاني إثبات صفات الكمال لله تعالى"[3]

التعليق :

كما سبق أن التوحيد يكون بالفعل وبالقول، وبالقول يكون بإثبات ما أثبته الله لنفسه من الأسماء والصفات ونفي النقائص والمماثلة له واعتقاد ذلك .

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله : "والتوحيد الذي جاءت به الرسل ونزلت به الكتب هو توحيد الإلهية، وهو أن يعبد الله وحده لا شريك له، وهو متضمن لشيئين، أحدهما : القول العملي، وهو إثبات صفات الكمال له، وتنزيهه عن النقائص، وتنزيهه عن أن يماثله أحد في شيء من صفاته، فلا يوصف بنقص بحال ولا يماثله أحد في شيء من الكمال، كما قال تعالى : ﴿ قل هو الله أحد الله الصمد[4] ﴾ فالصمدية تثبت له الكمال والأحدية تنفي مماثلة شيء له في ذلك " [5] فالتوحيد القولي هو الإثبات والنفي، إثبات

---

(١) النونية لابن القيم مع شرح الهراس ٢/٥٥ -٦٤ .

(٢) هو العلامة الشيخ أبو عبد الله عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله بن ناصر آل سعدي التميمي، ولد سنة ١٣٠٧هـ، من مؤلفاته : تيسير الكريم المنان، القواعد الحسان لتفسير القرآن، الحق الواضح المبين وغيرها، توفي رحمه الله سنة ١٣٧٦هـ .

انظر : علماء نجد للشيخ عبد الله آل بسام ٣/٢١٨-٢٥٢، ومقدمة المجموعة الكاملة ص ٥-٩ .

(٣) الحق الواضح المبين ص ٢١٣ .

(٤) سورة الإخلاص الآية ١، ٢ .

(٥) الصفدية ٢/٢٢٨، ٢٢٩ .

صفات الكمال لله تعالى إثباتا مفصّلا، ونفي النقائص والعيوب عنه نفيا مجمــــلا[1] إلا أن نفي شيء من الصفات يتضمن ثبوت كمال ضد المنفي عنه[2] .

الفرع السادس : أنواع السلب

- سلب لمتصل .
- سلب لمنفصل .

يقول العلامة ابن القيم رحمه الله :

فالأول القولي ذو نوعين أيضا في كتاب الله موجــودان
إحداهما سلب وذا نوعان أيضا فيه حقــــا فيه مذكوران
سلب النقائص والعيوب جميعها عنه هما نوعــان معقولان
سلب لمتصـــل ومنفصـــل هما نوعان معـــروفان أما الثاني
وكذاك سلب الزوج والولد الذي نسبوا إليه عابدو الصلبان
سلب الشريك مع الظهير مع الشفيع بدون إذن الخالق الديان[3]

التعـــليق :

هذا التقسيم للسلب هو من حيث متعلقه، وهو نوعان :

الأول سلب لمتصل وضابطه نفي كل ما يناقض صفة من صفات الكمال التي وصـــف الله بها نفسه أو وصفه بها رسوله ﷺ [4] فكل وصف ينافي كمال صفاته الثابتة ينفى عنه، لأن صفاته كلها في غاية الكمال لا نقص فيها بوجه من الوجوه، وإثبات وصف ينــــافي

---

(١) وهذا قاعدة من قواعد أهل السنة والجماعة في توحيد الأسماء والصفات، وهو " إثبات مفصل ونفي مجمـــل " انظر مجموع الفتاوى ٣/٤، ٦/٣٧، وشرح العقيدة الطحاوية ص ١٠٧

(٢) وهذا أيضا من قواعد أهل السنة، وهي " أن كل نفي في الكتاب والسنة إنما هو لثبوت كمال ضده " انظـــر : الفتاوى لابن تيمية ٣/٣٦، وشرح العقيدة الطحاوية ص ١٠٦-١٠٨ .

(٣) النونية مع شرح الهراس ٢/٥٥-٥٧ وانظر الحق الواضح المبين ص ٢١٢ .

(٤) انظر الحق الواضح المبين ص ٢١٢ وشرح الهراس ٢/٥٧ .

صفة من صفاته نقص في كمال تلك الصفة، والنقص منفي عن الله من جميع الوجوه، كالنوم والسنة والموت المنافي للحياة والقيومية ونحوها.

والثاني هو سلب لمنفصل، وضابطه تنزيه الله سبحانه عن أن يشاركه أحد من الخلق في شيء من خصائصه التي لا تنبغي إلا له [1] فالله سبحانه لا يماثله أحد من خلقه في شيء من الصفات ولا يشاركه في شيء من خصائصه، فهو الواحد الأحد فالأحدية تنفي المماثلة أو المشاركة، مثل نفي الشريك له في التدبير والملك أو في العبادة والتأله، وكذا نفي الزوج والولد ونحوها.

المطلب الخامس: مراتب المؤمنين.

الإيمان يجمع جميع أعمال الإسلام الظاهرة والباطنة وهي كثيرة لا تحصى، ولا شك أن الناس في الإتيان بهذه الشرائع على مراتب متفاوتة، وقد جعلهم الله سبحانه على ثلاث مراتب، فقال عز شأنه: ﴿ ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات بإذن الله ذلك هو الفضل الكبير * جنات عدن يدخلونها ﴾ [2] فالمراتب هي:

- الظالم لنفسه.
- المقتصد.
- السابق بالخيرات.

---

(١) انظر المصدران السابقان.

(٢) فاطر الآية ٣٢، ٣٣، في الآية الكريمة قدم الله سبحانه الظالم لنفسه على المقتصد والسابق بالخيرات، قيل في سببه لئلا يقنط الظالم ولئلا يعجب السابق فيحبط عمله، وقيل: لأن أكثر أهل الجنة الظالمون لأنفسهم لأن الذين لم تقع منهم المعصية أقل من غيرهم" انظر: أضواء البيان للشيخ الشنقيطي ١٦٥/٦.

يقول العلامة ابن القيم رحمه الله : "السائر إلى الله وإلى دار السلام، وهم ثلاثة أقسام : ظالم لنفسه، ومقتصد، وسابق بالخيرات بإذن الله، وهؤلاء كلهم مستعدون للسير موقنون بالرجعى إلى الله ولكن متفاوتون في التزود وتعبئة الزاد واختياره وفي نفس السير وسرعته وبطئه،

فالظالم لنفسه مقتصر في الزاد غير آخذ منه ما يبلغه المنزل لا في قدره ولا في صفته بل مفرط في زاده الذي ينبغي له أن يتزود ومع ذلك فهو متزود ما يتأذى به في طريقه، ويجد غب أذاه إذا وصل المنزل بحسب ما تزود من ذلك المؤذي الضار،

والمقتصد اقتصر من الزاد على ما يبلغه و لم يشد مع ذلك أحمال التجارة الرابحة و لم يتزود ما يضر، فهو سالم غانم، لكن فاتته المتاجر الرابحة وأنواع المكاسب الفاخرة،

والسابق بالخيرات همه في تحصيل الأرباح وشد أحمال التجارات لعلمه بمقدار الربح الحاصل، فيرى خسرانا أن يدخر شيئا مما بيده لا يتجر به ... "[1]

التعليق :

هذه المراتب الثلاثة للمؤمنين هي التي أشار إليها النبي صلى الله عليه وسلم في حديث جبريل[2] عندما جعل الدين على ثلاث درجات : الإسلام، ثم الإيمان، ثم الاحسان، فأهل هذا الدين أيضا على ثلاث مراتب : مسلم ظالم لنفسه، مؤمن مقتصد، محسن سابق بالخيرات .

فالظالم لنفسه – بأي ظلم كان ما خلا الشرك لأنه ينافي أصل الدين – هو الذي معه أصل الإيمان الذي به يحقن دمه و يدخل في جملة المسلمين لكنه لم يسلم من اقتراف المحرمات وترك الواجبات مع حفظه للتوحيد والإيمان بالله ورسوله واليوم الآخر .

وأما المقتصد فهو الذي أدى ما هو واجب عليه واتقى ما كان محرما واقتصر على ذلك و لم تعل همته إلى أن يأتي بالمستحبات وأن يتورع في فضول المباحات ويتقي

---

(١) طريق الهجرتين ص ٢٨٩ بتصرف يسير، وانظر تفسير ابن كثير ٥٣٢/٣، وأضواء البيان١٦٤/٦.

(٢) تقدم تخرج الحديث .

المكروهات،وهو الذي قال الله فيه في الحديث القدسي : ﴿ ولئن يتقرب إلي عبد أحب إلي مما افترضته عليه ﴾ [1] فالمتقرب إلى الله بالفرائض هو المقتصد، وهو الذي يتناوله إطـلاق لقب المؤمن .

وأما السابق بالخيرات فهو الذي يتقرب إلى الله بالنوافل بعد الفرائض، فيؤدي الواجبات و المستحبات ويجتنب المحرمات والمكروهات ويتورع في فضول المباحات حـتى يحبـه الله سبحانه كما في الحديث القدسي : ﴿ ولا يزال العبد يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبـه ﴾ [2] [3] .

---

(١) الحديث أخرجه البخاري كتاب الرقاق باب التواضع ٣٤٨/١١ (٦٥٠٢) .

(٢) جزء من الحديث السابق تخريجه .

(٣) انظر الفتاوى ٢٢٤/٢، ١٨٣/١١، ١٧٩، ٦٠٧/١٠ .

المبحث الثاني

التقسيمات المتعلقة بما ينافي باب الإيمان .

المطلب الأول : الفسق وأنواعه .

وفيه أربعة فروع :

الفرع الأول : معنى الفسق .

الفرع الثاني : أنواع الفسق باعتبار جهة وقوعه .

الفرع الثالث : أنواع الفسق باعتبار الحكم عليه .

الفرع الرابع : أنواع إطلاق الفسق في كتاب الله .

الفرع الأول : معنى الفسق لغة وشرعا .

لغة : الفسق لغة هو الخروج، مأخوذ من فَسَقَ يَفْسِقُ و يَفْسُقُ فِسْق ، يقال : فسقت الرطبة عن قشرها إذا خرجت عن القشر، ويقال : فسق عنه أي مال وجار[1] .

شرعاً : هو الخروج عن طاعة الله وطاعة رسوله ﷺ بترك مأمور أو بارتكاب محرم، فكل من خرج عن طاعة الله وجار عن الاستقامة ومال إلى المعصية فهو فاسق [1] .

الفرع الثاني : أنواع الفسق باعتبار جهة وقوعه .

الفسق يكون من جهة الاعتقاد القلبي ومن جهة الأعمال الظاهرة، وبهذا الاعتبار ينقسم الفسق إلى قسمين :

- فسق من جهة الاعتقاد .
- فسق من جهة العمل .

يقول الإمام ابن القيم رحمه الله : " الفسوق التي تجب التوبة منه أعم من الفسوق الذي ترد به الرواية و الشهادة، وكلامنا الآن فيما تجب التوبة منه وهو قسمان :فسق من جهة العمل وفسق من جهة الاعتقاد"[1]

---

(١) انظر تهذيب اللغة ٤١٤/٨، لسان العرب ٢٦٢/١٠، والنهاية لابن الأثير ٤٤٦/٣، وشرح مسم للنووي ٥٤/٢، وفتح الباري لابن حجر ١٣٨/١ .

التعليق :

هذا التقسيم هو باعتبار جهة وقوع الفسق وهو إما القلب وإما الجوارح، فقد يكون الفسق من جهة الاعتقاد كفسق كثير من أهل البدع الذين قد يؤمنون بالله ورسوله واليوم الآخر، ويحرمون ما حرم الله ورسوله، ويوجبون ما أوجب الله ورسوله، لكن يقعون من جهة الاعتقاد في كثير من البدع والآراء المنحرفة جهلا وتأويلا، واتباعا للأهواء وتقليدا للشيوخ، كالخوارج والقدرية والمعتزلة وكذا من الروافض والجهمية الذين هم ليسوا من الغلاة، فهؤلاء كلهم فسقهم من جهة الاعتقاد لا العمل، بل في العمل قد يكون منهم من هو من أعبد الناس كالخوارج، فقد قال النبيﷺ للصحابة : ﴿ **تحقرون صلاتكم مع صلاتهم وصيامكم مع صيامهم وعملكم مع عملهم، ويقرءون القرآن لا يجاوز حناجرهم، يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية** ﴾ [٢]فهم من أشد الناس اجتهادا في العمل لكن فسقهم الذي جعلهم يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية هو من جهة الاعتقاد والرأي .

وأما فسق العمل فهو الخروج عن الطاعة بارتكاب محرم أو ترك واجب مع سلامة المنهج وصحة الاعتقاد كعصاة الموحدين الذين خرجوا عن طاعة الله سبحانه إلى معصيته في الأعمال الظاهرة، سواء كانت المعصية صغيرة أو كبيرة ففسقهم بحسب المعصية [٣]،

يقول العلامة الألوسي[٤] رحمه الله : ''الفسق أعم من الكفر ويقع بالقليل من الذنوب وبالكثير لكن تعورف فيما كانت كثيرا، وأكثر ما يقال الفاسق لمن التزم حكم الشرع

---

(١) مدارج السالكين ٣٦١/١ .

(٢) الحديث أخرجه البخاري في كتاب فضائل القرآن، باب إثم من راءى بقراءة القرآن ٥٠٥٨/٧١٨/٨، ومسلم في كتاب الزكاة ١٤٨/١٦٥/٧ من حديث أبي سعيد الخدري ﷺ .

(٣) انظر مدارج السالكين ٣٦٢/١، ٣٦١ .

(٤) هو العلامة المفسر محمد بن عبد الله الحسيني الألوسي البغدادي، ولد سنة ١٢١٧هـ، من تصانيفه روح المعاني وغيره، توفي سنة ١٢٧٠هـ .
انظر معجم المؤلفين لعمر كحالة ١٧٥/١٢ .

وأقر به ثم أخل بجميع أحكامه أو ببعضها " [1] وقد يكون العمل غير موافق للشريعة فيكون العامل قد خرج من طاعة الله بهذا العمل،وقد يكون له فيه نية حسنة وقصد خالص .

الفرع الثالث : أنواع الفسق باعتبار الحكم عليه .

الفسق باعتبار الحكم عليه ينقسم إلى قسمين :

- فسق كفر، يخرج عن الإسلام .
- فسق معصية، لا يخرج عن الإسلام .

قال الإمام محمد بن نصر المر وزي[2] رحمه الله : "وكذلك الفسق فسقان فسق ينقل عن الملة، وفسق لا ينقل عن الملة، فيسمى الكافر فاسقا والفاسق من المسلمين فاسقا، ذكر الله إبليس فقال: ﴿ففسق عن أمر ربه﴾ [3]وقال الله تعالى :﴿ وأما الذين فسقوا فمأواهم النار ﴾ [4] يريد الكفار دل على ذلك قوله :﴿كلما أرادوا أن يخرجوا منها أعيدوا فيها وقيل لهم ذوقوا عذاب النار الذي كنتم به تكذبون﴾ [5]وسمي القاذف من المسلمين فاسقا و لم يخرجه من الإسلام، قال الله تعالى: ﴿ والذين يرمون المحصنات ثم لم يأتوا بأربعة شهداء فاجلدوهم ثمانين جلدة ولا تقبلوا لهم شهادة أبدا وأولئك هم الفاسقون﴾ [6]وقال تعالى :﴿فمن فرض فيهن الحج فلا

---

(١) روح المعاني ١٤٥/٢٦.

(٢) هو الإمام شيخ الإسلام الحافظ أبو عبد الله محمد بن نصر بن الحجاج المروزي، ولد سنة ٢٠٢هـ ببغداد، ومن مؤلفاته كتاب تعظيم قدر الصلاة وكتاب الإيمان، توفي سنة ٢٩٤هـ .

انظر : تاريخ بغداد ٣١٥/٣-٣١٨، سير أعلام النبلاء ٣٣/١٤-٤٠، وشذرات الذهب ٢١٦/٢-٢١٧.

(٣) الكهف الآية ٥٠ .

(٤) السجدة الآية ٢٠ .

(٥) السجدة الآية ٢٠ .

(٦) النور الآية ٤.

رفث ولا فسوق ولا جدال في الحج ﴾ [1] فقالت العلماء في تفسير الفسوق هاهنا : هي المعاصي ." [2]

ويقول الحافظ ابن القيم رحمه الله :" الفسوق نوعان: فسوق كفر يخرج من الملة، فسوق لا يخرج عن الإسلام، والذي هو فسوق كفر كقوله تعالى:﴿ يضل به كثيرا ويهدي به كثيرا وما يضل به إلا الفاسقون الذين ينقضون عهد الله ﴾[3] والفسوق الذي لا يخرج عن الإسلام فكقوله تعالى :﴿ وإن تفعلوا فإنه فسوق بكم ﴾ [4] " [5] .

التعليق :

كل من خرج عن الطاعة فهو فاسق، فقد يخرج العبد عن الطاعة بعد توحيد الله سبحانه والإيمان به وبرسوله والانقياد لهما، فيرتكب بعض المعاصي ويترك بعض ما أوجب الله عليه من العبادات الظاهرة، فهذا يسمى فاسقا، إلا أنه لا يكون مخرجا من الملة بل يكون عاصيا ناقص الإيمان على خلاف بين أهل العلم في تارك الصلاة، ولذا لم يأمر الله سبحانه برد خبر الفاسق غير الكافر جملة بل أمر بتثبت خبره فقال عز وجل:﴿ يا أيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا ﴾ [6] [7] وقد أطلق النبي ﷺ الفسق على ذنب أخف من الذنب الذي أطلق عليه الكفر فقال ﷺ : **﴿سباب المسلم فسوق وقتاله كفر﴾** [8] فالسباب من أعمال الفسق والقتال من أعمال الكفر.

---

(١) البقرة الآية ١٩٧.

(٢) تعظيم قدر الصلاة ٥٢٦/٢، وانظر مجموع الفتاوى لابن تيمية ٣٢٧/٧.

(٣) البقرة الآية ٢٦،٢٧ .

(٤) البقرة الآية ٢٨٢ .

(٥) مدارج السالكين ٣٥٩،٣٦١/١ بتصرف واختصار .

(٦) الحجرات الآية ٤٩.

(٧) انظر مدارج السالكين ٣٦٠/١

(٨) الحديث سبق تخريجه .

وقد يخرج بفعل بعض ما ينافي أصل الإيمان والتوحيد فيكون صاحبه خارجا من الملة بهذا العمل أو الاعتقاد قال سبحانه : ﴿ وأما الذين فسقوا فمأواهم النار كلما أرادوا أن يخرجوا منها أعيدوا فيها وقيل لهم ذوقوا عذاب النار الذي كنتم به تكذبون﴾[1] فوصف الله الكفار بالفسق لأنهم عصوا الله ورسوله ﷺ و لم يؤمنوا بهما بل خرجوا عن طاعة الله ورسوله ﷺ فكانوا أولى بالوصف بالفسق، قال تعالى عن إبليس:﴿ وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس كان من الجن ففسق عن أمر ربه﴾ [2] أي فخرج عن طاعة أمر الله سبحانه تكبرا فصار من الفاسقين الكافرين.

يقول القرطبي[3] رحمه الله :"والفسق في عرف الاستعمال الشرعي :الخروج من طاعة الله عز وحل فقد يقع على من خرج بكفر وعلى من خرج بعصيان " [4] فالفسق منه ما يخرج عن الإسلام بالكلية كفسق الكفار والمشركين ،ومنه ما لا يخرج عن دائرة الإسلام كعصاة الموحدين، والله أعلم .

الفرع الرابع : أنواع إطلاق الفسق في كتاب الله عز وجل .

الفسق ورد في كتاب الله على نوعين :

- مفردا .
- مقرونا بالعصيان .

يقول الإمام ابن القيم رحمه الله : "الفسوق في كتاب الله نوعان : مفرد ومقرون بالعصيان . فالمقرون كقوله تعالى :﴿ ولكن الله حبب إليكم الإيمان وزينه في قلوبكم

---

(١) السجدة الآية ٢٠ .

(٢) الكهف الآية ٥٠.

(٣) هو الإمام أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي الأندلسي القرطبي، من مؤلفاته : الجامع لأحكام القرآن، التذكر في أحوال الموتى وأمور الآخرة، توفي سنة ٦٧١ هـ .
انظر : طبقات المفسرين للسيوطي ص ٩٢ وشذرات الذهب ٣٣٥/٥ .

(٤) الجامع لأحكام القرآن ١٧٠/١ .

وكره إليكم الكفر والفسوق والعصيان﴾ [1] والمفرد كقوله تعالى: ﴿يضل به كثيرا ويهدي به كثيرا وما يضل به إلا الفاسقون﴾ [2] قوله تعالى: ﴿وان تفعلوا فإنه فسوق بكم﴾ [3]'' [4]

التعليق :

كما سبق أن الفسق هو الخروج عن الطاعة، والعصيان أيضا مخالفة شرع الله، فهما بمعنى واحد إلا أنهما إذا اجتمعا افترقا وإذا افترقا اجتمعا كالإسلام والإيمان، فعند الاجتماع يكون الفسق بمعنى مخالفة النهي والعصيان مخالفة الأمر .

يقول العلامة ابن القيم رحمه الله :''فالمقرون بالعصيان هو ارتكاب ما نهى الله عنه والعصيان هو عصيان أمره كما قال تعالى : ﴿لا يعصون الله ما أمرهم﴾ [5] فالفسق أخص بارتكاب النهي، ولهذا يطلق عليه كثيرا والمعصية أخص بمخالفة الأمر ''[6] .فهذا عند الاقتران كما في قوله تعالى : ﴿ ولكن الله حبب إليكم الإيمان وزينه في قلوبكم وكره إليكم الكفر والفسوق والعصيان أولئك هم الراشدون ﴾[7] وأما عند الانفراد يكون المعنى مطلق المخالفة سواء كانت المخالفة للأمر أو للنهي[8] .

---

(١) الحجرات الآية ٤٩.

(٢) البقرة الآية ٢٦، ٢٧ .

(٣) البقرة الآية ٢٨٢.

(٤) مدارج السالكين ٣٥٩/١ .

(٥) الأنعام الآية ٦٦.

(٦) المصدر السابق ٣٦١/١ .

(٧) الحجرات الآية ٤٩.

(٨) وانظر الفتاوى لابن تيمية ٥٩/٧ .

المطلب الثاني : المعاصي وأنواعها .

وفيه فروع :

الفرع الأول : معنى المعاصي .

الفرع الثاني : أنواع المعاصي باعتبار العمل .

الفرع الثالث : أنواع المعاصي باعتبار الصفة .

الفرع الرابع : أنواع المعاصي باعتبار محلها .

الفرع الخامس : أنواع المعاصي من حيث الحكم عليها .

الفرع السادس : أنواع المعاصي باعتبار ما يترتب عليها من العقوبة .

الفرع الأول : معنى المعصية لغة وشرعا .

لغة : المعاصي جمع معصية، يقال : عَصَى فلان أميرَه يَعْصيه عَصْياً وعِصْياناً ومَعْصِية إذا لم يطعه، فالعصيان والمعصية هي خلاف الطاعة .

شرعا : والمعصية في الشرع هي مخالفة أمر الله ونهيه، يقال : عصى العبد ربه إذا خالف أمره وارتكب محارمه، فهي تتناول جميع المخالفات الشرعية أصولا وفروعا [1].

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله :" فإذا أطلقت المعصية لله ورسوله دخل فيها الكفر والفسوق، كقوله ﴿ ومن يعص الله ورسوله فإن له نار جهنم خالدين فيها أبدا ﴾ [2] وقال

---

(١) انظر المعنى اللغوي والشرعي : معجم مقاييس اللغة ٢٣٤/٤ ، تهذيب اللغة ٧٩/٣، لسان العرب ٢٥٠/٩

(٢) سورة النساء الآية ١٤ .

تعالى : ﴿ وتلك عاد جحدوا بآيات ربهم وعصوا رسله واتبعوا أمر كل جبار عنيد ﴾ [1] فأطلق معصيتهم للرسل بأنهم عصوا هودا معصية تكذيب لجنس الرسل'' [2] .

الفرع الثاني : أنواع المعاصي باعتبار العمل .

مخالفة شرع الله تعالى تكون إما بعدم امتثال ما أمره الله أو بارتكاب ما نهاه عنه، وعلى هذا تنقسم المعصية إلى قسمين :

- ترك مأمور .
- فعل محظور .

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله : '' والمعاصي تنقسم إلى : ترك مأمور وفعل محظور'' [3]

ويقول العلامة ابن القيم رحمه الله : ''أصلها نوعان : ترك مأمور، فعل محظور، وهما الذنبان اللذان ابتلى الله سبحانه بهما أبوي الجن والإنس '' [4]

التعليق :

هذا التقسيم هو باعتبار أن شريعة الله سبحانه من حيث العمل لا تخلو من أن يكون إما أمرٌ أمرَ الله تعالى به خلقه، أو نهي نهى الله سبحانه عنه، وهو الذي أشار إليه النبيﷺ حيث قال : **﴿إذا أمرتكم بشيء فأتوا منه ما استطعتم، وإذا نهيتكم عن شيء فاجتنبوه ﴾** [5] وقال تعالى : ﴿ ما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا ﴾ [6]

---

(١) سورة هود الآية ٥٩ .

(٢) مجموع الفتاوى ٧/٥٩ .

(٣) الفتاوى ٢٣/٣٠.

(٤) الجواب الكافي ص ٢٩٧ وانظر الطرق الحكمية ص ١٥٤ .

(٥) الحديث متفق عليه من حديث أبي هريرة ﷺ، أخرجه البخاري كتاب الاعتصام باب الاقتداء بسنن رسول الله ﷺ ٧٢٨٨/٢٦٤/١٣، ومسلم كتاب الفضائل ١٣٠/١٠٩/١٥ .

(٦) الحشر الآية ٧ .

فالمعصية تقع في هذين النوعين إما مخالفة الأمر مع استطاعة الفعل، أو مخالفة النهي وعدم اجتنابه .

الفرع الثالث : أنواع المعاصي باعتبار الصفة .

أما باعتبار الصفة فالمعاصي تنقسم إلى أربعة أقسام :

- ملكية .
- شيطانية .
- سبعية .
- بهيمية .

يقول العلامة ابن القيم رحمه الله : " الذنوب تنقسم إلى أربعة أقسام : ملكية، شيطانية، سبعية، بهيمية، ولا تخرج عن ذلك ...

- فالذنوب الملكية : أن يتعاطى ما لا يصلح له من صفات الربوبية كالعظمة والكبرياء ويدخل في هذا الشرك بالله .
- وأما الشيطانية : فالتشبه بالشيطان في الحسد، والبغي، والغش وهذا النوع يلي النوع الأول في المفسدة وإن كانت مفسدته دونه .
- وأما السبعية : فذنوب العدوان، والغضب، وسفك الدماء، ويتولد منها أنواع أذى الإنساني .
- وأما البهيمية : فمثل الشره والحرص على قضاء شهوة البطن والفرج وغير ذلك "[1]

التعليق :

المعصية مصدرها الشيطان، فهو الذي يوقع العبد في معصية الله تعالى بأي وسيلة استطاع وفي أي ذنب كان ،ويجلب عليهم بخيله ورجله حتى يغويهم عن الصراط المستقيم

---

(١) الجواب الكافي ص ٢٩٧، ٢٩٨ بتصرف واختصار .

:

ويخرجهم عن الفطرة الحنيفية إلى مضاهاة الربوبية أو إلى الإشراك بالله تعالى أو إلى معصيته سبحانه، فهو يتربص بهم فلا يترك أي فرصة له في إيقاعهم في معصية الله تعالى فيجتهد بكل ما في وسعه ويأتيهم من بين أيديهم، ومن خلفهم، وعن أيمانهم، وعن شمائلهم حتى يوقع العبد في أكبر الكبائر من الكفر والشرك بالله سبحانه، بل و يدعي ما هو من صفات الربوبية كالعظمة والكبرياء والعلو وغير ذلك، فإن لم يستطع ففي غيره من المعاصي التي هي من صفات الشيطان اللعين من المكر والخداع للآخرين وصدهم عما ينفعهم وإيقاعهم فيما يضرهم، أو من صفات السبع الوحشية من العدوان والظلم على الغير وإفساد الأمن في المجتمع ونحوها من المعاصي في المعاملات مع الآخرين، أو من صفات البهائم من الحرص على قضاء شهوة البطن والفرج وغير ذلك من المعاصي في الأمور الأخلاقية[1] فهذه أربعة أنواع من المعاصي باعتبار الصفة .

الأولى ملكية : وهي منازعة الله تعالى في صفاته وأفعاله، **والثانية** شيطانية : وهي الأمر بالمنكر والدعوة إلى الضلال، والنهي عن المعروف، **والثالثة** سبعية : وهي ما تشبه بصفات السبع التي لا تعرف الأمن ولا العدل مع الآخرين، **والرابعة** بهيمية :وهي ما تشبه بصفات البهائم التي لا يهمها إلا قضاء شهوتها وفعل ما يرغبها ويشتهيها بأي طريق كانت، فلا تعرف الحلال ولا الحرام ولا الحسنة ولا السيئة "وهذا القسم أكثر ذنوب الخلق لعجزهم عن الذنوب السبعية والملكية، ومنه يدخلون إلى سائر الأقسام فهو يجرهم إليها بالزمام، فيدخلون منه إلى الذنوب السبعية، ثم إلى الشيطانية، ثم إلى منازعة الربوبية، والشرك في الوحدانية "[2] والله أعلم .

الفرع الرابع : أنواع المعاصي باعتبار محلها .

المعصية ضد الطاعة، فكما أن الطاعة على نوعين ظاهرة على الجوارح وباطنة في القلوب فكذا المعصية على قسمين :

---

(١) انظر الجواب الكافي ص ٢٩٧-٢٩٩ .

(٢) الجواب الكافي لابن القيم ص ٢٩٨ .

- ظاهرة على الجوارح .
- باطنة في القلوب .

يقول الحافظ ابن القيم رحمه الله : " ينقسم باعتبار محله إلى : ظاهر على الجوارح باطن في القلوب " [1].

التعليق :

المعصية هي عدم امتثال أوامر الله سبحانه، وأوامر الله سبحانه كما سبق إما أعمال ظاهرة على الجوارح أو باطنة في القلوب، فالمعصية تقع في هذين النوعين :
إما ظاهرة على الجوارح كشرب الخمر والزنى وقتل النفس التي حرم الله ونحو ذلك من المعاصي الظاهرة، أو باطنة في القلوب نحو الحسد والبغض والكبر ونحو ذلك، وكلاهما قد يكون مخرجا من الملة، كالسجود للصنم وإهانة المصحف وكذا بغض الرسول ﷺ أو بغض بعض ما جاء به من الشريعة، وقد يكون من المعاصي الصغيرة التي لا تخرج من الملة، والله أعلم .

الفرع الخامس : أنواع المعاصي باعتبار الحكم عليها .

المعاصي تتفاوت دركاتها والحكم عليها، فمعصية يخرج بها صاحبها عن الإسلام، ومعصية دون ذلك فلا يخرج صاحبها عن الإسلام، وهذه الثانية أيضا منها ما يكون صاحبها على خطر حتى يتوب منها، ومنها ما تمحها الحسنة التابعة لها، فعلى هذا تنقسم المعاصي إلى ثلاثة أقسام :

- كفر .
- كبائر .
- صغائر .

---

(١) المصدر السابق ص ٢٩٧.

قال الإمام الحافظ محمد بن نصر المروزي رحمه الله : "لما كانت المعاصي بعضها كفر وبعضها ليس بكفر فرق بينها فجعلها ثلاثة أنواع :نوع منها كفر، نوع منها فسوق وليس بكفر، نوع منها عصيان وليس بكفر ولا فسوق " (١)

وقال العلامة ابن القيم رحمه الله :"وأما المحرمات التي عليه - أي على القلب - نوعان : كفر ومعصية، فالكفر كالشك والنفاق والشرك وتوابعها، والمعصية نوعان : كبائر،صغائر، فالكبائر كالرياء والعجب والكبر والفخر، والصغائر : شهوة المحرمات وتمنيها "(٢) وقال أيضا :"والذنوب تنقسم إلى : صغائر، وكبائر بنص القرآن والسنة،وإجماع السلف وبالاعتبار"(٣)

التعليق :

من المعلوم أنه ليس كل معصية سواء، فهناك معاصي يخلد صاحبها في النار كالكفر بالله ورسوله، قال تعالى :﴿ ومن يعص الله ورسوله ويتعد حدوده يدخله نارا خالدا فيها وله عذاب مهين ﴾(٤) يقول الشيخ السعدي رحمه الله :"ويدخل في اسم المعصية الكفر فما دونه من المعاصي" (٥) وكذا الشك والشرك، والاستهزاء بشيء من أمور الدين أو الاستهلال للمعصية ونحو ذلك من المعاصي المخرجة من الدين، وأيضا معاصي قد نص الله في كتابه أن منها ما توصف بأنها كبائر، وأن من اجتنبها يكفر عنه صغائر الذنوب، قال تعالى :﴿ إن تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه نكفر عنكم سيئاتكم ﴾ (٦) وقال تعالى: ﴿ والذين يجتنبون كبائر الإثم والفواحش إلا اللمم ﴾ (٧) وفي الصحيح عن النبي ﷺ أنه قال:﴿ الصَّلَوَاتُ

---

(١) تعظيم قدر الصلاة ٣٦٢/١، وانظر الفتاوى لابن تيمية ٤٢/٧ .

(٢) مدارج السالكين ١١٣/١ باختصار .

(٣) مدارج السالكين ٣١٥/١، وانظر الجواب الكافي ص ٢٩٩ .

(٤) النساء الآية ١٤ .

(٥) تيسير الكريم الرحمن للسعدي ص ١٣٦ .

(٦) النساء الآية ٣١ .

(٧) النجم الآية ٣٢ .

الْخَمْسُ وَالْجُمُعَةُ إِلَى الْجُمُعَةِ وَرَمَضَانُ إِلَى رَمَضَانَ مُكَفِّرَاتٌ مَا بَيْنَهُنَّ إِذَا اجْتَنَبَ الْكَبَائِرَ﴾ (١) فالذنوب والمعاصي متفاوتة في درجاتها، فنوع منها كفر، ونوع منها فسوق وليس بكفر، ونوع منها سيئة من الصغائر وليس بكفر ولا من الكبائر، قال تعالى :﴿ ولكن الله حبب إليكم الإيمان وزينه في قلوبكم وكره إليكم الكفر والفسوق والعصيان﴾ (٢)

وأما الضابط بين الصغيرة والكبيرة فاختلف فيه العلماء على أقوال كثيرة، يقول العلامة ابن القيم رحمه الله : " وأما الكبائر فاختلف السلف فيها اختلافا لا يرجع إلى تباين وتضاد، وأقوالهم متقاربة " (٣) فبعضهم نظروا إلى الأحاديث المنصوصة على بعض الكبائر فقاسوا عليها غيرها باتفاق ما يترتب عليها من المفاسد، أو بما رتب عليها الشرع من حد أو وعيد فيقيسون غيرها عليها، وبعضهم نظروا إلى حال العاصي ففرقوا بين المتهاون والمتلذذ بالمعصية وبين من ليس كذلك، ونحو ذلك من الضوابط ومن ثم عرف كل واحد الكبيرة والصغيرة(٤)

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله : " أمثل الأقوال في هذه المسألة القول المأثور عن ابن عباس رضي الله عنهما وهو : أن الصغيرة ما دون الحدين : حد الدنيا، وحد الآخرة...وهو معنى قول القائل : كل ذنب ختم بلعنة، أو غضب، أو نار، فهو من الكبائر" ثم قال : "وهذا الضابط يسلم من القوادح الواردة على غيره " (٥) ،

---

(١) الحديث أخرجه مسلم كتاب الطهارة ٣/١١٧/(٢٣٣) .

(٢) الحجرات الآية ٧ .

(٣) مدراج السالكين ١/٣٢٠ .

(٤) انظر شرح مسلم للنووي ٢/٨٥، ومدارج السالكين لابن القيم ١/٣٢٠، وشرح العقيدة الطحاوية ص ٣٧٠.

(٥) الفتاوى ٦/٦٥٠، ٦٥١ وقد ذكر خمس أمور لترجيح هذا التعريف .

ويقول الحافظ ابن القيم : ''أن الكبيرة قد يقترن بها ما يلحقها بالصغائر، وقد يقترن بالصغيرة ما يلحقها بالكبائر بل يجعلها في أعلى رتبتها، وهذا أمر مرجعه إلى ما يقوم بالقلب، وهو قدر زائد على مجرد الفعل '' (١)

فالضابط للصغيرة والكبيرة لمجرد الفعل هو أن الكبيرة ما فيها حد في الدنيا أو في الآخرة، وقد يقترن بالصغيرة أمور تلحقها بالكبائر مثل الإصرار عليها أو التهاون بها، ويقترن بالكبيرة ما يلحقها بالصغيرة، والله أعلم .

الفرع السادس : أنواع المعاصي باعتبار ما يترتب عليها من العقوبات .

إن الله سبحانه قدر على بعض المعاصي عقوبات في هذه الدنيا قبل يوم القيامة لعظم مفاسدها وكثرة دواعيها، وجعل لكل ذنب عقوبة بقدر مفسدتها، وتنقسم المعاصي بهذا الاعتبار إلى ثلاثة أقسام :

- قسم فيه الحد .
- قسم فيه الكفارة .
- قسم ليس فيه حد ولا كفارة .

يقول العلامة ابن القيم رحمه الله : '' ثم إنه سبحانه جعل الذنوب ثلاثة أقسام : قسما فيه الحد، فهذا لم يشرع فيه الكفارة اكتفاء بالحد، وقسما لم يرتب عليه حدا فشرع فيه الكفارة، كالوطء في نهار رمضان، وقسما لم يرتب عليه حدا ولا كفارة، وهو نوعان :

أحدهما : ما كان الوازع عنه طبيعيا، كأكل العذرة وشرب البول، والدم .

والثاني : ما كانت مفسدته أدنى من مفسدة ما رتب عليه الحد، كالنظر والقبلة واللمس، والمحادثة، وسرقة فلس ونحو ذلك'' (٢)

---

(١) مدارج السالكين ٣٢٨/١ .

(٢) الجواب الكافي ص ٢٧٥ باختصار، وانظر إعلام الموقعين ١١٨/٢ والطرق الحكمية ص ١٥٥ .

التعليق :

لاشك أن الذنوب تتفاوت مفاسدها ودواعيها، فذنوب يكون مفاسـدها وخطـورة نتائجها أشدّ مع كثرة دواعيها وتوفر وسائلها لدى كل شخص، وذنوب تكـف عنـها نفس الإنسان وتكرهه بدون أي مانع خارجي، بل تكرهه طبيعته ويسمجه عقله، لاسيما العقل السليم والطبع الشريف، فمن هنا تفاوتت العقوبات الشرعية الدنيوية على حسب مفسدة الذنب وميل الطبع إليه، فإن كان الذنب مما يقبحه العقل وتسـمجه الفطـرة أو كانت مفسدته قليلة وضرره غير متعد اكتفى بالتحريم والزجر عنه، ولم يترتب عليه حـد، وما كانت مفسدته أعظم والداعي إليه أكثر كانت عقوبته أشد، كما هو في عقوبة الزنى، لما كان الداعي في النفس إليه أشد ومفسدته خطيرة، كانت عقوبته من أشنع العقوبـات وأسوئها وهي القتل بالرجم وأدنى عقوبته هي الجلد مع تغريب سنة، وهكذا عقوبة كـل ذنب على قدر مفسدته وتشهي الطبع له، " فعقوبات الشرع جاءت علـى أتم الوجـوه وأوفقها للعقل وأقومها بالمصلحة "[1] .

---

(١) الجواب الكافي ص ٦٩-٧٠ وانظر لما سبق في المصدر نفسه ص ٢٦٧-٢٧٠ .

المطلب الثالث : النفاق وأنواعه .

وفيه أربعة فروع :

الفرع الأول : معنى النفاق .

الفرع الثاني : أنواع النفاق من حيث متعلقه .

الفرع الثالث : أنواع النفاق باعتبار الحكم .

الفرع الرابع : أنواع النفاق السلوكي .

الفرع الأول : معنى النفاق لغة وشرعا .

لغة : النفاق مأخوذ من " النافقاء " يقال : نافق ينافق منافقة و نفاقا، والنافقاء : هي إحدى جحر اليربوع يكتمها ويظهر غيرها وهي القاصعاء، فإذا أتي من قبلها ضرب النافقاء فيخرج منها، فهي باب يخرج منه خفية من غيره، فيظن الناظر أنه في جحره وهو في الحقيقة قد خرج منه، يقال : نفق اليربوع تنفيقا ونافق أي دخل في نافقائه، فمنه اشتقاق النفاق في الدين لأن صاحبه يكتم الكفر ويظهر الإسلام ويخرج بهذا الكفر من الإسلام خفية عن المسلمين[1].

شرعا :هو اختلاف السر والعلانية، والأعمال الظاهرة بالحقيقة المضمرة، إما في أصل الدين فيظهر الإيمان ويبطن الكفر، وإما في فروعه في الواجبات العملية مع وجود أصل الإيمان [2] .

---

(١) انظر تهذيب اللغة للأزهري ١٩٢/٩، معجم مقاييس اللغة ٤٥٥/٥، لسان العرب ٢٤٣/١٤ النهاية لابن الأثير ٩٨/٥ .

(٢) انظر الفتاوى لابن تيمية ١٤٠/١١ ،وجامع العلوم والحكم لابن رجب ٤٨١/١، وفتح الباري لابن حجر ١١١/١، والنهاية لابن الأثير ٩٨/٥ .

الفرع الثاني : أنواع النفاق من حيث متعلقه .

النفاق من حيث متعلقه ينقسم إلى قسمين :

- اعتقادي .
- عملي .

يقول الحافظ ابن كثير[1] رحمه الله : " النفاق هو إظهار الخير وإسرار الشر وهو أنواع : اعتقادي : وهو الذي يخلد صاحبه في النار، وعملي : وهو من أكبر الذنوب "[2]

ويقول الإمام ابن القيم رحمه الله : "النفاق نفاقان : نفاق اعتقاد، هو الذي أنكره الله على المنافقين في القرآن، وأوجب لهم الدرك الأسفل من النار، ونفاق عمل، كقوله ﷺ في الحديث : **﴿ آية المنافق ثلاث: إذا حدث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا ائتمن خان ﴾**[3]"[4].

التعليق :

أصل النفاق هو الخداع كما قال تعالى في وصفهم :**﴿ يخادعون الله والذين آمنوا وما يخدعون إلا أنفسهم ﴾**[5] فأصلهم وأساس معتقدهم هو الخداع والمكر سواء للمسلمين عامة فيظهرون أنهم يعتنقون عقيدتهم وينتسبون إليهم وينصرونهم ويوالوهم وأنهم معهم، فيرونهم يأتون بالأعمال الظاهرة، بل قد يرون بعضا منهم يتنافسون في الخيرات أمام

---

(١) هو العلامة المفسر عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير بن ضوء بن كثير القيسي البصري الدمشقي، ولد سنة ٧٠٠هـ، من مؤلفاته : البداية والنهاية، تفسير القرآن العظيم، توفي رحمه الله سنة ٧٧٤هـ .

انظر : الدرر الكامنة ١/٣٧٣-٣٧٤، وشذرات الذهب ٦/٢٣١، والبدر الطالع ١/١٥٣.

(٢) تفسير ابن كثير ١/٤٥ وانظر شرح السنة للبغوي ١/١٠١ .

(٣) الحديث متفق عليه من حديث أبي هريرة ﷺ أخرجه البخاري في كتاب الإيمان باب علامة المنافق ١/١١١ (برقم ٣٣) ومسلم في كتاب الإيمان ٢/٤٦ (برقم ١٠٧)

(٤) كتاب الصلاة ص ٥٥، ٥٦ .

(٥) البقرة الآية ٩ .

الناس، وفي الحقيقة أهم أعداؤهم يتربصون بهم الدوائر لا يتخذون فيهم إلاّ ولا ذمة، إن أصابهم فتح من الله ونصر ساءهم ذلك وغمهم وقالوا كذبا وزورا ألم نكن معكم، وإن أصابهم سوء ليكفر عنهم به سيئاقم فرحوا به، فهذا هو حقيقة حالهم وأصل مذهبهم ومنهجهم، الخداع والمكر في المعاملة مع الله ومع عباد الله، ما دخلوا في دين الله، وتلبسوا بلباس المسلمين إلا للكيد بهم وتحطيم كياهم وتفريق كلمتهم، كما هو حال كثير من المنافقين في عهد النّبي ﷺ [1].

وقد يكون الخداع والمكر – الذي هو من صفات أولئك الذين يبطنون الكفر ويظهرون الإسلام – يحصل من بعض المسلمين لبعضهم من إخلاف الوعد والكذب في الكلام والخيانة عند الائتمان، فهذه الأمور وإن كانت من علامات المنافقين الخلص، لكن قد يحصل في بعض المسلمين أيضا، فهذا نفاق عملي فقط لأن صاحبه ليس قصده هو النيل من الإسلام وإيصال الضرر لعامة المسلين، وإنما يحصل منه في بعض أعماله اختلاف السر والعلانية مع إيمانهم بالله ورسله، وهذا هو الذي خاف الصحابة على أنفسهم كما قال ابن أبي مليكة[2] رحمه الله : " أدركت ثلاثين من أصحاب النّبيﷺ كلهم يخاف النفاق على نفسه " [3] يقول الحافظ ابن حجر[4] : " وقد جزم بأهم كانوا يخافون النفاق في الأعمال " [5]

---

(١) انظر مدارج السالكين لابن القيم رحمه الله ٣٤٧-٣٥٩ فقد ذكر كثيرا من صفات المنافقين الواردة في الكتاب والسنة وغيرها .

(٢) هو الإمام الحجة عبد الله بن عبيد الله بن أبي مليكة أبو بكر وأبو محمد القرشي التيمي المكي، ولد في خلافة علي أو قبلها، وتوفي رحمه الله سنة ١١٧هـ .

انظر سير أعلام النبلاء ٥/٨٨-٩٠، وشذرات الذهب ١/١٥٣ .

(٣) أخرجه البخاري تعليقا كتاب الإيمان باب خوف المؤمن من أن يحبط عمله وهو لا يشعر ١/١٣٥ .

(٤) هو الحافظ شهاب الدين أحمد بن علي بن محمد أبو الفضل الكناني القاهري الشافعي الشهير بابن حجر العسقلاني، ولد سنة ٧٧٣هـ، من مؤلفاته فتح الباري شرح صحيح البخاري، تهذيب التهذيب، الدرر الكامنة وغيرها، توفي سنة ٨٥٢هـ .

انظر : طبقات الحفاظ للسيوطي ص ٥٥٢-٥٥٣، والبدر الطالع ١/٨٧-٩٢ .

(٥) فتح الباري ١/١٣٦ وانظر جامع العلوم والحكم ٢/٤٩٤.

إلا أن هذه الخصال العملية قد تجر صاحبها إلى النفاق في العقيدة إذا فعل ذلك مع عامة المسلمين وصار ديدنه الكذب على المسلمين وخداعهم والمكر بهم، ولذا قال النبي ﷺ أن من كان فيه هذه الخصال كان منافقا خالصا، ومن كان فيه خصلة من هذه الخصال كان فيه خصلة من النفاق حتى يدعها .

يقول العلامة ابن القيم بعد ذكر هذه الخصال :" فهذا نفاق عمل قد يجتمع مع أصل الإيمان ولكن إذا استحكم وكمل فقد ينسلخ صاحبه عن الإسلام بالكلية، وإن صلى وصام وزعم أنه مسلم، فإن الإيمان ينهى المؤمن عن هذه الخصال، فإذا كملت في العبد ولم يكن له ما ينهاه عن شيء منها فهذا لا يكون إلا منافقا خالصا "[1] .

ويقول الحافظ ابن رجب :"فكما يخشى على من أصر على المعصية أن يسلب الإيمان عند الموت، كذلك يخشى على من أصر على خصال النفاق أن يسلب الإيمان فيصير منافقا خالصا " [2]

وأما الصنف الأول فهم أعداء الإسلام حقيقة يظهرون الإسلام ويبطنون الكفر، ونفاقهم نفاق اعتقادي لأنهم يظهرون عقيد التوحيد وهم على عقيدة الكفر، والصنف الثاني نفاقهم نفاق عملي غير اعتقادي، والله أعلم .

الفرع الثالث : أنواع النفاق باعتبار الحكم عليه .

كما سبق أن النفاق قد يكون في الاعتقاد، وقد يكون نفاقا عمليا إذا ارتكب أحد شيئا من أعمال المنافقين،فهذا الثاني أخف من الأول، وقد يصدر هذا النوع من بعض المسلمين، فالنفاق يتفاوت في الدرجة والرتبة، وبهذا الاعتبار ينقسم إلى قسمين :

---

(١) كتاب الصلاة ص ٦٥ .

(٢) جامع العلوم والحكم ٤٩٣/٢ .

- نفاق أكبر .
- نفاق أصغر .

يقول ابن تيمية رحمه الله : " النفاق يطلق على : النفاق الأكبر الذي هو إضمار الكفر، وعلى النفاق الأصغر الذي هو اختلاف السر والعلانية في الواجبات، فالنفاق اسم جنس تحته نوعان، وأنه قد يراد به النفاق في أصل الدين مثل قوله :﴿ إن المنافقين في الدرك الأسفل من النار ﴾ (1) وقوله :﴿ إذا جاءك المنافقون قالوا نشهد إنك لرسول الله والله يعلم إنك لرسوله والله يشهد إن المنافقين لكاذبون﴾(2) والمنافق هنا الكافر، وقد يراد به النفاق في فروعه، مثل قولهﷺ : ﴿ آية المنافق ثلاث ...﴾ (3)وقوله :﴿ **أربع من كن فيه كان منافقا خالصا، ومن كانت فيه خصلة منهن كانت فيه خصلة من النفاق حتى يدعها : إذا أؤتمن خان، وإذا حدث كذب، وإذا عاهد غدر، وإذا خاصم فجر** ﴾ (4)" (5)

التعليق :

النفاق هو إظهار الإسلام وإبطان ما يخالفه، فهذا الذي يبطنه قد يكون ما يخالف أصل الإيمان، فيظهر الإسلام والإيمان وهو في باطن الأمر مكذب لذلك كله أو بعضه وليس بمسلم، وهذا هو النفاق الأكبر الذي يخلد صاحبه في الدرك الأسفل من النار يقول الحافظ ابن رجب رحمه الله : "النفاق الأكبر : وهو أن يظهر الإنسان الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، ويبطن ما يناقض ذلك كله أو بعضه، وهذا هو النفاق الذي

---

(1) النساء الآية ١٤٥ .

(2) المنافقون الآية ١ .

(3) الحديث سبق تخريجه .

(4) الحديث متفق عليه من حديث عبد الله بن عمرو ﷺ أخرجه البخاري كتاب الإيمان باب علامة المنافق ١١١/١(برقم ٣٤) ومسلم كتاب الإيمان ٤٦/٢/ برقم ١٠٦ .

(5) الفتاوى ١٤٠/١١، ١٤٥، وانظر الفتاوى ٥٢٤/٥، والمحلى لابن حزم ١٣١/١٢ .

كان على عهد النبي ﷺ، ونزل القرآن بذم أهله وتكفيرهم، وأخبر أن أهله في الدرك الأسفل من النار " [1] وهو أشد من الكفر المحض وأخطر منه للإسلام والمسلمين .

وقد يكون ما يبطنه ما هو من المعاصي والذنوب، فلا يخرج من الإسلام بل يكون أنه قد أتى ما هو من كبائر الذنوب التي إن شاء الله عفا عنه وإن شاء عذبه ثم أدخله الجنة،

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله :" ولفظ (النفاق) في الشرع إظهار الدين وإبطان خلافه، وهذا المعنى الشرعي أخص من مسمى النفاق في اللغة فإنه في اللغة أعم من إظهار الدين، ثم إبطان ما يخالف الدين إما أن يكون كفرا أو فسقا فإذا أظهر أنه مؤمن وأبطن التكذيب فهذا هو النفاق الأكبر الذي أوعد صاحبه بأنه في الدرك الأسفل من النار، وإن أظهر أنه صادق، أو موف، أو أمين وأبطن الكذب، والغدر، والخيانة ونحو ذلك، فهذا هو النفاق الأصغر الذي يكون صاحبه فاسقا "[2] فالنفاق مثل المعصية والفسوق إذا كان في أصل الدين وعقيدة التوحيد كان ذلك نفاقا أكبرا مخرجا من الملة، وإذا كان في فروع الدين فهو وإن كان نفاقا أصغرا بالنسبة إلى القسم الأول وليس بمخرج من الملة إلا أنه من كبائر الذنوب، والله أعلم .

المطلب الرابع : أنواع النفاق السلوكي .

أما من حيث مسالكه فينقسم النفاق إلى قسمين :

- نفاق في السلوك العلمي .
- نفاق في السلوك العملي .

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية : "ثم هنا نفاقان : نفاق لأهل العلم والكلام، نفاق لأهل العمل والعبادة، فأما النفاق المحض الذي لا ريب في كفر صاحبه : فأن لا يرى وجوب تصديق الرسول فيما أخبر به، ويرى أنه تحصل النجاة والسعادة بمتابعة الرسول

---

(١) جامع العلوم والحكم ٢/٤٨١ .

(٢) الفتاوى ١١/١٤٣ .

وبغير متابعته ... أما النفاق الذي هو دون هذا فأن يطلب العلم بالله من غير خبره، أو العمل لله من غير أمره، كما يبتلى بالأول كثير من المتكلمة، وبالثاني كثير من المتصوفة، فهم يعتقدون أنه يجب تصديقه أو تجب طاعته، لكنهم في سلوكهم العلمي والعملي غير سالكين هذا المسلك بل يسلكون مسلكا آخر، إما من جهة القياس والنظر، وإما من جهة الذوق والوجد، وإما من جهة التقليد، وما جاء عن الرسول إما أن يعرضوا عنه، وإما أن يردوه إلى ما سلكوه، فانظر نفاق هذين الصنفين مع اعترافهم ظاهرا وباطنا بأن محمدا أكمل الخلق وأفضل الخلق، وأنه رسول الله وأنه أعلم الناس لكن إذا لم يوجبوا متابعته وسوغوا ترك متابعته كفروا وهذا كثير جدا" (١)

التعليق :

هذا التقسيم هو بالنظر إلى مسالك النفاق، لأن النفاق كما سبق يطلق على اختلاف الأعمال الظاهرة للحقيقة المضمرة، سواء قصد العامل المخالفة أم لم يقصد ذلك، فالعبد إذا كان في باطن الأمر يعتقد وجوب متابعة الرسول ﷺ في الجملة، والأخذ بما جاء به وعدم الاعتراض عليه وتحريم التقدم بين يديه، لكنه يخالف ذلك في بعض ما يسلكه فيترك فيه متابعته ويتبع ما يستحسنه عقله ويقلد ما أمره به شيخه، فيقع في كثير من المخالفات العملية والعلمية، وهو يعتقد أنه بذلك متبع للرسول وأنه مطيع له في هذا العمل والعقيدة، فمن الأول ما يفعله كثير من المتصوفة فيعبدون الله بعبادات لم ينزل بها الله تعالى من سلطان، وهم مع ذلك يحسبون أنهم يحسنون صنعا .

ومن الثاني كثير من المتكلمة المتفلسفة الذين ينون عقيدتهم وأصل دينهم على قواعد عقلية وأصول فلسفية يحسبها أربابها براهين قطعية وهي في الحقيقة كالسراب يحسبه الظمآن ماء حتى إذا جاءه لم يجده شيئا، وكلا من الصنفين تتفاوت مراتب الناس فيهما في البعد عن الحق والخروج عن متابعة الرسول ﷺ، فمنهم الخارج من الملة ومنهم المتأول الجاهل، أو المقلد الأعمى .

---

(١) الفتاوى ٦٣٩/٧ .

المطلب الرابع : الكفر وأنواعه .

وفيه سبعة فروع :

الفرع الأول : الكفر : لغة و شرعا

الفرع الثاني : أنواع شعب الكفر الظاهرة

الفرع الثالث : أنواع الكفر باعتبار ما يصدر من العبد

الفرع الرابع : أقسام الكفر العملي

الفرع الخامس : أنواع كفر الجحود

الفرع السادس : أنواع الكفر باعتبار الحكم عليه

الفرع السابع : أنواع الكفر الأكبر باعتبار صوره

الفرع الأول : معنى الكفر لغة وشرعا .

لغة: الكفر مصدر كفر يكفر كفراً وكفوراً وكفراناً، ومعناه : التغطية والستر والجحد، يقول ابن الأثير[1] رحمه الله : "وأصل الكفر تغطية الشيء تغطية تستهلكه" يقال : كفر نعمة الله وكفر بها أي سترها وجحدها، ويقال لمن غطى درعه بثوب : قد كفر درعه، ويقال للزارع : كافر لستره البذرة بالتراب، ومنه قوله تعالى : ﴿كمثل غيث أعجب الكفار نباته﴾ [2] أي أعجب الزرّاع نباته، ومن هنا سمي الكافر غير المؤمن كافرا لأنه يغطي الحق ويستره [3] .

---

(١) هو الإمام العلامة مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني الجزري الموصلي الشافعي المعروف بابن الأثير، ولد سنة ٥٤٤هـ، من تصنيفاته النهاية في غريب الحديث والأثر، جامع الأصول في أحاديث الرسول، توفي سنة ٦٠٦ هـ.

انظر : طبقات السبكي ١٥٣/٥-١٥٤، ووفيات الأعيان ١٤١/٤-١٤٣، وشذرات الذهب ٢٢/٥-٢٣.

(٢) الحديد الآية ٢٠، وانظر تفسير ابن كثير ٣١٣/٤ .

(٣) انظر : تهذيب اللغة للأزهري ١٩٣/١٠، والنهاية لابن الأثير ١٨٥/٤، ومعجم مقاييس اللغة ٩١/٦، ولسان العرب ١١٨/١٢ .

شرعا : وأما شرعا فالكفر هو ضد الإيمان، فمن لم يؤمن بالله وبما جاء به الرسول ﷺ سواء بكل ما جاء به الرسول أو ببعض ما جاء به ظاهرا وباطنا فهو كافر .

يقول شيخ الإسلام:"الكفر عدم الإيمان باتفاق المسلمين، سواء اعتقد نقيضه وتكلم به أو لم يعتقد شيئا و لم يتكلم" [1]

ويقول الإمام ابن حزم[2] : " وهو في الدين صفة من جحد شيئا مما افترض الله تعالى الإيمان به بعد قيام الحجة عليه ببلوغ الحق إليه، بقلبه دون لسانه، أو بلسانه دون قلبه، أو بهما معا، أو عمل عملا جاء النص بأنه مخرج له بذلك عن اسم الإيمان" [3]، فالكفر عدم الإيمان بما جاء به الرسول ﷺ، وعدم التصديق أو الإذعان له، وقد يكون باللسان أو يكون بالقلب أو يكون بالجوارح .

الفرع الثاني : أنواع شعب الكفر

شعب الكفر نوعان :

- قولية .
- فعلية .

يقول الحافظ ابن القيم رحمه الله : "شعب الكفر نوعان : قولية، فعلية فكما يكفر بالإتيان بكلمة الكفر اختيارا وهي شعبة من شعب الكفر وكذلك يكفر بفعل شعبة من شعبه كالسجود للصنم والاستهانة بالمصحف " [4]

---

(١) الفتاوى ٨٦/٢٠ .

(٢) هو الإمام أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي القرطبي الظاهري، ولد سنة ٣٨٤هـ، من مصنفاته : المحلى بالآثار، الفصل في الملل والأهواء والنحل، الإحكام لأصول الأحكام وغيرها، توفي سنة ٤٥٦هـ .

انظر : سير أعلام النبلاء ١٨/١٨٤-٢١٢، وتذكرة الحفاظ ٣/١١٤٦-١١٥٥، وشذرات الذهب ٣/٢٩٩-٣٠٠ .

(٣) الأحكام ٥٦/١، وانظر الفصل ٢٥٩/٣ .

(٤) كتاب الصلاة لابن القيم ص ٥٠ .

التعليق :

وهذا التقسيم للكفر هو باعتبار القول والفعل، لأنه ذو شعب كثيرة، فكل معصية هي شعبة من شعب الكفر كما أن كل طاعة شعبة من شعب الإيمان، يقول العلامة ابن القيم : "وكذلك الكفر ذو أصل وشعب، فكما أن شعب الإيمان إيمان فشعب الكفر كفر ... والمعاصي كلها من شعب الكفر، كما أن الطاعات كلها من شعب الإيمان" [1] فشعب الكفر كثيرة فمنها قولية ومنها فعلية، ومنها ظاهرة على الجوارح ومنها باطنة في القلب، فالكفر القولي الظاهر فنحو التلفظ بكلمة الكفر اختيارا، وأما إن كان مكرها في التلفظ بالكفر فلا يكفر به الشخص، لأن الله تعالى يقول :﴿ إلا من أكره وقلبه مطمئن بالإيمان ولكن من شرح بالكفر صدرا فعليهم غضب من الله ولهم عذاب عظيم ﴾[2]

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله : "ولو أكره على التكلم بالكفر فتكلم به وقلبه مطمئن بالإيمان لم يضره ذلك" [3] وأما إن كان طوعا واختيارا فقد شرح صدره بالكفر، سواء قاله لاعباً أو هازلاً، وأما القول القلبي الباطن فنحو الشك والظن لأن "الإيمان لا يغني فيه إلا علم اليقين لا علم الظن، فيكف إذا دخله الشك" [4] وأما الكفر الفعلي الظاهر كالسجود والذبح لغير الله ونحو ذلك من العبادات العملية التي لا تجوز إلا لله تعالى، فيتقرب بها إلى غير الله سبحانه، وأما الكفر العملي القلبي الباطن فهو أن ينتفي عمل القلب من النية والإخلاص والمحبة والإذعان، ومنه كفر المنافقين الذين ينقادون ظاهرا مع انتفاء الأعمال القلبية[5] .

---

(١) كتاب الصلاة ص ٧٠ .

(٢) سورة النحل الآية ١٠٦ .

(٣) الفتاوى ١٨٦/١٠ .

(٤) معارج القبول ٣٣٤/١ .

(٥) انظر المصدر السابق ١٩/٢

الفرع الثالث : أنواع الكفر باعتبار ما يصدر من العبد .

الكفر باعتبار ما يصدر من العبد ينقسم إلى قسمين :

- كفر جحود وإنكار .
- كفر عمل .

يقول الإمام محمد بن نصر المروزي رحمه الله : " الكفر ضد الإيمان، إلا أن الكفر كفران : كفر هو جحد بالله وبما قال، فذلك ضد الإقرار بالله والتصديق به وبما قال، وكفر عمل ضد الإيمان الذي هو عمل ... للإيمان أصل وفرع ... فأصل الإيمان الإقرار والتصديق، وفرعه إكمال العمل بالقلب والبدن، فضد الإقرار والتصديق الذي هو أصل الإيمان الكفر بالله وبما قال وترك التصديق به وله، وضد الإيمان الذي هو عمل وليس هو إقرار كفر ليس بكفر بالله ينقل عن الملة، ولكن كفر تضييع العمل، كما كان العمل إيمانا وليس هو الإيمان الذي هو إقرار بالله " (١)

يقول العلامة ابن القيم رحمه الله : "وهاهنا أصل آخر وهو أن الكفر نوعان : كفر عمل، كفر جحود وإنكار، فكفر الجحود أن يكفر بما علم أن الرسول جاء به من عند الله جحودا وعنادا من أسماء الرب وصفاته وأفعاله وأحكامه، وهذا الكفر يضاد الإيمان من كل وجه وأما كفر العمل فينقسم إلى : ما يضاد الإيمان وما لا يضاد الإيمان " (٢)

التعليق :

هذا التقسيم هو بالنظر إلى الكفر الذي يصدر بعد معرفة الشخص الحق وتيقنه بصحة ما جاء به الرسول، فهو لا يخلو من نوعين :

إما أن ينكر ويجحد ما جاء به الرسول من عند الله مما يتعلق بالعقيدة أو الشريعة مع العلم والمعرفة واليقين، فلا يصدقه ولا يؤمن به ولا ينقاد له عنادا واستكبارا فهذا كفر الجحود .

---

(١) تعظيم قدر الصلاة ٥١٧/٢ – ٥٢٠ باختصار .

(٢) كتاب الصلاة لابن القيم ص ٥١ .

يقول الإمام الأزهري اللغوي[1] رحمه الله : " وكفر الجحود : فأن يعترف بقلبه ولا يقر بلسانه، فهو كافر جاحد، ككفر إبليس وكفر أمية بن أبي الصلت" [2] "وغالب ما يقع هذا النوع فيمن له رياسة علمية في قومه من الكفار، أو رياسة سلطانية، أو من له مأكل وأموال في قومه، فيخاف هذا على رياسته، وهذا على ماله ومأكله، فيؤثر الكفر على الإيمان عمدا " [3] .

أو أنه يعمل عملا ينافي الإيمان، إما ينافي أصل الإيمان ويناقضه فيخرج به من الإيمان، كأن يعمل عملا يستلزم مناقضة الأعمال القلبية من المحبة لله تعالى وتعظيمه والإخلاص له والخوف منه كقتل النبي واستهانة المصحف أو التقرب إلى غير الله بما لا يجوز إلا لله، فهذا كفر أكبر مخرج من الإسلام بهذا العمل، أو أنه يعمل عملا ينافي كمال الإيمان الواجب وهذا كما سبق أن كل معصية هي شعبة من شعب الكفر، وليست كل المعاصي يخرج بها صاحبها عن ملة الإسلام .

يقول العلامة ابن الأثير رحمه الله : " قال الهروي[4] : سئل الأزهري عمن يقول بخلق القرآن : أتسميه كافرا ؟ فقال : الذي يقوله كفر، فأعيد عليه السؤال ثلاثا ويقول مثل ما قال، ثم قال في الآخر : قد يقول المسلم كفرا " [5]

---

(١) هو الإمام العلامة اللغوي أبو منصور محمد بن أحمد بن الأزهر بن طلحة الأزهري الهروي الشافعي، من مؤلفاته تهذيب اللغة، والأسماء الحسنى وشرح ديوان أبي تمام، توفي سنة ٣٧٠هـ عن ثمان وثمانين سنة .

انظر: سير أعلام النبلاء ٣١٥/١٦-٣١٧، وطبقات الشافعية للسبكي ٦٣/٣-٦٨، شذرات الذهب ٧٢/٣-٧٣ .

(٢) تهذيب اللغة ١٩٣/١٠ .

(٣) مفتاح دار السعادة ص ٩٤/١ .

(٤) هو العلامة أبو عبيد أحمد بن محمد بن محمد بن عبد الرحمن الهروي الشافعي اللغوي المؤدب، ، له كتاب الغريبين، توفي سنة ٤٠١هـ .

انظر سير أعلام النبلاء ١٤٦/١٧-١٤٧، وشذرات الذهب ١٦١/٣ .

(٥) النهاية في غريب الحديث والأثر ١٨٦/٤ .

الفرع الرابع : أنواع الكفر العملي .

الكفر العملي ينقسم إلى قسمين :

- ما يضاد الإيمان .
- وما لا يضاد الإيمان .

يقول الحافظ ابن القيم رحمه الله : " وأما كفر العمل فينقسم إلى : ما يضاد الإيمان ومالا يضاد الإيمان، فالسجود للصنم والاستهانة بالمصحف وقتل النّبي وسبه يضاد الإيمان، وأما الحكم بغير ما أنزل الله، وترك الصلاة فهو كفر العمل قطعا، ولا يمكن أن ينفي عنه اسم الكفر بعد أن أطلقه الله ورسوله عليه...ولكن هو كفر عمل لا كفر اعتقاد"[1]

التعليق :

وهذا التقسيم للكفر العملي هو باعتبار ما يستلزم هذا العمل الظاهر للاعتقاد البـاطن، فهو بهذا الاعتبار ينقسم إلى قسمين :

فالنوع الأول وهو ما يستلزم الاعتقاد الباطن، وهذا إذا كان العمل منافيا لحقيقة الإيمان الذي هو قول القلب وعمله كاستهانة شعائر الله مما يدل على فقدان المحبة لله والخوف منه والتعظيم له وكذا قتل النّبي والإعانة عليه، فكل عملٍ ينافي قول القلب وعمله الذي هو أصل الإيمان فهو كفر أكبر مخرج من الملة .

وأما النوع الثاني وهو ما ينافي كمال الإيمان الواجب : فهو كل معصية أطلق عليها الشارع وصف الكفر مع بقاء اسم الإيمان على مرتكبها، يقول الشيخ حافظ الحكمي : " الكفر العملي الذي لا يخرج من الملة هو كل معصية أطلق عليها الشارع اسم الكفر مع بقاء اسم الإيمان على عامله، كقول النّبيﷺ : **﴿ لا ترجعوا بعدي كفارا يضرب بعضكم رقاب بعض﴾**[2] مع قوله تعالى :﴿ وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا ﴾ إلى قوله :﴿ إنما

---

(١) كتاب الصلاة لابن القيم ص ٥١ .

(٢) الحديث متفق عليه، أخرجه البخاري في كتاب العلم باب الإنصات للعلماء ١/٢٦٢/(١٢١) ،وفي كتاب الديات باب قوله تعالى ﴿ ومن أحياها ...﴾ ١٢/١٩٨/(٦٨٦٩)، وفي كتاب الفتن باب قول النّبيﷺ ﴿ لا

=

المؤمنون اخوة ﴾ [1] وقال النبي صلى الله عليه وسلم : ﴿ **لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن، ولا يسرق حين يسرق وهو مؤمن، ولا يشرب الخمر حين يشربها وهو مؤمن، والتوبة معروضة بعد** ﴾ زاد في رواية : ﴿ **ولا يقتل وهو مؤمن – وفي رواية – ولا ينتهب نهبة ذات شرف يرفع الناس إليه أبصارهم** ﴾ الحديث في الصحيحين مع حديث أبي ذر فيهما أيضا، قال صلى الله عليه وسلم : ﴿ **ما من عبد قال لا إله إلا الله، ثم مات على ذلك إلا دخل الجنة، قلت : وإن زنى وإن سرق ؟ قال : وإن زنى وإن سرق ثلاثا، ثم قال في الرابعة : على رغم أنف أبي ذر** ﴾ فهذا يدل على أنه لم ينف عن الزاني والسارق والشارب والقاتل مطلق الإيمان بالكلية مع التوحيد، وإنما يكفر العبد بتلك المعاصي مع استحلاله إياها المستلزم لتكذيب الكتاب والرسول في تحريمها بل يكفر باعتقادها وإن لم يفعلها " [2]

الفرع الخامس : أنواع كفر الجحود .

كفر الجحود ينقسم إلى قسمين :

- كفر مطلق عام .
- كفر مقيد خاص .

يقول الحافظ ابن القيم رحمه الله : " وكفر الجحود نوعان : كفر مطلق عام، كفر مقيد خاص، فالمطلق أن يجحد جملة ما أنزل الله وإرساله الرسل، والخاص المقيد أن يجحد فرضا من فروض الإسلام، أو تحريم محرم من محرماته، أو صفة مما وصف الله بها نفسه، أو خبرا أخبر الله به عمدا أو تقديما لقول من خالفه عليه لغرض من الأغراض، وأما جحد

ترجعوا بعدي كفارا... ﴾ ١٣/٢٩/(٧٠٧٧، ٧٠٧٨، ٧٠٧٩، ٧٠٨٠) ومسلم في كتاب الإيمان ٢/٥٥/(١١٨) .

(١) سورة الحجرات الآيتان ٩، ١٠.

(٢) أعلام السنة المنشورة ص ١٧٩ باختصار .

ذلك جهلا أو تأويلا يعذر فيه صاحبه : فلا يكفر صاحبه به، كحديث الذي جحد قدرة الله عليه وأمر أهله أن يحرقوه ويذروه في الريح، ومع هذا فقد غفر الله له ورحمه لجهله إذ كان ذلك الذي فعله مبلغ علمه، ولم يجحد قدرة الله على إعادته عنادا أو تكذيبا [1] "[2]

التعليق :

هذا التقسيم للجحد باعتبار متعلقه، فالجحد وإن كان كله كفرا إلا أن درجاته تتفاوت، فقد ينكر الشخص جملة ما أنزل الله تعالى إنكارا كليا فلا يؤمن بشيء مما جاء به الرسول، كما هو حال فرعون وقومه وكفار قريش وغيرهم من الكفار، أو ينكر بعض ما جاء به الرسول من الواجبات والمحرمات كما فعل بنوا إسرائيل، قال تعالى عنهم :﴿ أفتؤمنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض فما جزاء من يفعل ذلك منكم إلا خزي في الحياة الدنيا ويوم القيامة يردون إلى أشد العذاب وما الله بغافل عما تعملون﴾ [3]، وكذا أهل البدع من هذه الأمة الذين يفرقون بين الكتاب والسنة في الاحتجاج بهما، فينكرون حجية السنة ويقولون بالاعتماد على القرآن وحده في الاحتجاج على الأحكام الشرعية، وقد حذر النبيﷺ من هذه الفرقة فقال : **﴿ ألا إني أوتيت القرآن ومثله معه، ألا يوشك رجل شبعان على أريكته يقول : عليكم بهذا القرآن فما وجدتم فيه من حلال فأحلوه وما وجدتم فيه من حرام فحرموه وإن ما حرم رسول الله ﷺ كما حرم الله ﴾** [4] أو أنهم يأخذون منهما ما يوافق آراءهم وأقوالهم وينكرون ما يخالف أهواءهم بغيا واستكبارا، وهذا ونحوه كله من كفر الجحود لأن السنة مثل القرآن في كونها مصدرا للتشريع الإسلامي إذا ثبتت عن

---

(١) الحديث المشار إليه أخرجه البخاري في أحاديث الأنبياء ٥٩٤/٦/(٣٤٧٨-٣٤٨١) وفي الرقاق باب الخوف من الله ٣١٩/١١(٦٤٨١)، ومسلم في التوبة برقم (٢٧٥٦،٢٧٥٧) .

(٢) مدارج السالكين ٣٣٧/١ .

(٣) البقرة الآية ٨٥ .

(٤) الحديث أخرجه أحمد ، وأبو داود في كتاب السنة باب في لزوم السنة ١١/٥/(٤٦٠٦)، والترمذي في كتاب العلم باب ما نهي عنه أن يقال عند حديث النبي ﷺ ٣٧/٥/ (٢٦٦٤)وقال : حديث حسن غريب، ورواه الدارمي في المقدمة ١٥٣/١/ برقم (٥٨٦) وقال الشيخ الألباني رحمه الله : رواه أبو داود بسند صحيح، انظر مشكاة المصابيح ٥٨/١ .

المصطفىﷺ سواء كانت في العقيدة أو في الأحكام، فمن أنكر شيئا منها بعد ثبوتها عن النبيﷺ والعلم بصحتها فقد أنكر بجميعها، إذ الإيمان بالبعض والكفر بالبعض الآخر لا يكفي للدخول في ملة الإسلام ولا لبقاء اسم الإيمان عليه، قال الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله : " ويخرج الرجل من الإيمان إلى الإسلام ولا يخرجه من الإسلام شيء إلا الشرك بالله العظيم أو يرد فريضة من فرائض الله عز وجل جاحدا بها " [١].

الفرع السادس : أنواع الكفر باعتبار الحكم عليه .

وأما باعتبار الحكم عليه فهو نوعان :

- كفر أكبر .
- كفر أصغر .

يقول الإمام محمد بن نصر المروزي رحمه الله : " إن ترك التصديق بالله كفر بـه، وإن ترك الفرائض مع تصديق الله أنه أوجبها كفر، ليس بكفر بالله إنما هو كفر من جهة تـرك الحق ... ولنا في هذا قدوة بمن روى عنهم من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسـلم والتابعين إذ جعلوا للكفر فروعا دون أصله لا تنقل صاحبه عن ملة الإسلام، كما ثبتـوا للإيمان من جهة العمل فرعا للأصل لا ينقل تركه عن ملة الإسلام " [٢]

يقول العلامة ابن القيم رحمه الله : "فأما الكفر فنوعان : كفر أكبر، وكفر أصغـر، فالكفر الأكبر : هو الموجب للخلود في النار، والأصغر : موجب لاستحقاق الوعيـد دون الخلود، كما في قوله تعالى، وكان مما يتلى فنسخ لفظه : ((**لا ترغبوا عن آبائكم فإنـه كفر بكم**)) [٣] وقولهﷺ في الحديث الصحيح :﴿ **اثنتان في أمتي هما بهم كفر : الطعن في**

---

(١) طبقات الحنابلة لأبي يعلى ٣٤٣/١، وانظر مجموع الفتاوى لشيخ الإسلام ابن تيمية ٤٠٥/١١.

(٢) تعظيم قدر الصلاة ٥١٧/٢ – ٥٢٠ باختصار .

(٣) أخرجه البخاري في كتاب الحدود باب ١٤٨/١٢(٦٨٣٠) ومسلم في كتاب الإيمان ٤٩/٢(٦٢) .

النسب والنياحة ﴾[1] وقوله في الحديث الآخر : **﴿ من أتى كاهنا أو عرافا فصدقه بما يقول فقد كفر بما أنزل الله على محمد ﴾** "[2]

التعليق :

كما سبق أن المعاصي كلها من شعب الكفر، فمن المعاصي ما أطلق عليها الشارع بأنها كفر ثم لم يسلب عنه وصف الإيمان، كما قال النبي ﷺ : **﴿ سباب المسلم فسوق وقتاله كفر ﴾**[3] وقوله ﷺ :**﴿ لا ترجعوا بعدي كفارا ... الحديث ﴾**[4] لكن مطلق القتال بين المسلمين غير مكفر لهم، وقد وصف الله تعالى المقتتلين بينهم بالإيمان مع حصول القتال، فقال عز وجل :﴿ وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما ﴾ إلى قوله :﴿ إنما المؤمنون إخوة فأصلحوا بين أخويكم ﴾[5]فلم يسلب منهم الإيمان بحصول القتال بينهم، وكذلك وصف الله تعالى من يحكم بغير ما أنزله الله بأنه كافر، قال تعالى :﴿ ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون ﴾[6]وقد فسره ابن عباس وعامة الصحابة ﭫ بأنه كفر دون كفر، كفر لا ينقل عن الملة، يقول ابن عباس رضي الله عنهما : ((ليس بكفر ينقل عن الملة بل إذا فعله فهو به كفر وليس كمن كفر بالله واليوم الآخر))[7]،

---

(١) الحديث أخرجه مسلم في كتاب الإيمان ٢/٥٧/(١٢١) .

(٢) مدارج السالكين ٣٣٧/١ .

(٣) الحديث متفق عليه من حديث ابن مسعود رضي الله عنه، أخرجه البخاري في كتاب الإيمان باب خوف المؤمن من أن يحبط عمله ١/١٣٥/(٤٨) وفي كتاب الأدب باب ما ينهى عن السباب ١٠/٤٧٩/(٦٠٤٤) وكتاب الفتن باب قول النبي ﷺ " لا ترجعوا بعدي كفارا ... ١٣/٢٩/ (٧٠٧٦) ومسلم كتاب الإيمان ٢/٥٣/٦٤.

(٤) الحديث سبق تخريجه .

(٥) الحجرات الآيتان ٩، ١٠

(٦) المائدة الآية ٤٤ .

(٧) أخرجه الطبري في التفسير ٢٥٦/٦، والحاكم في المستدرك ٣١٣/٢ وصححه ووافقه الذهبي، والمروزي في تعظيم قدر الصلاة ٥٢٢/٢، انظر الفتاوى ٣٢٦/٧-٣٢٨ .

وقال عطاء : ((كفر دون كفر، ظلم دون ظلم، فسق دون فسق)) [1] وهذا إذا لم يكن معه اعتقاد استحلال أو اعتقاد مساواة بين حكم الله وحكم غيره، فإن كان معه هذا الاعتقاد فهو كفر أكبر مخرج من الملة وإن حكم بما أنزل الله [2] .

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية : " ليس كل من قام به شعبة من شعب الكفر يصير بها كافرا الكفر المطلق حتى تقوم به حقيقة الكفر، كما أنه ليس كل من قام به شعبة من شعب الإيمان يصير بها مؤمنا حتى يقوم به أصل الإيمان وحقيقته، وفرق بين الكفر المعرف باللام، كما في قوله ﷺ **﴿ ليس بين العبد وبين الكفر أو الشرك إلا ترك الصلاة﴾** [3] وبين كفر منكر في الإثبات، وفرق أيضا بين معنى الاسم المطلق إذا قيل كافر أو مؤمن، وبين المعنى المطلق للاسم في جميع موارده، كما في قوله: **﴿ لا ترجعوا بعدي كفارا يضرب بعضكم رقاب بعض﴾** [4] فقوله :"يضرب بعضكم رقاب بعض" تفسير للكفر في هذا الموضع، وهؤلاء يسمون كفارا تسمية مقيدة، ولا يدخلون في الاسم المطلق إذا قيل: كافر أو مؤمن" [5]

فليس كل كفر مخرج من الملة وموجب الخلود في النار خلود الكفار الخلص، بعضه يكون أصغرا وصاحبه مستحق العقوبة لا الخلود فيها، وأما الكفر الأكبر مثل تكذيب شيء مما جاء به الرسول أو جحد شيئا من أمور الدين مما هو معلوم بالضرورة، ونحو ذلك فهذا يكون صاحبه خالدا مخلدا في النار، والله أعلم .

---

(١) أخرجه الطبري في التفسير ٦/٢٥٦، والمروزي في تعظيم قدر الصلاة ٢/٥٢٢ .

(٢) انظر مدارج السالكين ١/ ٣٣٦ .

(٣) الحديث بهذا اللفظ أخرجه الدارمي في السنن كتاب الصلاة باب في تارك الصلاة ١/٣٠٧/ (١٢٣٣) من حديث جابر ﷺ، وهو في مسلم بنحوه في كتاب الإيمان ٢/٧٠/ (٨٢) .

(٤) الحديث سبق تخريجه .

(٥) اقتضاء الصراط المستقيم ٧٠ .

الفرع السابع : أنواع الكفر باعتبار صوره .

الكفر الأكبر المخرج من الملة فهو على خمسة أنواع "فأحدها يخرج من الملة بالكلية وإن اجتمعت في شخص فظلمات بعضها فوق بعض والعياذ بالله من ذلك"[1] وهي:

- كفر تكذيب .
- كفر استكبار وإباء .
- كفر إعراض .
- كفر شك .
- كفر نفاق .

يقول العلامة ابن القيم رحمه الله : " وأما الكفر الأكبر فخمسة أنواع : كفر تكذيب، كفر استكبار وإباء مع التصديق، كفر إعراض، كفرشك، كفر نفاق،

فأما كفر التكذيب : فهو اعتقاد كذب الرسل، وهذا القسم قليل في الكفار، فلن الله أيد رسله وأعطاهم من البراهين والآيات على صدقهم ما أقام به الحجة وأزال به المعذرة ، قال تعالى عن فرعون وقومه : ﴿وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم ظلما وعلوا ﴾ [2]

وأما كفر الإباء والاستكبار : فنحو كفر إبليس، فانه لم يجحد أمر الله ولا قابله بالإنكار وإنما تلقاه بالإباء والاستكبار، ومن هذا كفر من عرف صدق الرسول و لم ينقد له إباءً واستكباراً، وهو الغالب على كفر أعداء الرسل ... وهو كفر اليهود وكفر أبي طالب ...

فأما كفر الإعراض : فأن يعرض بسمعه وقلبه عن الرسول، لا يصدقه ولا يكذبه ولا يواليه ولا يعاديه ... كما قال أحد بني عبد ياليل للنبيﷺ : والله أقول لك كلمة إن كنت صادقا فأنت أجل في عيني من أرد عليك، وان كنت كاذبا فأنت أحقر من أن أكلمك ...

---

(١) معارج القبول ١٨/٢ .

(٢) النمل الآية ١٤ .

وأما كفر الشك : فانه لا يجزم بصدقه ولا يكذبه بل يشك في أمره، وهذا لا يستمر شكه إلا إذا ألزم نفسه الإعراض عن النظر في آيات صدق الرسولﷺجملة ...وأما مع التفاته إليها ونظره فيها فانه لا يبقى معه الشك،

وأما كفر النفاق : فهو أن يظهر بلسانه الإيمان وينطوي بقلبه على التكذيب فهذا هو النفاق الأكبر'' [1] .

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله : '' الكفر عدم الإيمان بالله ورسله، سواء كان معه تكذيب أو لم يكن معه تكذيب بل شك وريب، أو إعراض عن هذا كله حسدا أو كبرا أو اتباعا لبعض الأهواء الصارفة عن اتباع الرسالة، وإن كان الكافر المكذب أعظم كفرا، وكذلك الجاحد المكذب حسدا مع استيقان صدق الرسل'' [2]

التعليق :

الكفر الأكبر هو ما كان مخرجا من ملة الإسلام ويكون في الآخرة خالدا مخلدا في النار، وهو على صور كثيرة باعتبار مواقف الناس تجاه الرسول والإيمان به، فالصور لا تخلو من خمس :

إما أن يعرض الشخص عما جاء به الرسول كليا فلا يستمع إلّيه ولا ينظر فيما يقول به ويبقى على ما هو عليه من الكفر، ولا يدري ما يريد الرسول منه'' لا ينظر فيما جاء به الرسول، ولا يحبه، ولا يبغضه، ولا يواليه، ولا يعاديه، بل هو معرض عن متابعته ومعاداته '' [3] ولا يهمه إلا أمر دنياه ،

أو أنه يسمع إلى ما جاء به الرسول ويدعو إليه فلا يصدقه لا ظاهرا ولا باطنا بل يرد أمره ويكذبه، وهذا كفره كفر تكذيب، وغالب ما يكون هؤلاء فيمن سمعوا عن الرسول وما جاء به سماعا عن بني جنسهم من الكفار الذين يذيعون عن الرسول ما ينفر به الناس

---

(١) مدارج السالكين ٣٣٧/١ ، وانظر الجامع الفريد : الرسالة الثالثة (أنواع التوحيد والشرك للشيخ عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ) ص ٣٤١ .

(٢) الفتاوى ٣٣٥/١٢ .

(٣) مفتاح دار السعادة ص ٩٤/١ .

عنه، و لم يشاهدوا بأنفسهم آيات الرسل ومعجزاتهم التي أيدهم الله بها رسالتهم، وهذا كثيرا ما يقع في هذا الزمن الذي لا يألو فيه الإعلام جهدا أن يذيع وينشر ما ينفر به الناس عن الإسلام، وينشر تعاليمه السمحة بأساليب وطرق منفرة قد لا يقبله العقل في أول وهلة، فالله المستعان ولا حول ولا قوة إلا بالله،

أو أنه لا يرده كليا، ولا يصدقه فيؤمن به وينقاد له، بل يكون في شك من أمره، فهذا أيضا كافر وإن نطق بالشهادة، لأن هذه لا تنفع قائلها إلا بشروط، ومن شروطها اليقين المنافي للشك، يقول الله تعالى : ﴿ إنما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا وجاهدوا في سبيل الله — إلى قوله — أولئك هم الصادقون﴾ (1)

أو أنه تيقن بصدق الرسول وعرف ما يدعو إليه وعلم صحته، إلا أنه لم يؤمن بما جاء به الرسول عنادا واستكبارا، إما خوفا على رئاسته أو على ماله، أو تكبرا واستخفافا بالرسول، وهذا هو الغالب على الكفار، يقول العلامة ابن القيم : "ومن تأمل القرآن والسنة وسير الأنبياء في أممهم ودعوتهم لهم وما جرى لهم معهم ... علم أن عامة كفر الأمم عن تيقن وعلم ومعرفة بصدق أنبيائهم وصحة دعواهم وما جاءوا به، وهذا القرآن مملوء من الأخبار عن المشركين ...والقرآن مناد عليهم بذلك محتج بما أقروا به من ذلك على صحة ما دعتهم إليه رسله " (2)ومن هذا النوع كفر فرعون وقومه بموسى عليه السلام، وكفر هرقل واليهود بمحمد ﷺ، ونحوهم من الكفار، يقول تعالى عن فرعون وقومه :﴿ وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم ظلما وعلوا﴾ (3) وقال تعالى عن اليهود :﴿ فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به فلعنة الله على الكافرين﴾ (4) .

أو أنه يؤمن بالرسول ظاهرا حتى يفوز بما قد يكرم به الله رسله وأتباعه في الدنيا ويحقن دمه، أو لينال من الإسلام والمسلمين فيضمر لهم الشر ويظهر لهم الإسلام والإيمان

---

(1) التوبة الآية ٤٥ وانظر معارج القبول للحكمي ٣٣٤/١ .

(2) مفتاح دار السعادة ص ٩٤/١ .

(3) النمل الآية ١٤ .

(4) البقرة الآية ٨٩ .

وهو في الباطن مكذب للرسول ومكفر به، وهذا قد يكون في باطن أمره أنه يعرف صدق الرسول وصحة ما يقول، لكنه لا يؤمن به ولا ينقاد له ظاهرا وباطنا لغرض من أغراضه الشخصية كما هو حال عبد الله بن أبي بن سلول، وهو لم يؤمن بالرسول ﷺ لأنه كان في الجاهلية قد أوشك أن يكون ملكا للاوس والخزرج، وكانوا قد اعترفوا له بالسيادة والحكم، فلما أسلم الأوس والخزرج وهاجر الرسول ﷺ إلى المدينة لم يتحقق له أمنيته، فكان يكيد للإسلام والمسلين، أو أهم دخلوا في الإسلام ظاهرا خوفا على أنفسهم من القتل والسبي، فكل من أسلم ظاهرا وقلبه مشتمل على الكفر والتكذيب فهو منافق وهو في الآخرة في الدرك الأسفل من النار، يقول تبارك وتعالى :﴿ إن المنافقين في الدرك الأسفل من النار ولن تجد لهم نصيرا ﴾[1]

فهذه هي الصور الممكنة لوجود الكفر الأكبر في الشخص، وقد ذكر بعض العلماء للكفر الأكبر تقسيما آخر، فقسموه إلى أربعة أقسام :

- كفر جهل وتكذيب .
- كفر جحود .
- كفر عناد واستكبار .
- كفر نفاق .

يقول الإمام البغوي[2] رحمه الله : " والكفر على أربعة أنحاء : كفر إنكار، كفر جحود، كفر عناد، كفر نفاق، فكفر الإنكار هو أن لا يعرف الله أصلا ولا يعترف به، وكفر الجحود : وهو أن يعرف الله بقلبه ولا يعترف بلسانه ككفر إبليس وكفر اليهود، قال تعالى : ﴿ فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به ﴾[3] وكفر العناد : هو أن يعرف الله بقلبه

---

(١) النساء الآية ١٤٥ .

(٢) هو الشيخ الإمام الحافظ محيي السنة أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد الفراء البغوي الشافعي، من تصانيفه شرح السنة، ومعالم التتريل، والمصابيح وغيرها، توفي سنة ٥١٦هـ .

انظر : سير أعلام النبلاء ٤٣٩/١٩-٤٤٣، طبقات السبكي ٧٥/٧-٨٠، شذرات الذهب ٤٨/٤-٤٩ .

(٣) سورة البقرة ٨٩ .

ويعترف بلسانه ولا يدين به ككفر أبي طالب...وأما كفر النفاق : فهو أن يقر باللسان ولا يعتقد بالقلب وجميع هذه الأنواع سواء، في أن من لقي الله بواحد منها لا يغفر له ''[1]

ويقول الشيخ حافظ الحكمي رحمه الله : '' أنواع الكفر لا تخرج عن أربعة : ... إن انتفى تصديق القلب مع عدم العلم بالحق فكفر الجهل والتكذيب، قال الله تعالى :﴿ بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه ولما يأتهم تأويله﴾ [2] وإن كتم الحق مع العلم بصدقه فكفر الجحود والكتمان، وإن انتفى عمل القلب من النية والإخلاص والمحبة والإذعان مع انقياد الجوارح الظاهرة فكفر نفاق، سواء وجد التصديق المطلق أو انتفى، وسواء انتفى بتكذيب أو شك، وإن انتفى عمل القلب وعمل الجوارح مع المعرفة بالقلب والاعتراف باللسان فكفر عناد واستكبار '' [3]

فهذا التقسيم هو نحو التقسيم الأول، إلا أن هؤلاء فرقوا بين كفر العناد وكفر الجحود فجعلوا العناد من يعترف بقلبه ويقر بلسانه لكن فقد فيه الطاعة والانقياد الظاهر ككفر أبي طالب ونحوه، وأما الجحود فهو ما كان فيه الاعتراف باطنا وانتفى فيه الإقرار الظاهر ككفر فرعون واليهود .

ثم إن هذا التقسيم هو باعتبار النظر إلى تعريف الإيمان — وهو قول القلب واللسان وعمل القلب والجوارح — وما يمكن الوجود والانتفاء في أحد من هذه الأمور، فمن وجد فيه قول القلب فقط دون غيره فهو كفر جحود، ومن وجد فيه قول القلب وقول اللسان فقط فهو كفر عناد واستكبار، ومن وجد فيه قول اللسان وعمل الجوارح فهو كفر نفاق، ولا يمكن أن يجتمع في أحد من الكفار المحض من أمور الإيمان غير ما ذكر في هذه الأقسام الثلاثة، ومن انتفى فيه الجميع فهو كفر جهل وتكذيب[4] .

---

(١) تفسير البغوي ٤٨/١، وانظر : النهاية في غريب الحديث والأثر ١٨٦/٤.
(٢) يونس الآية ٣٩ .
(٣) معارج القبول ١٩/٢ .
(٤) انظر معارج القبول ١٨/٢-٢٠ .

المطلب الخامس : الشرك وأنواعه .

وفيه ثمانية فروع :

الفرع الأول : الشرك : لغة وشرعا.

الفرع الثاني : أنواع الشرك باعتبار تعلقه بأنواع التوحيد

الفرع الثالث : أنواع الشرك في ذات الله سبحانه

الفرع الرابع : أنواع شرك التعطيل

الفرع الخامس : أنواع الشرك في العبادة

الفرع السادس : أنواع الشرك في الألوهية

الفرع السابع : أنواع الشرك باعتبار جهة وقوعه

الفرع الثامن : أنواع الشرك باعتبار ظهوره وخفائه

الفرع الأول : معنى الشرك لغة وشرعا .

لغة :

مادة الكلمة : الشرك – بكسر الأول وسكون الثاني – غالبا يستعمل مصدرا و اسما، يقال : شاركته في الأمر وشركته فيه أشركه شركا، ويأتي أيضا : شركة – بفتح الأول وكسر الثاني .

ومعناها : المخالطة والمشاركة، يقال : شاركته في الأمر إذا صرت شريكه، وأشركته فيه إذا جعلته شريكا لك، ويطلق أيضا على النصيب والحظ، ومنه حديث : **﴿ من أعتق شركا له في عبد ﴾** [1] أي حصة ونصيبا [2] .

---

(١) الحديث متفق عليه من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما، أخرجه البخاري في كتاب الشركة باب الشركة في الرقيق ٥/١٦٣/ برقم ٢٥٠٣، ومسلم في كتاب العتق ١٠/١٣٥/ برقم ١٥٠١ .

(٢) انظر المعاني اللغوية : تهذيب اللغة للأزهري ١٠/١٧، ومعجم مقاييس اللغة لابن فارس ٣/٢٦٥، والنهاية لابن الأثير ٢/٤٦٦، ولسان العرب لابن منظور ٧/٩٩ .

شرعا : أما شرعا فهو جعل شريك لله سبحانه وتعالى فيما يختص بالله من الاعتقادات والعبادات، فيشبهه بالله تعالى في الربوبية واستحقاق الألوهية، سواء جعله مساويا لله من كل الوجوه أو أن يثبت لهذا الشريك صفة من صفات الله المختصة به أو يصرف له عبادة وعملا مما يستلزم التعظيم المطلق والخضوع والتذلل له، أو الخوف والرجاء منه فيما لا يقدر عليه هذا الشريك .

يقول الشاه محمد إسماعيل الدهلوي[1] رحمه الله : " اعلم أن الشرك لا يتوقف على أن يعدل الإنسان أحدا بالله ويساوي بينهما بلا فرق، بل حقيقة الشرك : أن يأتي الإنسان بخلال وأعمال خصها الله بذاته العلية وجعلها شعارا للعبودية لأحد من الناس، كالسجود لأحد والذبح باسمه ... وإثبات التصرف له، كل ذلك يثبت به الشرك، ويصبح الإنسان به مشركا " [2]

ويقول الشيخ عبد الرحمن السعدي رحمه الله : " حقيقة الشرك بالله أن يعبد المخلوق كما يعبد الله، أو يعظم كما يعظم الله، أو يصرف له نوع من خصائص الربوبية والإلهية "[3].

فالشرك هو أن يعطي مما هو من حق الله الخالص من الصفات والعبادة لأحد من خلقه الذي هو عبد ومملوك له، ويشبه هذا العبد العاجز الفقير بذاته الذي لا يملك لنفسه نفعا ولا ضرا ولا حياة ولا نشورا فضلا عن غيره، بالملك الجبار القهار الذي بيده الخير كله

---

(١) هو الشاه محمد إسماعيل عبد الغني بن الشاه ولي الله الفاروقي الدهلوي، ولد سنة ١١٩٣هـ ، وقضى حياته في الجهاد باللسان والبنان إلى ان استشهد الجامعة الإسلامية بالمدينة، من مؤلفاته النافعة تقوية الإيمان وتذكير الإخوان .

انظر ما كتبه الأخ محمد عبد السلام بن محمد غوث في رسالة " جهود الشاه محمد إسماعيل بن عبد الغني الدهلوي في توضيح عقيدة السلف في شبه القارة الهندية " (رسالة ماجستير) .

(٢) تقوية الإيمان ص ٢٢، ٢٣.

(٣) تيسير الكريم الرحمن ص ٢٤٢ وانظر تجريد التوحيد للمقريزي ص ٢٧، ٢٨ وتيسير العزيز الحميد ص ٢٧ وبعض العلماء عند التعريف للشرك يقتصر على أحد نوعيه حسب ما يقتضيه المقام، وغالبا يذكرون تعريف الشرك في الألوهية لكثرة تفشيه في الأزمنة الأخيرة، والبعض الآخر يبدأ بالتقسيم قبل التعريف ثم يعرف الأقسام .

وإليه يرجع الأمر كله، الغني بذاته، القادر بذاته الذي لا شبيه له ولا ند له ولا مثيل، ولذا صار الشرك من أكبر الظلم وأقبح الذنوب، ولأجل هذا قد رتب الله عليه من العقوبة ما لم يرتب على شيء من الذنوب، قال سبحانه : ﴿ إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء ﴾ [1] وقال عز وجل : ﴿ إنه من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة ومأواه النار ﴾ [2] [3] .

الفرع الثاني : أنواع الشرك باعتبار تعلقه بأنواع التوحيد .

الشرك هو اتخاذ شريك مع الله سبحانه، سواء فيما يختص بذات الله تعالى أو في معاملته مع الله سبحانه، وهو بهذا الاعتبار ينقسم إلى قسمين :

- شرك في ربوبيته .
- شرك في ألوهيته .

يقول شيخ الإسلام رحمه الله : " فالشرك إن كان يكفر به صاحبه، وهو نوعان : شرك في الإلهية وشرك في الربوبية، فأما الشرك في الإلهية فهو أن يجعل لله ندا أي مثلا في عبادته أو محبته أو خوفه أو رجائه، وهذا هو الذي قاتل عليه رسول الله ﷺ مشركي العرب لأنهم أشركوا في الإلهية ...وأما الربوبية فكانوا مقرين بها قال تعالى:﴿ ولئن سألتهم من خلق السماوات والأرض ليقولن الله ﴾ [4] ... وأما النوع الثاني فالشرك في الربوبية، فان الرب سبحانه هو المالك المدبر المعطى المانع الضار النافع الخافض الرافع المعز المذل فمن شهد أن المعطي أو المانع أو الضار أو النافع أو المعز أو المذل غيره فقد أشرك بربوبيته" [5]

---

(١) النساء : الآية ٤٨، والآية ١١٦ .

(٢) المائدة الآية ٧٢ .

(٣) انظر : الجواب الكافي لابن القيم ص ٣٠٨-٣٤٨، وتيسير العزيز الحميد ص ١١٥، ١١٦ وغاية الأماني للألوسي ١/٢٦٩-٢٧٤ ،

(٤) سورة لقمان الآية ٢٥ ، وسورة الزمر الآية ٣٨ .

(٥) مجموع الفتاوى ١/٩١-٩٤ وانظر اقتضاء الصراط المستقيم ص ٣٥٧ .

ويقول الإمام ابن القيم : " الشرك شركان : شرك يتعلق بذات المعبود وأسمائه وصفاته وأفعاله، شرك في عبادته ومعاملته، وان كان صاحبه يعتقد أنه سبحانه لا شريك له في ذاته ولا في صفاته ولا في أفعاله ... أما الشرك في العبادة فانه قد يصدر ممن يعتقد أنه لا اله إلا الله لكن لا يخلص لله في معاملته وعبوديته بل يعمل لحظ نفسه تارة، ولطلب الدنيا تارة، ولطلب الرفعة والجاه عند الخلق تارة، وهذا الشرك في العبادة يبطل ثواب العمل، وقد يعاقب عليه إذا كان العمل واجبا "[(١)] .

التعليق :

كما سلف أن الشرك هو اتخاذ شريك مع الله سبحانه وتعالى فيما هو مختص به سبحانه من الأسماء والصفات والحقوق، فيعطي لهذا الشريك شيئا مما يختص بالله ويجعله مساويا لله سبحانه في هذا الأمر، فهذا هو الشرك بالله تعالى حق وإن كان صاحبه لا يعتقد مساواته بالله تعالى في كل الأمور، فمن هنا يظهر جليا أن الشرك ليس منحصرا على اعتقاد وجعل إله آخر مساويا لله سبحانه في الكمال المطلق وتصرف الأمور في الكون بل هو شامل أيضا صرف نوع من العبادات التي هي من حقوق الله المحضة فيصرفها لغير الله مع الاعتقاد أن الله هو وحده هو الخالق والمالك ومدبر الأمور .

وهذا التقسيم للشرك هو باعتبار النظر إلى أنواع التوحيد، والتوحيد كما سبق أن أغلب المتقدمين قسموه إلى قسمين : ما يتعلق بالعلم بالله ومعرفته والاعتقاد فيه، وما يتعلق بالعمل لله وحده، فالأول : هو توحيد الربوبية المتضمن لتوحيد الأسماء والصفات، والثاني : هو توحيد الألوهية، ومن المعلوم أن الشرك هو ضد التوحيد، فكما أن التوحيد يكون في الربوبية والألوهية فكذلك الشرك يقع في الربوبية والألوهية .

---

(١) الجواب الكافي ص ٣٠٩ – ٣١٧ بتصرف واختصار، وانظر أيضا ص ٢٩٧ .

الفرع الثالث : أنواع الشرك باعتبار تعلقه بالله عز وجل .

كما سبق أن الشرك إما يتعلق بذات الله تعالى أو في معاملته، فالذي يتعلق بالله نوعان:

- شرك التعطيل .
- شرك التمثيل .

يقول العلامة ابن القيم رحمه الله :"شرك يتعلق بذات المعبود وأسمائه وصفاته وأفعاله ... نوعان : أحدهما : شرك التعطيل، وهو أقبح أنواع الشرك، والشرك والتعطيل متلازمان فكل مشرك معطل وكل معطل مشرك لكن الشرك لا يستلزم أصل التعطيل، بل قد يكون المشرك مقرا بالخالق سبحانه وصفاته، ولكنه عطل حق التوحيد، ومن هذا شرك فرعون، وشرك طائفة أهل وحدة الوجود، وشرك الملاحدة... الثاني : شرك من جعل مع الله إلها آخر ولم يعطل أسماءه وصفاته وربوبيته كشرك النصارى الذي جعلوه ثالث ثلاثة، فجعلوا المسيح إلها، وأمه إلها، ومن هذا شرك المجوس القائلين بإسناد حوادث الخير إلى النور، وحوادث الشر إلى الظلمة ..."[1] .

ويقول العلامة المقريزي[2] رحمه الله : "شرك يتعلق بذات المعبود وأسمائه وصفاته وأفعاله ... وهو نوعان : أحدهما : شرك التعطيل، وهو أقبح أنواع الشرك ... والنوع الثاني : شرك التمثيل، وهو شرك من جعل معه إلها آخر " [3] .

---

(١) الجواب الكافي ص ٣٠٩ – ٣١٧ باختصار .

(٢) هو الإمام العالم البارع تقي الدين أحمد بن علي بن عبد المقريزي البعلي المصري، ولد بعد سنة ستين وسبعمائة، من مصنفاته امتاع الأسماع فيما للنبي من الحفدة والمتاع، وكتاب الخبر عن البشر، وكتاب السلوك في معرفة دول الملوك، توفي سنة ٨٤٥هـ .

انظر : شذرات الذهب ٢٥٤/٧، البدر الطالع ٧٩/١-٨١ .

(٣) تجريد التوحيد المفيد ص ٦٩، ٧٠ وانظر التنبيهات السنية على العقيدة الواسطية للشيخ عبد العزيز بن ناصر الرشيد ص ١٢٦.

التعليق :

هذا التقسيم للشرك هو باعتبار تعلقه بالاعتقاد والعلم بالله سبحانه وتعالى الذي يعبر عنه غالبا بالربوبية والأسماء والصفات، فالشرك الذي يقع في جانب الاعتقاد والعلم بالله على نوعين :

أولا : شرك التعطيل، والشرك والتعطيل متلازمان، فالعبد قد يعطل حقيقة الرب، إما بإنكاره أصلا كما فعل فرعون إذ قال :﴿ وما رب العالمين ﴾ [1] وقال :﴿ ما علمت لكم من إله غيري﴾ [2] أو بإنكار أسمائه وصفاته وأفعاله كما يفعل غلاة الجهمية والقرامطة ونحوهم الذين لم يثبتوا لله اسما ولا صفة بل نفوا عنه كل شيء وعطلوا حقيقة الربوبية من الكمال المطلق الذي لا نقص فيه بوجه من الوجوه، بل جعلوا المخلوق أكمل من الخالق إذ كمال الذات بأسمائها وصفاتها [3] وهذا هو أصل التعطيل الذي هو إنكار الرب سبحانه وتعالى أو إنكار أسمائه وصفاته وأفعاله التي هي حقيقة الربوبية،

وأما النوع الثاني فهو الشرك معه من غير تعطيل لأسمائه ولا لصفاته ولا لأفعاله مطلقا بل جعل معه إلها آخر أو آلهة أخرى، واعتقد فيهم الاختيار والتدبير في الكون كشرك النصارى الذين جعلوه ثالث ثلاثة، فآمنوا بالله إلها وربا إلا أنهم جعلوا له المسيح وأمه ندا في الألوهية والربوبية، فهذا وإن كان نوعا من التعطيل إذ أنه عطل توحيد الله سبحانه في الربوبية والكمال المطلق الغني بذاته إلا أنه لم يعطل الربوبية مطلقا بل أقر بربوبيته وأسمائه وصفاته وآمن به لكنه جعل معه آلهة أخرى مساوية له في الخلق أو الملك أو تصرف الأمور .

---

(١) الشعراء الآية ٢٣ .

(٢) القصص الآية ٣٨ .

(٣) انظر الجواب الكافي ص ٣١١، ٣١٢ .

الفرع الرابع : أنواع شرك التعطيل .

التعطيل هو أصل الشرك لأن المشرك يعطل حق الله تعالى إما في المعاملة أو في الاعتقاد، والتعطيل على ثلاثة أقسام :

- تعطيل المصنوع عن صانعه وخالقه .
- تعطيل الصانع عن كماله المقدس .
- تعطيل معاملته عما يجب على العبد .

يقول العلامة ابن القيم رحمه الله : " وأصل الشرك والقاعدة التي يرجع إليها : هو التعطيل، وهو ثلاثة أقسام : تعطيل المصنوع عن صانعه وخالقه، تعطيل الصانع سبحانه عن كماله المقدس بتعطيل أسمائه وصفاته وأفعاله، تعطيل معاملته عما يجب على العبد من حقيقة التوحيد " [(١)] .

التعليق :

كما سلف أن أصل الشرك وقاعدته التي يرجع إليها هو التعطيل، فكل مشرك معطل، والشرك ضد التوحيد، فكما أن توحيد الله سبحانه يكون في ثلاثة أمور : في العبادة له وحده، وفي أفعاله، وفي أسمائه وصفاته، فالشرك والتعطيل يقع في هذه الأنواع الثلاثة [(٢)] :

يقع في عبادته التي من أجلها خلق الخلق وأرسل الرسل وأنزل الكتب، فهو حق الله على عباده كما في حديث معاذ ﷺ أن النبي ﷺ قال :**﴿ يا معاذ أتدري ما حق الله على العباد ؟ قال : الله ورسوله أعلم . قال : أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئا ﴾** [(٣)] فالعبادة من حقه سبحانه الذي أوجب على عباده لا يجوز صرفه لأحد غيره، ومن لم يعبد الله أو أشرك معه غيره فقد عطل حقه في توحيد العبادة له .

---

(١) الجواب الكافي ص ٣١٠ - ٣١١ .

(٢) انظر مقالة التعطيل والجعد بن درهم ص ٢١ .

(٣) الحديث أخرجه البخاري، كتاب التوحيد باب ما جاء في دعاء النبيﷺ أمته إلى توحيد الله تبارك وتعالى ٣٥٩/١٣/ (٧٣٧٣) ومسلم، كتاب الإيمان ٢٢٩/١ (٤٨،٤٩،٥٠)

ويقع التعطيل أيضا في توحيد الله في أفعاله، وهو تعطيل جانب الربوبية، والمقصود به إنكار وجود الخالق سبحانه وتعالى [1] وهذا هو أصل التعطيل وحقيقته، إذ أنه إنكار ما هو مفطور عليه وراسخ في العقول ولا يمكن إنكاره إلا ظلما وعنادا ولذا قالت الرسل:﴿ أفي الله شك﴾[2] أو اعتقاد وجود متصرف مع الله غيره فيما لا يقدر عليه إلا الله عز وجل.

ويقع التعطيل أيضا في أسمائه وصفاته، وهو إما بإنكارها كليا أو جزئيا مما ينافي كماله المطلق من كل الوجوه، وسيأتي هذا مع مزيد من التفاصيل إن شاء الله .

الفرع الخامس : أنواع الشرك في العبادة باعتبار الحكم عليه .

الشرك في العبادة ينقسم إلى قسمين :

- أكبر .
- أصغر .

يقول الحافظ ابن القيم رحمه الله : " أما الشرك في العبادة ... ينقسم إلى : مغفور وغير مغفور و : أكبر وأصغر " [3] .

ويقول : "وكذلك الشرك شركان : شرك ينقل عن الملة، وهو الشرك الأكبر وشرك لا ينقل عن الملة، وهو الشرك الأصغر وهو شرك العمل كالرياء " [4]

التعليق :

لاشك أن الشرك من أظلم الظلم وأقبح المعاصي، لأنه صرف لحق الله الخالص إلى أحد من خلقه، فيعبده كما يعبد الله ويرجو منه كما يرجو من الله ونحو ذلك من العبادات فيصرفها لهذا المخلوق العاجز اتباعا للهوى وطاعة للشيطان، إلا أن هناك فرق

(١) انظر مقالة التعطيل والجعد بن درهم ص ٢٢ .

(٢) إبراهيم الآية ١٠ .

(٣) الجواب الكافي ص ٣٠٩ – ٣١٧ .

(٤) كتاب الصلاة لابن القيم ص ٥٥-٥٦، غاية الأماني ٢/٢٧٧، وتقوية الإيمان ٢٩، والمفردات للراغب ص ٤٥٢ .

بين من يصدر منه بعض أنواع العبادات الظاهرة لا يريد بها وجه الله بل يطلب رضا أحد من الخلق لينال منه منفعة دنيوية يقدر عليه، أو يظهر منه الاعتماد والتوكل على الأسباب لدفع مضرة وجلب منفعة، من غير اعتقاد التأثير المطلق لها دون الله، أو يصدر منه أقوال يدل ظاهرها على التسوية في التعظيم والقدرة لهذا المخلوق بالله سبحانه وتعالى من غير اعتقاد التسوية والمشاركة – فهذا كله مع بقاء أصل التوحيد اعتقادا وعملا لا يكون مخرجا من الملة -

يقول ابن القيم رحمه الله : "أما الشرك في العبادة : فهو أسهل وأخف أمرا، فانه قد يصدر ممن يعتقد أنه لا اله إلا الله، وأنه لا يضر ولا ينفع ولا يعطي ولا يمنع إلا الله، وأنه لا إله غيره ولا رب سواه، لكن لا يخلص لله في معاملته وعبوديته، بل يعمل لحظ نفسه تارة، ولطلب الدنيا تارة، ولطلب الرفعة والجاه عند الخلق تارة، وهذا حال أكثر الناس، وهو الشرك الذي قال فيه النبي ﷺ فيما رواه ابن حبان في صحيحه :﴿ **الشرك في هذه الأمة أخفى من دبيب النمل، قالوا : كيف ننجو منه يا رسول الله ﷺ ؟ قال : قل اللهم إني أعوذ بك أن أشرك بك وأنا أعلم، وأستغفرك لما لا أعلم** ﴾ [1] ... وهذا الشرك في العبادة يبطل ثواب العمل وقد يعاقب عليه إذا كان العمل واجبا، فإنه ينزله منزلة من لم يعمله، فيعاقب على ترك الأمر، فإن الله تعالى أمر بعبادته خالصة، قال تعالى :﴿ وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء ﴾ [2] " [3] .

ففرق بين هذا وبين من يجعل لله ندا في العبادة ويتقرب إليه بأنواع العبادات فيحبه كما يحب الله ويعظمه كما يعظم الله سبحانه وتعالى، أو يجعل لله ندا في الاعتقاد فيعتقد فيه القدرة المطلقة، والتدبير في الكون فيرجو منه مالا يقدر علية؛ فهذا ينافي أصل التوحيد

---

(١) والحديث لم أجده في صحيح ابن حبان، وقد أخرج نحوه أحمد في المسند ٤/٤٠٣، وابن أبي شيبة في المصنف ٦/٧٠، والطبراني في الأوسط ٤/١٠، عن أبي موسى الأشعري ﷺ وفي سنده أبو علي الكاهلي لم يرو عنه إلا واحد وذكره ابن في الثقات، قال الهيثمي ١٠/٢٢٣ : رجال أحمد رجال الصحيح غير أبي علي وقد وثقه ابن حبان ا.هـ، وله شاهد من حديث أبي بكر ﷺ صححه الألباني وسيأتي تخريجه .

(٢) سورة البينة الآية ٥ .

(٣) الجواب الكافي ص ٣١٤-٣١٦ بتصرف واختصار .

ويناقضه ويكون مخرجا من الملة، أما الأول فينافي كمال التوحيد الواجب ويكون صاحبه على خطر ولا يكون مخرجا من الملة [1].

فهذا التقسيم للشرك فهو يرجع إلى نوع العمل الذي يصدر من الشخص وما يقترن به من الاعتقاد المضاد للتوحيد، فإن كان العمل يصدر منه مع كمال محبته وخوفه وتعظيمه لهذا الشريك أو أنه يريد منه مالا يقدر عليه أحد إلا الله تعالى فهذا شرك أكبر مخرج من الملة، وأما إن كان العبد يوحد الله في الربوبية والألوهية عملا واعتقادا، ثم تصدر منه أحيانا أعمال لا يخلص فيها النية لله سبحانه، بل يخالطها بعض المقاصد الدنيوية الدنيئة، ونحو ذلك مما تشم منه رائحة الشرك، فهو شرك أصغر [2].

الفرع السادس : أنواع الشرك في الألوهية .

- شرك في العبادة والتأله .
- شرك في الطاعة والانقياد .
- شرك في الإيمان والقبول .

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله : " إن الشرك في هذه الأمة أخفى من دبيب النمل دع جليله، وهو : شرك في العبادة والتأله، شرك في الطاعة والانقياد، شرك في الإيمان والقبول، فالغالية من النصارى والرافضة وضلال الصوفية والفقراء والعامة يشركون بدعاء غير الله تارة، وبنوع من عبادته أخرى، وبهما جميعا تارة، ومن أشرك هذا الشرك أشرك في العبادة، وكثير من المتفقهة وأجناد الملوك وأتباع القضاة والعامة المتبعة لهؤلاء يشركون شرك الطاعة ...

وأما الشرك الثالث فكثير من اتباع المتكلمة والمتفلسفة، بل وبعض المتفقهة والمتصوفة، بل وبعض اتباع الملوك والقضاة يقبل قول متبوعه فيما يخبر به من الاعتقادات الخبرية، ومن

---

(١) انظر فتاوى اللجنة الدائمة ٥١٨/١ .

(٢) ضبط الشرك الأصغر بضابط معين أو بتعريف شامل صعب جدا لكثرة أفراده وتنوعه، فلا بد فيه من التفصيل.

تصحيح بعض المقالات...ويخاف ما أشركه في الإيمان والقبول، ولا يخاف إشراكه بـــالله شخصا في الإيمان به وقبول قوله بغير سلطان من الله "[1] .

التعليق :

هذا التقسيم للشرك في الألوهية، فهو على ثلاثة أقسام :

الأول هو الشرك في العبادة والتأله، وهو أن يشرك مع الله أحدا مـــن خلقـــه في المحبـــة والتذلل والخوف والتعظيم، فيحب أحدا من الخلق كمحبة الله ويتذلل له فيصـــــرف لـــه أنواعا من العبادات، فهذا شرك في العبادة واتخاذ إله دون الله، لأن الإله هو تألهه القلـــوب بالمحبة والتعظيم والذل .

والثاني هو الشرك في الطاعة والانقياد الظاهر، وهو أن يطيع أحدا من الخلـــــق ويقـــدم طاعته على طاعة الله وطاعة رسوله ﷺ، وينقاد لحكمه وأمره ولو خالف ذلك أمـــــر الله وشريعته، فيجعل الحرام ما حرمه متبوعه والحلال ما حلله والدين ما شرعه فيتبعه في ذلـك كله، فإن كان اتباعه ديناً بحيث يقترن به الاعتقاد فهو شرك أكبر مخرج من الملة، وأمـا إن كان الاتباع لأغراض دنيوية مع اعتقاده أن هذا معصية ومخالف لما يجب عليه، فـــهذا وإن لم يكن مخرجاً من الملة فهو من الكبائر بل هو نوع من الشرك[2] .

والثالث فهو الشرك في الإيمان والقبول الذي هو قول القلب واعتقاده، فيشرك بالله أحدا في تصديق كل ما يقوله واعتقاد ما يخبره ولو خالف ذلك الكتاب والسنة، فيصدقه فيمـــا يخبره من الأمور الغيبية التي لا يعلمها إلا الله، كتصديق الكــــهان والعـــراف والســـحرة ونحوهم وكذا قبول كثير من مريدي المشايخ كل ما يقول لهم شيخهم واعتقاد ذلك دينـــا وشريعة، فالأول هو الشرك في العبادة القلبية العملية والثاني هو الشرك في العبادة الظـــاهرة والثالث هو الشرك في الاعتقاد القلبي القولي، والله أعلم .

---

(١) مجموع الفتاوى ١/٩٧ .

(٢) وانظر تقسيم طاعة العلماء المحرمة، في الفصل الرابع .

الفرع السابع : أنواع الشرك باعتبار جهة وقوعه .

يكون الشرك في كل ما يقع به من العبد العبادة، فهو يقع في الأقوال وفي الأفعال وفي النيات، وعلى هذا فهو ينقسم إلى ثلاثة أقسام :

- شرك في الأقوال .
- شرك في الأفعال .
- شرك في النيات .

يقول الحافظ ابن القيم رحمه الله : " ويتبع هذا الشّرك الشرك به سبحانه في : الأقوال، والأفعال، والارادات والنيات، فالشرك في الأفعال كالسجود للصنم والطواف بغير بيته، ومن الشرك به سبحانه الشرك به في اللفظ كالحلف بغيره وكقول القائل : ما شاء الله وشئت، وأما الشرك في الارادات والنيات فذلك البحر الذي لا ساحل له، وقل من ينجو منه فمن أراد بعمله غير وجه الله أو نوى شيئا غير التقرب إليه وطلب الجزاء منه فقد أشرك في نيته وإرادته " [1] .

التعليق :

هذا التقسيم للشرك هو باعتبار النظر إلى أنواع العبادة، وما يدخل فيها من الشرك، ومعلوم أن العبادة إما بدنية ظاهرة على الجوارح، وإما قولية، وإما قلبية باطنة، فالشرك يقع في هذه الأنواع الثلاثة :

فهو قد يكون في الأعمال الظاهرة على الجوارح، كالسجود والركوع للصنم أو للشيخ أو للقبر أو غير ذلك [2] وكذا تعليق التمائم والتولة ولبس الخيط والحلقة ونحو ذلك لرفع البلاء أو دفعه .

وقد يكون في الأقوال والألفاظ التي يتلفظها العبد، وقد يكون اللفظ والقول فيه التصرح بالتسوية بين الله وبين غيره كقول البوصيري[1] في مدح النبي ﷺ :

---

(١) الجواب الكافي ص ٣٠٩ – ٣١٧ باختصار .

(٢) انظر مدارج السالكين لابن القيم ١/٣٤٤، ٣٤٥ ، وتجريد التوحيد للمقريزي ص ٢١ .

يا أكرم الخلق مالي من ألوذ به عند حلول الحوادث العمم[2]

وقد يكون فيه ما يشعر به التسوية في التعظيم للمخلوق بالله سبحانه وتعالى أو في المحبة أو الخوف أو الرجاء أو التوكل أو القدرة فكل ذلك من الشرك كالحلف بغير الله وقول العبد : ما شاء الله وشئت ونحو ذلك، فإن كان معه اعتقاد التسوية الحقيقية والمشلوكة في الأمر فهو من الشرك الأكبر، وإن لم يكن اعتقاد ذلك وإنما هو مجرد التسوية في التلفظ فهو من الشرك الأصغر .

وقد يكون الشرك في النيات والارادات " هذا النوع من الشرك كما قال ابن القيم (بحر لا ساحل له) له وجود بصفة عامة في جميع الديار، فكم من الناس تراه يعمل أعمالا صالحة من صلاة وصوم ونحو ذلك لكنه لا يريد ثوابه في الآخرة، وإنما يريد أشياء دنيوية بحتة، كالمال يأخذه، أو امرأة يتزوجها ،وكم من الناس من يقوم بمهمة القتال، وليس من نيته إلا الدفاع عن اللغة أو الدولة أو الجنس، ولكن لا يعرف هذه الأمور لكونها مخفية في قرارة نفسه فليحذر الإنسان ربه وليخلص نيته" [3] ثم إن الرياء إذا كان يسيرا فهو من الشرك الأصغر كما في الحديث :« **إن أخوف ما أخاف عليكم الشرك الأصغر، قالوا : وما الشرك الأصغر يا رسول الله ؟ قال : الرياء** »[4] وأما إن غلب الرياء على الأعمال كلها فليس هو من الرياء الذي أطلق عليه النبيﷺ الشرك الأصغر بل هو نفاق وشرك أكبر، لأنه حينئذ يفقد الأعمال القلبية من الإخلاص والمحبة والخوف والرجاء مطلقا، يقول الله تعالى في معرض حال المنافقين في العبادة : ﴿ وإذا قاموا إلى الصلاة قاموا كسالى يراؤون الناس ولا يذكرون الله قليلا ﴾ [5] .

---

(1) هو محمد بن سعيد بن حماد بن المغربي البوصيري الصوفي، ولد سنة ٦٠٨هـ وتوفي سننة ٦٩٥هـ . انظر شذرات الذهب ٥/٤٣٢ .

(2) من قصيدته المعروفة بالبردة ص ٣٠ .

(3) الشرك في القديم والحديث لأبي بكر محمد زكريا ص ٧٣٨ .

(4) الحديث رواه أحمد ٥/٤٢٨، والبيهقي في الشعب ٥/٣٣٣، عن محمود بن لبيد ﷺ مرفوعا، وصححه العلامة الألباني في الصحيحة برقم (٩٥١)

(5) سورة النساء الآية ١٤٢ .

يقول الحافظ ابن رجب رحمه الله : " واعلم أن العمل لغير الله أقسام : فتارة يكون رياء محضا، بحيث لا يراد سوى مراءاة المخلوقين لغرض دنيوي كحال المنافقين في صلاتهم، وهذا الرياء المحض لا يكاد يصدر من مؤمن في فرض الصلاة والصيام، وقد يكون في الأعمال الظاهرة أو التي يتعدى نفعها، فإن الإخلاص فيها عزيز، وهذا العمل لا يشك مسلم أنه حابط، وأن صاحبه يستحق المقت من الله والعقوبة " (١) .

الفرع الثامن : أنواع الشرك باعتبار ظهوره وخفائه .

الشرك باعتبار ظهوره وخفائه ينقسم إلى قسمين :

- شرك جلي .
- شرك خفي .

يقول الشيخ عبد العزيز بن باز رحمه الله : " فالشرك يكون خفيا ويكون جليا، فالجلي دعاء الأموات والاستغاثة بالأموات والنذر لهم ونحو ذلك، والخفي ما يكون في قلوب المنافقين، يصلون مع الناس ويصومون مع الناس وهم في الباطن كفار يعتقدون جواز عبادة الأوثان والأصنام، وهم على دين المشركين فهو الشرك الخفي الأكبر، لأنه في القلوب، وهكذا الشرك الخفي الأصغر كالذي يقصد بقراءته ثناء الناس ... وما أشبه ذلك فهذا شرك خفي، لكنه شرك أصغر " (٢) .

التعليق :

الشرك كما سبق قد يكون في العبادات الظاهرة وقد يكون في الأعمال الباطنة في القلوب، وكل منهما قد يكون أكبرا مخرجا من ملة الإسلام ويكون صاحبه خالدا في النار خلود الكفار، وقد يكون شركا أصغرا يحبط العمل المقارن له ولا يكون مخرجا من الملة، فهذا التقسيم للشرك هو باعتبار ظهوره للآخرين وحلائه على الجوارح، - فبالتالي يحكم

---

(١) جامع العلوم والحكم ٧٨/١ .

(٢) فتاوى وتنبيهات ونصائح، لسماحة الشيخ عبد العزيز بن باز رحمه الله ص ٦٤ .

على الفعل والفاعل ما يستلزمه بعد قيام الحجة عليه – وباعتبار خفائه في القلوب، فيصدر منه ما يدل على صلاحه وإيمانه وإخلاصه وتقواه وهو في الباطن ليس كذلك، أو أن قلبه يتعلق بغير الله فيشركه في بعض الأعمال القلبية، مثل المحبة والخوف والرجاء فيحب مع الله غيره، ويخاف معه غيره وما أشبه ذلك، فهذا كله من الشرك الخفي الذي يقوم بالقلب، ولا يطلع عليه أحد إلا الله سبحانه .

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله : " وأما الشرك الخفي : فهو الذي لا يكاد أحد أن يسلم منه مثل أن يحب مع الله غيره، فإن كانت محبته لله مثل حب النّبيين والصالحين والأعمال الصالحة فليست من هذا الباب، لأن هذه تدل على حقيقة المحبة، لأن حقيقة المحبة أن يحب المحبوب وما أحبه ويكره ما يكرهه ومن صحت محبته امتنعت مخالفته، لأن المخالفة إنما تقع لنقص المتابعة ويدل على نقص المحبة قول الله تعالى :﴿ قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ...﴾ [1] فليس الكلام في هذا، إنما الكلام في محبة تتعلق بالنفوس لغير الله تعالى فهذا لاشك نقص في توحيد المحبة لله وهو دليل على نقص محبة الله تعالى إذ لو كملت محبته لم يحب سواه ... وكذا الخوف والرجاء وما أشبه ذلك ... فهذا هو الشرك الخفي الذي لا يكاد أحد أن يسلم منه إلا من عصمه الله تعالى وقد روي أن الشرك في هذه الأمة أخفى من دبيب النمل " [2]..

فالشرك الخفي كما قال ابن القيم : (بحر لا ساحل له) ولا يكاد يسلم منه أحد، لشدة خفاء مأخذه ودقة أمره، فيقع فيه كثير من الناس من غير شعور ولا إرادة، ولذا جعل النّبيﷺ كفارته بما يشعر فيه جهل العبد وغفلته والوقوع منه من غير علم ولا إرادة فقال :﴿ **قولوا : اللهم إني أعوذ بك من أن أشرك بك وأنا أعلم، وأستغفرك لما لا أعلم** ﴾ [3] ولذا قد عده بعض العلماء قسيما للشرك الأكبر والأصغر، فجعلوا الشرك ثلاثة

---

(١) سورة آل عمران الآية ٣١ .

(٢) مجموع الفتاوى ١/٩٣-٩٤ .

(٣) الحديث أخرجه البخاري في الأدب المفرد ص ٢٥٠ برقم (٧١٦) وصححه الشيخ الألباني، أنظر صحيح الأدب المفرد ص ٢٦٦، وصحيح الجامع برقم (٣٧٣١) .

أنواع [1] إبرازا لأهميته وتأكيدا للحظر منه، والبعض الآخر من المعاصرين جعلوه قسما ثانيا للشرك الأصغر فقسموه إلى قسمين : أصغر جلي، وأصغر خفي [2] وذلك أن النفاق الذي هو الشرك الأكبر وإن مما يقوم بالقلب إلا أنه لا يكاد يكون خفيا من الناس بل يظهر على فلتات لسانه وعلى أطراف جوارحه، وأما الأصغر فهو الذي يكون خفيا، إما من جهة حكمه على كثير من الناس، وإما من جهة ما يعتري العبد الموحد من السهو والغفلة والشهوة في بعض الأحيان، وأما الشرك الجلي فهو ظاهر على الجوارح يعلمه الجميع إلا من لبّس عليه الشيطان، فلا يعلم المعروف من المنكر ولا التوحيد من الشرك، نسأل الله السلامة والعافية .

---

(١) انظر رسالة (أنواع التوحيد والشرك) للشيخ عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ ضمن الجامع الفريد ص ٣٤٠.

(٢) انظر المدخل لدراسة العقيدة الإسلامية للبريكان ص ١٢٧، وشرح نواقض التوحيد لحسن العواجي ص ٢٠.

المطلب السادس : الظلم وأنواعه .

وفيه ستة فروع :

الفرع الأول : الظلم لغة وشرعا.

الفرع الثاني : أنواع الظلم باعتبار متعـلقه

الفرع الثالث : أنواع الظلم باعتبار الحكم

الفرع الرابع : أنواع الظلم في حق العـباد باعتبار موقف المظلوم

الفرع الخامس : أنواع الظلم للغـير باعتبار صوره

الفرع السادس : أنواع الظلم للنفس

الفرع الأول : معنى الظلم لغة وشرعا .

لغة :

مادة الكلمة : الظَّلم – بالفتح – مصدر حقيقي لـ (ظَلَم)، يقال : ظَلَمَـه يَظلِمُـه ظَلمًا ظُلمًا ومَظلُمَة، والاسم الظُّلم يقوم مقام المصدر، وهو ظالم وظلوم .

معناها : معنى الظلم هو وضع الشيء في غير موضعه إما بزيادة أو بنقصان، يقـال في المثل : من استرعى الذئب فقد ظلم، ويقال : من أشبه أباه فما ظلم .

وأصل الظلم هو الجور والميل عن القصد ومجاوزة الحد، يقال : ألزم هذا الصـواب ولا تظلم عنه أي لا تجر عنه، ويأتي بمعنى النقصان ومنه قوله تعالى :﴿ ولم تظلم منه شيئا ﴾ [1]،

---

(١) سورة الكهف الآية ٣٣ وانظر تيسير الكريم الرحمن ص ٤٢٦ .

وفي الحديث :﴿ هل ظلمتكم من حقكم شيئا ﴾ [1] وقد ورد بلفظ :﴿ هل نقصتكم من أجركم شيئا ﴾ [2] ويأتي أيضا بمعنى المنع، يقال : ما ظلمك عن كذا، أي ما منعك [3].

شرعا : أما شرعا فهو يستعمل بمعناه اللغوي، فهو وضع الشيء في الأحكام الشرعية في غير موضعه فيرتكب المحرمات ويترك الواجبات، فهو يتناول جميع المعاصي الكبيرة منها والصغيرة، وأعظم ما عصي الله به هو الشرك[4].

يقول شيخ الإسلام : "وأما لفظ الظلم المطلق : فيدخل فيه الكفر وسائر الذنوب ، قال تعالى :﴿ احشروا الذين ظلموا وأزواجهم وما كانوا يعبدون من دون الله ﴾ [5] " [6].

الفرع الثاني : أنواع الظلم باعتبار متعلقه :

الظلم هو وضع الشيء في غير موضعه، وهو من حيث متعلقه ينقسم إلى ثلاثة أقسام :

- في حق الله تعالى .
- في حق النفس .
- في حق الخلق .

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله :"وقد جاء عن غير واحد من السلف، وروى مرفوعا :﴿ **الظلم ثلاثة دواوين، فديوان لا يغفر الله منه شيئا، وديوان لا يترك الله منه شيئا، وديوان لا يعبأ الله به شيئا، فأما الديوان الذي لا يغفر الله منه شيئا فهو الشرك،**

(١) الحديث أخرجه البخاري في عدة مواضع من صحيحه، في كتاب مواقيت الصلاة، باب من أدرك ركعة من العصر قبل غروب الشمس ٢/٤٥/(٥٥٧) وفي كتاب التوحيد باب في المشيئة والإرادة ١٣/٤٥٥/(٧٤٦٧) وغيرها .

(٢) الحديث أخرجه البخاري في كتاب الإجارة باب الإجارة إلى نصف النهار ٤/٥٢١/ (٢٢٦٨) .

(٣) انظر المعاني اللغوية : تهذيب اللغة ١٤/٣٨٢، ومعجم مقاييس اللغة ٣/٤٦٨، ولسان العرب ٨/٢٦٣ .

(٤) انظر مجموع الفتاوى ١/٨٦ .

(٥) سورة الصافات الآية ٢٢، ٢٣ .

(٦) الفتاوى ٧/٦٢، ٦٣ .

فإن الله لا يغفر أن يشرك به، وأما الديوان الذي لا يترك الله منه شيئا فهو ظلم العباد بعضهم بعضا، فإن الله لا بد أن ينصف المظلوم من الظالم، وأما الديوان الذي لا يعبأ الله به شيئا فهو ظلم العبد نفسه فيما بينه وبين ربه﴾ [1] أي مغفرة هذا الضرب ممكنة بدون رضى الخلق فإن شاء عذب هذا الظالم لنفسه وإن شاء غفر له " [2]

يقول العلامة ابن القيم رحمه الله : " فإن الظلم ثلاثة أنواع، ظلم في حق النفس باتباعها شهواتها وإيثارها لها على طاعة ربها، وظلم في حق الخلق بالعدوان عليهم ومنعهم حقوقهم، وظلم في حق الرب بالشرك به، فظلم النفس إنما هو بالمعاصي، وقد تواترت النصوص بأن العصاة من الموحدين مآلهم إلى الجنة " [3] .

التعليق :

الظلم هو شامل لكل من عمل شيئا في غير محله، أو منع حق أحد وأعطاه لغيره أو ترك عملا مالا ينبغي تركه فهذا كله من الظلم، وعلى هذا يدخل فيه جميع المعاصي، وأعظمها وأقبحها هو الإشراك بالله تعالى غيره من عبيده ومملوكه، ولذا قال سبحانه:﴿ إن الشرك لظلم عظيم﴾[4] وقال:﴿ إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء﴾ [5] وغيرها من الآيات الدالة على عظم الشرك وخبثه، ثم يأتي بعد ذلك ظلم العباد بعضهم لبعض، وهذا أيضا من أعظم المحرمات، قال الله تعالى في الحديث القدسي :**﴿ يا عبادي**

---

(١) الحديث أخرجه الحاكم في المستدرك ٥٧٥/٤ عن عائشة رضي الله عنها، وقال صحيح الإسناد، وتعقبه الذهبي بقوله : صدقة ضعفوه وابن بابنوس فيه جهالة ا.هـ لكن له شاهد بلفظ :**﴿ الظلم ثلاثة فظلم ...نحوه ﴾** عن أنس ﷺ مرفوعا، أخرجه أبو داود الطيالسي في مسنده ص ٢٨٢ برقم ٢١٠٩، قال الهيثمي في المجمع ٣٤٨/١٠ : رواه البزار عن شيخه أحمد بن مالك القشيري و لم أعرفه وبقية رجاله قد وثقوا على ضعفهم، والحديث حسنه الشيخ الألباني، انظر الصحيحة برقم (١٩٢٧) .

(٢) الفتاوى ١٦١/١٨، ١٦٢ وانظر : الفتاوى ٧٩/٢٠.

(٣) طريق الهجرتين ٢٩٤، وانظر الوابل الصيب ص ٣٣ .

(٤) سورة لقمان الآية ١٣ .

(٥) سورة النساء ٤٨، ١١٦ .

إني حرمت الظلم على نفسي، وجعلته بينكم محرما، فلا تظالموا ... الحديث ﴾[1] فبدأ الله سبحانه بنفسه ثم ثنى بالعباد تأكيدا للنهي وتعظيما لشأن الظلم لما فيه مفاسد خطيرة ومتعدية قد تعم المجتمع كله، ولذا لا يترك الله منه شيئا عند الحساب بل يوفى للمظلوم من الظالم، وأما ظلم النفس الذي لا يتعدى ضرره ومفسدته، فهذا أخف مما سبق من الأقسام.

يقول شيخ الإسلام رحمه الله : "أن الظلم كله حرام مذموم فأعلاه : الشرك، فإن الشرك لظلم عظيم والله لا يغفر أن يشرك به، وأوسطه : ظلم العباد بالبغي والعدوان، وأدناه : ظلم العبد نفسه فيما بينه وبين الله ... وهذا كما ذكرنا أن الظلم ثلاث مراتب: الشرك، ثم الظلم للخلق، ثم ظلم النفس "[2] .

فالظلم يتناول جميع المعاصي والذنوب، وهذا التقسيم للظلم هو باعتبار متعلقه بالله وبالعباد وما هو أعظم وأشد من غيره، فالظلم قد يكون في حق الله الخالص، فهذا أعظم الظلم وأشده، وقد تكون في حق العباد، إلا أنه قد تكون المعصية ضررها ومفسدتها متعدية إلى الغير فهذا دون الأول، وأما إن كانت معصية بين العبد وبين ربه لا يتعدى ضررها، فهذا وإن كان محرما إلا أنه أخف من القسمين السابقين والله أعلم .

الفرع الثالث : أنواع الظلم باعتبار الحكم عليه .

الظلم باعتبار الحكم ينقسم إلى قسمين :

- ظلم ينقل عن ملة الإسلام .
- ظلم لا ينقل عن ملة الإسلام .

قال الإمام محمد بن نصر المروزي رحمه الله : " قالوا وقد صدق عطاء : قد يسمى الكافر ظالما، ويسمى العاصي من المسلمين ظالما : فظلم ينقل عن ملة الإسلام، وظلم لا

(١) الحديث رواه مسلم في صحيحه في كتاب البر والصلة ١٣١/١٦ / برقم (٥٥) ورواه أحمد في المسند ١٥٤/٥، ١٦٠، ١٧٧.

(٢) الاستقامة ٤٦٤/١، ٤٦٩ .

ينقل، قال الله تعالى : ﴿ الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم ﴾ [1]، وقال : ﴿إن الشرك لظلم عظيم ﴾ [2] ""[3] .

التعليق :

كما سلف أن الظلم قد يكون في حق الله تعالى وقد يكون في حق العباد، وهذا التقسيم هو باعتبار الحكم على هذه الأقسام، فالذي هو في حق الله هو جميع أنواع الشرك والكفر الذي هو أعظم الظلم، فهذا الظلم لا يغفر الله له وهو مخرج من الملة، وأما الظلم الذي هو في حق العباد فهو من المعاصي الذي هو دون الشرك، إلا أن فيه ضررا للغير وتعدي عليهم فلا بد وأن ينصف للمظلوم من الظالم، وأما الظلم الذي هو بين العبد وبين ربه، وهو كل معصية لا يتعدى ضرره إلى الغير فهو أخف وأسهل من القسمين السابقين كما سبق، وهو تحت مشيئة الله إن شاء عاقبه ثم أدخله الجنة وإن شاء عفا عنه وأدخله الجنة بغير عذاب ولا عقاب، والله أعلم .

الفرع الرابع : أنواع الظلم في حق العباد باعتبار موقف المظلوم .

الظلم باعتبار موقف المظلوم ينقسم إلى قسمين :

- برضاه .
- بغير رضاه .

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله : " ثم إن الظلم في حق العباد نوعان : نوع يحصل بغير رضا صاحبه كقتل نفسه واخذ ماله وانتهاك عرضه، ونوع يكون برضا صاحبه وهو ظلم كمعاملة الربا والميسر، فإن ذلك حرام، لما فيه من أكل مال غيره بالباطل، وأكل المال

(1) سورة الأنعام الآية ٨٢ .

(2) سورة لقمان الآية ١٣ .

(3) تعظيم قدر الصلاة ٢/٥٢٣

بالباطل ظلم ولو رضي به صاحبه لم يبح و لم يخرج عن أن يكون ظلما، فليس كل ما طابت به نفس صاحبه يخرج عن الظلم، وليس كل ما كرهه باذله يكون ظلما" [1] .

التعليق :

كما سبق أن الظلم يتناول جميع المعاصي في المعاملات والعبادات، فهذا التقسيم هو باعتبار موقف المظلوم من الظلم، فالمعاملات التي نهى عنها الشارع يكون فيها ظلم لأحد الطرفين ولا بد، سواء كان برضى صاحبه أم بغير رضاه، فليس كل ما رضي به الطرفان يخرج من الظلم، لأن المظلوم قد يرضى بما فيه ظلم له إما لظروف طارئة كالربا ونحوه، أو لما فيه نوع من اللذة له كالميسر ونحوه، أو لما فيه نوع من المنفعة العاجلة له كالرشوة ونحوه، فهذا كله ظلم وأكل للمال بالباطل، وإن رضي فيه الطرفان، وأما إن كان من غير رضى المظلوم فهو ظاهر البطلان والتحريم، كالسرقة والقتل ونهب الأموال ونحو ذلك من المعاصي، إلا أن القسم الأول يشترك الظالم والمظلوم في الإثم والمعصية وكل يؤاخذ بحسب ذنبه، وأما الثاني : فيكون الظالم هو الآثم، وأما المظلوم فلا إثم عليه بل ينصف له من الظالم عاجلا أو آجلا، والله أعلم .

الفرع الخامس : أنواع الظلم للغير باعتبار صوره .

ظلم الناس في المعاملة معهم ينقسم إلى قسمين :

- منع حقوقهم .
- التعدي عليهم .

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله : " وإضرار العبد في دينه ودنياه هو ظلم الناس، فالظلم للغير يستحق صاحبه العقوبة في الدنيا لا محالة لكف ظلم الناس بعضهم عن بعض، ثم هو نوعان : منع ما يجب لهم من الحقوق وهو التفريط، فعل ما يضرّ بهم وهو العدوان " [2] .

(١) مجموع الفتاوى ٧٩/٢٠ .

(٢) مجموع الفتاوى ٣٧٣/١٠ .

التعليق :

هذا التقسيم هو باعتبار صور الظلم للغير، إذ إنه لا يخلو من نوعين اثنين :

إما ظلم لهم بمنع ما يجب لهم من الحقوق، ومنه مطل الغني كما قال النبي ﷺ: **﴿ مطل الغني ظلم ﴾** [1] لأن الغني مع قدرته ووسعه على أداء الدين يؤخر أداؤه عند الطلب فهو ظلم للمدين، يقول الحافظ ابن حجر في شرح هذا الحديث :" المراد تأخير ما استحق أداؤه بغير عذر " [2]، وإذا كان التأخير عند الطلب ظلم، فالمنع مطلقا أشد وأظلم .

أو أن يتعدى على حقوق الآخرين ويفعل ما يضرّ بهم في دينهم أو دنياهم، ومنه السرقة والنهب وقتل النفس وما أشبه ذلك من العدوان على الآخرين ، قال سبحانه : ﴿ ومن قتل مظلوما فقد جعلنا لوليه سلطانا فلا يسرف في القتل إنه كان منصورا ﴾ [3] وقال صلى الله عليه وسلم :**﴿ من أخذ شبرا من الأرض ظلما فإنه يطوقه يوم القيامة من سبع أرضين﴾** [4] والله أعلم .

الفرع السادس : أنواع الظلم للنفس .

الظلم للنفس ينقسم إلى قسمين :

- ترك الحسنات .
- فعل السيئات .

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله : " وظلمهم لأنفسهم نوعان : عدم عملهم بالحسنات، وعملهم للسيئات " [5] .

---

(١) الحديث متفق عليه من حديث أبي هريرة ﷺ، أخرجه البخاري في كتاب الحوالة باب الحوالة ٥٤٢/٤/ برقم(٢٢٨٧)، ومسلم في كتاب المساقاة ٢٢٨/١٠/برقم (١٥٦٤) .

(٢) فتح الباري شرح صحيح البخاري ٥٤٤/٤.

(٣) سورة الإسراء الآية ٣٣ .

(٤) الحديث متفق عليه من حديث سعيد بن زيد رضي الله عنه، أخرجه البخاري في كتاب بدء الخلق باب ما جاء في سبع أرضين ٣٣٨/٦/(٣١٩٨)، ومسلم في كتاب المساقاة ٤٨/١١/(١٦١٠) .

(٥) مجموع الفتاوى ٣٣٤/١٤ باختصار .

التعليق :

ظلم النفس كما سبق يتناول جميع المعاصي التي لا يتعدى ضررها إلى غيره، بل هو عند الإطلاق يشمل جميع الذنوب كبيرها وصغيرها، لأن الذنوب كلها ظلم العبد نفسه لأنه بهذا يتعدى على نفسه ويعرضها للعقاب [1]، قال تعالى :﴿ ذلك من أنباء القرى نقصه عليك منها قائم وحصيد * وما ظلمناهم ولكن ظلموا أنفسهم فما أغنت عنهم آلهتهم التي يدعون من دون الله من شيء لما جاء أمر ربك وما زادوهم غير تتبيب ﴾ [2] وقال تعالى :﴿ وإذ قال موسى لقومه يا قوم إنكم ظلمتم أنفسكم باتخاذكم العجل فتوبوا إلى بارئكم ﴾ [3]، فأطلق ظلم النفس على الشرك، وقال في قتل النفس الذي هو ظلم العباد :﴿ رب إني ظلمت نفسي فاغفر لي ﴾ [4]، فهو عند الإطلاق يشمل الظلم بجميع أنواعه، وأما إذا أطلق مع غيره فيتناول المعاصي التي بين العبد وبين ربه، وبكلا الاطلاقين فهو ينقسم إلى قسمين : إما فعل السيئات، أو ترك الحسنات، لأن المعاصي العملية كما سبق لا تخلو من هذين النوعين، فهذا التقسيم هو بالنظر إلى أنواع المعاصي العملية، والله أعلم .

---

(١) انظر الفتاوى ٧/٦٢ .

(٢) سورة هود الآيتان ١٠٠، ١٠١ .

(٣) سورة البقرة الآية ٥٤ .

(٤) سورة القصص الآية ١٦ .

المطلب السابع: أنواع الردة.

الردة تنقسم إلى قسمين :

- ردة عن أصل الدين .
- ردة عن بعض شرائع الدين .

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله : " والردة :قد تكون عن أصل الإسلام، كالغالية من النصيرية والإسماعيلية، فهؤلاء مرتدون باتفاق أهل السنة والشيعة، وقد تكون الردة عن بعض الدين كحال أهل البدع الرافضة وغيرهم " [1] .

التعليق :

الردة هي الرجوع عن دين الإسلام إلى الكفر[2] كما قال سبحانه :﴿ ومن يرتدد منكم عن دينه فيمت وهو كافر ﴾ [3] وهذا التقسيم هو باعتبار متعلق الردة، فهي قد تكون عن أصل الدين فيرتد عنه أصولا وفروعا، وقد تكون عن بعض الدين مع تصديقه وإيمانه بأصل الدين وبعض أصوله وفروعه .

أما الأول فهو الردة عن الدين كله، ويشمل هذا النوع كل من يظهر الإسلام ويبطن الكفر كالمنافقين، كما قال تعالى :﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا ثُمَّ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا ثُمَّ ازْدَادُوا كُفْرًا لَمْ يَكُنِ اللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ سَبِيلًا * بَشِّرِ الْمُنَافِقِينَ بِأَنَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴾ [4]، ومن يرتد عن الدين ظاهرا وباطنا، كمرتدي بني حنيفة الذين آمنوا بمسيلمة الكذاب وارتدوا عن دين الإسلام[5] .

---

(١) منهاج سنة النبوية ٧/٢٢١ .

(٢) انظر المغني لابن قدامة ٩/١٦ .

(٣) سورة البقرة الآية ٢١٨ .

(٤) سورة النساء الآيتان ١٣٧، ١٣٨ .

(٥) المصدر السابق ٤/٤٩٠ .

وقد تكون الردة عن بعض شرائع الدين لا عن أصله فيؤمن ببعض الكتاب ويكفر ببعضه إما حسدا وعنادا أو جهلا وتأويلا كما يفعل العقلانيون مع نصوص السنة إذا لم تتحمل عقولهم معاني تلك النصوص و لم تدرك حقيقتها، وكما يفعله كثير من أهل البدع مع نصوص الكتاب والسنة إذا لم توافق أهواءهم فيردونها أو يؤولونها حسب ما تتفق مع آرائهم وأهوائهم، فكل من رد بعض نصوص الشريعة و لم يؤمن بها وامتنع من شيء من أصولها فهو مرتد عن الدين كله، ولا اعتبار بإيمانه ببعض شرائع الدين، لأن المرتدين الذي قاتلهم أبو بكر الصديق ﷺ كان منهم من امتنع من بعض أصول الإسلام مع إقرارهم بالشهادتين كمانعي الزكاة لكن أبا بكر ﷺ قاتلهم حتى أعطوا الزكاة .

يقول شيخ الإسلام رحمه الله : " كان من العرب من ارتد عن الإسلام و لم يتبع متنبئا كذابا، ومنهم قوم أقروا بالشهادتين لكن امتنعوا من أحكامهما كمانعي الزكاة "[1] فلو امتنع أحد من شيء من أصول الإسلام وأنكره وكفر به فهو بذلك مرتد عن دين الإسلام لأن رد بعض أصول الدين وشرائعه مرتد عن سائره وإن أقر ببعض الشرائع، فالردة من الدين تنقسم إلى قسمين ردة عن الدين كله وردة عن بعضه، والله أعلم .

(١) المصدر السابق ٢١٨/٧، وانظر الفتاوى ٥٣٠/٢٨-٥٣١، وفتح الباري لابن حجر ٢٨٨/١٢-٢٨٩.

المطلب الثامن: أنواع ذنوب المشركين.

أصل ذنوب المشركين كلها نوعان :

- أمر بما لم يأمر به الله .
- نهي عما لم ينه عنه الله .

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله : " وقد جمع سبحانه في هذه السورة - أي الأعراف - وغيرها ذنوب المشركين في نوعين : أحدهما : أمر بما لم يأمر الله به كالشرك ،- ثانيهما : نهي عما لم ينه الله عنه كتحريم الطيبات، فالأول شرع من الدين ما لم يأذن به الله، والثاني تحريم لما لم يحرمه الله" [1] .

التعليق :

هذا التقسيم يرجع إلى أن أصل الدين الذي يتدين الإنسان به ويتخذه منهجا لحياته العملية فهو مجموع السلوك بفعل شيء وترك شيء،ودين الله الإسلام الذي لا يقبل الله من أحد دينا غيره هو مجموع أوامر الله ونواهيه، وأما دين المشركين والكفار فهو أيضا يشمل على الأوامر والنواهي، أمر بما لم يأمر به الله كالشرك وإباحة المحرمات واتخاذها دينا ومنهجا، ونهي عما لم ينه الله عنه كتحريم الطيبات والمباحات،.قال تعالى :﴿ إِنَّمَا النَّسِيءُ زِيَادَةٌ فِي الْكُفْرِ يُضَلُّ بِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا يُحِلُّونَهُ عَامًا وَيُحَرِّمُونَهُ عَامًا لِيُوَاطِئُوا عِدَّةَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ فَيُحِلُّوا مَا حَرَّمَ اللَّهُ زُيِّنَ لَهُمْ سُوءُ أَعْمَالِهِمْ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ ﴾ [2] وهذا هو أصل ذنوبهم وضلالهم، يقول شيخ الإسلام : "وأصل الضلال في أهل الأرض إنما نشأ من هذين : إما اتخاذ دين لم يشرعه الله أو تحريم ما لم يحرمه الله " [3] فذنوب المشركين والكفار باعتبار أصل دينهم ينقسم إلى هذين القسمين من أمور المعاصي والذنوب إما أمر بما لم يأمر به الله ﷻ ولم ينزل به سلطانا أو نهي عما لم ينه الله عنه، والله أعلم .

---

(١) مجموع الفتاوى ٨٦/١ .

(٢) سورة التوبة الآية ٣٧.

(٣) اقتضاء صراط المستقيم ص ٢٦٩ .

المطلب التاسع : أنواع النقص في الدين .

النقص في الدين ينقسم إلى قسمين :

- مناف للإيمان .
- مناف للكمال .

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله : " النقص نوعان : نقص ينافي إيمانه ونقص عمن هو أكمل منه" (١) .

التعليق :

لا شك أن شرائع الدين على مراتب متفاوتة فمنها الأركان والأسس التي إذا فقدت تبطل العبادة من أصلها وقد يخرج صاحبها من الملة، ومنها ما يكون واجبا من الواجبات التي قد تجبر بالنوافل ومنها ما يكون مستحبا لا يأثم تاركه، وكذا النواهي أيضا على مراتب فمنها ما ينافي الإيمان يخرج مرتكبها من الملة ومنها ما دون ذلك إذا لم يكن منافياً للإيمان، فالكامل من يأتي بالواجبات والفرائض مع النوافل والمستحبات ويتجنب النواهي والمحرمات والمكروهات وكل من يفقد فيه شيء من هذه الأشياء فهو ناقص، وقد يكون النقص في ما ينافي الإيمان ويناقضه كنقص المحبة لله حتى تستوي محبته مع محبة غيره وكذا الخوف والرجاء منه ونحو ذلك، قال تعالى :﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ﴾ (٢)، وقد يكون النقص للكمال فقط ولا يكون منافياً للإيمان بل يكون نقصا عمن هو أكمل منه كمن يترك المستحبات والنوافل ويأتي ببعض المكروهات وفضول المباحات ونحو ذلك فهذا كله وإن كان يعتبر نقصا عمن ليس كذلك إلا أنه لا يكون مخرجا من الملة ينتقض إيمانه، فنقصان الدين ينقسم إلى قسمين قسم يخرج بذلك من الإيمان وقسم لا يؤثر على إيمان الرجل بل يكون ناقصا بالنسبة إلى من هو أكمل منه، والله أعلم .

---

(١) منهاج سنة النبوية ٤٥١/٨ .

(٢) سورة البقرة الآية ١٦٥.

المطلب العاشر: أنواع الاعتراض على الله عز وجل .

- على أسمائه وصفاته .
- على شرعه وأمره .
- على أفعاله وقضائه وقدره .

يقول ابن القيم رحمه الله : " الاعتراض – على الله – ثلاثة أنواع : النّوع الأول الاعتراض على أسمائه وصفاته بالشبه الباطلة التي يسميه أربابها قواطع عقليّة، وهي في الحقيقة خيالات جهليّة ومحالات ذهنية اعترضوا بها على أسمائه وصفاته سبحانه وتعالى، النّوع الثاني الاعتراض على شرعه وأمره، النّوع الثالث الاعتراض على أفعاله وقضائه وقدره، وهذا اعتراض الجهّال، وهو ما بين جلي وخفي، وهو أنواع لا تحصى وهو سار في النفوس سريان الحمى في بدن المحموم ا.هـ [1]

التعليق :

هذا التقسيم للاعتراض هو من جهة تعلقه بأنواع التوحيد، فهو بهذا الاعتبار ينقسم إلى ثلاثة أقسام : الاعتراض على أسمائه وصفاته، الاعتراض على أوامره ونواهيه، الاعتراض على أفعاله .

أما القسم الأول فهو الاعتراض على أسمائه وصفاته وهذا يندرج فيه كل من خالف الكتاب والسنّة في باب الأسماء والصفات سواء في النفي أو الإثبات، لأن الذي يعتقد ما يخالف الكتاب والسنة فهو في حقيقة الأمر يعترض على نصوصهما ويتهمهما بالنقص أو بالضلال .

أما القسم الثاني فهو الاعتراض على شرعه وأمره، فشرعه كله فيه مصالح للعباد آجلاً أو عاجلاً شامل لجميع احتياجات العباد في كل الأمصار وفي جميع الأزمان، إذ هو العالم لشؤون العباد واحتياجاتهم ومصالحهم في جميع الأوقات، فمن ظن أن منها ما لا يصلح لفترة ما أو مكان ومناسبة ما فقد افترى على الله واعترض على علمه وشموله لجميع

---

(١) مدارج السالكين ٢/٦٩ .

الأمور المستقبلية، وهذا يندرج فيه أيضاً كل من ابتدع شيئا من العبادات التي لم يأذن بها الله ولم يترل بها من سلطان، لأن البدعة في الدين هو استدراك على الشارع واتهامه بالنقص فيه أو القصور في التبليغ .

أما القسم الثالث فهو الاعتراض على أفعاله وقدره، فأفعاله كلها صادرة عن حكمة وعدل وكلها خير وبركة ليس فيها عبث ولا ظلم ولا شرّ البتة، فمن ظن واعتقد أن شيئا منها عبث أو فيه ظلم وشر فقد اعترض على أفعال أحكم الحاكمين، فيشمل هذا من نفى الحكمة في أفعاله لأن قولهم أن الله يفعل لا لحكمة أشبه ما يكون بالعبث وإن لم يصرحوا به، وكذا من نفى القدر بحجة أن هذا لا يتفق مع الأمر والنهي، فكل هذا في الحقيقة اعتراض على الله ﷻ، والله أعلم .

الفصل الثاني :
التقسيمات المتعلقة بتوحيد الربوبية .

وفيه مبحثان :

المبحث الأول : التقسيمات المتعلقة بتوحيد الربوبية .

المبحث الثاني : التقسيمات المتعلقة بما يضاد توحيد الربوبية .

المبحث الأول :

التقسيمات المتعلقة بتوحيد الربوبية

وفيه أحد عشر مطلبا :

المطلب الأول: معرفة الرب سبحانه والتقسيمات المتعلقة بها.

المطلب الثاني: أنواع آيات القرآن

المطلب الثالث: أنواع ربوبية الله سبحانه

المطلب الرابع: أنواع إضافة الرب

المطلب الخامس: أنواع الهداية

المطلب السادس: أنواع الأدلة الشرعية

المطلب السابع: القَدَر والتقدير .

المطلب الثامن: أنواع الخلق من الله سبحانه وتعالى

المطلب التاسع: أنواع ما يقسم به الرب

المطلب العاشر: أنواع الآيات والمعجزات

المطلب الحادي عشر: أنواع الشرع في هذه الأزمنة

المطلب الأول : معرفة الرب سبحانه والتقسيمات المتعلقة بها

وفيه ثمانية فروع :

الفرع الأول : أهمية معرفة الرب عز وجل .

الفرع الثاني : أنواع طرق معرفة الله تعالى .

الفرع الثالث : أنواع الإقرار بالله تعالى .

الفرع الرابع : أنواع معرفة الله سبحانه العامة .

الفرع الخامس : أنواع العلم بالله سبحانه .

الفرع السادس : أنواع الآيات الدالة على الرب .

الفرع السابع : أنواع الآيات باعتبار موضعها .

الفرع الثامن : أنواع النظر في الآيات .

الفرع الأول : معرفة الرب عز وجل .

إن من حكمة الله تعالى التي لا يدرك كنهها أحد من خلقه أن يسّر لعباده ما هم محتاجين إليه، وكلما كان العباد إليه أحوج كان الوصول إليه أسهل وأيسر، فهذه الأبدان لما كانت لا تعيش من غير هواء أوجده في كل مكان وكان حصوله أسهل شيء ودواليك في كل ما يحتاج إليه الإنسان على مراتب الحاجات، ومعرفة الله سبحانه وتعالى والحاجة إليها فوق كل حاجات، بل الحاجة إليها فوق التعبير بالألفاظ إذا أنه لا سعادة لهم ولا فلاح ولا صلاح ولا نعيم إلا بأن يعرفوه ويعبدوه، ويكون هو وحده غاية مطلوبهم ونهاية مرادهم، وذكره والتقرب إليه قرة عيونهم وحياة قلوبهم، فمتى فقدوا ذلك كانوا أسوأ حالا من الأنعام بكثير، وكانت الأنعام أطيب عيشا منهم في العاجل وأسلم عاقبة في الآجل، وإذا علم أن ضرورة العبد إلى معرفة ربه ومحبته وعبادته والتقرب إليه فوق كل ضرورة، كانت الطرق للمعرفة لهم ذلك أيسر طرق العلم على الإطلاق وأسهلها وأهداها

وأقربها، وبيان الرب تعالى لها فوق كل بيان، وكانت الطرق إلى تحصيل معرفته أكثر وأسهل وأبين من غيره [1] بل معرفته سبحانه مغروزة في فطر الإنسان وراسخة في العقول وثابتة في الأذهان قبل أن يسلك إليها بطريق خارجي أو يستدل عليها بدليل خارجي، بل كيف يطلب دليل على من هو دليل كل شيء ؟ [2] وهو كما قيل :

وليس يصح في الأذهان شيء * إذا احتاج النهار إلى دليل

و "وجود الرب تعالى أظهر للعقول والفطر من وجود الليل والنهار ومن لم ير ذلك في عقله وفطرته فليتهمهما "[3] " فهو أجل أن يجهل، وأعز أن تنتهي فيه معارف ذوي المعارف أو تبلغه بصائر ذوي البصائر ﴿ لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار وهو اللطيف الخبير ﴾ [4] ومعرفة الرب ظاهرة لا يدعها إلا جاحد ولا يقدر أن ينكرها إلا معاند، إذ هو أجل من أن يخفى، وأعز من أن يقاس، وأعظم من أن تشرف عليه العقول أو يتناوله معقول، ليس في حيز المجهولات فيستدل عليه، ولا مضبوط بالحواس فتصل الأفهام إليه، فعرفناه بما تعرف، ووصفناه بما وصف، إذ به عرفت المعارف ووجدت الدلائل " [5]، والله أعلم .

---

(١) انظر الصواعق المرسلة لابن القيم ١/ ٣٦٥-٣٦٧، وانظر درء تعارض النقل والعقل لابن تيمية ٣/٣٣١، والجواب الصحيح ٥/١٤١.

(٢) من كلام شيخ الإسلام ابن تيمية، انظر مدارج السالكين لابن القيم ١/٦٠ .

(٣) مدارج السالكين لابن القيم ١/٦٠ .

(٤) سورة الأنعام الآية ١٠٣ .

(٥) درء تعارض النقل والعقل ٨/٥٢٢ .

الفرع الثاني : أنواع طرق معرفة الله سبحانه .

طرق معرفة الله عز وجل على نوعين :

- النظر في آياته المشهودة .
- التفكر في آياته المسموعة .

يقول الإمام ابن القيم رحمه الله : " الرب تعالى يدعو عباده في القرآن إلى معرفته من طريقين **أحدهما**: النظر في مفعولاته، **الثاني** : التفكر في آياته وتدبرها، فتلك آياته المشهودة وهذه آياته المسموعة، فالنوع الأول كقوله : ﴿إنّ في خلق السّماوات والأرض...﴾ [1] إلى آخرها وهو كثير في القرآن، والثاني كقوله: ﴿ أفلا يتدبّرون القرآن﴾[2] وقوله: ﴿ أفلم يدّبّروا القول﴾[3] وهو كثير أيضا " [4]

التعليق :

إن الله ﷻ خلق الخلق لعبادته ومعرفته، ولا شك أن العباد لا يقدرون على رؤيته سبحانه في هذه الدنيا التي هي دار التكليف، فدعاهم سبحانه إلى معرفته من طريقين، وهما :

الأول النظر في مفعولاته ومخلوقاته، والثاني : النظر في آياته القرآنية، وهما ينفعان لمعرفته ابتداء لمن تلوثت فطرته، ولم يعرف ربه وخالقه ورازقه ومالكه – وما أكثرهم في هذا العصر – وأما من كان على الفطرة التي ولد عليها فتنفعه للمزيد من الإيمان به والخشية له لما يشهد ويلمس حوله من آثار الأسماء الحسنى وصفات الكمال في هذا الكون، وما أودعه الله فيه من المخلوقات وما فيهن من الإتقان والإحكام وحسن الانتظام، بل وفي النفس البشرية أيضا " إلا أن الاهتداء إلى تلك الآثار أو الانتباه لها يتوقف على توفيق الله

---

(١) سورة البقرة الآية ١٦٤ , وسورة آل عمران الآية ١٩٠ .

(٢) سورة النساء الآية ٨٢ , وسورة محمد الآية ٢٤ .

(٣) سورة المؤمنون الآية ٦٨ .

(٤) الفوائد ص ٢٠ .

تعالى "[1] قال تعالى : ﴿ ومن آياته أن خلقكم من تراب ثم إذا أنتم بشر تنتشرون ﴾ إلى قوله تعالى : ﴿ ومن آياته أن تقوم السماء والأرض بأمره ثم إذا دعاكم دعوة من الأرض إذا أنتم تخرجون ﴾[2] ،وقال سبحانه : ﴿ إن في خلق السماوات والأرض واختلاف الليل والنهار والفلك التي تجري في البحر بما ينفع الناس ﴾ إلى قوله تعالى : ﴿ لآيات لقوم يعقلون ﴾[3] وأيضا بتدبر القرآن الكريم وفهم معانيه وما فيه من أسماء الله الحسنى وصفاته العليا يحصُل للعبد معرفة الله تعالى، وزيادة الإيمان به والتذلل والعبادة له، فهو سبب للهداية للكافر ولزيادة الإيمان والهداية للمؤمن، قال تعالى في حق الكافر : ﴿ أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها ﴾[4] وقال سبحانه في حق المؤمنين : ﴿ إن هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم ويبشر المؤمنين ﴾[5] وقال عز وجل : ﴿ ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين ﴾[6]، فهذا التقسيم هو من حيث النظر والتفكر والتعقل في آيات الله الكونية المخلوقة وآياته الشرعية المتلوّة لمعرفة الله تعالى حق معرفته المستلزم توحيده بالعبادة والتأله والتذلل له وحده، فهي تحصل بهذين النوعين : إما بالنظر في هذا الكون، أو بالنظر والتدبر في القرآن وما فيه من الآيات التي تدل على عظمة الله ووحدانيته .

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله : " فالآيات الدالة على الرب : آياته القولية التي تكلم بها القرآن وآياته الفعلية التي خلقها في الأنفس والآفاق، تدل عليه وتحصل بها التبصر والذكرى، وان كان الرب تعالى قد عرفته الفطرة قبل هذا ثم حصل لها نوع من الجهل أو الشك أو النسيان وغير ذلك "[7] وقال أيضا :" فالآيات المخلوقة والمتلوة فيها

(١) الصفات الإلهية في الكتاب والسنة للدكتور محمد أمان الجامي ص ٣٧٣.

(٢) سورة الروم الآيات ٢٠-٢٣ .

(٣) سورة البقرة الآية ١٦٤ .

(٤) سورة محمد الآية ٢٤ .

(٥) سورة الإسراء الآية ٩ .

(٦) سورة البقرة الآية ٢ .

(٧) درء تعارض النقل والعقل ٥٣٣/٨ .

تبصرة وفيها تذكرة، تبصرة من العمى، وتذكرة من الغفلة فيبصر من لم يكن عرف حتى يعرف، ويذكر من عرف ونسي "[1] فهما طريقان لمعرفة الله عز وجل للجاهل الغافل وللمزيد من الهداية والثبات عليها للعالم المؤمن، " فسبحان من تعرف إلى خلقه بجميع أنواع التعرفات، ودلهم عليه بأنواع الدلالات، وفتح لهم إليه جميع الطرقات، ثم نصب إليه الصراط المستقيم، وعرفهم به ودلهم عليه :﴿ ليهلك من هلك عن بينة ويحيى من حي عن بينة وإن الله لسميع عليم ﴾[2] "[3] والله أعلم .

الفرع الثالث : أنواع الإقرار بالله .

الإقرار بالله تعالى نوعان :

- فطري .
- إيماني .

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله : " أن الإقرار بالله قسمان : **فطري، إيماني**، فالفطري وهو الاعتراف بوجود الصانع ثابت في الفطرة، كما قرره الله في كتابه في مواضع، فلا يحتاج هذا إلى دليل، وقد بسطت القول فيه في غير هذا الموضع، بل هو أرسخ المعارف وأثبت العلوم وأصل الأصول، وأما الإقرار بالرسول فبأدنى نظر فيما جاء به، أوفي حاله، أوفي آياته، أو نحو ذلك من شؤونه يحصل العلم بالنبوة أقوى بكثير مما يحصل المطالب القياسية والوحدية في الأمور الإلهية، ثم إذا قوى النظر في أحواله حصل من اليقين الضروري الذي لا يمكن دفعه ما يكون أصلا راسخا"[4] .

---

(١) الفتاوى ٢٣٦/٧ .

(٢) سورة الآية ٤٢ .

(٣) مدارج السالكين ٢٠٨/١-٢٠٩ .

(٤) مجموع الفتاوى ٧٢/٢ .

التعليق :

هذا التقسيم للإقرار هو باعتبار ما ينتفع به وما يعتبر لدخول الرجل في دين الإسلام، إذ إن الإقرار الفطري فقط لا يكفي لصحة الإيمان بل لا بد من الإقرار الشرعي الذي يتضمن الإيمان بالرسل وما جاء به من إقرار الوحدانية في التصرف والتدبر وفي الأسماء والصفات وفي استحقاق الألوهية والعبودية والكفر بما سواه من المعبودات والإيمان بالرسالة، لأن الإيمان والإقرار الفطري حاصل لكل شخص كما قال سبحانه : ﴿ فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ﴾، وقال صلى الله عليه وسلم : « كل مولود يولد على الفطرة »[1] .

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله : " فالإقرار بالصانع بدون عبادته بالمحبة له والذل له وإخلاص الدين له لا يكون نافعاً، بل الإقرار مع البعض أعظم استحقاقاً للعذاب "[2]

ويقول العلامة الشوكاني[3] : "كل فرد من أفراد الناس مفطور أي مخلوق على ملة الإسلام، ولكن لا اعتبار بالإيمان والإسلام الفطريين، وإنما يعتبر الإيمان والإسلام الشرعيان وهذا قول جماعة من الصحابة ومن بعدهم "[4]، فالإقرار الذي هو ركن من أركان الإيمان وإن كان يحصل فطريا بميثاقه الذي أخذه الله تعالى في عالم الذر إلا أنه لا ينفع وحده من غير الإيمان بالرسل وبما جاء به، فالأول هو الإقرار الفطري والثاني هو الإقرار الإيماني، والله أعلم .

---

(١) الحديث متفق عليه من حديث أبي هريرة ﷺ، أخرجه البخاري في كتاب الجنائز باب ما قيل في أولاد المشركين ٣/٢٩٠/ برقم (١٣٨٥) ومسلم في كتاب القدر ٢٠٧/١٦/ برقم (٢٦٥٨) .

(٢) درء تعارض النقل والعقل ٨/٤٥٠ .

(٣) هو العلامة محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني الصنعاني، ولد سنة ١١٧٣هـ، من تصنيفاته النافعة نيل الأوطار وفتح القدير، توفي سنة ١٢٥٠هـ .

انظر: البدر الطالع ٢/٢١٤-٢٢٥، ومعجم المؤلفين ١١/٥٣ .

(٤) فتح القدير ٤/٣١٩ .

الفرع الرابع : أنواع معرفة الله عز وجل :

معرفة الله تعالى تنقسم إلى قسمين :

- معرفة إقرار .
- معرفة خاصة .

يقول العلامة ابن القيم رحمه الله : " معرفة الله نوعان : **الأول** : معرفة إقرار، وهي التي اشترك فيها الناس، البر والفاجر، والمطيع والعاصي، **الثاني** : معرفة توجب الحياء منه والمحبة له وتعلق القلب به والشوق إلى لقائه وخشيته والإنابة إليه والأنس به والفرار من الخلق إليه، وهذه هي المعرفة الخاصة الجارية على لسان القوم " [١]

ويقول الحافظ ابن رجب رحمه الله :"معرفة العبد لربه نوعان أحدهما: المعرفة العامة، وهي معرفة الإقرار به والتصديق والإيمان، وهو عامة للمؤمنين، والثاني: معرفة خاصة تقتضي ميل القلب إلى الله بالكلية والانقطاع إليه والأنس به والطمأنينة بذكره والحياء منه والهيبة له، وهذه المعرفة الخاصة هي التي يدور حولها العارفون" [٢]

التعليق :

معرفة الرب سبحانه وتعالى والعلم به ثابت في الأذهان وراسخ في العقول لدى كل إنسان يشترك فيها البر والفاجر، والمؤمن والمنافق، وكما سبق أن المعرفة الفطرية وحدها لا تنفع فلا بد معها الإقرار والإيمان الشرعي، وهذا التقسيم هو للإقرار الشرعي الإيماني، وهو على قسمين :

أما الأول فهي المعرفة العامة التي "تلزم العبد المؤمن لينعقد بها أصل الإيمان، وهي تتحقق بالقدر الذي يميز العبد به بين ربه وبين سائر الآلهة الباطلة، ويتحقق بها الإيمان المجمل

(١) الفوائد ١٧٠ .

(٢) الجامع العلوم والحكم ٤٧٣/١، انظر معتقد أهل السنة والجماعة في توحيد الأسماء والصفات للشيخ التميمي ص ١٩ .

وتجعله في سلامة من الكفر والشرك المخرجين من الإيمان" [١] وهذا القدر من الإيمان والتصديق والإقرار يشترك فيه جميع أمة الإجابة المؤمن والفاسق والبر والفاجر،

وأما القسم الثاني فهي المعرفة الخاصة، وهي ما تستلزم الخضوع التام والانقياد المطلق لله سبحانه وتعالى، ولا ريب أن هذه المعرفة له سبحانه إنما تحصل بمعرفة أسمائه وصفاته وأفعاله وما تقتضي تلك الأسماء والصفات من الآثار، فكلما ازداد علم العبد بربه بأسمائه وصفاته ازداد حبه وتعظيمه له وخوفه منه، لأن كل اسم وصفة له عبوديته الخاصة هي من موجبات العلم بها والتحقق بمعرفتها[٢] ولا شك أن المؤمنين يتفاضلون في ذلك على مراتب لا يحصيها إلا الله، لأن المؤمن العالم أكثر معرفة من عوام المؤمنين ﴿ وفوق كل ذي علم عليم ﴾ [٣]" وعوام المؤمنين لا يدركون كثيرا من آثار الأسماء والصفات ولا يفهمون كل مدلولاتها ما يدركها العلماء، وكذا يجهل بعض المسلمين بعض الأسماء والصفات، وإذا بلغتهم وعرفوها ازدادوا إيمانا وعبودية لمقتضى هذا الاسم أو الصفة، كما في حديث أبي رزين أنه لما علم صفة الضحك وأن الله تعالى يضحك فقال : " لن نعدم من رب يضحك خيراً " [٤] فأكمل الناس عبودية هو المتعبد بجميع الأسماء والصفات التي يطلع عليها البشر[٥] والله أعلم .

---

(١) معتقد أهل السنة والجماعة في توحيد الأسماء والصفات للشيخ التميمي ص ١٩ .

(٢) انظر مفتاح دار السعادة ٤٤٣/٢ .

(٣) سورة يوسف الآية ٧٦ .

(٤) حديث أبي رزين أخرجه عبد الله بن الإمام أحمد في المسند ١٣/٤، قال ابن القيم :" وعليه من الجلالة والمهابة ونور النبوة ما ينادي على صحته " وقال : " وسألت عنه شيخنا المزي فقال : عليه جلالة النبوة " حادي الأرواح ص ١٦٨، ١٧١، وانظر : زاد المعاد ٦٧٧/٣، والحديث ضعفه الشيخ الألباني لجهالة بعض رواته، انظر ظلال الجنة ص ٢٣١ , ٢٨٩ .

(٥) انظر مدارج السالكين ٤١٩/١ .

الفرع الخامس : أنواع العلم بالله عز وجل .

العلم بالله عز وجل على نوعين اثنين :

- العلم به نفسه .
- العلم بأحكامه .

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله : " وأما العلم فيراد به في الأصل نوعان :

أحدهما : العلم به نفسه وبما هو متصف به من نعوت الجلال والإكرام ما دلت عليه أسماؤه الحسنى، وهذا العلم إذا رسخ في القلب أوجب خشية الله لا محالة، فانه لابد أن يعلم أن الله يثيب على طاعته ويعاقب على معصيته، كما شهد به القرآن والعيان،

والنوع الثاني : يراد بالعلم بالله العلم بالأحكام الشرعية، كما في الصحيح عن النبي ﷺ أنه ترخص في شئ فبلغه أن أقواما تنزهوا عنه فقال : ﴿ **ما بال أقوام يتنزهون عن أشياء أترخص فيها، والله إني لأعلمكم بالله وأخشاكم له** ﴾ [1] وفي رواية : ﴿ **والله إني لأخشاكم لله وأعلمكم بحدوده** ﴾ [2] فجعل العلم به هو العلم بحدوده " [3] .

التعليق :

لاشك أن العلم بالله يشمل العلم بذاته وبأسمائه وصفاته، وبما تقتضي أسماؤه وصفاته من الآثار في الكون وفي نفس البشرية، وهذا كما سبق من أعظم أسباب زيادة الإيمان، فكلما ازداد العلم والمعرفة بذلك زاد إيمان الرجل وعبوديته لربه سبحانه، ويتبع هذا العلم : العلم بما يحب ويكره من الأعمال والأقوال المتمثل في شرائعه من الأوامر والنواهي في

---

(١) الحديث أخرج نحوه البخاري في كتاب الاعتصام بالسنة باب ما يكره من التعمق والتنازع في العلم ١٣/٨٨/(٧٣٠١)، ومسلم في الفضائل برقم (٢٣٥٤) من حديث عائشة رضي الله عنها .

(٢) لم أجد هذا اللفظ في إحدى روايات هذا الحديث، وقد ورد نحوه في حديث آخر بلفظ : ﴿ **إني لأرجو أن أكون أتقاكم لله وأعلمكم بحدود الله** ﴾، أخرجه أبو يعلى ٧/٤٠١/(٤٤٢٧) من حديث عائشة رضي الله عنها، وورد في حديث أبي سلمة ﷺ بلفظ : ﴿ **أتقاكم لله وأعلمكم بحدوده** ﴾ أخرجه أبو نعيم في مستخرجه على صحيح مسلم ٣/١٨٥ .

(٣) مجموع الفتاوى ٣/٣٣٣ باختصار، وانظر ١١/٣٩٦ .

كتابه العزيز وعلى لسان رسوله الكريم ﷺ، فهذا من مكملات العلم به سبحانه، فالعالم حقا من استوفى هذين النوعين من العلم : العلم به سبحانه وبأسمائه وصفاته الذي به يحصل كمال العبودية القلبية من الحب والإخلاص والتعظيم والخوف والرجاء، والثاني العلم بأوامره ونواهيه الذي يحصل به كمال العبودية الظاهرة ،

يقول الحافظ ابن رجب رحمه الله : " فأفضل العلم : العلم بالله وهو العلم بأسمائه وصفاته وأفعاله التي توجب لصاحبها معرفة الله وخشيته ومحبته وهيبته وإجلاله ... وتبع ذلك العلم بملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وتفاصيل ذلك، والعلم بأوامر الله ونواهيه وشرائعه وأحكامه، وما يحبه من عباده من الأقوال والأعمال الظاهرة والباطنة، ومن جمع هذه العلوم فهو من العلماء الربانيين، العلماء بالله العلماء بأمره، وهم أكمل ممن قصر علمه على العلم بالله دون العلم بأمره وبالعكس "[1]

وكان النبي ﷺ أخشى الناس لله وأعلمهم بحدوده، كما قال ﷺ :﴿وَاللَّهِ إِنِّي لأَرْجُو أَنْ أَكُونَ أَخْشَاكُمْ لِلَّهِ وَأَعْلَمَكُمْ بِمَا أَتَّقِيه ﴾، فكمال الخشية يحصل بكمال العلم بذات الله سبحانه وبأسمائه وصفاته، ولذا ذكر الله تعالى بعض آثار أسمائه وصفاته ثم حصر الخشية فيمن يدرك هذه الآثار من العلماء، فقال ﷻ : ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ ثَمَرَاتٍ مُّخْتَلِفًا أَلْوَانُهَا وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ * وَمِنَ النَّاسِ وَالدَّوَابِّ وَالْأَنْعَامِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ كَذَٰلِكَ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾[2] قال ابن عباس رضي الله عنه : ((الذين يعلمون أن الله على كل شيء قدير))[3] فالعالم الذي يخشى الله حق خشيته هو من يدرك آثار أسماء الله وصفاته التي تدل على كمال قدرة الخالق، وهذا كما قال بعض السلف :((العلماء ثلاثة : عالم بالله ليس عالما بأمر الله، وعالم بأمر الله ليس عالما بالله، وعالم بالله وبأمر الله، فالعالم بالله : الذي يخشى الله، والعالم بأمر الله : الذي يعرف أمره

---

(١) شرح حديث أبي الدرداء ص ٣٨ .

(٢) سورة فاطر الآية ٢٧ , ٢٨ .

(٣) أخرجه الطبري في التفسير ١٣٢/٢٢، وانظر تفسير ابن كثير ٥٣١/٣ .

ونهيه)) [1]" فكل من كان لله أخوف وبحدوده أعلم كان عالما حقا بكل معانيه وأوصافه، كما قال أحد السلف : ((من كان بالله أعرف كان له أخوف)) [2]"

فهذا التقسيم للعلم بالله هو من حيث تعلقه بذات الله وأفعاله وأسمائه وصفاته التي يعبر عنها بالربوبية، وتعلقه بأوامره ونواهيه التي هي من آثار الألوهية، والله أعلم .

الفرع السادس : أنواع الآيات الدالة على الله عز وجل .

أنواع الآيات باعتبار تعلقها بالله تعالى :

- القولية .
- الفعلية .

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله : " فالآيات الدالة على الرب : **آياته القولية** التي تكلم بها القرآن، **وآياته الفعلية** التي خلقها في الأنفس والآفاق، تدل عليه وتحصل بها التبصر والذكرى، وان كان الرب تعالى قد عرفته الفطرة قبل هذا ثم حصل لها نوع من الجهل أو الشك أو النسيان وغير ذلك " [3] ،

التعليق :

الآية هي العلامة وهي ما تستلزم لما هي عليه آية[4]" وكل ما في العالم من المخلوقات فهي علامة على بارئها وكمال قدرته وعلمه وإحاطته بجميع الموجودات، والله تعالى تعرف إلى عباده بآياته الكونية والشرعية، فالكل يدل على كمال قدرته وإحاطة علمه فله المثل الأعلى ليس له سمي ولا كفوّ، والمتدبر في الكون والمتفكر في المخلوقات يتعرف على كثير من آثار أسمائه الحسنى وصفاته العليا" فالموجودات بأسرها شواهد صفات الرب جل

---

(١) القائل هو أبو حيان التيمي، انظر مجموع الفتاوى ١٠/٥٤٥ وتفسير ابن كثير ٣/٥٣٢ .

(٢) هو من قول أبي عبد الله الأنطاكي، نقلا من كتاب : فقه الأدعية والأذكار ص ١٢١ .

(٣) درء تعارض النقل والعقل ٨/٥٣٣ .

(٤) انظر مجموع الفتاوى ٢/٧٤،

جلاله ونعوته وأسمائه، فهي كلها تشير إلى الأسماء الحسنى وحقائقها، وتنادى عليها، وتدل عليها، وتخبر بلسان النطق والحال "[1] قال تعالى : ﴿ سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ ﴾[2] فهذه آياته الكونية التي خلقها في الآفاق والأنفس، وسئل بعض الأعراب عن الدليل على وجود الرب فقال : ((يا سبحان الله !! إن البعر ليدل على البعير، وإن أثر الأقدام لتدل على المسير، فسماء ذات أبراج، وأرض ذات فجاج، وبحار ذات أمواج، ألا يدل ذلك على وجود اللطيف الخبير ؟!))[3]

وأما آياته الشرعية التي تكلم بها القرآن فهي أيضا تدل على كمال علمه وحكمته وقدرته سبحانه وتعالى، كما قال تعالى: ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا ﴾[4] فالقرآن من أوله إلى آخره مليء بذكر الأسماء والصفات والآثار المقتضية لها، فقد ذكر الله تعالى أسماءه وصفاته جملة وتفصيلا، وقد عد النبي ﷺ سورة الإخلاص التي تشتمل على أسماء الله تعالى وصفاته بأنها تعدل ثلث القرآن[5] لأن القرآن مشتمل على الأحكام أو على الوعد والوعيد أو على التوحيد، وسورة الإخلاص مشتملة على صفات الباري سبحانه[6] فالناظر في القرآن والمتدبر في آياتها يكون على بصيرة من ربه ومالكه ورازقه وعلى أسمائه وصفاته وأفعاله، والله أعلم .

---

(١) مدارج السالكين ٣٥٦/٣، وانظر مفتاح دار السعادة ٢٣٢/١، و٢٣٣ وما بعدها .

(٢) سورة فصلت الآية ٥٣ .

(٣) انظر تفسير ابن كثير ٥٦/١ .

(٤) سورة النساء الآية ٨٢ .

(٥) كما في الحديث الذي أخرجه البخاري في كتاب فضائل القرآن باب فضل ﴿قل هو الله أحد﴾ ٦٧٦/٨/(٥٠١٣) من حديث أبي سعيد الخدري ﷺ، ومسلم في كتاب صلاة المسافرين وقصرها ٩٤/٦/(٨١١،٨١٢) من حديث أبي هريرة ﷺ .

(٦) انظر مجموع فتاوى شيخ الإسلام ١٠٤/١٧، ١٣٤، ٢٠٧ .

الفرع السابع : أنواع الآيات باعتبار موضعها .

آيات الله سبحانه من حيث موقعها تنقسم إلى ثلاثة أقسام :

- أفقية .
- أرضية .
- قرآنية .

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله : " قوله تعالى:﴿ قُلِ انظُرُوا مَاذَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا تُغْنِي الْآيَاتُ وَالنُّذُرُ عَن قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ ﴾ (1) فالآيات: **أفقيه وأرضية وقرآنية**، وهي أدلة العلم " (2)

التعليق :

إن الله تعالى نصب أدلة كثيرة ومتنوعة لمعرفته والدلالة عليه؛ فكما سبق أن الأدلة الدالة على الرب تنقسم إلى قسمين : آياته القولية، وآياته الفعلية، وهذا التقسيم هو باعتبار مواقع الآيات وموضعها، فالقولية القرآنية هي ما تكلم الله بها في القرآن وذكرها فيه، فالقرآن بذاته آية على صدق الرسولﷺ الداعي إلى توحيد الله، ولذا قد تحدى الله المشركين من العرب الفصحاء أن يأتوا بسورة من مثله فعجزوا أن يأتوا بها مع شدة عداوتهم ومحاربتهم للرسولﷺ وتكذيبهم وتهمهم إياه بأنواع التهم، بل كل من سمع القرآن تيقن صحته وزالت شبهته لكن الهوى يحول بينه وبين إسلامه وإيمانه، فهذا الوليد بن المغيرة أعتى عدوّ للرسولﷺ وأكبر مخالفيه يقول في وصف القرآن : (إن له لحلاوة وإن عليه لطلاوة وإنه ليعلو ولا يعلى) (3) إلا أنه حُرم من الإيمان به وتصديقه إياه فكان كما قال سبحانه :﴿ وَمَا تُغْنِي الْآيَاتُ وَالنُّذُرُ عَن قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ ﴾ (4).

---

(1) سورة يونس الآية ١٠١ .

(2) مجموع الفتاوى ٥٨٥/١٦ .

(3) انظر تفسير الطبري ١٥٧/٢٩، وتفسير ابن كثير ٤٤٣/٤ .

(4) سورة يونس الآية ١٠١ .

وأما آياته الخلقية فمنها أفقية خلقها الله في السماء والآفاق وأرضية خلقها الله في الأرض قال سبحانه : ﴿ قُلِ انظُرُوا مَاذَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا تُغْنِي الآيَاتُ وَالنُّذُرُ عَن قَوْمٍ لا يُؤْمِنُونَ ﴾ وقال سبحانه : ﴿ إِنَّ فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ لآيَاتٍ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [1]،

يقول الحافظ ابن القيم رحمه الله : " لقد تعرف إلى خلقه بأنواع التعرفات، ونصب لهم الدلالات، وأوضح لهم الآيات البينات، ليهلك من هلك عن بينة ويحيا من حي عن بينة وإن الله لسميع عليم، فارجع البصر إلى السماء وانظر فيها وفي كواكبها ودورانها وطلوعها وغروبها وشمسها وقمرها واختلاف مشارقها ومغاربها ودءوبها في الحركة على الدوام من غير فتور في حركتها ولا تغير في سيرها، بل تجري في منازل قد رتبت لها بحساب مقدر لا يزيد ولا ينقص إلى أن يطويها فاطرها" .

وقال العلامة ابن القيم رحمه الله :" وإذا نظرت إلى الأرض وكيف خلقت، رأيتها من أعظم آيات فاطرها وبديعها، خلقها سبحانه فراشا ومهادا، وذللها لعباده، وجعل فيها أرزاقهم وأقواتهم ومعايشهم، وجعل فيها السبل لينتقلوا فيها في حوائجهم وتصرفاتهم، وأرساها بالجبال فجعلها أوتادا تحفظها لئلا تميد بهم، ووسع أكنافها ودحاها فمدها وبسطها وطحاها فوسعاها من جوانبها، وجعلها كفاتا للأحياء تضمهم على ظهرها ما داموا أحياء، وكفاتا للأموات تضمهم في بطنها إذا ماتوا، فظهرها وطن للأحياء وبطنها وطن للأموات، وقد أكثر تعالى من ذكر الأرض في كتابه ودعا عباده إلى النظر إليها والتفكر في خلقها" [2] .

---

(١) سورة الجاثية الآية ٣ .

(٢) مفتاح دار السعادة ١/ ٢٣٣ , ٢٣٥ وانظر ما بعدها .

الفرع الثامن : أنواع النظر في الآيات .

إن الله تعالى خلق في هذا الكون آيات تدل على عظمته وكمال علمه وحكمته، وقد أمر الله تعالى النظر في هذه الآيات، إلا أن النظر ينقسم إلى قسمين :

- بالبصر الظاهر .
- بالبصيرة الباطنة .

يقول العلامة ابن القيم رحمه الله : " والنظر في هذه الآيات وأمثالها نوعان : نظر إليها **بالبصر الظاهر**، فيرى مثلا زرقة السماء، ونجومها، وعلوها، وسعتها، وهذا نظر يشارك الإنسان فيه من الحيوانات وليس هو المقصود بالأمر، الثاني : أن يتجاوز هذا النظر **بالبصيرة الباطنة**، فتفتح له أبواب السماء فيجول في أقطارها وملكوتها وبين ملائكتها ثم يفتح له الباب بعد الباب حتى ينتهي به سير القلب الى عرش الرحمن فينظر سعته وعظمته وجلاله ومجده ورفعته ... " (١)

التعليق :

إن هذا الكون وما فيه من المخلوقات فيها دلالة واضحة على كمال خالقها وفاطرها وتفردها بالخلق والأمر، ولذا كثيرا ما يأمر سبحانه بالنظر في هذه المخلوقات، يقول سبحانه :﴿ انظُرُوا إِلَى ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَيَنْعِهِ إِنَّ فِي ذَٰلِكُمْ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾ (٢)، وغيرها من الآيات التي فيها الأمر بالنظر في بعض مخلوقاته، إلا أن النظر ينقسم إلى قسمين :

نظر مجرد عن التفكر والاعتبار،فهذا يشترك فيه كل شخص بل كل حيوان من المكلف وغير المكلف، فليس هذا مقصود الآية، بل المراد بالنظر في مثل هذه الآيات هو النظر بالبصيرة الباطنة والتفكر والاعتبار والاستدلال بها على كمال قدرة الله وتوحيده وقدره حق قدره .

---

(١) مفتاح دار السعادة ٢٣٤/١ .

(٢) سورة الأنعام الآية ٩٩ .

يقول العلامة القرطبي رحمه الله :" قوله تعالى : ﴿ انظُرُوا إِلَى ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ ﴾ [1] أي نظر الاعتبار لا نظر الإبصار المجرد عن التفكر "[2] ولذلك كثيراً ما يختتم الله الآيات التي فيها ذكر آياته الكونية والأمر بالنظر إليها بأنها تفيد وتنفع للمؤمنين الذين يتفكرون والذين هم أولي الألباب والأبصار، كما في قول سبحانه: ﴿ إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون ﴾[3] وقوله :﴿ إن في ذلك لآيات لأولي النهى ﴾[4] وقوله:﴿ إن في ذلك لآيات للمتوسمين ﴾[5] ونحو هذه من الآيات، لأنهم هم الذين ينظرون إلى آياته سبحانه نظر تفكر واعتبار بالبصيرة الباطنة المنتج منه توحيد الباري سبحانه وتحقيق عبادته كما أمر، ولهذا وصف الله خليله بهذه البصيرة فقال :﴿ واذكر عبادنا إبراهيم وإسحاق ويعقوب أولي الأيدي والأبصار ﴾ [6] وقال سبحانه :﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الأَلْبَابِ * الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَى جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴾ [7] فهذا التقسيم للنظر في المخلوقات هو ما يكون مع التفكر والتوسم الناتج منه توحيد الخالق وعظمته وكمال علمه وقدرته، وما يكون بمجرد النظر الذي يحصل لكل شخص بل لكل حيوان، والله أعلم .

---

(١) سورة الأنعام الآية ٩٩ .

(٢) الجامع لأحكام القرآن ٣٣/٧ .

(٣) سورة الرعد الآية ٣، سورة الزمر الآية ٤٢، سورة الجاثية الآية ١٣ .

(٤) سورة طه الآية ١٢٨ .

(٥) سورة الحجر الآية ٧٥ .

(٦) سورة ص الآية ٤٥ .

(٧) سورة آل عمران الآيتان ١٩٠، ١٩١ .

المطلب الثاني: أنواع آيات القرآن.

آيات القرآن قسمان :

- علمية .
- عملية .

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله : " آيات القرآن نوعان : **علمية، عملية**، وفي الآيات ما يجمع الأمرين، العلميات المتعلقة بذات الله و صفاته و أفعاله " [1]

التعليق :

القرآن هو حجة الله على أهل الأرض، وهو نظام الحياة للمسلم، الشامل لجميع ما يحتاج إليه العبد في شؤونه الدينية من الأمور العملية والعلمية، ومعلوم أنّ الدّين هو مجموع الاعتقاد الباطن في القلوب والأعمال الظاهرة على الجوارح، والأول هو الأصل وهو يستلزم الثاني[2] ،ولذلك كثيرا ما يقترن بهما في القرآن عند البشارة بالجنة، كما في قوله تعالى :﴿ وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ ﴾ [3] وقوله تعالى:﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلاً ﴾ [4] وغيره كثير، فالأول هو الإيمان والثاني هو الإسلام كما فسر بذلك النبيﷺ في حديث جبريل[5] فآيات القرآن مشتملة على هذين النوعين :

العلمية الاعتقادية المطلوب من المسلم اعتقادها والإيمان بها مما يتعلق بذات الله سبحانه وتعالى وأسمائه وصفاته وأفعاله، وكذا ما يتعلق ببقية أركان الإيمان الستة ويدخل في ذلك الأخبار والقصص عن الأمم السالفة وما جرى للأنبياء السابقين مع أممهم .

---

(١) مجموع الفتاوى ١١٤/١٧ .
(٢) انظر المصدر السابق ١٩٨/٧ .
(٣) سورة البقرة الآية ٢٥ .
(٤) سورة الكهف الآية ١٠٧ .
(٥) الحديث سبق تخريجه، وانظر في تعريف الإسلام والإيمان في المبحث الأول .

والعملية السلوكية من الأوامر والنواهي المتعلقة بالواجبات الظاهرة من أركان الإسلام وغيرها من أحكام الشريعة المطلوب امتثالها، ويدخل في ذلك جميع الأمور التطبيقية من أمور الخلقية والتعبدية الواجبة والمستحبة وما يتعلق بالمعاملات مع الآخرين وغير ذلك، والله أعلم .

المطلب الثالث : أنواع ربوبية الله عز وجل .

ربوبيته سبحانه لعباده نوعان :

- ربوبية عامة .
- ربوبية خاصة .

يقول الشيخ عبد الرحمن السعدي رحمه الله : " كثر في القرآن ذكر ربوبية الرب لعباده، ومتعلقاتها، ولوازمها، وهي على نوعين : **ربوبية عامة**، يدخل فيها جميع المخلوقات برّها وفاجرها، بل مكلفوها وغير المكلفين حتى الجمادات، وهي أنه تعالى المنفرد بخلقها ورزقها وتدبيرها، وإعطائها ما تحتاجه إليه في بقائها، فهذه التربية لا يخرج عنها أحد، **والنوع الثاني** : في تربيته لأصفيائه وأوليائه، فيربيهم بالوحي يترل لهم بغيث العلم ويهديهم إلى الإيمان، وحقيقتها : التوفيق لكل خير والحفظ من كل شر، فحيث أطلقت ربوبيته تعالى فإن المراد بها المعنى الأول، مثل قوله : ﴿رب العالمين﴾ [1] ﴿وهو رب كل شيء﴾ [2] ونحو ذلك، وحيث قيدت بما يحبه ويرضاه، أو وقع السؤال بها من الأنبياء وأتباعهم، فإن المراد بها النوع الثاني، وهو متضمن للمعنى الأول وزيادة، ولهذا تجد أدعية الأنبياء وأتباعهم في القرآن باسم الرب غالبا فإن مطالبهم كلها داخلة تحت ربوبيته الخاصة " [3].

---

(١) سورة الفاتحة الآية ١ .

(٢) سورة الأنعام الآية ١٦٤ .

(٣) القواعد الحسان ص ٩٢ باختصار .

التعليق :

إن الله تعالى هو رب كل شيء ومليكه، فجميع المخلوقات تحت قهره وسلطانه لا يخرج عن ملكه وربوبيته شيء، وهذه ربوبية تشمل جميع مخلوقاته، فهو يربيهم ويهديهم إلى ما يصلح لهم في معاشهم، ويرزقهم ويعطيهم ما يحتاجون إليه في حياتهم، كما قال موسى عليه السلام: ﴿ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى ﴾ [1] "والمعنى أعطاه من الخلق والتصوير ما يصلح به لما خلق له، ثم هداه لما خلق له وهداه لما يصلحه في معيشته، ومطعمه، ومشربه، ومنكحه، وتقلبه وتصرفه"[2] وقال سبحانه :﴿ وَمَا مِن دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا ﴾ [3]، وهذه الربوبية عامة لجميع خلقه، وهذه لا تستلزم محبته لهذا المربوب ورضاه به، بل هذه تشمل لكل من يحبه الله عز وجل ومن لا يحبه ولا يرضاه .

وأما الربوبية الخاصة فهي لعباده المؤمنين، فهو سبحانه يخصهم بالتوفيق والهداية إلى ما يصلح لهم دينهم وآخرتهم، فيهديهم ويدلهم إلى الخير ويوفقهم بالصبر عليه وعن المعاصي، ويحفظهم مما يضرهم في دينهم، فهذه تربية خاصة لهم دون غيرهم من المخلوقات، فالله سبحانه وتعالى ربهم ومليكهم بربوبيته العامة وربهم ومدبر أمورهم بربوبيته الخاصة فيكلأهم ويحفظهم ويعطيهم سؤلهم ويهديهم إلى الحق وإلى الصراط المستقيم، وهذه الربوبية هي المتضمنة للمحبة والرضا، ولذا يتوسل بها عباده في دعائهم، ويضيفها إلى أنفسهم، كما قال موسى عليه السلام : ﴿ قَالَ كَلَّا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ ﴾ [4] وقال إبراهيم عليه السلام : ﴿ سَلَامٌ عَلَيْكَ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّي إِنَّهُ كَانَ بِي حَفِيًّا ﴾ [5]، والله أعلم

---

(١) سورة طه الآية ٥٠ .

(٢) شفاء العليل لابن القيم ص ٧٨ .

(٣) سورة هود الآية ٦ .

(٤) سورة الشعراء الآية ٦٢ .

(٥) سورة مريم الآية ٤٥ وانظر لما سبق في القواعد الحسان ص ٩٢.

المطلب الرابع : أنواع إضافة الرب .

- إلى المكلفين .
- إلى غير المكلفين .

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله : " ولهذا : منع في شريعتنا من إضافة الرب إلى المكلفين، كما قالﷺ : ﴿ **لا يقل أحدكم اسق ربك أطعم ربك** ﴾ [(١)] بخلاف إضافته إلى غير المكلفين كقول النبي ﷺ لمالك بن عوف الحشمي : ﴿ **أرب أبل أنت أم رب شاة ؟** ﴾ [(٢)] وقولهم رب الثوب والدار، فإنه ليس في هذه الإضافة ما يقتضي عبادة هذه الأمور لغير الله، فإن هذا لا يمكن فيها فإن الله فطرها على أمر لا يتغير، بخلاف المكلفين فانهم يمكن أن يعبد غير الله " [(٣)] .

التعليق :

إن الشريعة حرمت كل ذريعة ووسيلة تودي إلى الشرك بل ومنعت من إطلاق ألفاظ وكلمات فيها تسوية الرب بغيره من المخلوقين وإن لم يكن يقصد قائلها حقيقة التسوية حماية لجناب التوحيد، ومن هذا الباب منع إضافة الرب إلى أحد من المكلفين وإن لم يكن يقصد به الربوبية المطلقة من الخلق والإيجاد، كما في حديث أبي هُرَيْرَةَ ﷺ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ :﴿ **لا يَقُلْ أَحَدُكُمْ أَطْعِمْ رَبَّكَ، وَضِّئْ رَبَّكَ، اسْقِ رَبَّكَ، وَلْيَقُلْ سَيِّدِي مَوْلايَ،**

---

(١) الحديث متفق عليه من حديث أبي هريرة ﷺ، أخرجه البخاري في كتاب العتق باب كراهية التطاول على الرقيق ٥/٢١٠/ برقم (٢٥٥٢)، ومسلم في كتاب الألفاظ من الأدب وغيرها ١٥/٧/ برقم (٢٢٤٩)،

(٢) الحديث أخرج نحوه أحمد في المسند ١٣٣/١، من طريق أبي الأحوص عن أبيه به، وقال الحافظ ابن حجر : " أخرج البغوي من طريق ...عن أبي الأحوص عن أبيه مالك بن عوف فذكر حديثا، والمعروف في والد أبي الاحوص أنه مالك بن نضلة " الإصابة في تمييز الصحابة ٥٥٢/٥ .

(٣) درء تعارض النقل والعقل ٣٤١/٩ .

﴿ وَلا يَقُلْ أَحَدُكُمْ عَبْدِي، أَمَتِي، وَلْيَقُلْ فَتَايَ وَفَتَاتِي وَغُلامِي ﴾ [1]، وأما إطلاق الرب مضافا إلى غير المكلفين فهو جائز .

يقول الإمام الخطابي[2] رحمه الله : " أن الإنسان مربوب متعبد بإخلاص التوحيد لله وترك الإشراك معه، فكره له المضاهاة في الاسم لئلا يدخل في معنى الشرك ولا فرق في ذلك بين الحر والعبد، فأما مالا تعبد عليه من سائر الحيوانات والجمادات فلا يكره إطلاق ذلك عليه عند الإضافة كقوله : رب الدار، ورب الثوب " [3] لأنه ليس فيه ما يقتضي عبادة هذه الأشياء لغير الله وأن يكون في هذا مضاهاة الربوبية ولا في الظاهر .

المطلب الخامس : أنواع الهداية .

- الهداية العامة .
- هداية البيان والدلالة .
- هداية التوفيق والإلهام .
- الهداية إلى الجنة .

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله : " الهدى أربعة أقسام، أحدها : الهداية إلى مصالح الدنيا، فهذا مشترك بين الحيوان الناطق الأعجم وبين المؤمن والكافر، الثاني :

---

(١) الحديث سبق تخريجه، وأما ما ورد في حديث جبريل عليه السلام قوله ﷺ " أن تلد الأمة ربتها " فقيل إنها على سبيل المبالغة أو أن النهي متأخر أو أن النهي خاص بغير النبي صلى الله عليه وسلم، انظر فتح الباري لابن حجر ١٥٠/١. وأما قوله تعالى حكاية عن يوسف عليه السلام : ﴿اذكرني عند ربك﴾ وقوله : ﴿ ارجع إلى ربك﴾ فقيل إن هذا كان جائزا في شرع من قبلنا، انظر : أحكام القرآن لابن العربي ٥٦/٣، وتفسير القرطبي ١٢٨/٩، وفي كلام شيخ الإسلام إشارة إلى ذلك .

(٢) هو الإمام العلامة أبو سليمان حمد بن محمد بن إبراهيم بن خطاب البستي الخطابي، ولد سنة بضع عشرة وثلاثة مائة، من تصانيفه : معالم السنن، الغنية عن الكلام وأهله، توفي سنة ٣٨٨هـ .
انظر سير أعلام النبلاء ٢٣/١٧-٢٧، وطبقات الشافعية للسبكي ٢٨٢/٣-٢٩٠، وشذرات الذهب ١٢٧/٣، ١٢٨.

(٣) فتح الباري لابن حجر ٢١٣/٥ .

الهدى بمعنى دعاء الخلق إلى ما ينفعهم وأمرهم بذلك فهذا أيضا يشترك فيه جميع المكلفين سواء آمنوا أو كفروا، كما قال تعالى :﴿ ولكل قوم هاد ﴾ [1]، القسم الثالث : الهدى الذي هو جعل الهدى في القلوب وهو الذي يسميه بعضهم بالإلهام والإرشاد...القسم الرابع : الهدى في الآخرة كما قال تعالى : ﴿ إن الله يدخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنات﴾ إلى قوله : ﴿ وهدوا إلى الطيب من القول وهدوا إلى صراط الحميد ﴾ [2] " [3] .

ويقول العلامة ابن القيم رحمه الله : "مراتب الهدى فأربعة، إحداها الهدى العام وهو هداية كل نفس إلى مصالح معاشها وما يقيمها، المرتبة الثانية الهدى بمعنى البيان والدلالة والتعليم والدعوة إلى مصالح العبد في معاده وهذا خاص بالمكلفين، المرتبة الثالثة وهي هداية التوفيق ومشيئة الله لعبده الهداية، وهذه الهداية التي لا يقدر عليها إلا الله عز وجل، المرتبة الرابعة : الهداية يوم المعاد إلى طريق الجنة والنار " [4] .

التعليق :

إن الله سبحانه يتولى أمور خلقه الدينية والدنيوية ويهديهم إلى ما يحتاجون إليه في أمور دينهم ودنياهم، وهدايته للعباد على أربعة أنواع، الأولى: هي الهداية العامة لعموم الخلق المكلف منهم وغير المكلف، فالله هداهم إلى ما فيه صلاح معاشهم وقوام أبدانهم، قال سبحانه: ﴿سبح اسم ربك الأعلى * الذي خلق فسوى * والذي قدر فهدى﴾ [5]فهو الذي خلق الخلق فسوى وقدر لهم أسباب مصالحهم في معاشهم وتضرفاتهم وهداهم إلى تلك الأسباب، وقال سبحانه في شأن موسى لفرعون : ﴿ربنا الذي أعطى كل شيء خلقه ثم

---

(١) سورة الرعد الآية ٧ .

(٢) سورة الحج الآيتان ٢٣،٢٤ .

(٣) مجموع الفتاوى ١٨/١٧١ والفتاوى الكبرى٤٢٢/١ باختصار، وانظر أيضا مجموع الفتاوى ١٥٦/١٦ .

(٤) شفاء العليل ص ٦٥ باختصار، وانظر مفتاح دار السعادة ١٠٥/١، وبدائع الفوائد ٢٧١/٢-٢٧٣.

(٥) سورة الأعلى الآيات ١-٣ .

هدى﴾ [1]، فهذه الهداية عامة لجميع الخلق، وأيضا هذا أسبق الأنواع فالله ﷻ حين خلقه وإيجاده للمخلوق هداه إلى ما يحتاجه ويصلحه .

والمرتبة الثانية هي الهداية الخاصة بالنسبة إلى المرتبة الأولى وهي هداية المكلفين منهم خاصة، ودلالتهم إلى ما فيه صلاح دينهم وآخرتهم، وهذا وإن كان أخص من الأول إلا أنه عام لجميع المكلفين المؤمن والكافر، فالله تعالى بين لهم الحق، وأرسل إليهم الرسل، وتركهم على المحجة البيضاء ليلها كنهارها، وهي المعنية في قوله تعالى : ﴿ وإنك لتهدي إلى صراط مستقيم ﴾ [2]، وهذه المرتبة يقدر عليها الرسل وأتباعهم فهم أيضا يهدون الخلق ويرشدونهم، إلا أن هذه يمكن أن يتخلف عنه الاهتداء والانقياد .

وأما المرتبة الثالثة فهي أخص من النوعين السابقين، فهي الهدى التام الذي لا يتخلف عنه الاهتداء والانقياد، وهي هداية التوفيق والإلهام، وهذه يخص بها الله ﷻ من شاء من عباده المكلفين قال سبحانه : ﴿ والله يدعو إلى دار السلام ويهدي من يشاء إلى صراط مستقيم ﴾ [3]، فجعل الدعوة عامة وجعل الهداية والتوفيق خاصة لمن يشاء من عباده، وهذا لا يقدر عليه إلا الله ﷻ، ولذا نفاه عن الرسل عليهم السلام وقال ﷻ : ﴿ إنك لا تهدي من أحببت ولكن الله يهدي من يشاء ﴾ [4] [5] .

وأما المرتبة الرابعة فهي الهداية في الآخرة، هداية المؤمنين إلى الجنة وهداية الكافرين إلى الجحيم، فهذه الهداية تابعة للهداية في الدنيا، فإن كان المكلف من أهل الهداية الخاصة فهو إلى الجنة وإن كان من أهل الهداية العامة فقط فهو إلى النار، قال سبحانه في أهل الجنة :

---

(1) سورة طه الآية ٥٠ .

(2) سورة الشورى الآية ٥٢ .

(3) سورة يونس الآية ٢٥ .

(4) سورة القصص الآية ٥٦ .

(5) انظر لما سبق مفتاح دار السعادة ١/١٠٥-١٠٦ وبدائع الفوائد ٢/٢٧٣ .

﴿ وهدوا إلى الطيب من القول وهدوا إلى صراط الحميد ﴾ [1] يقول الحافظ ابن كثير رحمه الله : "فهدوا إلى المكان الذي يسمعون فيه الكلام الطيب، وإلى المكان الذي يحمدون فيه ربهم على ما أحسن إليهم وأنعم وأسداه إليهم " [2] وقال ﷻ عن الكافرين : ﴿ احشروا الذين ظلموا وأزواجهم وما كانوا يعبدون من دون الله فاهدوهم إلى صراط الجحيم ﴾، فهذه هي المراتب الهداية من حيث العموم والخصوص ومن حيث الأول والآخر، والله أعلم .

المطلب السادس : أنواع الأدلة الشرعية .

الأدلة الشرعية على نوعين :

- عقلي .
- سمعي .

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله : " وعلى هذا فقد يقال الأدلة الشرعية نوعان : عقلي سمعي، فالعقلي : ما دل الشرع عليه من المعقولات، والسمعي : ما دل بمجرد السمع " [3]

التعليق :

لا شك أن الرسل جاءوا بما يتفق مع مقتضيات العقل الصحيح والفطرة السليمة من الشريعة والعقيدة، فالعقل السليم لا يتعارض مع النقل الصحيح ولا يحيله لأن الشريعة لا تأتي بما تحيله العقول، وقد تأتي بما تحتار فيه العقول مما لا يكون في وسع العقل إدراكها ومعرفتها، فيدل عليه السمع المجرد ويكون مهام العقل الإيمان به والتسليم له، فالأدلة الشرعية من حيث معرفتها بالعقل وإدراكها لحقيقتها ومن حيث مجرد النقل والإيمان بها تنقسم إلى قسمين : أدلة شرعية عقلية، أدلة شرعية سمعية .

---

(١) سورة الحج الآية ٢٤ .

(٢) تفسير القرآن العظيم ٢٠٧/٣ بتصرف يسير، وانظر تفسير القرطبي ٢٢/١٢ .

(٣) درء تعارض النقل والعقل ٣٧/٨ وانظر ١٩٩/١ .

فالعقلي هو ما وردت الأدلة الشرعية على المعقولات التي يعلم العقل صحتها إذا نبه لها" كالأدلة التي نبه الله تعالى عليها في كتابه العزيز من الأمثال المضروبة وغيرها الدالة على توحيده، وصدق رسله، وإثبات صفاته وعلى المعاد، فتلك كلها أدلة عقلية يعلم صحتها بالعقل، وهي براهين ومقاييس عقلية وهي مع ذلك شرعية " [1] ومن الأدلة العقلية أيضا دليل الخلق والإيجاد على وجود الخالق وشمول علمه وقدرته، كما قال سبحانه :﴿أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ﴾ [2] وقال أيضا:﴿إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ * أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ [3] فهو دليل شرعي عقلي، وكذا أمرنا في غير موضع بالتفكر والتدبر في آياته الخلقية والمشهودة في الكون وفي النفس البشرية لما في ذلك موعظة لأولي الألباب والعقول السليمة، وأما السمعي فهو كل أدلة وأخبار لا مجال للعقل فيها إلا مجرد القبول والتسليم كما هو غالب أدلة الأسماء والصفات والأفعال نحو استوائه على العرش ونحو ذلك من الأدلة والله أعلم .

---

(١) درء تعارض النقل والعقل ١/١٩٩ .

(٢) سورة الطور الآية ٣٥ .

(٣) سورة الملك الآية ١٣ , ١٤.

المطلب السابع : القدر والتقدير والتقسيمات المتعلقة به

وفيه خمسة فروع :

الفرع الأول : معنى القضاء والقدر .

الفرع الثاني : أنواع التقدير .

الفرع الثالث : مراتب القضاء والقدر .

الفرع الرابع : مراتب الكتابة .

الفرع الخامس : أنواع دفع القدر بالقدر .

الفرع الأول : معنى القضاء والقدر .

القدر لغة : القَدَر هو مصدر قدَر يقدِر يقدُر قدَراً وقدْراً والجمع أقدار، والتقدير هو مصدر قدّر تقديرا، يقال : قدّر له وعليه [1] .

شرعا : وأما القدر شرعا فهو ما قضى الله تعالى وقدره على عباده بما علمه بعلمه السابق وكتبه عليهم مما هم عاملون به ومما يجري في هذا الكون فتقع هذه المقدورات في وقتها المقرر بمشيئة الله وإرادته .

يقول العلامة السفاريني رحمه الله :" ما سبق به العلم وجرى به القلم مما هو كائن إلى الأبد وأنه عز وجل قدر مقادير الخلائق وما يكون من الأشياء قبل أن تكون في الأزل وعلم سبحانه أنها ستقع في أوقات معلومة عنده وعلى صفات مخصوصة، فهي تقع على حسب ما قدرها " [2]

(١) لسان العرب ٥٥/١١، والنهاية ٢٢/٤ .

(٢) لوامع الأنوار البهية ٣٤٨/١ وانظر شرح النووي لمسلم ١٥٤/١.

والقضاء : هو الفصل والحكم، يقال : قضى يقضي قضاء فهو قاض إذا حكم وفصل، وقضاء الشيء إحكامه وإمضاؤه والفراغ منه فيكون بمعنى الخلق[1] .

شرعا : فهو يطلق على القدر والتقدير كما أن القدر يطلق على القضاء أيضا[2]، وبعض العلماء فرقوا بينهما – أعني بين القضاء والقدر – فلهم في ذلك قولان :

القول الأول : أن القضاء هو العلم السابق الذي حكم الله به في الأول، وأن القدر هو خلق الأشياء على ما حكم به في الأول .

والقول الثاني : هو عكس القول الأول، وهو أن القضاء هو الخلق والقدر هو الحكم السابق، فالقدر بمنزلة الأساس والقضاء بمنزلة البناء[3] .

المطلب الثاني : أنواع التقدير .

التقدير هو ما قدره الله على عباده وكتبه عليهم بعلمه القديم الأزلي، وكتابته للتقدير متعددة في أزمنة مختلفة، فهناك خمسة تقديرات بحسب الزمن :

- في اللوح المحفوظ .
- حين أخرجهم من ظهر آدم عليه السلام .
- تقدير عمري عند تعلق النفس به .
- تقدير حولي .
- تقدير يومي .

يقول الحافظ ابن القيم رحمه الله :" الباب **الأول** : في تقدير المقادير قبل خلق السماوات والأرض ... الباب الثاني : في تقدير الرب تبارك وتعالى شقاوة العباد

---

(١) انظر لسان العرب ١٨٦/١٥، والنهاية في غريب الحديث ٧٨/٤، ومعجم مقاييس اللغة ٩٩/٥، المفردات للراغب ص ٦٧٥ .

(٢) انظر الدرر السنية في الأجوبة النجدية ٥١٣/١-٥١٤ .

(٣) انظر فتح الباري ١٥٣/١١، ٤٨٦، والنهاية لابن الأثير ٧٨/٤، والمفردات للراغب ص ٦٧٥، والقضاء والقدر للدكتور عمر سليمان الأشقر ص ٢٧-٢٩، الإيمان بالقضاء والقدر ص ٢٨-٢٩ .

وسعادتهم وأرزاقهم وآجالهم وأعمالهم قبل خلقهم، وهو **تقدير ثان** بعد التقدير الأول ... الباب الرابع : في ذكر **التقدير الثالث** والجنين في بطن أمه، وهو تقدير شقاوته وسعادته ورزقه وأجله وعمله وسائر ما يلقاه ... الباب الخامس : في ذكر **التقدير الرابع** ليلة القدر، قال تعالى: ﴿حم * والكتاب المبين * إنا أنزلناه في ليلة مباركة إنا كنا منذرين * فيها يفرق كل أمر حكيم * أمراً من عندنا إنا كنا مرسلين﴾ وهذه هي ليلة القدر قطعا، لقوله تعالى : ﴿إنا أنزلناه في ليلة القدر﴾ ... الباب السادس : في **التقدير الخامس اليومي**، قال الله تعالى: ﴿يسأله من في السماوات والأرض كل يوم هو في شأن﴾ ... وكل واحد من هذه التقادير كالتفصيل من التقدير السابق، وفي ذلك دليل على كمال علم الرب وقدرته وحكمته، وزيادة تعريف لملائكته وعباده المؤمنين بنفسه وأسمائه " [1]

التعليق :

إن الله هو مدبر أمور العباد ومصرفها، وقد علم ما الخلق عاملون بعلمه الأزلي، ثم إنه سبحانه كتب في اللوح المحفوظ كل ما هو كائن بالقلم، كما في حديث عبادة بن الصامت ﷺ سمعت النبي ﷺ يقول : « **أول ما خلق الله تعالى القلم فقال له : أكتب، قال : وما أكتب يا رب ؟، قال : أكتب القدر، فجرى في تلك الساعة بما هو كائن إلى يوم القيامة** » [2] وهذا تقدير سابق على خلق السماوات والأرض بخمسين ألف سنة، كما في حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال : « **كَتَبَ اللَّهُ مَقَادِيرَ الْخَلَائِقِ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِخَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ، قَالَ : وَعَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ** » [3] .

---

(١) شفاء العليل ص ٦-٢٤ باختصار على عناوين الأبواب فقط .

(٢) الحديث أخرجه أحمد في المسند ٣١٨/٥، وأبو داود في كتاب السنة باب في القدر ٥٢/٥/ برقم (٤٧٠٠)، والترمذي في كتاب القدر باب ما جاء في الرضا بالقضاء برقم (٢١٥٥)، وابن أبي عاصم في السنة ص ٤٨ برقم (١٠٤) واللفظ له، وصححه الشيخ الألباني في ظلال الجنة ص ٤٩ .

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه كتاب القدر ٢٠٣/١٦/برقم (٢٦٥٣) .

ثم إنه سبحانه لما خلق آدم عليه السلام أخرج منه كل نسمة هو خالقها إلى يوم القيامة، وميز بين أهل الجنة وأهل النار، وقدر أعمالهم وآجالهم وأرزاقهم [1]، فهذا أيضا تقدير سابق على خلق بني آدم لكنه بعد خلق السماوات والأرض وكثير من المخلوقات، كما في الحديث : ﴿ إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ خَلَقَ آدَمَ ثُمَّ أَخَذَ الْخَلْقَ مِنْ ظَهْرِهِ، وَقَالَ : هَؤُلاءِ فِي الْجَنَّةِ وَلا أُبَالِي، وَهَؤُلاءِ فِي النَّارِ وَلا أُبَالِي، قَالَ : فَقَالَ : قَائِلٌ يَا رَسُولَ اللَّهِ فَعَلَى مَاذَا نَعْمَلُ ؟ قَالَ : عَلَى مَوَاقِعِ الْقَدَرِ ﴾ [2] وفي الحديث أيضا : ﴿ إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ خَلَقَ خَلْقَهُ فِي ظُلْمَةٍ، فَأَلْقَى عَلَيْهِمْ مِنْ نُورِهِ، فَمَنْ أَصَابَهُ مِنْ ذَلِكَ النُّورِ اهْتَدَى، وَمَنْ أَخْطَأَهُ ضَلَّ، فَلِذَلِكَ أَقُولُ : جَفَّ الْقَلَمُ عَلَى عِلْمِ اللَّهِ﴾ [3].

وأما التقدير الثالث فهو تقدير الجنين في بطن أمه، عند ما يرسل الله تعالى إليه ملكاً ويؤمر له أن يكتب أجله ورزقه وعمله وشقي أو سعيد، كما في حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال :﴿ إِنَّ أَحَدَكُمْ يُجْمَعُ فِي بَطْنِ أُمِّهِ أَرْبَعِينَ يَوْمًا، ثُمَّ عَلَقَةً مِثْلَ ذَلِكَ، ثُمَّ يَكُونُ مُضْغَةً مِثْلَ ذَلِكَ، ثُمَّ يَبْعَثُ اللَّهُ مَلَكًا فَيُؤْمَرُ بِأَرْبَعٍ : بِرِزْقِهِ، وَأَجَلِهِ، وَشَقِيٌّ أَوْ سَعِيدٌ، فَوَاللَّهِ إِنَّ أَحَدَكُمْ أَوْ الرَّجُلَ يَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ حَتَّى مَا يَكُونُ بَيْنَهُ وَبَيْنَهَا غَيْرُ بَاعٍ أَوْ ذِرَاعٍ فَيَسْبِقُ عَلَيْهِ الْكِتَابُ فَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ فَيَدْخُلُهَا، وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ حَتَّى مَا يَكُونُ بَيْنَهُ وَبَيْنَهَا غَيْرُ ذِرَاعٍ أَوْ ذِرَاعَيْنِ فَيَسْبِقُ عَلَيْهِ الْكِتَابُ فَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ فَيَدْخُلُهَا ﴾ [4] .

---

(١) انظر شفاء العليل ص ١٢، وتفسير ابن كثير ٢٥٣/٢ .

(٢) الحديث أخرجه أحمد في المسند ١٨٦/٤ ،والحاكم في المستدرك ٣١/١، وصححه ووافقه الذهبي، وصححه الشيخ الألباني رحمه الله، انظر الصحيحة برقم ٤٨ وللحديث شواهد كثيرة ذكر بعضها الشيخ الألباني في الكتاب المذكور بأرقام (٤٦، ٤٧، ٤٩، ٥٠).

(٣) الحديث اخرجه أحمد ١٧٦/٢،١٩٧ / والترمذي كتاب الإيمان باب ٢٦/٥/ برقم (٢٦٤٢) وقال حديث حسن، وابن حبان ٣٤/١٤،٤٤، والحاكم ٣٠/١ وقال صحيح الإسناد، وصححه الشيخ الألباني، انظر ظلال الجنة ص ١٠٧ برقم (٢٤١).

(٤) الحديث متفق عليه، أخرجه البخاري في صحيحه كتاب القدر باب في القدر ٤٨٦/٧/ برقم (٦٥٩٤)، ومسلم في كتاب ١٩٠/١٦/ برقم (٢٦٤٣) .

وأما التقدير الرابع فهو تقدير حولي، وهو ما يكتبه الله تعالى في ليلة القدر[1] مما يكون في تلك السنة من موت أو حياة وغير ذلك من أمر السنة إلى السنة القابلة، يقول سبحانه: ﴿ حم * وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ * إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُّبَارَكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ * فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ ﴾[2]

يقول الإمام محمد بن جرير الطبري رحمه الله :" يقضي فيها أمر السنة كلها من معايش الناس ومصائبهم وموتهم وحياتهم إلى مثلها من السنة الأخرى "[3]

ويقول الحافظ ابن كثير رحمه الله :"في ليلة القدر يفصل من اللوح المحفوظ إلى الكتبة أمر السنة، وما يكون فيها من الآجال، والأرزاق، وما يكون فيها إلى آخرها "[4] فهذا تقدير سنوي يجري كل سنة في ليلة القدر ما يحصل في تلك السنة إلى آخرها،

وأما التقدير الخامس فهو تقدير يومي، فهو سبحانه﴿ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ ﴾[5] يغفر ذنباً، ويفرج كرباً، ويشفي مريضاً، ويعطي سائلاً، ويرفع قوماً ويضع آخرين، كما في حديث أَبِي الدَّرْدَاءِ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى :﴿ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ ﴾ قَالَ : ﴿ **مِنْ شَأْنِهِ أَنْ يَغْفِرَ ذَنْبًا وَيُفَرِّجَ كَرْبًا وَيَرْفَعَ قَوْمًا وَيَخْفِضَ آخَرِينَ** ﴾[6]، وفي الأثر عن ابن مسعود ﷺ أنه قال : ((...وأن مقدار كل يوم من أيامكم عنده ثنتي عشرة ساعة، فيعرض عليه أعمالكم، فيسبحه حملة العرش...فتلك ست ساعات، ثم يؤتى بالأرحام

---

(١) وسمي هذه الليلة بليلة القدر لكتابة التقدير السنوي فيها، لأن القدر مصدر قدر الشيء يقدره قدرا، فهي ليلة الحكم والتقدير، انظر : شفاء العليل لابن القيم ص ٢٣.

(٢) سورة الدخان الآية ٤ .

(٣) تفسير الطبري ٢/٢٣٥ .

(٤) تفسير ابن كثير ٤/١٤٠ .

(٥) سورة الرحمن الآية ٢٩ .

(٦) الحديث أخرجه ابن ماجة في المقدمة ١/٧٣/ برقم (٢٠٢)، وابن حبان في صحيحه ٢/٢٦٤، والطبراني في الأوسط ٣/٢٧٨، والبيهقي في الشعب ٢/٣٦، من حديث أبي الدرداء ﷺ، وحسنه البوصيري في المصباح ١/٢٨ .

فينظر فيها ثلاث ساعات، فذلك قوله في كتابه : ﴿ هُوَ الَّذِي يُصَوِّرُكُمْ فِي الْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَاءُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ (1) وقوله : ﴿ يَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ إِنَاثًا وَيَهَبُ لِمَن يَشَاءُ الذُّكُورَ ... الآية ﴾ (2) فتلك تسع ساعات، ثم يؤتى بالأرزاق فينظر فيها ثلاث ساعات، فذلك قوله في كتابه : ﴿يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر﴾ (3) ﴿ كل يوم هو في شأن ﴾قال : هذا شأنكم وشأن ربكم تبارك وتعالى)) (4)، وعن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال : ((أن مما خلق الله لوحًا محفوظاً من درّة بيضاء، دفتاه من ياقوتة حمراء، قلمه نور وكتابه نور، ينظر فيه كل يوم ثلاثمائة وستين نظرة أو مرة، ففي كل نظرة منها يخلق ويرزق ويحيي ويميت ويعز ويذل ويفعل ما يشاء، فذلك قوله: ﴿كل يوم هو في شأن ﴾)) (5)

فهذا التقسيم للتقدير هو من حيث تعدد الكتابة في مختلف الأزمان، ومن حيث شموله لجميع المخلوقات أو اختصاصه ببعض أفرادهم أو بأوقات محدّدة، فالتقدير الأول هو سابق على خلق السماوات والأرض بخمسين ألف سنة كما في الحديث السابق، ثم هو شامل لجميع المخلوقات من بني آدم وغيرهم، وما هو كائن في هذا الكون من موت وحياة، وحركة وسكون، حتى العجز والكيس من بني آدم، وأما التقدير الثاني فهو خاص ببني آدم دون غيرهم من المخلوقات وببعض الأمور دون غيرها، وهو بعد خلق السماوات والأرض وخلق كثير من المخلوقات، وأما التقدير الثالث العمري فهو أيضا خاص ببني آدم وأيضا ببعض الأمور فقط، وأما التقدير الرابع الحولي فهو يتكرر في كل سنة يختص بتلك السنة

---

(1) سورة آل عمران الآية ٦ .

(2) سورة شورى الآيتان ٤٩، ٥٠ .

(3) سورة الرعد الآية ٢٦ .

(4) الأثر أخرجه الطبراني في الكبير ١٧٩/٩، وأبو الشيخ في العظمة ٤٧٧/٢،

(5) الأثر أخرجه الحاكم في المستدرك ٥١٦/٢ وقال : صحيح الإسناد ولم يخرجاه، والطبراني في الكبير ٢٦٠/١٠، وأبو نعيم في الحلية ٣٢٥/١، وقال الهيثمي : رواه الطبراني من طريقين ورجال أحدهما ثقات، مجمع الزوائد ١٩١/٧، .

إلى قابلها ويكون شاملا لكل الأمور، كما قال سبحانه: ﴿ فيها يفرق كل أمر حكيم ﴾، وأما التقدير الخامس اليومي فهذا أيضا خاص بذلك اليوم دون غيره، فيقدّر كل يوم ما يحصل فيه، ومن المعلوم أن هذه التقادير المتأخرة كلها كالتفصيل والتصنيف للتقدير السابق الشامل لجميع الأمور،إذ إنه لم يترك شيئا مما يكون، فالتقادير التي بعدها هي تقادير يبديها لبعض الملائكة أو لبعض مخلوقاته لا يبتديها من غير تقدير سابق [1]، ولا شك أن في ذلك كله كمال قدرة الرب وحكمته، وزيادة تعريفه للملائكة وعباده المؤمنين بنفسه وأسمائه وصفاته وأفعاله مما يزداد للعبد الإيمان والتوكل عليه واللجوء إليه، يقول ابن كثير رحمه الله في تفسير قوله تعالى :﴿ كل يوم هو في شأن ﴾ : "وهذا إخبار عن غناه عما سواه وافتقار الخلائق إليه في جميع الآنات، وأنهم يسألونه بلسان حالهم وقالهم، وأنه كل يوم هو في شأن " [2] فكل نوع من التقدير له أثره الخاص في زيادة الإيمان والتوكل والرجاء والخوف من الله سبحانه، وبالله التوفيق .

الفرع الثالث : مراتب القضاء والقدر :

للقضاء والقدر أربع مراتب :

- العلم .
- الكتابة .
- المشيئة .
- الخلق .

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية : " الإيمان بالقدر على درجتين كل درجة تتضمن شيئين :

(١) انظر تلخيص الاستغاثة لشيخ الإسلام ٦٧/١ وانظر تفسير القرطبي ١٠٩/١٧ .

(٢) تفسير ابن كثير ٢٧٥/٤ .

فالدرجة الأولى : الإيمان بأن الله علم ما الخلق عاملون بعلمه القديم الذي هو موصوف به أزلا، ثم كتب الله في اللوح المحفوظ مقادير الخلق **﴿ فأول ما خلق الله القلم قال له : أكتب، قال ما أكتب ؟ قال : أكتب ما هو كائن إلى يوم القيامة﴾** (1) فما أصاب الإنسان لم يكن ليخطئه وما أخطأه لم يكن ليصيبه، جفت الأقلام، وطويت الصحف، كما قال سبحانه : ﴿ ألم تعلم أن الله يعلم ما في السماء والأرض إن ذلك في كتاب إن ذلك على الله يسير﴾ (2) وقال : ﴿ ما أصاب من مصيبة في الأرض ولا في أنفسكم إلا في كتاب من قبل أن نبرأها إن ذلك على الله يسير﴾ (3) **وأما الدرجة الثانية** : فهو مشيئة الله النافذة وقدرته الشاملة، وهو الإيمان بأن ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن، وأنه ما في السماوات ولا في الأرض من حركة ولا سكون إلا بمشيئة الله سبحانه، لا يكون في ملكه إلا ما يريد، وأنه سبحانه وتعالى على كل شئ قدير من الموجودات والمعدومات"(4) ،

يقول العلامة ابن القيم رحمه الله : " الباب العاشر : في مراتب القضاء والقدر التي من لم يؤمن بها لم يؤمن بالقضاء والقدر، وهي أربع : **المرتبة الأولى** : علم الرب سبحانه بالأشياء قبل كونها، **المرتبة الثانية** : كتابته لها قبل كونها، **المرتبة الثالثة** : مشيئته لها، **المرتبة الرابعة** : خلقه لها " (5) .

التعليق :

التقدير هو ما قدره الله تعالى على العبد ما هو فاعل أو كائن له، فيدخل فيه علم الله سبحانه وتعالى الأزلي بما قدره على عباده وبما هو كائن في هذا الكون وما كتبه في اللوح المحفوظ إلى أن يخلقه ويوجده إذا شاء وأراد، والإيمان بالتقدير يشمل الإيمان بهذه الأشياء كلها، فلا يستكمل الإيمان ولا يصح حتى يؤمن بهذه الأمور الأربعة :

---

(1) الحديث سبق تخريجه .

(2) سورة الحج الآية ٧٠ .

(3) سورة الحديد الآية ٢٢ .

(4) مجموع الفتاوى ١٤٨/٣ وانظر جامع العلوم والحكم لابن رجب ١٠٣/١ .

(5) شفاء العليل ص ٢٩ .

الأول : علمه سبحانه المحيط بكل شيء والذي وسع كل الموجودات، فهو يعلم ما كان وما يكون وما لم يكن لو كان كيف كان يكون، قال تعالى: ﴿ وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ ۚ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۚ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا ﴾ [1]، وفي الحديث أنه ﷺ لما سئل عن أطفال المشركين، قال : **﴿ الله أعلم بما كانوا عاملين ﴾** [2] والأدلة على علمه الواسع سبحانه كثيرة يصعب حصرها، والإيمان بالعلم هو أساس الإيمان بالتقدير بجميع مراتبه، والإيمان به وحده يستلزم الإيمان بالتقدير لأنه يقتضي أن كل ما يحصل للعباد وما هم عاملين به قد علمه سبحانه بعلمه الأزلي، وأنه ما يكون شيء إلا ما هو معلوم عنده بعلمه القديم ولو كان يحصل شيء من غير علمه للزم النقص في علمه وإضافة الجهل إليه وهذا كفر، ولذا قال بعض السلف :((ناظروا القدرية بالعلم، فإن أقروه خصموا وإن أنكروه كفروا)) [3] .

والثاني : كتابته للمقادير، فهو سبحانه كتب مقادير الخلق في اللوح المحفوظ قبل أن يخلق الخلق بخمسين ألف سنة، وكتب ما هو كائن إلى يوم القيامة، كما في حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما[4] فلا يصيب أحد شيئا من النفع والضر إلا ما كتب له، قال تعالى :﴿ قُل لَّن يُصِيبَنَآ إِلَّا مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَنَا ﴾ [5] وقال ﷺ :**﴿ ولو اجتمعت الأمة على أن**

---

(١) سورة الأنعام الآية ٥٩ .

(٢) الحديث متفق عليه من حديث أبي هريرة ﷺ ومن حديث ابن عباس رضي الله عنهما، أخرجه البخاري في كتاب القدر باب الله أعلم بما كانوا عاملين ١١/٥٠٢/برقم (٦٥٩٧، ٦٥٩٨، ٦٦٠٠) ومسلم كتاب القدر ١٦/٢١١/ برقم (٢٦٥٩، ٢٦٦٠) .

(٣) انظر مجموع الفتاوى ٢٣/٣٤٩، وشرح العقيدة الطحاوية ص ٣٠٢، وجامع العلوم والحكم ١/١٠٣ .

(٤) انظر الصفحة (١٤٧) .

(٥) سورة التوبة الآية ٥١ .

ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك، ولو اجتمعوا على أن يضروك بشيء لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك، رفعت الأقلام وجفت الصحف ﴾ [1] .

والثالث : مشيئته سبحانه، وأنه ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن وكل شيء بمشيئته، قال سبحانه : ﴿ وَلَا تَقُولَنَّ لِشَيْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَٰلِكَ غَدًا * إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ وَاذْكُر رَّبَّكَ إِذَا نَسِيتَ ﴾ [2] وقال سبحانه : ﴿ لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ يَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ إِنَاثًا وَيَهَبُ لِمَن يَشَاءُ الذُّكُورَ * أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنَاثًا وَيَجْعَلُ مَن يَشَاءُ عَقِيمًا إِنَّهُ عَلِيمٌ قَدِيرٌ ﴾ [3] فكل شيء بمشيئته سبحانه حتى العباد وإن كان لهم مشيئة وقدرة واختيار إلا أن هذه كلها تابعة لمشيئة الله، سبحانه : ﴿ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَالَمِينَ * لِمَن شَاءَ مِنكُمْ أَن يَسْتَقِيمَ * وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴾ [4] فلا يكون في ملكه إلا ما يشاء ويريد .

الرابع : خلقه سبحانه للأشياء، فهو سبحانه يخلق الأشياء ويوجدها حسب الكتابة السابقة، فهو الخالق لجميع الأشياء لا خالق لها غيره فما دونه كله مخلوق له، فهو خالق الإنس والجن وخالق أفعالهم وإرادتهم ونياتهم ومشيئتهم وحركاتهم وسكناتهم، يقول سبحانه : ﴿ وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴾[5] فهو ﴿ خالق كل شيء ﴾ [6] ﴿ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ ﴾[7] ﴿ له الخلق والأمر ﴾[8] ﴿ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ ﴾ [1] .

---

(١) الحديث أخرجه أحمد ٢٩٣/١، ٣٠٧، والترمذي في صفة القيامة والرقائق ٦٦٧/٤/(٢٥١٦) وقال حديث حسن صحيح، وأبو يعلى في المسند ٤٣٠/٤، وابن أبي عاصم في السنة ص ١٤٠، والحديث صححه العلامة الألباني، انظر ظلال الجنة ص ١٤٠، والمشكاة ١٤٥٩/٣ .

(٢) سورة الكهف الآية ٢٣، ٢٤ .

(٣) سورة شورى الآيتان ٤٩، ٥٠ .

(٤) سورة التكوير الآيات ٢٧، ٢٨، ٢٩ .

(٥) سورة الصافات الآية ٩٦ .

(٦) سورة الأنعام الآية ١٠٢، والرعد الآية ١٦، والزمر الآية ٦٢، وغافر الآية ٦٢ .

(٧) سورة القصص الآية ٦٨ .

(٨) سورة الأعراف الآية ٥٤.

يقول العلامة ابن القيم :" قال تعالى : ﴿اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ﴾وهذا عام محفوظ لا يخرج عنه شيء من العالم أعيانه وأفعاله وحركاته وسكناته، وليس مخصوصا بذاته وصفاته، فإنه الخالق بذاته وصفاته وما سواه مخلوق له ،واللفظ قد فرق بين الخالق والمخلوق، وصفاته سبحانه داخلة في مسمى اسمه، فإن الله سبحانه اسم للإله الموصوف بكل صفة كمال المنزه عن كل صفة نقص ومثال، والعالم قسمان : أعيان، وأفعال، وهو الخالق لأعيانه وما يصدر عنها من الأفعال ا.هـ" [٢]

الفرع الرابع : مراتب الكتابة .

أن الله كتب في اللوح المحفوظ كل شيء فكتب أعمال الخلق كلهم، ثم إنه سبحانه وكّل بكلّ عبدٍ ملكان يكتبان كل ما يعمل العبد ويتلفّظ به وعلى هذا فهو كتابان اثنان :

- السابق للأعمال .
- المقارن للأعمال .

يقول العلامة ابن القيم رحمه الله : " قال تعالى :﴿ إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي الْمَوْتَى وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَآثَارَهُمْ وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُبِينٍ﴾ [٣] فجمع بين الكتابين : الكتاب السابق لأعمالهم قبل وجودهم، والكتاب المقارن لأعمالهم، فأخبر أنه يحييهم بعد موتهم للبعث ويجازيهم بأعمالهم ونبه بكتابته لها على ذلك، قال : نكتب ما قدموا من خير أو شر فعلوه في حياتهم ... والمقصود أن قوله : ﴿ وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُبِينٍ﴾ يتضمن كتابة أعمال العباد قبل أن يعملوها " [٤]

---

(١) سورة المؤمنون الآية ١٤.

(٢) شفاء العليل ص ٥٣ وانظر شرح العقيدة الطحاوية ص ٤٩٦ .

(٣) سورة يس الآية ١٢ .

(٤) شفاء العليل ص ٤٠ باختصار .

التعليق :

كما سبق أن من مراتب القضاء والقدر : الكتابة التي كتبها الله تعالى في اللوح المحفوظ، وهذه كتابة شاملة لكل ما هو كائن إلى أن تقوم الساعة، ومنه كتابة أعمال العباد وما يحصل لهم ويصيبهم في هذه الدنيا،كما قال سبحانه: ﴿ مَا أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَا ﴾ (1) وكما في حديث ابن عباس السابق، فهذه الكتابة هي قبل أن يخلق الخلق ويجري الأشياء المقدرة عليهم .

ثم إنه ما يلفظ من قول ولا يتكلم بكلمة أو يعمل بعمل إلا لديه رقيب عتيد يكتب أعماله وأقواله، لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا يحصيها حتى من هم بحسنة يكتبها له وإن لم يعملها،وأما من هم بسيئة و لم يعملها لم يكتبها عليه، قال سبحانه :﴿ مَا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴾ (2) وقال سبحانه :﴿ وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ * كِرَامًا كَاتِبِينَ * يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ﴾ (3) فهذه الكتابة فهي بعد وجود الأعمال وصدورها من العبد،وهي التي تؤتى بها يوم القيامة ويقال لصاحبها: ﴿ اقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا ﴾ (4) وهي التي تعطى لصاحبها إما بيمينه أو وراء ظهره ،﴿ فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ * فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا * وَيَنقَلِبُ إِلَىٰ أَهْلِهِ مَسْرُورًا * وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ وَرَاءَ ظَهْرِهِ * فَسَوْفَ يَدْعُو ثُبُورًا * وَيَصْلَىٰ سَعِيرًا﴾ (5) فالأولى هي مرتبة الكتابة قبل وجود الأعمال والثانية هي الكتابة بعد وجود الأعمال من العبد، قال ابن عباس رضي الله عنهما وغيره في تفسير قولة تعالى :﴿ هَٰذَا كِتَابُنَا يَنطِقُ عَلَيْكُم بِالْحَقِّ إِنَّا كُنَّا نَسْتَنسِخُ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ (6) قالوا : ((تكتب

---

(1) سورة الحديد الآية ٢٢ .

(2) سورة ق الآية ١٨ .

(3) سورة الإنفطار الآية ١٠-١٢ .

(4) سورة الإسراء الآية ١٤ .

(5) سورة الإنشقاق الآية ٧-١٢ .

(6) سورة الجاثية الآية ٢٩.

الملائكة أعمال العباد ثم تصعد بها إلى السماء فيقابلون الملائكة الذين في ديوان الأعمال على ما بأيدي الكتبة مما قد أبرز لهم من اللوح المحفوظ في كل ليلة قدر مما كتبه الله في القدم على العباد قبل أن يخلقهم فلا يزيد حرفا ولا ينقص حرفا)) [1] . والله أعلم .

الفرع الخامس : أنواع دفع القدر بالقدر .

دفع القدر بالقدر على نوعين :

- قبل وقوعه .
- بعد وقوعه .

يقول العلامة ابن القيم رحمه الله : " دفع القدر بالقدر نوعان : **دفع القدر** الذي قد انعقدت أسبابه – ولما يقع – بأسباب أخرى من القدر تقابله فيمتنع وقوعه، كدفع العدوان بقتاله، ودفع الحر والبرد ونحوه، **دفع القدر** الذي قد وقع واستقر بقدر آخر يرفعه ويزيله، كدفع قدر المرض بقدر التداوي، ودفع قدر الذنب بقدر التوبة، ودفع قدر الإساءة بقدر الإحسان " [2]

التعليق :

كما سبق أن الله عز وجل كتب كل ما هو كائن إلى يوم القيامة، فهو يقع حسب ما كتبه الله في اللوح المحفوظ، إلا أنه قد جعل الله سبحانه لكل شيء سبباً، فإذا وجدت الأسباب وانتفت الموانع فحينئذ يقع المقدور، وهذه الأسباب والموانع أيضا مما قدرها الله لوجود شيء أو فقدانه، وهذا هو معنى قول عمر ﷺ : ((نفر من قدر الله إلى قدر الله)) [3] فهذا هو دفع القدر بالقدر، وهو نوعان :

---

(١) انظر تفسير ابن كثير ٤/١٥٤، ١٥٥ .

(٢) مدارج السالكين /٢٠٠ .

(٣) الأثر أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب الطب باب ما يذكر في الطاعون ١٠/١٨٩/برقم (٥٧٢٩) ومسلم في كتاب السلام ١٤/٢٠٨/برقم (٢٢١٩) .

أن يكون الشي أسبابه قد وجدت ولم يبق إلا وقوع المسبب فحينئذ يدفع هذا الأمر بأسباب أخرى تقاوم تلك الأسباب وتدفعها فيمتنع وقوعه، وأما إن كان قد وقع القدر واستقر فهذا إنما يدفعه بما يزيله ويرفعه من الأمور المقدرة، كدفع المرض الذي وقع بقدر التداوي ودفع الجوع والعطش بالأكل والشرب، فكما أن الأول من القدر فالثاني أيضا من القدر، كما في الحديث :**﴿ قالوا : يا رسول الله أرأيت أدوية نتداوى بها، ورقى نسترقي بها، وتقى نتقى بها، هل ترد من قدر الله شيئا ؟ قال : هي من قدر الله ﴾** [1]، فالقدر الذي انعقدت أسبابه ولم يقع أو قد وقع واستقر فدفعه أيضا من القدر، وليس هذا مما ينافي التسليم والإيمان بالقدر ولا فيه منازعة للقدر، بل عدم دفع القدر الذي يضره في المعاش أو في المعاد يكون من العجز وقد يعاقب على ذلك، نحو قدر الذنب وكذا قدر الجوع والعطش ونحو ذلك إن لم يدفعه بما يضاده ويزيله ومات على هذا أو بهذا فهو آثم ويعاقب على ذلك .

وهذا التقسيم لدفع القدر هو من حيث دفعه بعد وقوعه أو قبل وقوعه بعد ما وجدت الأسباب له، والله أعلم .

المطلب الثامن : أنواع الخلق منه سبحانه .

الخلق منه سبحانه على ضربين :

- ما خلق بيده .
- ما خلق بكلامه .

يقول الإمام أبو القاسم الأصبهاني رحمه الله : " ومن أسمائه تعالى الخالق البارئ المصور ... والخلق منه على ضروب : منها ما خلق بيديه فقال :**﴿ لما خلقت بيدي ﴾**، ومنها ما خلق **بمشيئته وكلامه** " [2] .

---

(١) أخرجه الترمذي في كتاب القدر باب لا ترد الرقى ولا الدواء من قدر الله شيئا ٤/٤٥٣(٢١٤٨) والحاكم في المستدرك ٣٢/١، وقال صحيح على شرط الشيخين ووافقه الذهبي، والبيهقي في السنن ٣٤٩/٩، والطبراني في الكبير ١٩٢/٣، ٤٧/٦ .

(٢) الحجة في بيان المحجة ١١٥/١ .

التعليق :

إن الله تعالى يخلق ما يشاء ويختار من خلقه ما يشاء ويشرفه على غيره من المخلوقات ببعض أنواع التشريف، إما بالإضافة إليه نحو : ناقة الله وبيت الله ونحو ذلك، أو يشرفه على غيره بخلقه بيده سبحانه كما كتب الله التوراة بيده وخلق آدم بيده، قال سبحانه :﴿ قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ ﴾ [1] وفي حديث احتجاج آدم عليه السلام وموسى عليه السلام قال موسى عليه السلام : ﴿ أَنْتَ آدَمُ الَّذِي خَلَقَكَ اللَّهُ بِيَدِهِ وَنَفَخَ فِيكَ مِنْ رُوحِهِ وَأَسْجَدَ لَكَ مَلائِكَتَهُ وَأَسْكَنَكَ فِي جَنَّتِهِ ﴾ فقال آدم عليه السلام : ﴿ أنت موسى الذي اصطفاك الله بكلامه وخط لك التوراة بيده ﴾ [2] فالخلق بيده سبحانه هو نوع تشريف وتخصيص لهذا المخلوق، ولذا أهل الموقف لما يأتون إلى آدم يذكرون ما خصه الله به من بين سائر الأنبياء من الخصائص فيقولون كما في الحديث :﴿ يَا آدَمُ أَنْتَ أَبُو الْبَشَرِ خَلَقَكَ اللَّهُ بِيَدِهِ وَنَفَخَ فِيكَ مِنْ رُوحِهِ وَأَمَرَ الْمَلائِكَةَ فَسَجَدُوا لَكَ ﴾ [3] وأما سائر المخلوقات فقد خلقها الله سبحانه وتعالى بمشيئته وكلامه وقوله ''كن'' فيكون كما قال سبحانه: ﴿ إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَنْ نَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴾ [4] فالخلق منه على هذين النوعين : بيده جل وعلا، وبكلامه سبحانه، وهو على كل شيء قدير، والله أعلم .

المطلب التاسع: أنواع ما يقسم به الرب عز وجل.

إن الله يقسم في كتابه بشيئين اثنين :

- بصفاته .
- بآياته .

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: ''وهو سبحانه يقسم بأمور على أمور، يقسم:

---

(١) سورة ص الآية ٧٥ .

(٢) الحديث أخرجه مسلم في صحيحه كتاب القدر١٦/٢٠٠/ برقم (٢٦٥٢) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه .

(٣) الحديث متفق عليه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، أخرجه البخاري في كتاب أحاديث الأنبياء باب قوله عز وجل ﴿ ولقد أرسلنا نوحا إلى قومه ﴾ ٦/٤٢٨/ (٣٣٤٠)، ومسلم في كتاب الإيمان ٣/٦٥/ (٣٢٧) .

(٤) سورة النحل الآية ٤٠ .

بنفسه المقدسة الموصوفة بصفاته، أو بآياته المستلزمة لذاته وصفاته، وأقسامه ببعض المخلوقات دليل على أنه من عظيم آياته، والقسم إما : على جملة خبرية وهو الغالب، كقوله تعالى : ﴿فورب السماء والأرض إنه لحق﴾ وإما على جملة طلبية، كقوله تعالى : ﴿فوربك لنسألنهم أجمعين عما كانوا يعملون﴾ أما الأمور المشهودة الظاهرة كالشمس والقمر والليل والنهار والسماء والأرض فهذه يقسم بها ولا يقسم عليها، وما أقسم عليه الرب عز وجل فهو من آياته "[1] .

التعليق :

القسم بالشيء يدل على عظمة هذا المقسم به وقدره عند المقسم، ولذا حرم الشارع على العباد القسم بغير الله ،بل جعله من الشرك معه سبحانه، فقالﷺ :﴿ **مَنْ حَلَفَ بِغَيْرِ اللَّهِ فَقَدْ أَشْرَكَ**﴾ [2] لأن القسم فيه تعظيم للمقسم به، والتعظيم من العباد لا ينبغي أن يكون لأحد إلا لله سبحانه، فهو المستحق للتعظيم المطلق، ومن هذا المنطلق يأتي قسمه سبحانه في كتابه بنفسه المقدسة الموصوفة بصفات الكمال المطلق التي لا نقص فيها بوجه من الوجوه تعظيما لنفسه ﷻ، فالعظمة إزاره والكبرياء رداؤه [3] وهو سبحانه يحب أن يُمدح ويُعظَّم ولذا مدح نفسه [4] وعظَّم شأنه، فله الحمد والعظمة والكبرياء سبحانه،

ويقسم أيضا في كتابه ببعض مخلوقاته الدّالة على كمال قدرته وحكمته تأكيدا وتحقيقا للمقسم عليه، والقسم بها يدل على أنّها من عظيم آياته وأيضا هي من الأمور المعظّمة عند المقسم لهم، ولذا لا يقسم إلا بما هو معلوم ومعروف عند المقسم لهم، فقد أقسم الله في

---

(١) مجموع الفتاوى ٣١٤/١٣، وانظر التبيان في أقسام القرآن لابن القيم ص ٣ .

(٢) الحديث أخرجه .

(٣) كما في الحديث:﴿ **الْعِزُّ إِزَارُهُ وَالْكِبْرِيَاءُ رِدَاؤُهُ فَمَنْ يُنَازِعُنِي عَذَّبْتُهُ**﴾ أخرجه مسلم في كتاب البر والصلة والآداب ١٧٣/١٦/(٢٦٢٠) من حديث أبي سعيد الخدري وأبي هريرة رضي الله عنهما . .

(٤) كما في الحديث ﴿**لا شَيْءَ أَحَبُّ إِلَيْهِ الْمَدْحُ مِنْ اللَّهِ وَلِذَلِكَ مَدَحَ نَفْسَهُ**﴾ أخرجه البخاري في كتاب تفسير القرآن باب ﴿**ولا تقربوا الفواحش ما ظهر منها وما بطن**﴾ ١٤٦/٨/(٤٦٣٤)، ومسلم في كتاب التوبة ٧٧/١٧/(٢٧٦٠) من حديث ابن مسعود ﷺ .

القرآن الكريم بمخلوقات عديدة، نحو قوله تعالى: ﴿ وَالذَّارِيَاتِ ذَرْوًا * فَالْحَامِلَاتِ وِقْرًا * فَالْجَارِيَاتِ يُسْرًا * فَالْمُقَسِّمَاتِ أَمْرًا ﴾ [1] قوله: ﴿ وَالنَّازِعَاتِ غَرْقًا * وَالنَّاشِطَاتِ نَشْطًا * وَالسَّابِحَاتِ سَبْحًا ﴾ [2] قوله تعالى: ﴿ وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا * وَالْقَمَرِ إِذَا تَلَاهَا * وَالنَّهَارِ إِذَا جَلَّاهَا * وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَاهَا * وَالسَّمَاءِ وَمَا بَنَاهَا * وَالْأَرْضِ وَمَا طَحَاهَا * وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا ﴾ [3] ونحو ذلك مما أقسم بها الله من مخلوقاته [4] فهذا هو ما ورد من أنواع القسم في كتاب الله المجيد من كلامه سبحانه، والله أعلم .

المطلب العاشر : أنواع المعجزات .

معجزات الأنبياء وما حصلت على أيديهم من الآيات لتأييدهم وتصديق دعوتهم على نوعين :

- كبيرة .
- صغيرة .

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله : " بل آيات الأنبياء مختصة بهم، وأما كرامات الأولياء فهي أيضا من آيات الأنبياء، فإنها إنما تكون لمن تشهد لهم بالرسالة فهي دليل على صدق الشاهد لهم بالنبوة، ومعجزة الأنبياء فوق ذلك، ولكن آياتهم : صغار وكبار، كما قال تعالى : ﴿ فَأَرَاهُ الْآيَةَ الْكُبْرَىٰ ﴾ [5] فلله تعالى آية كبيرة وصغيرة، وقال عن نبيه محمد ﷺ : ﴿ لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَىٰ ﴾ [6] " [7].

---

(١) سورة الذاريات الآيات ١-٤ .

(٢) سورة النازعات الآيات ١-٣ .

(٣) سورة الشمس الآيات ١-٧ .

(٤) انظر التبيان في أقسام القرآن لابن القيم، فقد ذكر الآيات التي فيها القسم بمخلوقاته وفصل الكلام فيها .

(٥) سورة النازعات الآية ٢٠ .

(٦) سورة النجم الآية ١٨ .

(٧) النبوات ص ٢١١ .

التعليق :

وهذا التقسيم للآيات والمعجزات فهو من حيث ما هي مختصة بالأنبياء عليهم السلام من الآيات الكبار وما يشاركهم فيها غيرهم من أولياء الله من أتباعهم وصالحي أممهم، فهي بهذا الاعتبار تنقسم إلى قسمين: آيات كبار وآيات صغار.

أما الآيات الكبرى فهي تختص بهم دون غيرهم من الأولياء والصالحين مثل القرآن، وقلب العصا حية تسعى، وإحياء الموتى ونحو ذلك[1]، وكان لكل رسول آيات ومعجزات تناسب عصره وتستدعي وقته، فعصر موسى عليه السلام لما كان اشتهر بالسحر وبلغ غايته أعطاه الله سبحانه بمثل جنس السحر ما أعجز السحرة أن يأتوا مثله وأن يقاوموه، وكذا عيسى عليه السلام وكان اشتهر في عصره الطب فكان معجزته من خنس الطب ما أعجز الأطباء، وكذا أكبر معجزة للنبي ﷺ هي القرآن في الفصاحة والبلاغة والتشابه والإحكام وما إلى ذلك، مع كون العرب حين ذاك معروف ومشتهر ومتنافس في فصاحة الكلام وبلاغة البيان لكنهم لم يستطيعوا أن يأتوا سورة من مثله، وأما بعض الآيات الصغرى فهي تجري على أيدي بعض الصالحين أيضا .

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية : " فالآيات الكبرى مختصة بهم وأما الآيات الصغرى فقد تكون للصالحين[2] مثل تكثير الطعام فهذا قد وجد لغير واحد من الصالحين لكن لم يوجد كما وجد للنبي ﷺ أنه أطعم الجيش من شيء يسير فقد يوجد لغيرهم من جنس ما وجد لهم لكن لا يماثلون في قدره فهم مختصون إما بجنس الآيات فلا يكون لمثلهم كالإتيان بالقرآن...وإما بقدرها وكيفيتها كنار الخليل، فإن أبا مسلم الخولاني[3] وغيره

---

(١) انظر تفسير القرطبي ٥٦/١ .

(٢) انظر كتاب كرامات أولياء الله ﷻ لأبي القاسم اللالكائي فقد ذكر كثيرا من كرامات الأولياء .

(٣) هو سيد التابعين وزاهد العصر عبد الله بن ثوب أبو مسلم الخولاني، مختلف في اسمه واسم أبيه، أسلم في أيام النبي صلى الله عليه وسلم ودخل المدينة في خلافة الصديق، توفي رحمه الله سنة ٦٢هـ وقيل قبل هذا .
انظر السير للذهبي ٧/٤-١٤، وشذرات الذهب ٧٠/١ .

صارت النار عليهم بردا وسلاما[1] لكن لم تكن مثل نار إبراهيم عليه السلام في عظمتها كما وصفوها فهو مشارك للخليل في جنس الآية كما هو مشارك في جنس الإيمان محبة الله وتوحيده، ومعلوم أن الذي امتاز به الخليل من هذا لا يماثله فيه أبو مسلم وأمثاله"[2] فالآيات الكبار فهي مختصة بالأنبياء عليهم السلام وأما ما يحصل للصالحين فهي أيضا من آيات الأنبياء إلا أنها دون معجزاتهم إما جنسا أو كمًّا وكيفاً، والله أعلم .

المطلب الحادي عشر: أنواع الشرع في هذه الأزمنة.

لفظ الشرع في الأزمنة الأخيرة بدأ يراد به أنواعا من الشرع :

- الشرع المنزل .
- الشرع المؤول .
- الشرع المبدل .

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية : " لفظ الشرع في هذه الأزمنة ثلاثة أقسام : **أحدها** : الشرع المنزل، وهو الكتاب والسنة، واتباعه واجب من خرج عنه وجب قتله، ويدخل فيه أصول الدين وفروعه، **الثاني** : الشرع المؤول، وهو موارد النزاع والاجتهاد بين الأمة، **الثالث** : الشرع المبدل، مثل ما يثبت من شهادات الزور أو يحكم فيه بالجهل والظلم بغير العدل والحق حكما بغير ما انزل الله " [3]

(١) أخرج القصة أبو نعيم في الحلية ٢/١٢٨-١٢٩، وابن عبد البر في الاستيعاب ٤/١٧٥٨، وانظر سير أعلام النبلاء ٤/٨ .

(٢) النبوات ص ٢١١ .

(٣) مجموع الفتاوى ٣٥/٣٩٥، وانظر الروح لا بن القيم ١/٢٦٦ .

التعليق :

الشرع هو ما أنزل الله تعالى على رسوله من الوحي الجلي والخفي الذي هو الكتاب والسنة، فقال تعالى : ﴿ وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ [١] هذا هو الشرع الذي يجب اتباعه ولا يسع لأحد الخروج عنه بحال من الأحوال، قال تعالى ﴿ قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ ﴾ [٢] فجعل التولي عن طاعة الله وطاعة رسوله كفر، إلا أنه مع مرور الأيام وانقطاع الوحي ودخول الناس في دين الله أفواجا، وكثرة المعاملات احتاج العلماء إلى الاجتهاد في الأحكام الشرعية، واستنباط الأحكام من نصوص الكتاب والسنة الثابتة، انطلاقا من قول المصطفى ﷺ : ﴿ **إِذَا حَكَمَ الْحَاكِمُ فَاجْتَهَدَ ثُمَّ أَصَابَ فَلَهُ أَجْرَانِ، وَإِذَا حَكَمَ فَاجْتَهَدَ ثُمَّ أَخْطَأَ فَلَهُ أَجْرٌ** ﴾[٣] فهذا أيضا داخل في طاعة الله وطاعة رسوله إذا كان مستنده الكتاب والسنة، قال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنكُمْ ﴾ [٤] وأولو الأمر هم الأمراء والعلماء، فطاعتهم أمر مطلوب ما أمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر، إلا أنه لا يجب على أحد اتباع إمام معين من بين الأئمة إذا اختلفوا في مسألة، وهذا هو الشرع المؤول .

يقول العلامة ابن القيم :" الحكم المؤول الذي غايته أن يكون جائز الاتباع فهو : أقوال المجتهدين المختلفة التي لا يجب اتباعها، ولا يكفر ولا يفسق من خالفها"[٥] وهذا القسم يشمل أقضية القضاة أيضا إلا إذا كانت خلافا للحق إما بشهادة الزور أو لكون أحد الخصمين ألحن بالحجة، كما في حديث **أُمِّ سَلَمَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ** : ﴿ **إِنَّكُمْ تَخْتَصِمُونَ إِلَيَّ وَلَعَلَّ بَعْضَكُمْ أَلْحَنُ بِحُجَّتِهِ مِنْ بَعْضٍ فَمَنْ قَضَيْتُ لَهُ بِحَقِّ أَخِيهِ**

---

(١) سورة النحل الآية ٤٤ .

(٢) سورة آل عمران الآية ٣٢.

(٣) الحديث متفق عليه من حديث عمرو بن العاص ﷺ أخرجه البخاري في كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة باب أجر الحاكم إذا اجتهد ١٣/٣٣٠/برقم (٧٣٥٢) ومسلم كتاب الأقضية برقم ١٢/١٣/(١٧١٦) .

(٤) سورة النساء الآية ٥٩.

(٥) الروح ص ٦٦ .

شيئًا بِقَوْلِهِ فَإِنَّمَا أَقْطَعُ لَهُ قِطْعَةً مِنَ النَّارِ فَلا يَأْخُذْهَا ﴾[1]، فهو من الشرع المبدل الذي هو تبديل دين الله واعتقاد ما يخالفه، وكذا كل القوانين الوضعية المخالفة للكتاب والسنة فهو من الشرع المبدل لشرع الله لا يجوز اتباعها، بل يجب الحذر والتحذير عنها [2]، فهذا التقسيم هو باعتبار إطلاق لفظ الشرع في عرف الناس في هذه الأزمنة، والله أعلم .

---

(١) الحديث متفق عليه، أخرجه البخاري في كتاب الشهادات باب من أقام البينة بعد اليمين ٥/ ٣٤٠/ برقم (٢٦٨٠) ومسلم في كتاب الأقضية ١٢/٤/ برقم (١٧١٣) .

(٢) انظر مجموع الفتاوى ٢٢٨/٣ , ٣٦٨ ١١/٥٠٦.

المبحث الثاني :

التقسيمات المتعلقة بما يضاد توحيد الربوبية

وفيه خمسة مطالب.

المطلب الأول : أقسام القدرية .

المطلب الثاني : أنواع الدهرية .

المطلب الثالث : أقسام سب الدهر .

المطلب الرابع : أقسام الفناء .

المطلب الخامس : أوجه إضافة الشر إلى الله عز وجل .

المطلب الأول : أقسام القدرية .

تنقسم القدرية إلى ثلاثة أقسام :

- قدرية مشركية .
- قدرية مجوسية .
- قدرية إبليسية .

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية : "أن القدرية ثلاثة أصناف: قدرية مشركية و قدرية مجوسية و قدرية إبليسية، فأما الأولون فهم الذين اعترفوا بالقضاء والقدر، وزعموا أن ذلك يوافق الأمر والنهي، وقالوا لو شاء الله ما أشركنا ولا آباؤنا ولا حرمنا من دونه من شيء ...والقدرية الثانية المجوسية الذين يجعلون لله شركاء في خلقه، كما جعل الأولون لله شركاء في عبادته، فيقولون خالق الخير غير خالق الشر، ويقول من كان منهم في ملتنا أن الذنوب الواقعة ليست واقعة بمشيئة الله تعالى، وربما قالوا ولا يعلمها أيضا، ويقولون أن جميع أفعال الحيوان واقع بغير قدرته ولا صنعه، فيجحدون مشيئته النافذة و قدرته الشاملة...والقسم الثالث القدرية الإبليسية الذين صدقوا بأن الله صدر عنه الأمران لكن عندهم هذا تناقض، وهم خصماء الله كما جاء في الحديث [1] و هؤلاء كثير في أهل الأقوال و الأفعال من سفهاء الشعراء و نحوهم من الزنادقة" [2]

---

(١) ونص الحديث : ﴿إذا كان يوم القيامة نادى مناد إلا ليقم خصماء الله وهم القدرية﴾ أخرجه اللالكائي في اعتقاد أهل السنة برقم (١١٣٢) وفيه محمد بن الفضل وهو متروك، وأخرجه ابن أبي عاصم في السنة ص ١٤٨ وفيه حبيب بن عمر الأنصاري مجهول، والحديث ضعفه العلامة الألباني في ظلال الجنة ص ١٤٨، وقال الهيثمي في المجمع ٢٠٦/٧ : رواه الطبراني في الأوسط من رواية بقية وهو مدلس، وحبيب بن عمر مجهول .

(٢) مجموع الفتاوى ٢٥٦/٨-٢٦٠ باختصار، وانظر ٧١٨/١٠، ٣١/٢٢، الاستقامة ٤٣٣/١ .

التعليق :

هذا التقسيم للمخالفين في مشاهدة القضاء والقدر والأمر والنهي، فالمخالفون في ذلك انقسموا على ثلاثة أقسام :

أما القسم الأول فهم الذين آمنوا بالقضاء والقدر واستسلموا لذلك ورضوا بكل ما قضى الله لهم وقدر عليهم وإن كان مما لا يحبه الله ولا يأمر به شرعا، بل أنكروا بأن الله يحب غير ما يقدر الله عليهم أو يأمر به، فلم يفرقوا بين المشيئة والمحبة، فصاروا يُصرُّون على ما هم عليه من البدع والشرك والكفر بالله ﷻ، وقالوا: ﴿لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا عَبَدْنَا مِن دُونِهِ مِن شَيْءٍ نَّحْنُ وَلَا آبَاؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِن دُونِهِ مِن شَيْءٍ﴾ [1] فهم آمنوا بالقضاء الذي يصدر من ربوبيته العامة وفنوا في هذا الأمر حتى كفروا بشريعته التي تصدر من ألوهيته الخاصة، ومن هذا ما يقوله بعض المتصوفة من أن من شاهد القضاء والقدر وأتاه اليقين في ذلك تسقط عنه التكاليف[2] .

وأما القسم الثاني فهم الذين آمنوا بالشرائع والأمر والنهي وأنكروا أن يكون الله قد قدر على العباد شيئا في الأزل، وقالوا إن العباد هم بمشيئتهم وإرادتهم يعملون، فلا مشيئة لله في أعمالهم ولا قدرة له أن يتصرف في إرادتهم وحركاتهم، فجعلوا لهم الإرادة الكاملة والمشيئة التامة وجعلوا لله أندادا في التصرف في هذا الكون وأنكروا ربوبيته العامة، وصاروا بذلك مجوس هذه الأمة القائلين بإلهين وخالقين مستقلين بالإرادة والمشيئة والخلق[3] .

وأما القسم الثالث فهم الذين أقروا بقدر الله وقضائه وبأمره ونهيه، إلا أنهم اعترضوا عليه بعقولهم الفاسدة واتهموا عدله وقسطه ووصفوه بالظلم والعدوان، وأول من اعترض بذلك هو إبليس اللعين-وهو أول معصية وحدث في ملكوت الله سبحانه وتعالى - وذلك حين أمره الله بالسجود لآدم عارضه بأن هذا لا يتماشى مع العدل لكونه أفضل من آدم

---

(١) سورة النحل الآية ٣٥ .

(٢) انظر مجموع الفتاوى ٤٥٢/٨، ومدارج السالكين ١/١٦٠-١٦٢، ٢٥١-٢٥٢ .

(٣) انظر مجموع الفتاوى ٤٥١/٨-٤٥٢، ومدارج السالكين ١٨٩/٢، ٢٥٢/١-٢٥٣.

وقال كما حكى الله سبحانه عنه قوله ﴿ أنا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين ﴾[1]، فكل من يقر بالقضاء والقدر وبالأمر والنهي ويعتقد أن هذا خلاف العدل والقسط فهو من جند إبليس، والله أعلم .

المطلب الثاني : أنواع الدهرية .

الدهرية قسمان :

- الدهرية الطبيعية .
- الدهرية الإلهية .

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله : "والفلاسفة منهم من لا يثبت لهذا العالم المشهود رباً أبدعه كما هو قول الدّهرية الطبيعية منهم، ويجعلون العالم نفسه واجب الوجود بذاته ومنهم من يثبت له مبدعاً واجباً بنفسه أبدعه، كما هو قول الدّهرية الإلهية"[2].

التعليق :

هذا التقسيم هو باعتبار عقيدتهم في مبدع هذا العالم المشهود، فالدهرية في ذلك ينقسمون إلى قسمين :

دهرية طبيعية، دهرية إلهية .

أما الأول فهم الذين لا يقرون بإله مبدع لهذا العالم مغاير له، بل يقولون ما ثم موجود إلا هذا العالم المشهود، فهو الواجب بنفسه والمبدع لذاته، فيجعلون العالم نفسه واجب الوجود لذاته، وهذا القول قد تبعهم فيه المتصوفة أهل وحدة الوجود القائلين ما ثم موجود إلا الله فليس هناك خالق ومخلوق ولا رب ومربوب، بل الخالق هو عين المخلوق والرب

---

(١) سورة ص الآية ٧٦ .

(٢) درء تعارض العقل والنقل ١٧٥/٧ .

هو العبد، إلا أن الفرق بينهما أن هؤلاء يسمون هذا الموجود بأسماء الله، وأولئك لا يسمونه بتلك الأسماء [1] ،

وأما القسم الثاني فهم الدهرية الإلهية الذين يقولون بالموجد المبدع القديم الأزلي المغاير لهذا العالم، ويقولون "بحدوث الحوادث شيئا بعد شيء عن فاعل قائم بنفسه، لا تقوم به صفة ولا فعل، ولا يحدث له فعل ولا غير فعل" [2] ويصفونها بالعلة التامة القديمة مستلزمة لمعلولها لا يتأخر عنها شيء من معلولها، فبالتالي يقولون بقدم العالم قدم المبدع [3] فهؤلاء هم الدهرية الإلهية القائلين بواجب الوجود غير هذا العالم المشهود، وقولهم هذا بوضعه متناقض لا يحتاج إلى إبطال، وقد أخذ منهم هذا المبدأ الجهمية ومن نحا نحوها، فهم مع إقرارهم بالرب والإله وقولهم بالخالق والمخلوق وواجب الوجود وحادث بعد أن لم يكن، إلا أنهم لا يصفون هذا الواجب الوجود والمبدع للعالم إلا بالسلوب أو الإضافات، وحقيقة قولهم تؤول إلى العدم المحض، ولا شك أن من أهم أسباب قولهم ذلك تأثرهم بكتب الفلاسفة اليونانية الوافدة وعدم ترسخهم في العلوم الإسلامية، والله أعلم .

المطلب الثالث : أقسام سب الدهر .

سب الدهر له ثلاثة أقسام :

- الخبر المحض .
- مع الاعتقاد أنه الفاعل .
- لكونه محل الحوادث .

يقول الشيخ محمد العثيمين رحمه الله :"وسب الدّهر ينقسم إلى ثلاثة أقسام :

(١) انظر المصدر السابق ١٦٣/٣ .

(٢) المصدر السابق ١٢/٤ .

(٣) انظر المصدر السابق ١٠٧/٨ .

الأول : أن يقصد الخبر المحض دون اللوم، فهذا جائز، مثل أن يقول : تعبنا من شدة حر هذا اليوم أو برده وما أشبه ذلك ...ومنه قول لوط عليه السلام: ﴿ هذا يوم عصيب ﴾ [1] .

الثاني : أن يسب الدّهر على أنه هو الفاعل، ...فهذا شرك أكبر لأنه اعتقد أن مع الله خالقا ...

الثالث : أن يسب الدّهر لا لاعتقاده أنه هو الفاعل بل يعتقد أن الله هو الفاعل، لكن يسبه لأنه محل لهذا الأمر المكروه عنده، فهذا محرم، ولا يصل إلى درجة الشرك "[2] .

التعليق :

نهى الشارع عن سب الدّهر لأن سبه يرجع في الحقيقة إلى مدبره والمتصرف فيه كما في الحديث القدسي أن الله عز وجل يقول : ﴿ **يُؤْذِينِي ابْنُ آدَمَ، يَسُبُّ الدّهر، وَأَنَا الدّهر، أُقَلِّبُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ** ﴾ [3] فالله عز وجل هو مقلب الليل والنهار وليس الدّهر هو المتصرف بذاته، وسب الدّهر من حيث اعتقاد صاحبه ينقسم إلى ثلاثة أقسام :

الخبر المحض دون اللوم، لاعتقاد أنه المدبر، لكونه محل المكروه .

أما القسم الأول فهو أن لا يقصد به حقيقة السب وإنما يقصد مجرد الخبر ووصف ذلك الزمن الذي أصابه فيه الشر .

وأما القسم الثاني فهو أن يعتقد أن الدهر هو الفاعل والمتصرف في الكون، فهؤلاء هم الدهرية الذين يعتقدون أن الدهر هو الذي يأتي بالخير والشر، كما قال عز وجل حكاية لقولهم : ﴿ وما يهلكنا إلا الدهر ﴾[4] وهذا الاعتقاد لا شك أنه شرك أكبر مخرج من الملة،

وأما القسم الثالث فهو أن يسبه لكونه يجري عليهم فيه من المصائب والحوادث مع اعتقاده أن الله وحده هو الفاعل المدبر للأمور، فهذا أيضا يشمله النهي الوارد في الحديث

---

(١) سورة هود الآية ٧٧ .

(٢) القول المفيد ٢/٤٢٢، وانظر تيسير العزيز الحميد ص ٦٠٩.

(٣) الحديث متفق عليه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، أخرجه البخاري في كتاب باب لا تسبوا الدّهر // (٦١٨١)، ومسلم في كتاب الألفاظ من الأدب //برقم (٢٢٤٦) .

(٤) سورة الجاثية الآية ٢٤ .

السابق، لأن حقيقة سبه تعود إلى الله ﷻ فالله تعالى هو الذي يصرف الدهر ويكون فيه ما أراد، فهذه المسبة صاحبها دائر بين أمرين : إما أن يقصد مسبة الله الذي قدر عليه تلك المصيبة فهذا كفر بالله مخرج من الملة، وإما أن يقصد مجرد سبّ الدهر فهذا لا شك سفه في العقل، لأن الدهر – حتى في عقيدته – لا يقدر على التصرف في الكون [1] .

المطلب الرابع : أقسام الفناء.

الفناء على ثلاثة أقسام :

- عن وجود السوي .
- عن شهود السوي .
- عن عبادة السوي .

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله : " والفناء ثلاثة أقسام : فناء عن وجود السّوي، فناء عن شهود السّوي، فناء عن عبادة السّوي، فالأول هو فناء أهل الوحدة الملاحدة، وهو أن يجعل الوجود وجوداً واحداً، والثّاني وهو الفناء عن شهود السّوي فهذا هو الذي يعرض لكثير من السّالكين، كما يحكى عن أبي زيد وأمثاله، وهو مقام الاصطلام وهو أن يغيب بموجوده عن وجوده وبمعبوده عن عبادته وبمشهوده عن شهادته وبمذكوره عن ذكره فيفني من لم يكن ويبقى من لم يزل ...وأمّا الثّالث : وهو الفناء عن عبادة السوي وهو أن يفني بعبادة الله عن عبادة ما سواه وبحبه عن حب ما سواه وبخشيته عن خشية ما سواه ...فهذا تحقيق توحيد الله وحده لا شريك له وهو الحنيفية ملة إبراهيم وهو الفناء الديني الشرّعي الذي بعث الله به رسله وأنزل به كتبه " [2]

---

(١) انظر القول المفيد ٤٢٣/٢، وانظر زاد المعاد ٣٥٥/٢ .

(٢) مجموع الفتاوى ٣١٣/٢ , ٤٥٩ , ٣٦٩ , ١١٨/٣، وانظر مدارج السالكين ١٥٤/١ وطريق الهجرتين ٣٩٢/١-٣٩٤.

التعليق :

الفناء في اللغة مصدر فني يفنى بمعنى اضمحل وتلاشى[1] وهو من اصطلاحات الصوفية المتأخرين، و لم يرد في مدحه كتاب ولا سنة ولا آثار عن السلف بل ولا ذكره مشايخ الطريق المتقدمون[2] وهو من جهة تعلقه بالربّ سبحانه وتعالى ينقسم إلى ثلاثة أقسام الفناء عن وجود السوي، الفناء عن شهود السوي، الفناء عن عبادة السوي .

أما القسم الأول فهو الفناء عن وجود السوي، وهو فناء الملاحدة وأهل وحدة الوجود القائلين بأن الوجود كله واحد، فليس هناك رب ومربوب، وخالق ومخلوق، بل المخلوق هو عين الخالق وما في الكون سوى الخالق .

أما القسم الثاني فهو الفناء عن شهود السوي "وأصل هذا الفناء: الاستغراق في توحيد الربوبية، وهو رؤية تفرد الله بخلق الأشياء وملكها واختراعها، وأنه ليس في الوجود قط إلا ما شاءه وكونه، فيشهد ما اشتركت فيه المخلوقات من خلق الله إياها،ومشيئته لها، وقدرته عليها وشمول قيوميته وربوبيته لها"[3] فهذا فناء في توحيد الربوبية الذي أقر به المشركون عباد الأصنام أيضاً بل لم ينكره إلا بعض الناس فقط، ومن هنا غلط كثير من متأخري الصوفية حين ظنوا أن هذا هو الغاية التي يشمّر إليها السالكون، ويجعلونه غاية العرفان والتحقيق بل قد يغلوا بعضهم في هذا ويقول : العارف لا يستحسن حسنة ولا يستقبح قبيحة لاستبصاره بسرّ القدر [4] .

وأما القسم الثالث وهو الفناء عن عبادة السوي، فهو تحقيق التوحيد وقوله :﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾ وهو الفناء في توحيد الألوهية المتضمن لتوحيد الربوبية والأسماء والصفات " وحقيقة ذلك فناؤه عن هوى نفسه وحظوظها بمراضي ربّه وحقوقه، والجامع لهذا كلّه تحقيق شهادة أن لا إله إلا الله علماً ومعرفةً وعملاً وحالاً وقصداً،

---

(١) انظر مدارج السالكين ١٥٤/١ .

(٢) انظر المصدر السابق ٣٧٧/٣-٣٧٨ .

(٣) المصدر السابق ١٥٨/١ .

(٤) انظر المصدر السابق ١٦٣/١ .

وحقيقة هذا النّفي والإثبات الذي تضمّنته هذه الشهادة : هو الفناء والبقاء، فيفني عن تأليه ما سواه علما وإقراراً وتعبداً، ويبقى بتأليهه وحده " [1]

المطلب الخامس : أوجه إضافة الشر إلى الله عز وجل .

الشر يضاف إلى الله سبحانه على أحد وجوه ثلاثة :

- أن يذكر في عموم مخلوقاته .
- أن يضاف إلى السبب .
- أن يحذف فاعله .

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية : " أن الشر لم يضف إلى الله في الكتاب و السنة إلا على أحد وجوه ثلاثة : إما بطريق العموم، كقوله : ﴿ الله خالق كل شيء ﴾ وإما بطريقة إضافته إلى السبب، كقوله : ﴿من شر ما خلق ﴾ وإما أن يحذف فاعله، كقول الجن : ﴿وإنا لا ندري أشر أريد بمن في الأرض أم أراد بهم ربهم رشدا ﴾ وقد جمع في الفاتحة الأصناف الثلاثة، فقال : ﴿الحمد لله رب العالمين ﴾ وهذا عام، وقال : ﴿صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ﴾ فحذف فاعل الغضب، وقال : ﴿ولا الضالين ﴾ فأضاف الضلال إلى المخلوق " [2] .

التعليق :

إن الله ﷻ موصوف بكل كمال فأسماؤه كلها حسنى وصفاته كلها كمال يحمد بها ويثنى عليه وأفعاله كلها خير ورحمة وعدل، فليس في أسمائه ولا في صفاته ولا في أفعاله شر البتة، وإنما الشر في مفعولاته ومخلوقاته المنفصلة منه، ولذا لا يضاف الشر وحده إلى

---

(١) المصدر السابق ١/١٦٧ .

(٢) مجموع الفتاوى ٨/٥١١ وانظر ٨/٩٥، ١٤/٢٧٢، وبدائع الفوائد ٢/٤٦٩.

الله مباشرة كما في الحديث النبوي الشريف : ﴿ والشر ليس إليك ﴾ [1] " أي والشر ليس مما يضاف إليك إفراداً وقصداً " [2] فهو يضاف إليه بإحدى أنواع ثلاثة : مع عموم المخلوقات، يضاف إلى السَّبب، بحذف الفاعل .

أما الأول فهو إضافته إليه سبحانه مع عموم مخلوقاته "فإنّه إذا دخل في العموم أفاد عموم القدرة والمشيئة والخلق، وتضمن ما اشتمل عليه من حكمة تتعلق بالعموم "[3] "ومن هذا الباب أسماء الله المقترنة كالمعطي المانع، والضار النافع، المعز المذل، الخافض الرافع، فلا يفرد الاسم المانع عن قرينه، ولا الضار عن قرينه، لأن اقترانهما يدل على العموم " [4] .

وإما أن يضاف إليه بطريقة إضافته إلى سببه ومن قام به، لأنه شر بالنسبة إلى الفاعل ومن قام به وإن كان من تقديره ومشيئته وأما بالنسبة إليه فهو عدل وحكمة، كما في قوله تعالى : ﴿الذي خلقني فهو يهدين * والذي هو يطعمني ويسقين * وإذا مرضت فهو يشفين ﴾ [5] فنسب ما هو كمال إليه سبحانه مباشرة ونسب الذي فيه شر إلى نفسه، وإن كان كل من أمره وقضائه [6] .

وإما أن يحذف فاعله فيأتي بصيغة المجهول ويجعل المفعول مقام الفاعل، كما في قوله تعالى : ﴿ زين للناس حب الشهوات من النساء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة والخيل المسومة ﴾ [7] وقال في مقابله : ﴿ ولكن الله حبب إليكم الإيمان وزينه في قلوبكم ﴾ [8] فعند ما كان المفعول خيرا أضافه إليه مباشرة، ولما كان المفعول شرا لم يضف إليه مباشرة.

---

(١) أخرجه مسلم في كتاب صلاة المسافرين برقم (٧٧١) .

(٢) عقيدة السلف أصحاب الحديث للصابوني ص ٩٤ .

(٣) مجموع الفتاوى ٩٤/٨ .

(٤) المصدر السابق ٩٤/٨، ٩٥ .

(٥) سورة الشعراء الآيات ٧٨-٨٠ .

(٦) وانظر عقيدة السلف أصحاب الحديث ص ٩٤ .

(٧) سورة آل عمران ١٤ .

(٨) سورة الحجرات ٧ .

الفصل الثالث :

التقسيمات المتعلقة بتوحيد الأسماء والصّفات .

وفيه ثلاث مباحث :

المبحث الأوّل :التقسيمات المتعلقة بتوحيد الأسماء .

المبحث الثاني :التقسيمات المتعلقة بتوحيد الصّفات .

المبحث الثالث : التقسيمات المتعلقة بما يضاد توحيد الأسماء والصّفات .

المبحث الأوّل :

التقسيمات المتعلقة بأسماء الله ﷻ

وفيه عشر مطالب :

المطلب الأول: الضوابط لتعيين الأسماء الحسنى

المطلب الثاني: أنواع أسماء الله عز وجل من حيث الإظهار والإخفاء

المطلب الثالث: أنواع الأسماء والصّفات باعتبار ما يجوز التسمية بها غيره

المطلب الرابع: أنواع الأسماء الحسنى من حيث اختصاص المغنى به ﷻ

المطلب الخامس: أنواع الأسماء الحسنى من جهة إطلاقها على الله

المطلب السادس: أنواع ذكر الأسماء التي فيها ذكر الشر

المطلب السابع: أنواع دلالة الاسم على الصفة والذات

المطلب الثامن: أنواع الأسماء الحسنى من جهة التضمن

المطلب التاسع: أنواع أسماء الله الحسنى باعتبار مدلولها

المطلب العاشر: مراتب إحصاء أسماء الله عز وجل

المطلب الأول : أسماء الله الحسنى

معرفة أسماء الله الحسنى من أهم أسباب زيادة الإيمان به، لأن معرفته سبحانه لا سبيل إليها إلا بمعرفة أسمائه وصفاته وفهم معانيها، وكلما زادت معرفة العبد بأسماء الله وصفاته زادت محبته وتعظيمه له وخوفه ورجاؤه منه، ومعلوم أن باب الأسماء أخص من باب الصّفات وباب الأخبار كلها، فليس كل صفة أو خبر يشتق منها اسم لله ﷻ، بل هناك بعض الشروط يجب أن تتوفر لتعيين الأسماء الحسنى [1]، وهي :

١. الشرط الأول : ورود النص من القرآن أو السنة بذلك الاسم .

لأن "أسماء الله توقيفية يجب الوقوف في أسماء الله على ما ورد ذكره في نصوص القرآن الكريم والسنة النبوية الصحيحة "[2] فلا يجوز أن يستعمل فيها القياس ويلحق بالشيء نظيره فيزاد عليها أو ينقص منها،

٢. والشرط الثاني : صحة الإطلاق، وذلك أن يقتضي الاسم المدح والثناء بنفسه .

لأن أسماء الله كلها حسنى كما وصفها الله بها في أربعة مواضع من كتابه، والحسنى هي جمع كلمة (أحسن) على وزن (فُعْلى) أي البالغة في الحسن غايته، فهي حسنى لتضمنها صفات الكمال المطلق والمدح والثناء في نفسها، ولذا فلو كان الاسم يتضمن الصفة المنقسمة إلى كمال ونقص ومحمود ومذموم فلا يدخل في الأسماء الحسنى ،

فأسماء الله الحسنى المعروفة : هي التي يدعى الله بها، وهي التي جاءت في الكتاب والسنة، وهي التي تقتضي المدح والثناء نفسها [3] .

---

(١) ومن هنا غلط من توسع في عد الأسماء الحسنى حتى اشتق من كل صفة اسما لله عز وجل بل ومما أخبر الله به عنه أيضا اسما له سبحانه، انظر "مناهج العلماء في عد الأسماء" في كتاب معتقد أهل السنة والجماعة في أسماء الله الحسنى ص ٣٨،٣٩.

(٢) المصدر السابق ص ٤٣ .

(٣) هذا من تعريف شيخ الإسلام ابن تيمية، وانظر ما سبق : معتقد أهل السنة والجماعة في أسماء الله الحسنى ص ٤٠-٦٦، و٣٩٥-٣٩٩ .

المطلب الثاني : أنواع الأسماء الحسنى من حيث الظهور والخفاء

الأسماء الحسنى من حيث الظهور والخفاء تنقسم إلى ثلاثة أقسام :

- قسم أنزل به كتابه.
- قسم أظهره لبعض خلقه .
- قسم استأثر به نفسه .

يقول العلامة ابن القيم رحمه الله : " في الحديث الصحيح : **﴿ أسألك بكل اسم هو لك سميت به نفسك أو أنزلته في كتابك أو علمته أحدا من خلقك، أو استأثرت به في علم الغيب عندك ﴾** [(١)] فجعل أسماءه ثلاثة أقسام : قسم سمى به نفسه فأظهره لمن شاء من ملائكته أو غيرهم، قسم أنزل به كتابه فتعرف به إلى عباده، قسم استأثر به في علم غيبه فلم يطلع عليه أحد من خلقه " [(٢)] .

التعليق :

إن الله له أسماء كثيرة غير محصورة بعدد معلوم لنا، بل أسماؤه من حيث الإظهار والإخفاء على ثلاثة أقسام :

قسم أنزل به كتابه، فتعرف به إلى عباده كلهم، ويعرفه كل من قرأ كتابه وتدبره وفكر فيه، فقد ذكر الله في القرآن كثيراً من أسمائه الحسنى، فغالب الآيات تكون مختومة باسم أو اسمين من أسمائه الحسنى، وأحيانا يذكر جملة من الأسماء في آية واحدة أو آيات

---

(١) الحديث أخرجه الإمام أحمد في المسند ٣٩١/١، وابن حبان في صحيحه كتاب الرقائق باب الأدعية ٢٥٣/٣/برقم (٩٧٢) والحاكم في المستدرك ٥٠٩/١ وصححه، وذكره الهيثمي في المجمع وقال : رواه أحمد وأبو يعلى، والبزار، ورجال أحمد وأبي يعلى رجال الصحيح غير أبي سلمة الجهني وقد وثقه ابن حبان ا.هـ ،والحديث قد صححه ابن القيم في عدد من كتبه، انظر بدائع الفوائد ١٧٤/١ و ٤١٣/٢ وجلاء الأفهام ١٥٢/١ ،وصححه الشيخ الألباني في الصحيحة برقم (١٩٦)، يقول ابن القيم : " وجه الكلام أن يقال : سميت به نفسك فأنزلته في كتابك أو علمته أحدا من خلقك أو استأثرت به في علم الغيب عندك، فإن هذه الأقسام الثلاثة تفصيل لما سمى به نفسه، وأن " أو " حرف عطف والمعطوف بها أخص مما قبله فيكون من باب عطف الخاص على العام ا.هـ " شفاء العليل ص ٢٧٦ ملخصا .

(٢) بدائع الفوائد ١٧٤/١-١٧٦ .

متتالية، نحو قوله تعالى: ﴿ اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ ﴾ وقوله: ﴿ هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ * هُوَ اللَّهُ الْخَالِقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ ﴾ (١)، وقسم منها قد خص بعض مخلوقاته بعلمه دون بعض، وقسم منها استأثر الله بعلمه فلا يعلمه أحد من خلقه،

يقول الإمام الخطابي رحمه الله: " فهذا – يعني حديث ابن مسعود – يدلك على أن لله أسماء لم ينزلها في كتابه حجبها عن خلقه ولم يظهرها لهم "(٢)،

ويقول شيخ الإسلام رحمه الله: " أن لله أسماء استأثر بها في علم الغيب عنده، وهذه لا يعلمها ملك ولا بشر " (٣)، ومنه حديث: ﴿ **فَأَحْمَدُهُ بِمَحَامِدَ لا أَقْدِرُ عَلَيْهِ الآنَ يُلْهِمُنِيهِ اللَّهُ** ﴾ (٤) وحمده والثناء عليه إنما يكون بأسمائه وصفاته سبحانه وتعالى، فهذه المحامد مما استأثر الله بعلمه يلهمه لنبيه خاصة في تلك الوقت، وهو لا يعلمه قبل ذلك الوقت، فأسماؤه سبحانه كثيرة لا يقدر أحد إحصاؤها كلها، كما قال النبي ﷺ: ﴿ **لا أحصي ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك** ﴾ (٥) " فأخبر أنه ﷺ لا يحصى ثناء عليه، ولو أحصى جميع أسمائه لأحصى صفاته كلها فكان يحصى الثناء عليه، لأن صفاته إنما يعبر عنها بأسمائه "(٦)

---

(١) سورة الحشر الآيتان ٢٣، ٢٤ .

(٢) شان الدعاء ص ٢٤ .

(٣) مجموع الفتاوى ١١/٣٩٢ .

(٤) الحديث متفق عليه من حديث أنس بن مالك ﷺ، أخرجه البخاري في كتاب التوحيد باب قول الله تعالى ﴿ **لما خلقت بيدي** ﴾ ١٣/٤٠٣/ برقم (٧٤١٠) ومسلم في كتاب الإيمان ٣/٥٣/ برقم (١٩٣) واللفظ له .

(٥) الحديث أخرجه مسلم في كتاب الصلاة ٣/٢٠٣/ برقم (٤٨٦) من حديث عائشة رضي الله عنها.

(٦) درء تعارض النقل والعقل ٣/٣٣٢، ٣٣٣ .

وحسب العبد أن يدعو الله بما علمه من أسمائه الحسنى مما أنزلها الله في كتابه أو أوحاها إلى نبيه ﷺ قال تعالى : ﴿ وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا ﴾[1] وقال سبحانه : ﴿ قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوِ ادْعُوا الرَّحْمَٰنَ أَيًّا مَا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ ﴾[2]، والله أعلم .

المطلب الثالث : أنواع الأسماء والصّفات باعتبار ما يجوز التسمية بها غيره .

- ما يختص به الرب .
- ما قد يوصف به العبد .

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله : "فالأسماء والصّفات نوعان : نوع يختص به الرب مثل الإله، رب العالمين ونحو ذلك، ومن هنا ضل المشركون الذين جعلوا لله أندادا، والثاني : ما يوصف به العبد في الجملة، كالحي، والعالم، والقادر"[3] .

التعليق :

هذا التقسيم للأسماء والصّفات هو من حيث اختصاصها بالله ﷻ ومن حيث جواز التسمية والوصف بها غيره، فهي بهذا الاعتبار تنقسم إلى قسمين :

القسم الأول فهو ما يختص به الرب ﷻ ولا يجوز التسمية به غيره لما فيه مضاهاة الألوهية والربوبية مثل الإله، ورب العالمين، ومالك يوم الدين، ومالك الملك، ونحوها من الصّفات، ومن هنا منع النبي ﷺ من التسمية بملك الأملاك وشنع عليه، كما في حديث أبي هريرة رضي الله عنه أنه ﷺ قال : **« إنَّ أخنَعَ اسم عند الله رجُلٌ يسمّى مَلِكُ الأملاك لا**

(١) سورة الأعراف الآية ١٨٠ .

(٢) سورة الإسراء الآية ١١٠.

(٣) منهاج السنة النبوية ٢/٥٩٦ باختصار .

مالك إلا الله ﴾[1]، وقد ألحق بعض أهل العلم بهذا تسمية قاضي القضاة ومنع من التسمية به [2].

وأما القسم الثاني فهو ما يسمى ويوصف به العبد في الجملة، لأن بعض معاني الصّفات قد وهبه الله بعض خلقه فيشاركه في بعضها، فحينئذ يتسمى هذا المخلوق بما يشتق من تلك الصفة، كصفة الحياة والعلم والرحمة والإرادة والسمع والبصر ونحو ذلك من الصّفات التي هو موصوف بها في الجملة[3] فيقال : حيٌّ عليمٌ رحيم سميعٌ بصيرٌ ونحوها ،كما قال ﷻ في وصف نبيه ﷺ : ﴿ لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رؤوف رحيم ﴾ [4] وفي الحديث : ﴿ الراحِمُونَ يَرحَمُهُمُ الرَّحمنُ ﴾ [5] وفيه :﴿ هَذِهِ رَحْمَةٌ وَضَعَهَا اللَّهُ فِي قُلُوبِ مَنْ شَاءَ مِنْ عِبَادِهِ وَلا يَرْحَمُ اللَّهُ مِنْ عِبَادِهِ إِلا الرُّحَمَاءَ﴾[6].

---

(١) الحديث متفق عليه، أخرجه البخاري كتاب الأدب باب أبغض الأسماء إلى الله ١٠/٦٠٤/ برقم (٦٢٠٥،٦٢٠٦)، ومسلم كتاب الأدب ١٣/١٢٢/ برقم (٢١٤٣) .

(٢) انظر زاد المعاد ٣/٣٤٠، وفتح الباري ١٠/٦٠٦، وشرح النووي ١٣/١٢٢، وتيسير العزيز الحميد ص ٦١٣ .

(٣) انظر مجموع الفتاوى ٣/١٠-١٦، والمنهج والدراسات في آيات الأسماء والصفات للشيخ محمد الأمين الشنقيطي رحمه الله ص ٢٠وما بعدها.

(٤) سورة التوبة الآية ١٢٨ .

(٥) الحديث أخرجه أحمد في المسند ٢/٦١، وأبو داود في السنن كتاب الأدب باب في الرحمة ٥/١٤٦/ برقم (٤٩٤١) والترمذي في كتاب البر والصلة باب في رحمة الناس ٤/٢٢٣/ برقم (١٨٤٨) وقال حديث حسن صحيح، والحاكم ٤/١٧٥ وصححه، والبيهقي في السنن ٩/٤١، كلهم من حديث عبد الله عمرو رضي الله عنهما، والحديث صححه الألباني انظر الصحيحة رقم (٩٢٥)، والحديث مشتهر بالمسلسل بالأولية، انظر فتح الباري ١٣/٣٧١ .

(٦) الحديث متفق عليه من حديث أسامة بن زيد ﷺ، أخرجه البخاري في كتاب التوحيد ١٣/٣٧١/(٧٣٧٧)، ومسلم في كتاب الجنائز ٦/٢٢٤/(٩٢٣) .

إلا أن الكمال مختص بالله ﷻ لا يشاركه فيه أحد من الخلق،.فشتان بين الرّب الحي السميع البصير العليم وبين العبد الحي السميع البصير العليم، فالله موصوف بكمالها لا نقص فيها بوجه من الوجوه وأما العبد فهو ضعيف من كل وجه وفقير لذاته، والله أعلم .

المطلب الرابع: أنواع الأسماء الحسنى من حيث اختصاص المعنى به ﷻ.

- ما يختص بمعناه .
- ما يختص بكماله وإطلاقه .
- ما يختص بكماله فقط .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله : "كل اسم لا يسمى به غيره كالله، والقديم الأزلي، رب العالمين، مالك يوم الدين، ونحو ذلك فمعناه من خصائصه والاسم الذي يسمى به غيره وهو عند الإطلاق ينصرف إليه كالملك، العزيز، الحليم يختص بكماله وإطلاقه فلا يشركه في ذلك غيره، والاسم الذي يسمى به غيره ولا ينصرف إطلاقه إليه كالموجود، والمتكلم، والمريد يختص أيضا بكماله وإن لم يختص بإطلاقه" [1] .

التعليق :

هذا التقسيم للأسماء الحسنى هو من حيث اختصاص الرب ﷻ بمعناه أو مشاركة غيره فيه، فهي بهذا الاعتبار تنقسم إلى ثلاثة أقسام :

الأول ما يختص الرب بمعناه، فهذا كل اسم لا يجوز التسمية به غيره نحو ملك الأملاك ومالك الملك وخالق الخلق ونحوها، فهذه الأسماء يختص الرب بمعناه فلا يشاركه فيه أحد من خلقه .

والثاني ما يختص بإطلاقه وكماله، وهذا في كل اسم قد يسمى به غيره سبحانه في الجملة وهو عند الإطلاق يتضمن الكمال، فهذا وإن سمي به غيره ﷻ فالكمال والإطلاق يختص بالرب ﷻ فلا يساويه فيه أحد ولا ينصرف عند الإطلاق إلاّ إليه .

---

(١) درء تعارض النقل والعقل ٢٧٩/١٠ .

والثالث ما يختص بكماله فقط ولا ينصرف إليه عند الإطلاق ،وهذا كل اسم ينقسم مسماه إلى محمود ومذموم وكامل وناقص، مثل الفاعل والمريد والمتكلم والصانع ونحوها، فهذه الأسماء ليست داخلة في الأسماء الحسنى أصلا، لأن إطلاقها لا يتضمن الكمال المطلق ولا تقتضي المدح والثناء بنفسها، فهذه الأسماء لا تنصرف إليه عند الإطلاق بل يختص بكمالها وما يحمد منها فقط[1] والله أعلم.

المطلب الخامس : أنواع الأسماء الحسنى من جهة إطلاقها على الله .

أسماء الله تعالى من جهة إطلاقها على نوعين :

- يطلق على الله مفردا .
- يطلق مقرونا بمقابله .

يقول العلامة ابن القيم رحمه الله :" أسماؤه تعالى منها ما يطلق عليه مفردا ومقترنا بغيره، وهو غالب الأسماء فالقدير والسميع...وهذا يسوغ أن يدعى به مفردا ومقترنا بغيره، ومنها ما لا يطلق عليه بمفرده بل مقرونا بمقابله، كالمانع والضار والمنتقم، فلا يجوز أن يفرد هذا عن مقابله، فإنه مقرون بالمعطي والنافع والعفو، فهو المعطي المانع، الضار النافع، المنتقم العفو، المعز المذل، لأن الكمال في اقتران كل اسم من هذه بما يقابله "[2]

وقال في نونيته :

هـذا ومن أسمـائه مـا ليس   يفرد بل يقـال إذا أتى بقران
وهـي التي تدعى بمزدواجتهـا   أفرادها خطر علـى الإنسان
إذ ذاك موهم نوع نقص جل رب العرش عن عيب وعن نقصان[3]

---

(١) انظر العقيدة الأصفهانية ص ١٩، وبدائع الفوائد ١/١٦١، و مدارج السالكين ٣/٤١٥، ٤١٦، ومعتقد أهل السنة والجماعة في أسماء الله الحسنى ص ٥٩ .

(٢) بدائع الفوائد ١/١٧٧ .

(٣) القصيدة النونية (الهراس) ٢/١٢٠ وانظر إعلام السنة المنشورة للحكمي ص٦٥ .

التعليق :

كما سبق أن أسماء الله تعالى كلها حسنى بالغة في الحسن لتضمنها صفات كمال ليس فيها نقص بوجه من الوجوه، ولذا لا تطلق عليه سبحانه الأسماء التي توهم نقصاً عند الإطلاق، فلا تطلق عليه إلا بوجه ينتفي هذا الوهم والاحتمال، نحو الأسماء التي فيها ذكر الشر – لأعدائه ومخالفي أمره – لا تذكر إلا مع مقابلها الاسم الخير والبركة – لأوليائه المتقين – فهو بذلك ينتفي توهم النقص ويحصل الكمال المطلق، كاسمه الضار مع النافع، والمذل مع المعز، والخافض مع الرافع، ونحو ذلك من الأسماء فهي عند إفرادها لا تتضمن الكمال ما تتضمن عند إطلاقها مع مقابلها، بل عند الإطلاق يوهم نقصاً فلا تطلق وحدها بل مع مقابلها، فهي مزدوجة مع مقابلها تجري مجرى الاسم الواحد الذي يمتنع فصل بعض حروفه عن بعض، ولذلك لم تأتي مفردة و لم تطلق عليه إلا مقترنة بمقابلها [(1)]، وأما غالب الأسماء الحسنى فهي تتضمن صفة كمال بأي إطلاق فيجوز إفرادها وإطلاقها مع غيرها وتكون حسنى بكل إطلاق "ويحصل بجمع الاسم إلى الآخر كمال فوق كمال " [(2)] فالأسماء الحسنى من حيث إطلاقها على الله تنقسم إلى قسمين فمنها ما يطلق على الله مفردا ومقرونا بغيره ومنها مالا يطلق عليه إلا مع مقابله .

المطلب السادس : أنواع ذكر الأسماء التي فيها ذكر الشر .

الأسماء التي فيها ذكر الشر تذكر بطريقين :

- مقرونة .
- مقيدة .

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله : " وكذلك الأسماء التي فيها ذكر الشر لا تذكر إلا : مقرونة، كقولنا : الضار النافع، المعطي المانع، المعز المذل، أو مقيدة كقوله : ﴿ إنا من المجرمين منتقمون ﴾ [(3)]" [(4)] .

---

(1) انظر بدائع الفوائد ١/١٧٧ .

(2) القواعد المثلى لابن العثيمين ص ٧ وانظر بدائع الفوائد ١/١٦٨ .

(3) سورة السجدة الآية ٢٢ .

(4) الفتاوى ١٤/٢٧٦ .

التعليق :

كما سبق أن أسماء الله الحسنى من جهة الإطلاق تنقسم إلى قسمين، فمنها ما تطلق على الله مفردة ومقرونة بغيرها، ومنها مالا تطلق وحدها مفردة وهي الأسماء التي فيها ذكر الشر التي إذا أطلقت أوهمت النقص، فهذه الأسماء تذكر بطريقين اثنين : إما مقرونة بمقابلها التي بها يحصل الكمال المطلق، نحو المذل والمعز فهو يعز من يشاء ويذل من يشاء، يذل أعداءه ويعز أولياءه، أو مقيدة بمن يستحق هذا الشر والضرر، كقوله سبحانه: ﴿ ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين ﴾ [1] وأما مجرد ذكر هذه الأسماء من غير ذكر مقابلها ولا مقيدة بمن يستحق أثر هذه الصفة فلا مدح فيها ولا ثناء، ولا فيها كمال له سبحانه، فالأسماء التي لا تطلق على الله بمفردها تطلق عليه إما مقرونة بمقابلها أو مقيدة، والله أعلم.

المطلب السابع : أنواع دلالة الاسم على الصفة والذات .

أنّ الله تعالى له الأسماء الحسنى تدل على صفات الكمال التي هو موصوف بها ودلالتها على الصفة والذات ثلاثة أنواع :

- بالمطابقة .
- بالتضمن .
- بالالتزام .

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله : "فأسماؤه كلها متفقه في الدلالة على نفسه المقدسة ثم كل اسم يدل على معنى من صفاته ليس هو المعنى الذي دل عليه الاسم الآخر فالعزيز يدل على نفسه مع عزته والخالق يدل على نفسه مع خلقه والرحيم يدل على

---

(١) سورة الأنفال الآية ٣٠ .

نفسه مع رحمته ونفسه تستلزم جميع صفاته فصار كل اسم يدل على ذاته والصفة المختصة به بطريق المطابقة وعلى أحدهما بطريق التضمن وعلى الصفة الأخرى بطريق اللزوم" [1] .

يقول العلامة ابن القيم رحمه الله : " الأصل الثاني : أن الاسم من أسماء الله تبارك وتعالى كما يدل على الذات والصفة التي اشتق منها : بالمطابقة، فإنه يدل عليه دلالتين أخريين: بالتضمن واللزوم، فيدل على الصفة بمفردها بالتضمن وكذلك على الذات المجردة عن الصفة، ويدل على الصفة الأخرى باللزوم " [2] .

وقال في نونيته :

ودلالة الأسماء أنواع ثلا * ث كلها معلومة ببيان

دلت مطابقة كذاك تضمنا * وكذا التزاما واضح البرهان [3]

التعليق :

أسماء الله تعالى كلها حسنى متضمنة لصفات المدح والكمال، فهي كما تدل على ذات الله تعالى المسمى بتلك الأسماء تدل على الصّفات المشتقة منها وعلى غيرها من الصّفات بثلاثة أنواع من الدلالات :

أولا : دلالة المطابقة، ومعناها دلالة اللفظ على كامل معناه أو على كل مدلولاته، وعلى هذا فكل اسم من أسمائه تعالى يدل على الذات وعلى الصفة المشتقة منه معاً بالمطابقة، لأن الذات هي المسمى للاسم وأما الصفة فهي مما إشتقت من الاسم، فهو يدل على هذين المدلولين جميعا على السواء .

ثانيا : دلالة التضمن، وهي دلالة اللفظ على جزء معناه، فدلالة الاسم على الذات وحدها دون الصفة وعلى الصفة وحدها دون الذات دلالة التضمن، لأن الذات وحدها والصفة وحدها ليست هي كامل معنى الاسم وجميع مدلولاته، ولذا أخطأ من جرد الاسم

---

(١) مجموع الفتاوى ٧/١٨٥، ١٣/٣٣٣، ٣٣٤ .

(٢) مدارج السالكين ١/٣٠ وانظر جلاء الأفهام ص ١٣٨ وبدائع الفوائد ١/١٧٠، وانظر القواعد المثلى للشيخ محمد العثيمين رحمه الله، القاعدة الرابعة من (القواعد في أسماء الله) ص ١١.

(٣) النونية لابن القيم مع شرحها للهراس ٢/١٢١ .

عن معناه وعما يدل عليها من الصفة، فجعلوا الأسماء أعلاماً محضة لا تدل على أي شيء من الصّفات .

ثالثا : دلالة اللزوم، وهي دلالة اللفظ على شيء خارج مفهوم اللفظ، وهي دلالة الاسم على صفة غير الصفة التي اشتقت منه، فاسم الله (الخالق) يدل على الذات وصفة الخلق معاً بالمطابقة وعلى الذات وحدها وعلى صفة الخلق وحدها يدل بالتضمن، وعلى صفتي القدرة والعلم بالالتزام، ولهذا لما ذكر الله خلق السماوات والأرض قال :﴿ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا ﴾[1] [2].

المطلب الثامن : أنواع الأسماء الحسنى من جهة التضمن.

أسماء الله الحسنى من جهة التضمن للصفات والمعاني على أربعة أقسام :

- العلم المتضمن لجميع معاني الأسماء .
- المتضمن صفة ذات الله .
- المتضمن صفة فعل الله .
- المتضمن تتريه الله عن النقائص .

يقول الشيخ حافظ الحكمي رحمه الله : "دلالة الأسماء الحسنى من جهة التضمن، هي على أربعة أقسام : الأوّل : العلم المتضمن لجميع معاني الأسماء الحسنى وهو الله، ولهذا تأتي الأسماء جميعها صفات له، كقوله :﴿ هو الله الخالق ... ﴾ ولم يأت هو قط تابعا لغيره، الثاني : ما يتضمن صفة ذات الله عز وجل، كاسمه تعالى" السميع " المتضمن سمعه الواسع جميع الأصوات سواء عنده سرها وعلانيتها، الثالث : ما يتضمن صفة فعل الله عز وجل،

(١) سورة الطلاق الآية ١٢ .

(٢) انظر القواعد المثلى ص١١ ومعتقد أهل السنة والجماعة في أسماء الله الحسنى ص ٤٢٧.

كالخالق الرازق ... الرابع : ما يتضمن تنزهه تعالى وتقدسه عن جميع النقائص كالقدوس السلام "[1] .

التعليق :

الأسماء الحسنى متضمنة للمعاني الجليلة والصّفات الكمال فليست هي أعلام محضة كما تقوله المعتزلة وغيرهم، وهي من جهة تضمنها للمعاني والصّفات على أربعة أقسام :

الأوّل : العلم المتضمن لجميع معاني الأسماء الحسنى، وهو لفظ الجلالة (الله) فهو اسم الله الأعظم الذي إذا أطلق ينصرف القلب والذهن إلى الذات العلية المشتملة على جميع صفات الكمال ونعوت الجلال، فلا ينحصر القلب إلى معنى دون معنى أو إلى صفة دون صفة، فهو بمنزلة العلم مع كونه في الحقيقة الشرعية متضمن لمعنى وهو (الإله المعبود).

والثاني: الأسماء التي تتضمن الصّفات الذاتية التي لا تتعلق بالمشيئة نحو(السميع) المتضمن صفة السمع و(البصير) المتضمن صفة البصر ونحو ذلك، فالسمع والبصر من صفاته الذاتية التي لا تنفك عنها .

والثالث : الأسماء التي تتضمن الصّفات الفعلية التي تتعلق بالمشيئة إذا شاء فعل وظهر أثره في الكون، وإذا لم يشأ لم يفعل نحو (الخالق) المتضمن صفة الخلق، و(الرازق) المتضمن صفة الرزق ونحو ذلك .

وأما الرابع فهو الأسماء التي فيها معاني تنزيه الرب سبحانه عن النقائص والعيوب المتضمن كمال الرب سبحانه كاسمه (السلام) ونحو ذلك، فالسلام هو " الذي سلم من العيوب والنقائص، فهو السلام من صفات النقص وأفعال النقص وأسماء النقص المسلم لخلقه من الظلم "[2]، والله أعلم .

---

(١) إعلام السنة المنشورة ص ٦٤ .

(٢) شفاء العليل ص ١٧٩ .

المطلب التاسع : أنواع أسماء الله الحسنى باعتبار مدلولها .

أسماء الله تعالى باعتبار مدلولها ينقسم إلى قسمين :

- ما يدل على معنى إيجابي .
- ما يدل على معنى سلبي .

يقول الشيخ محمد الصالح العثيمين رحمه الله : " أما الأسماء فكلها مثبتة لكن أسماء الله المثبتة منها : ما يدل على معنى إيجابي، ومنها : ما يدل على معنى سلبي، مثال التي مدلولها إيجابي كثير، ومثال التي مدلولها سلبي : السلام " [1] .

التعليق :

كما سبق أن الأسماء تدل على معاني جليلة وصفات كمال فليست هي أعلام جامدة، وهي من حيث مدلولها تنقسم إلى قسمين : إيجابي وسلبي، فالإيجابي ما كان مقتضاها إثبات صفات الكمال المشتقة منها، وتكون الصفة الدّالة عليها هي صفة كمال، فاسمه الرحمن والرحيم يدلان على صفة الرحمة الثابتة له ﷻ، ومنها ما يكون مدلولها سلبي ويكون مقتضاها نفي الصّفات الناقصة عنه سبحانه وتعالى، نحو اسمه السلام المتضمن سلامته عن النقائص والعيوب واسمه القدوس المتضمن تقدسه عن القوادح والأراذل، فكل اسم يدل على إثبات صفة من صفاته فهو إيجابي المعنى وكل اسم يدل على نفي شيء عنه وتنزهه ﷻ عن النقائص فهو سلبي المعنى لأنه يسلب عنه هذا النقص .

---

(١) شرح العقيدة الواسطية لابن عثيمين ١٤٧/١ .

المطلب العاشر : مراتب إحصاء أسماء الله عز وجل .

إحصاء أسماء الله ﷻ الوارد في الحديث على مراتب ثلاث :

- إحصاء ألفاظها .
- فهم معانيها .
- دعاؤه بها .

يقول العلامة ابن القيم رحمه الله : " في بيان مراتب إحصاء أسمائه التي من أحصاها دخل الجنة، وهذا هو قطب السعادة ومدار النجاة والفلاح، **المرتبة الأولى** : إحصاء ألفاظها وعددها، **المرتبة الثانية** : فهم معانيها ومدلولها، **المرتبة الثالثة** : دعاؤه بها، كما قال تعالى :﴿ وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا ﴾ [1] وهو مرتبتان : إحداهما : دعاء ثناء وعبادة، الثاني : دعاء طلب ومسألة " [2] .

التعليق :

إحصاء أسماء الله عز وجل هو مفتاح دخول الجنة وطريق الفوز والنجاح، كما في حديث أبي هريرة ﷺ أن النبي ﷺ قال :﴿ **إن لله تسعة وتسعين اسما من أحصاها دخل الجنة، وهو وتر يحب الوتر**﴾[3] وليس المراد بالإحصاء في الحديث هو مجرد إحصاء ألفاظها وترديدها على اللسان فقط، بل هو على ثلاثة مراتب :

الأولى : إحصاء ألفاظها وعدها وحفظها، فيحصي تسعة وتسعين اسماً مما ورد في الكتاب والسنة من الأسماء الحسنى ويعدها ويحفظها، ومعلوم أن الأسماء الحسنى أكثر من هذا العدد كما سبق .

---

(1) سورة الأعراف الآية ١٨٠ .

(2) بدائع الفوائد ١٧١/١ .

(3) الحديث متفق عليه أخرجه البخاري كتاب التوحيد باب إن لله مائة اسم إلا واحدة ٣٨٩/١٣/ برقم (٧٣٩٢)، ومسلم كتاب الذكر والدعاء ٤/١٧/ برقم (٢٦٧٧) .

والثانية فهم معانيها ومدلولها وآثارها، فذلك مما يزيد معرفة الله، ويرسخ الإيمان في القلب، ويزيد الحب والتعظيم لله، والخشية والرجاء منه سبحانه، ولا ينصرف القلب إلى أحد غيره .

وأما المرتبة الثالثة فعند ما يفهم معاني هذه الأسماء ويعرف الله بأسمائه الحسنى وصفاته العلى التي تتضمن هذه الأسماء ويعرف مقتضياتها وآثارها يعمل بمقتضى هذه الأسماء ويدعو الله بها دعاء عبادة وثناء ومسألة، فمثلا من أسمائه الحسنى التواب، فعند ما يعلم العبد أنه تواب يقبل التوبة من عبده، وأنه يتوب على من تاب إليه، يقبل إلى الله بقلبه ويتوب إليه من ذنوبه دقه وجله ثم يدعو الله باسمه التواب أن يقبل هذه التوبة منه، وكذا لما يعلم أنه سميع عليم وأنه يسمع السر وأخفى ويعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور وأن السر عنده علانية فحينئذ يخافه العبد في جميع أحواله ويجتنب محارمه مهما خفي على الناس[1] وهكذا مع سائر الأسماء الحسنى .

يقول ابن القيم رحمه الله : " إن كل اسم له تعبد يختص به علما ومعرفة وحالا، وأكمل الناس عبودية هو المتعبد بجميع الأسماء والصّفات التي يطلع عليها البشر، فلا تحجبه عبودية عن عبودية اسم آخر ... هذه طريقة الكمل من السائرين "[2] .

وهذه المراتب للإحصاء هو من حيث معاني الإحصاء وما أمر الله في القرآن الكريم بالدعاء بأسمائه الحسنى، حيث قال :﴿ ولله الأسماء الحسنى فادعوه بها ﴾، يقول الخطابي رحمه الله : " الإحصاء يحتمل وجوهاً، أحدها : أن يعدها حتى يستوفيها يدعو الله بها كلها ويثني عليه بجميعها، ثانيها المراد بالإحصاء الإطاقة كقوله تعالى :﴿ علم أن لن تحصوه ﴾[3]

---

(١) انظر مفتاح دار السعادة ٤٤٢/٢-٤٤٣، ومدارج السالكين ٤١٩/١-٤٢٠، والصفات الإلهية للشيخ محمد أمان الجامي ص ٣٧٩-٣٨٢ .

(٢) مدارج السالكين ٤١٩/١ .

(٣) سورة المزمل الآية ٢٠ .

ومنه حديث ﴿ **استقيموا ولن تحصوه** ﴾ [1] أي لن تبلغوا كنه الاستقامة، والمعنى من أطاق القيام بحق هذه الأسماء والعمل بمقتضاها، وهو أن يعتبر معانيها فيلزم نفسه بواجبها فـــإذا قال (الرزاق) وثق بالرزق وكذا سائر الأسماء، ثالثها المراد بالإحصاء الإحاطة بمعانيـــــها من قول العرب : فلان ذو حصاة أي ذو عقل ومعرفة " [2]

---

(١) الحديث أخرجه أحمد ٢٧٦/٥،٢٨٢، وابن ماجة في الطهارة بـــاب المحافظـــة علـــى الوضـــوء ١٠١/١، والدارمي في الطهارة باب ما جاء في الطهور ١٧٤/١ والحاكم ٢٢٠/١،٢٢٢ وصححه ووافقــه الذهــي، والبيهقي ٢٨٢/١، والطبراني في الأوسط ١١٦/٧، كلهم من طريق سالم بن أبي الجعـــد عـــن ثوبـــان ﷺ مرفوعا، وسالم لم يسمع من ثوبان، وروى الطبراني في الكبير ١٠٧/٢ من طريق أبي كبشة السلولي أنه سمـــع ثوبان به، وسنده حسن والحديث له شواهد عدة، وصححه العلامة الألباني وخرج شـــواهده، انظـــر إرواء الغليل ١٣٥/٢ برقم (٤١٢) .

(٢) شأن الدعاء ص ٢٤، وانظر فتح الباري لابن حجر ٢٢٨/١١، ومعتقد أهل السنة والجماعة في أسمـاء الله الحسنى للشيخ التميمي ص ٤٥٦-٤٦١.

المبحث الثاني :

التقسيمات المتعلقة بصفات الله ﷻ

المطلب الأول : أنواع الصّفات من حيث تعلقها بالمشيئة والإرادة .

صفات الكمال من حيث تعلقها بالمشيئة والإرادة تنقسم إلى قسمين :

- صفات ذاتية .
- صفات فعلية .

يقول العلامة ابن أبي العز الحنفي رحمه الله : " إن الله تعالى لم يزل متصفا بصفات الكمال : صفات الذات وصفات الفعل، ولا يجوز أن يعتقد أن الله وصف بصفة بعد أن لم يكن متصفا بها لأن صفاته سبحانه صفات كمال فقدها نقص، ولا يجوز أن يكون حصل له الكمال بعد أن كان متصفا بضده " (١) .

التعليق :

هذا التقسيم للصفات هو من حيث ملازمتها للذات فلا تتجدد ولا تنفك عنها، ومن حيث تعلقها بالإرادة والمشيئة فتتجدد إذا شاء وأراد، فهي بهذا الاعتبار تنقسم إلى قسمين: ذاتية، وفعلية .

فالصّفات الذاتية هي مالا تتعلق بالمشيئة والإرادة و لم يزل سبحانه وتعالى متصفا بها ولا يزال كذلك، مثل اليدين والوجه والسمع والبصر والعلم والقدرة ونحوها من الصّفات التي تلازم الذات فلا تنفك عنها بحال من الأحوال، " فالله تعالى لم يزل له يدان ووجه وعينان، لم يحدث له شيء من ذلك بعد أن لم يكن، ولن ينفك عن شيء منها، كما أن الله لم يزل عالما ولا يزال عالما، و لم يزل قادراً ولا يزال قادراً ....وهكذا، ليس قدرته تتجدد ولا سمعه يتجدد، بل هو موصوف بهذا أزلاً وأبداً " (٢)

---

(١) شرح العقيدة الطحاوية ص ١٢٤، وانظر الفقه الأكبر المنسوب لأبي حنيفة ص ٣٠ مع شرحه لملا علي قاري ، والأسماء والصّفات للبيهقي ٢٧٦/١، والاعتقاد له أيضا ص ٣٠، ومعالم التتريل ٥١/١، وزاد المعاد لابن القيم ٦٧٩/٣، وقصيدة محمد بن يوسف اليمني في الرد على السبكي ص ١١٤، وشرح العقيدة الواسطية للشيخ محمد العثيمين ٧٧/١ .

(٢) شرح العقيدة الواسطية ٧٨/١ .

وأما الصّفات الفعلية فهي ما تتعلق بالمشيئة والإرادة، فتتجدد عن مشـــيئته ســبحانه وتعالى ويفعل ما يشاء متى يشاء، فهو سبحانه يفعل ما يشاء و يحكم مـــا يريـــد، فمــن الصّفات الفعلية الرضى والمجيء والمحبّة والنّزول إلى السماء الدنيا حين يبقى ثلـــث الليـــل الآخر والغضب ونحوها من الصفات التي هي من فعله يفعلها حين يشاء، كما في حديـــث الشفاعة: ﴿ ربِّي غَضِبَ الْيَوْمَ غَضَبًا لَمْ يَغْضَبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ وَلا يَغْضَبُ بَعْدَهُ مِثْلَـــهُ ﴾[1] ويقول تعالى :﴿ إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ﴾ [2]وقال ســـبحانه :﴿ وجاء ربك والملك صفاً صفاً ﴾ [3]" وغيرها من الآيات الدّالة على صفاته الفعلية" وليس في إثباتهـــا لله تعالى نقص بوجه من الوجوه، بل هذا من كماله أن يكون فاعلا لما يريـــد " [4] والله أعلم .

المطلب الثاني : أنواع الصفات الفعلية .

- ما لها سبب معلوم .
- ما ليس لها سبب معلوم .

يقول الشيخ محمد العثيمين رحمه الله : "الصّفات الفعلية ... نوعان : صفـــات لهـــا سبب معلوم، مثل الرضى، فالله عز وجل إذا وجد سبب الرضى رضي، وصفات ليس لها سبب معلوم مثل النّزول إلى السماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الآخر " [5] .

---

(١) الحديث متفق عليه من حديث أبي هريرة ﷺ في حديث الشفاعة الطويل، أخرجه البخاري كتاب أحاديث الأنبياء باب قول الله تعالى : ﴿ولقد أرسلنا نوحا إلى قومه ﴾ ٤٢٨/٦/برقم(٣٣٤٠)وكتاب تفسير القرآن باب قول الله تعالى : ﴿ذرية من حملنا مع نوح﴾ ٢٤٧/٨/ برقم (٤٧١٢) ومسلم في كتاب الإيمان ٦٥/٣/ برقم (١٩٤).

(٢) سورة آل عمران الآية ٣١.

(٣) سورة الفجر الآية ٢٢ .

(٤) شرح العقيدة الواسطية للشيخ ابن العثيمين ٧٩/١ .

(٥) شرح العقيدة الواسطية ١٧٧/١ .

التعليق :

الصّفات الفعلية كما سبق هي أفعاله سبحانه التي تتجدد عند المشيئة والإرادة، وهي من حيث معرفة السبب تنقسم إلى قسمين :

صفات لها سبب معلوم فإذا وجد السبب وجدت الصفة، مثل صفة الرضى فهو يرضى بطاعته وشكره، قال سبحانه:﴿ وإن تشكروا يرضه لكم ﴾ (1)، وقال سبحانه:﴿ لقد رضي الله عن المؤمنين إذ يبايعونك تحت الشجرة ﴾ (2) وكذا المحبة، قال سبحانه :﴿ قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ﴾ (3) وكذا الغضب والسخط ونحوها من الصّفات .

والقسم الثاني : صفات ليس لها سبب معلوم، فأفعاله سبحانه وإن كانت لا تخلو من الحكمة إلا أن بعضها ليس لها سبب معلوم لنا، مثل نزوله سبحانه إلى السماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الآخر كما في حديث أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ أَنَّ رَسُولَ ﷺ قَالَ:﴿ **يَـنْزِلُ رَبُّنَا تَبَارَكَ وَتَعَالَى كُلَّ لَيْلَةٍ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا حِينَ يَبْقَى ثُلُثُ اللَّيْلِ الآخِرُ يَقُولُ : مَنْ يَدْعُونِي فَأَسْتَجِيبَ لَهُ، مَنْ يَسْأَلُنِي فَأُعْطِيَهُ مَنْ يَسْتَغْفِرُنِي فَأَغْفِرَ لَهُ**﴾ (4)، وكذا صفة الاستواء على العرش، فقد ذكر الله في سبع آيات أنه استوى على العرش (5) وليس لها سبب معلوم، والله أعلم .

---

(1) سورة الزمر الآية ٧ .

(2) سورة الفتح الآية ١٨ .

(3) سورة آل عمران الآية ٣١ .

(4) الحديث متفق عليه، أخرجه البخاري في كتاب الجمعة باب الدعاء في الصلاة من آخر الليل ٣/٣٥/برقم (١١٤٥) وكتاب الدعوات باب الدعاء نصف الليل ١١/١٣٣/ برقم (٦٣٢١) وكتاب التوحيد باب قوله تعالى : ﴿ **يريدون أن يبدلوا كلام الله** ﴾ ١٣/٤٧٣/ برقم (٧٤٩٤)، ومسلم في كتاب صلاة المسافرين وقصرها ٦/٣٦/ برقم (٧٥٨) .

(5) الآيات : الأعراف الآية ٥٤، يونس الآية ٣، الرعد الآية ٢، طه الآية ٥، الفرقان الآية ٥٩، السجدة الآية ٤، الحديد الآية ٤ .

المطلب الثالث: أنواع الصّفات من حيث النفي والإثبات.

- صفات مثبتة .
- صفات منفية .

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله : '' فإن الله موصوف بصفات الكمال الثبوتية، كالحياة والعلم والقدرة، فيلزم من ثبوتها سلب صفات النقص، وهو بسبحانه لا يمدح بالصّفات السلبية إلا لتضمنها المعاني الثبوتية، فإن العدم المحض والسلب الصرف لا مدح فيه ولا كمال، إنما الكمال في الوجود، ولهذا جاء كتاب الله تعالى على هذا الوجه فيصف سبحانه نفسه بالصّفات الثبوتية صفات الكمال وبصفات السلب المتضمنة للثبوت'' (١) .

يقول الشيخ محمد العثيمين رحمه الله :''الصّفات قسمان: صفات مثبتة وتسمى عندهم الصّفات الثبوتية، وصفات منفية ويسمونها الصّفات السلبية من السلب وهو النفي ولا حرج من أن نسميها سلبية، فصفات الله ﷻ قسمان: ثبوتية وسلبية، أو إن شئت فقل: مثبتة ومنفية '' (٢) .

التعليق :

إن الله تعالى جمع فيما وصف به نفسه بين النفي والإثبات، وذلك أن تمام الكمال وغايته لا يكون إلا بإثبات صفات الكمال ونفي ما يضادها من صفات النقص؛ فالصّفات التي وصف الله به نفسه من حيث الإثبات والنفي تنقسم إلى قسمين :

صفات مثبتة، وهي كل ما أثبتها الله سبحانه لنفسه، وهي كلها صفات كمال ليس فيها نقص بوجه من الوجوه، والصّفات المثبتة كثيرة ومفصلة، لأن الإثبات المفصل يكون فيه المدح والتمجيد والثناء أعظم وأكبر ''وكلما كانت صفات كمال المحمود أكثر كان حمده أكمل، ولهذا كان الحمد لله حمدا لا يحصيه سواه لكمال صفاته وكثرتها، ولأجل

---

(١) الجواب الصحيح ٢٠٩/٣، وانظر مجموع الفتاوى ١٠٨/١٧ .

(٢) شرح العقيدة الواسطية ١٤١/١ باختصار .

هذا لا يحصى أحد من خلقه ثناء عليه لما له من صفات الكمال ونعوت الجلال التي لا يحصيها سواه "[1].

وصفات منفية سلبية، وهي ما نفى الله سبحانه عن نفسه من صفات النقص، ونفي أي صفة من الصفات يستلزم ثبوت كمال ضدها وإلا فالنفي المجرد ليس فيه تمجيد وتسبيح وثناء ومدح، فقوله تعالى :﴿ الله لا إله إلا هو الحي القيوم لا تأخذه سنة ولا نوم ﴾ [2] وذلك لكمال حياته وقيوميته، وقال ﷻ :﴿ لا يضل ربي ولا ينسى ﴾ [3] وذلك لكمال علمه وحفظه، وقوله تعالى :﴿ وما مسنا من لغوب ﴾[4] لكمال قدرته [5]، والنفي يكون في الغالب نفيا عاما مجملا من غير تفصيل ولا تعيين، كما في قوله تعالى :﴿ ليس كمثله شيء ﴾ وقوله :﴿ ولم يكن له كفوا أحد ﴾، و لم يرد النفي والسلب لصفات النقص مفصلا إلا قليلا لاسيما في مقام تكذيب المتقولين عليه بنسبة النقص إليه أو دفع توهم النقص فيه سبحانه، بخلاف الإثبات فهي تأتي مفصّلاً في الغالب، والله أعلم .

المطلب الرابع : أنواع الصفات من حيث ثبوتها

- الصفات الشرعية العقلية .
- الصفات الشرعية الخبرية .

يقول الإمام البيهقي رحمه الله : "وصفاته أوصاف وهي على قسمين : أحدهما : صفات ذات ،والآخر : صفات الفعل ،فصفات ذاته ... على قسمين : أحدهما : عقلي، والآخر سمعي، فالعقلي ما كان طريق إثباته أدلة العقول مع ورود السمع به... وأما

---

(١) مدارج السالكين ٢٥/١ .

(٢) سورة البقرة الآية ٢٥٥ .

(٣) سورة طه الآية ٥٢ .

(٤) سورة ق الآية ٣٨ .

(٥) انظر مجموع الفتاوى ٦٣/٣، والصواعق المرسلة لابن القيم ١٤٤٤/٤ وشرح الطحاوية ص١٠٦-١٠٨.

السمعي فهو ما كان طريق إثباته الكتاب والسنة فقط كالوجه واليدين والعين وهذه أيضا صفات قائمة بذاته...ولا يجوز تكييفها...وطريق إثباتها له صفات ذات ورود خبر الصادق به، وأما صفات فعله فهي تسميات مشتقة من أفعاله ورد السمع بها...كوصف بأنه خالق "[1].

ويقول الشيخ محمد أمان الجامي رحمه الله :" تتنوع صفات الرب تعالى من حيث ثبوتها إلى نوعين : النوع الأوّل الصّفات الشرعية العقلية، وهي التي يشترك في إثباتها الدليل الشرعي السمعي والدليل العقلي ...وهي أكثر الصّفات، النوع الثاني : الصّفات الخبرية وتسمى النقلية والسمعية، وهي التي لا سبيل إلى إثباتها إلا بطريق السمع والخبر عن الله ...وأمثلتها كالآتي : الوجه، اليد، العين، الغضب، الرضا، الاستواء، الضحك ... "[2]

التعليق :

كما سبق أن الصّفات توقيفية بمعنى أنّ أي صفة من الصّفات لا يجوز إثباتها بعينها ولا نفيها إلا بنصّ من الكتاب والسّنة فهي بهذا الاعتبار سمعيّة خبريّة كلّها، إلا أنّ بعض الصّفات يشترك في إثباتها العَقل مع السَّمع وبعضا منها ليس للعقلِ أن يخوض فيها، وعلى هذا فالصّفات من حيث الثبوت تنقسم إلى قسمين : عقلية وسمعية خبرية .

فالعقلية هي ما ثبتت بالسمع ودل عليها العقل أيضا، فالعقل يعاضد إثباتها من وجوه غير ما ورد به السمع، فيستدل عليها بالأقيسة العقلية والقواعد المنطقية وإن كانت هي في الأصل ثابتة بالسمع، ومن هذا النوع أكثر الصّفات لا كما يقوله بعض المبتدعة بأنها منحصرة في سبع صفات أو ثمان صفات أو عشرين صفة، بل العقل يثبت أكثر الصّفات .

وأما السمعية فهي ما لا سبيل للعقل فيها لا إثباتاً ولا نفياً، بلّ عليه التسليم بما ورد والإيمان بما ثبت والإمساك عما لم يأت به نص ثابت في الكتاب والسنة لا يتجاوز الكتاب والسنة، ومن هذا النوع من الصّفات نحو اليد والوجه ونحوها من الصّفات الذاتية

---

(١) الاعتقاد للبيهقي ص ٣٠ وانظر: الأسماء والصّفات له ٢٧٦/١ .

(٢) الصّفات الإلهية ص ٢٠٧، وانظر منهاج السنة النبوية ٣٢٧/٢ .

والتي هي أبعاض وأجزاء بالنسبة للمخلوقين[1]" فمثل هذه الصّفات مدار إثباتها السمع وحده فلا يجوز أن يستعمل فيها الأقيسة العقلية ولا اللوازم المستنبطة لا في النفي ولا في الإثبات فلا يجوز القياس على اليد والوجه والرجل سائر الجوارح في الإثبات ولا يجوز إثبات كيفية معينة للصفات الثابتة ولا نفيها أيضا فلا يقال أنها ليست بجوارح ولا جوهر ولا أعراض ولا جسم ونحو ذلك، إذ إن الشارع لم يذكر من هذه الأشياء شيئا، ومن هذا النوع أيضا بعض الصّفات الفعلية نحو الاستواء والمجيء ونحوها مما لم يعلم إلا بالسمع ، والله أعلم .

المطلب الخامس : أنواع الصفات من حيث الإثبات مطلقًا ومقيدا .

- الصّفات الثابتة مطلقاً .
- الصّفات الثابتة مقيداً .
- الصّفات المنفية مطلقاً .

يقول العلامة ابن القيم رحمه الله : " الصّفات ثلاثة أنواع : صفات كمال، وصفات نقص، وصفات لا تقتضي كمالاً ولا نقصاً، وإن كانت القسمة التقديرية تقتضي قسماً رابعاً وهو ما يكون كمالا ونقصا باعتبارين، والرب تعالى متره عن الأقسام الثلاثة، وموصوف بالقسم الأول وصفاته كلها، صفات كمال محض، فهو موصوف من الصّفات بأكملها وله من الكمال أكمله "[2] .

يقول الشيخ محمد العثيمين رحمه الله : " الصّفات تنقسم إلى ثلاثة أقسام : صفة كمال مطلق فهي ثابتة لله ﷻ، وصفة كمال بقيد فهذه لا يوصف بها على الإطلاق إلا مقيدا، وصفة نقص مطلق فهذه لا يوصف الله بها بأي حال من الأحوال " [3] .

---

(١) انظر شرح العقيدة الواسطية للشيخ العثيمين ٧٧/١ .

(٢) بدائع الفوائد ١٧٧/١ .

(٣) شرح العقيدة الواسطية ١٤٣/١ بتصرف واختصار .

التعليق :

كما سبق أن صفات الله سبحانه صفات الكمال المطلق، فله من الصّفات أكملها وأتمها وأشرفها، فما كانت من صفات الكمال المطلق فيوصف الله بها مطلقا من غير قيد، وأما ما كانت صفة كمال مقيد فلا يوصف بها الله مطلقا بل يوصف مقيدا بما يحصل به الكمال، وأما ما لم يكن فيه الكمال مطلقا بل هي من صفات النقص المطلق فلا يوصف بها الله بحال من الأحوال، فصفاته سبحانه وتعالى من حيث إثباتها له ونفيها عنه مطلقا ومقيدا تنقسم إلى هذه الأقسام الثلاثة :

صفات مثبتة بالإطلاق، وهي كل صفة كمال لا نقص فيها بوجه من الوجوه، ويدخل في هذا كل صفة دل عليها اسم من أسمائه الحسنى، فهي من صفات الكمال المطلق .

يقول الشيخ محمد العثيمين رحمه الله : " والصّفات المأخوذة من الأسماء هي كمال بكل حال، ويكون الله ﷻ قد اتصف بمدلولها، فالسمع صفة كمال دل عليها اسمه السميع، فكل صفة دلت عليها الأسماء فهي صفة كمال مثبتة لله على سبيل الإطلاق " [1].

وصفات مثبتة بقيد، وهي كل صفة لا تدل على الكمال إلا مقيدة بشيء، فلا يوصف بها الله على الإطلاق إلا بقيد، كما قال الله تعالى :﴿ إن المنافقين يخادعون الله وهو خادعهم ﴾ [2] فأثبت الخداع للمنافقين الذين يخادعونه، وقال تعالى :﴿ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين ﴾[3]، وقال تعالى :﴿ إنهم يكيدون كيدا * وأكيد كيدا ﴾ [4].

صفات منفية عن الله تعالى مطلقا، وهي كل صفة ليس فيها كمال مطلقا بل هي من صفات النقص المطلق، فهي منفية عن الله لا يوصف بها بحال من الأحوال، ولذا لما ذكر

---

(١) المرجع السابق ١/١٤٣، ١٤٤ .

(٢) سورة النساء الآية ١٤٢ .

(٣) سورة الأنفال الآية ٣٠ .

(٤) سورة الطارق الآيتان ١٥ , ١٦.

الله الخيانة قال سبحانه :﴿ وإن يريدوا خيانتك فقد خانوا الله من قبل فأمكن منهم ﴾ [1] فقال فأمكن منهم ولم يقل فخانهم، لأن الخيانة خداع في مقام الائتمان، والخداع في مقام الائتمان نقص ليس فيه مدح أبدا [2]، فصفات النقص منفية عن الله مطلقا، والله أعلم .

المطلب السادس : أنواع ما يجري صفة أو خبرا على الرب

- ما يرجع إلى الذات .
- ما يرجع إلى صفة معنوية .
- ما يرجع إلى أفعاله .
- ما يرجع إلى التتريه المحض .
- ما يدل على معاني كثيرة .

يقول العلامة ابن القيم رحمه الله : " ما يجري صفة أو خبرا على الرب تبارك وتعالى أقسام : أحدها : ما يرجع إلى نفس الذات، كقولك ذات وموجود وشيء، الثاني : ما يرجع إلى صفات معنوية، كالعليم والقدير والسميع، الثالث : ما يرجع إلى أفعاله، نحو الخالق والرزاق، الرابع : ما يرجع إلى التتريه المحض، ولا بد من تضمنه ثبوتا إذ لا كمال في العدم المحض، كالقدوس والسلام، الخامس : ولم يذكره أكثر الناس وهو الاسم الدّال على جملة أوصاف، نحو المجيد، العظيم، الصمد، فإن المجيد من اتصف بصفات متعددة من صفات الكمال، ولفظه يدل على هذا فإنه موضوع للسعة والكثرة والزيادة فمنه استمجد المرخ والغفار، وأمجد الناقة علفا، ومنه ﴿ ذو العرش المجيد ﴾ صفة للعرش لسعته وعظمه وشرفه"[3].

---

(١) سورة الأنفال الآية ٧١ .

(٢) انظر شرح العقيدة الواسطية لابن عثيمين ١٤٣/١ .

(٣) بدائع الفوائد ١٦٦/١ .

التعليق :

لا شك أن باب الإخبار أوسع من باب الصّفات، فالصّفات توقيفية فلا يجوز إثبات صفة إلا بنص من الكتاب والسنة، وأما الإخبار عن الرب فيجوز الإخبار عنه بأسماء حسنة وإن لم تكن حسنى بل ويجوز الإخبار عنه ﷻ بصفات وأسماء ليست بسيئة وإن لم يحكم بحسنها .

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله : " وأما الإخبار عنه فلا يكون باسم سيئ، لكن قد يكون باسم حسن، أو باسم ليس بسيئ، وإن لم يحكم بحسنه مثل اسم شيء، وذات وموجود "(١) وهذا التقسيم هو من حيث ما يتضمن الأخبار عن الله ﷻ وما يرجع إليه هذا الإخبار من أنواع ومعاني الصّفات،فالأخبار التي تجري على الرب ﷻ بهذا الاعتبار تنقسم إلى خمسة أقسام : ما يرجع إلى الذات نفسه من غير تضمن شيء من صفات الكمال، كقولنا بأنه موجود، وقائم بنفسه ونحو ذلك مما يخبر به عن الله سبحانه وتعالى وإن لم يدخل في الأسماء الحسنى و لم يضمن صفات كمال .

والثاني ما يرجع إلى الصّفات المعنوية، كالحي والحكيم ونحوها مما يدل على الصّفات المعنوية، والثالث ما يرجع إلى أفعاله، فتدل الصفة أو الخبر على فعل من أفعاله سبحانه، نحو الخالق فهو يدل على فعله الخلق والإيجاد وكذا الرزاق يدل على الرزق .

والرابع ما يرجع إلى تتريه الرب تبارك وتعالى عن النقائص والعيوب، وهذا كل خبر أو صفة فيه نفي النقائص عن الله سبحانه، نحو قوله تعالى :﴿ لا تأخذه سنة ولا نوم ﴾ وقوله ﷺ :﴿ إن الله لا ينام ولا ينبغي له أن ينام ﴾ (٢) .

والخامس ما يتضمن جملة من صفات الرب تبارك وتعالى، نحو اسمه المجيد الذي يتضمن جملة من أوصافه واسمه الصمد الذي يتضمن كماله في كل شيء كما قال أهل اللغة أن معناه الذي ليس فوقه أحد والذي يصمد إليه الناس، وكذا اسمه العظيم، فالأخبار عنه ﷻ باعتبار ما يتضمن من أنواع ومعاني الصّفات تنقسم إلى هذه الأقسام الخمسة .

---

(١) مجموع الفتاوى ١٤٢/٦ .

(٢) الحديث أخرجه مسلم في صحيحه كتاب الإيمان ١٢/٣/(١٧٩) من حديث أبي موسى ﷺ .

المطلب السابع : طرق إثبات الصفات .

- دلالة الأسماء .
- السمع .
- دلالة الأفعال .

يقول الشيخ ابن عثيمين رحمه الله : " هناك عدة طرق لإثبات الصفة : الطريق الأوّل : دلالة الأسماء عليها لأن كل اسم فهو متضمن لصفة ، الطريق الثاني : أن ينص على الصفة مثل الوجه واليدين ... الطريق الثالث : أن تؤخذ من الفعل مثل الكلام فنأخذها من : ﴿ وكلم الله موسى تكليما ﴾[1]"[2] .

التعليق :

من قواعد أهل السنة والجماعة في الأسماء والصّفات أنها توفيقية لا مجال للعقل والرأي فيها فهي تؤخذ من الكتاب والسنة فقط ويوصف الله ﷻ بما وصف به نفسه وما وصف به رسوله ﷺ، إلا أن هناك ثلاثة طرق لإثبات الصفة لله ﷻ .

الأوّل : دلالة الأسماء عليها، إذ إن كل اسم يتضمن صفة تشتق منه، فالأسماء ليست أعلاما جامدة كما يقوله المعتزلة، لأن أسماء الله كلها حسنى بالغة في الحسن فيثنى بها على الله، ولو كانت جامدة لم تكن حسنى و لم يدعى بها و لم يثنى بها العبد على الله، فهي متضمنة للصفات ودالة عليها، فاسمه العليم يدل على صفة العلم واسمه القدير يدل على صفة القدرة وكذا كل اسم من الأسماء الحسنى متضمن لصفة تشتق منه .

الثاني: أن ينص الله ﷻ في كتابه أو على لسان نبيه ﷺ على صفة من صفاته، وذلك لأن الله تعالى موصوف بكل صفات الكمال التي لا نقص فيها بوجه من الوجوه،

---

(١) سورة النساء ١٦٤ .

(٢) شرح الواسطية لابن عثيمين ١/١٤٤ .

وصفات الكمال لا تحصر، إلا أنها لا تثبت لله على وجه الصفة إلا عن طريق الكتاب والسنة لأنها كما سبق توقيفية، فمن هذا النوع القدم والساق والوجه ونحو ذلك .

وأما الثالث : فهو الأخذ من أفعال الله الثابتة بالكتاب والسنة، كالمجيء فيثبت من قوله تعالى : ﴿ وجاء ربك والملك صفا صفا ﴾ [(1)] والاستواء من قوله سبحانه : ﴿ الرحمن على العرش استوى ﴾ [(2)] فهذه الصّفات التي تدل عليها أفعاله وغيرها من الصّفات تثبت له سبحانه حقيقة كما يليق به سبحانه "والكلام في الجميع صراط واحد مستقيم إثبات بلا تمثيل، وتنزيه بلا تحريف ولا تعطيل "[(3)] والله أعلم .

المطلب الثامن : أنواع نصوص الكتاب والسنة الواردة في الصفات

- واضح جلي .
- مشكل خفي .

يقول الشيخ العثيمين رحمه الله : " تنقسم نصوص الكتاب والسنة الواردة في الصّفات إلى قسمين : واضح جلي، ومشكل خفي، فالواضح ما اتضح لفظه ومعناه فيجب الإيمان به لفظا واثبات معناه بلا رد ولا تأويل ...وأما المشكل الخفي فهو ما لم يتضح معناه لإجمال في دلالته أو قصر في فهم قارئه، فيجب إثبات لفظه لورود الشرع به والتوقف في معناه وترك التعرض له، لأنه مشكل لا يمكن الحكم عليه فنرد علمه إلى الله ورسوله"[(4)] .

التعليق :

هذا التقسيم للنصوص هو من حيث وضوح المعنى وخفائه، ولا شك أن نصوص الكتاب والسنة واضحة وبيّنة لا لغز فيها ولا عبث في مقاصدها، إلا أن نصوص القرآن

---

(١) سورة الفجر الآية ٢٢ .

(٢) سورة طه الآية ٥ .

(٣) زاد المعاد لابن القيم ٣/٦٧٩ .

(٤) شرح لمعة الاعتقاد ص ٣٢ .

الكريم فهي في غاية التشابه والإحكام والإعجاز مما أعجز البلغاء والفصحاء أن يأتوا بسورة من مثله، فيخفى على بعض النّاس مدلولات بعض النصوص ومعانيها، وكذا أعطى الله ﷻ لنبيه ﷺ جوامع الكلم التي ألفاظها قليلة ومعناها ومدلولها كبير. فلا يدرك بعض النّاس بعض معانيها ومقاصدها فيكون بالنّسبة له من المتشابه والمشكل الخفي، وهكذا حال نصوص الصّفات أيضا فهي أيضا تنقسم إلى قسمين : نصوص واضحة جلية، ونصوص خفية مشكلة .

ولا شك أن غالب نصوص الصّفات بينة وواضحة في معناها ومقاصدها فهي تثبت لله الكمال وتنزهه من كل عيب ونقص، فهي نصوص مدح وثناء على الرّب تثبت له الكمال المطلق وتنفي عنه العيوب والنّقائص، فهي من حيث المعنى واضحة ومعلومة كما قال الإمام مالك وغيره من السّلف وليست هي من المتشابه المشكل كما تزعم المبتدعة، لكنها من حيث الكيفيّة مجهولة إذ لم يخبر الله ﷻ عنها بشيء ولا طلب منا الخوض والتفكر فيها بل المطلوب هو الإيمان باللفظ الوارد به النص وإثبات المعنى الظاهر المتبادر إلى الذهن وصونها من التشبيه والتعطيل، إلا أن المعنى المتبادر إلى الذهن لبعض الصّفات قد يشكل على بعض الناس لقصور في فهمهم، فيجب عليهم أن لا يتكلفوا بكثرة الخوض فيها وتفسيرها برأيهم وهواهم، بل عليهم أن يثبتوا اللفظ الوارد بالنص ويطلب المعنى من طريق أهل العلم بمعاني النصوص وينزه الله عن كل ما يتوهم منه النقص .

وقد يكون السبب هو كون النص مجملا فيحصل بذلك غموض في المعنى لا يعرفه الكثير، ولعل من أمثلة هذا اختلاف السلف والصحابة في تفسير قوله تعالى : ﴿ يوم يكشف عن ساق ويدعون إلى السجود فلا يستطيعون ﴾ (1) هل هو من آيات الصّفات أو أن المراد بها الشدة والكرب يوم القيامة، فالآية لم تضف الساق إلى الله ﷻ حتى تثبت بها صفة الساق لله ولذا قال من قال من السلف أن المراد بها الشدة والكرب يوم القيامة (2) .

---

(1) سورة القلم الآية ٤٢ وانظر : الصواعق المرسلة لابن القيم ٢٤٤/١، وتفسير ابن كثير ٤٠٨/٤، وفتح القدير ٣٨٨/٥، ٣٨٩ .

(2) انظر تفسير الطبري ٣٨/٢٩، ٣٩، والرد على الجهمية لابن منده ص ٣٨، ٣٩ والصواعق المرسلة ٢٥٢/١.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية : "ولا ريب أن ظاهر القرآن لا يدل على أن هذه من الصّفات فانه قال : ﴿ يوم يكشف عن ساق ﴾ نكرة في الإثبات لم يضفها إلى الله و لم يقل ساقه فمع عدم التعريف بالإضافة لا يظهر أنه من الصّفات إلا بدليل آخر ومثل هذا ليس بتأويل إنما التأويل صرف الآية عن مدلولها ومفهومها ومعناها المعروف "[1] إلا أن الحديث ثبت في إضافة الساق إلى الله ﷻ، فالله يكشف عن ساقه يوم القيامة ويدعون إلى السجود، كما في حديث أبي سعيد الخدري الذي رواه الشيخان [2] فدل هذا الحديث أن الساق الوارد في الآية هو صفة لله ﷻ ا.هـ .

المطلب التاسع : أقسام أحاديث الصفات

- القولي .
- الفعلي .
- تقريري .

يقول الشيخ محمد العثيمين رحمه الله : " ووصف رسول الله ﷺ لربه ينقسم إلى ثلاثة أقسام : إما بالقول، أو بالفعل، أو بالإقرار "[3] .

التعليق :

هذا التقسيم هو باعتبار أصل التقسيم للأحاديث النبوية، فالأحاديث تنقسم في أصلها إلى ثلاثة أقسام، وبهذه الأقسام الثلاثة ورد وصف الرسول ﷺ لربه ﷻ وبعض الصّفات ثبتت بالأحاديث فقط كالأصابع والقدم ونحوها، فوصفه لربّه ينقسم إلى أقسام ثلاثة : بالقول، وبالفعل، وبالإقرار .

---

(١) مجموع الفتاوى ٣٩٤/٦، ٣٩٥ .

(٢) أخرجه البخاري في تفسير القرآن باب يوم يكشف عن ساق برقم (٤٩١٩) ومسلم في كتاب الإيمان برقم (١٨٣) .

(٣) شرح الواسطية للشيخ محمد العثيمين ٨٣/١ .

أما بالقول فكثيرة جدا يصعب حصرها وعدها، منها قوله ﷺ : ﴿ **الراحمون يرحمهم الرحمن ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء** ﴾ [1] فهذا الحديث فيه وصفه بالرحمة والعلو، وكذا وقوله ﷺ : ﴿ **إِنَّ قُلُوبَ بَنِي آدَمَ كُلَّهَا بَيْنَ إِصْبَعَيْنِ مِنْ أَصَابِعِ الرَّحْمَنِ كَقَلْبٍ وَاحِدٍ يُصَرِّفُهُ حَيْثُ يَشَاءُ** ﴾ [2]، وقوله ﷺ : ﴿ **حَتَّى يَضَعَ رَبُّ الْعِزَّةِ فِيهَا قَدَمَهُ** ﴾ [3]، وغيرها من الأحاديث .

وأما بالفعل فكما في حديث أبي هريرة ﷺ أنه لما قرأ قوله تعالى: ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا ﴾ إِلَى قَوْلِهِ تَعَالَى ﴿ سَمِيعًا بَصِيرًا ﴾ قَالَ : ﴿ **رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَضَعُ إِبْهَامَهُ عَلَى أُذُنِهِ وَالَّتِي تَلِيهَا عَلَى عَيْنِهِ** ﴾ [4] فهذا تأكيد منه سبحانه لصفتي السمع والبصر بالفعل[5]، وكذا حديث ابن مسعود ﷺ في آخر من يدخل الجنة في آخره :﴿ **فَضَحِكَ ابْنُ مَسْعُودٍ، فَقَالَ: أَلا تَسْأَلُونِي مِمَّ أَضْحَكُ ؟ فَقَالُوا : مِمَّ تَضْحَكُ ؟ قَالَ : هَكَذَا ضَحِكَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَقَالُوا : مِمَّ تَضْحَكُ يَا رَسُولَ اللَّهِ ؟ قَالَ : مِنْ ضِحْكِ رَبِّ الْعَالَمِينَ حِينَ قَالَ : أَتَسْتَهْزِئُ مِنِّي وَأَنْتَ رَبُّ الْعَالَمِينَ، فَيَقُولُ: إِنِّي لا أَسْتَهْزِئُ مِنْكَ وَلَكِنِّي عَلَى مَا أَشَاءُ قَادِرٌ** ﴾ [6] فهذا إثبات حقيقة الضحك وتأكيد ذلك بالفعل لا تشبيه كيفية الضحك .

وأما الإقرار فكمثل إقراره الجارية التي سألها : أين الله ؟ فأشارت إلى السماء تعني أنه فوق السماوات في العلو فأقرها في وصفها للرب بالعلو وشهد بإيمانها [7] وكذا إقراره لحبر

---

(١) الحديث سبق تخريجه .

(٢) الحديث أخرجه مسلم في كتاب القدر برقم (٢٦٥٤) من حديث عبد الله عمرو رضي الله عنهما .

(٣) الحديث متفق عليه من حديث أنس بن مالك ﷺ، أخرجه البخاري كتاب التفسير باب قوله تعالى:﴿**هل من مزيد**﴾ ٨/٤٦٠/ برقم (٤٨٤٨)، ومسلم كتاب الجنة وصفة نعيمها ١٧/١٨٣/ برقم (٢٨٤٨) .

(٤) الحديث أخرجه أبو داود في السنن كتاب السنة باب في الجهمية ٥/٦٤/ برقم (٤٧٢٨) وقال أبو داود عقب الحديث : " وهذا رد على الجهمية " .

(٥) انظر شرح العقيدة الواسطية للشيخ العثيمين رحمه الله ١/٨٤

(٦) الحديث أخرجه مسلم في كتاب الإيمان ١/١٧٥/ برقم (١٨٧) .

(٧) الحديث أخرجه مسلم في صحيحه كتاب المساجد ٥/٢٠/ برقم (٥٣٧) .

من أحبار اليهود في وصفه للرب بالأصابع بل وضحْكُه تعجّباً وتصديقاً له [1]، فصفات الرب كما وردت في كتاب الله ﷻ كذلك وردت في كثير من الأحاديث الشريفة بل وردت بكل أنواع الحديث القولي والفعلي والتقريري، والله أعلم .

المطلب العاشر : أنواع المضافات إلى الله عز وجل .

- إضافة المخلوق إلى الخالق .
- إضافة الصفة إلى الموصوف .
- إضافة ما فيه معنى الصفة والفعل .

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله :"المضافات الى الله سبحانه في الكتاب والسنة ثلاثة أقسام، أحدها : إضافة الصفة الى الموصوف كقوله تعالى: ﴿ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ ﴾ [2]" القسم الثاني : إضافة المخلوقات كقوله :﴿ نَاقَةَ اللَّهِ وَسُقْيَاهَا ﴾ [3]، القسم الثالث: ما فيه معنى الصفة والفعل مثل قوله : ﴿ وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا ﴾ [4] " [5] .

---

(1) الحديث متفق عليه من حديث ابن مسعود ﷺ أخرجه البخاري في مواضع منها كتاب التوحيد باب قوله تعالى : ﴿ لما خلقت بيدي ﴾ ١٣/٤٠٤/ برقم (٧٤١٤) وباب قوله تعالى : ﴿ إن الله يمسك السماوات والأرض أن تزولا ﴾ ١٣/٤٤٧/ برقم (٧٤٥١) ، ومسلم كتاب صفة القيامة والجنة والنار ١٧/١٢٩/ برقم (٢٧٨٦)، وهذا الحديث مع إخراج الشيخين له لم يسلم من تلاعب المؤولين وتأويل المبطلين لنصوص الصّفات، .

(2) سورة البقرة الآية ٢٥٥ .

(3) سورة الشمس الآية ١٣ .

(4) سورة النساء ١٦٤ .

(5) مجموع الفتاوى لابن تيمية ٦/١٤٤ وانظر: ٩/٢٩٠، ١٧/١٥٠وانظر كتاب التوحيد لابن خزيمة ص ٣٩ الروح لابن القيم ص ١٥٤.

التعليق :

لا شك أن الكائنات كلها مخلوقة مربوبة لله سبحانه وتعالى، فهو الخالق وما سواه مخلوق، ثم إنه سبحانه موصوف بصفات الكمال المطلق، فالمخلوق يضاف إليه باعتبار أنه خالقه والصّفات تضاف إليه لأنه هو الموصوف بها، والصّفات كما سبق تنقسم إلى قسمين : ذاتية وفعلية، فالمضافات إليه سبحانه تنقسم إلى ثلاثة أقسام :

إضافة المخلوق إليه باعتبار أنه خالقه، كقوله تعالى: ﴿ وسع كرسيه السماوات والأرض ﴾ [1]وهذا القسم لا خلاف بين أحد من المسلمين أنه مخلوق لله قائم بنفسه بائن عنه سبحانه وهو خالقه وموجده بعد أن لم يكن، فهذه الإضافة هي إضافة المخلوق إلى خالقه، ولا يختلف هذا المخلوق – المضاف إلى خالقه – عن غيره من الأعيان المخلوقة فالله هو الخالق وما سواه مخلوق، إلا أن تخصيصه لهذه المخلوقات بالإضافة إليه فيه تشريف وتكريم واختيار لها على غيرها، فهو سبحانه يخلق ما يشاء ويختار من خلقه ما يشاء .

وأما الثاني : فهو إضافة الصفة إلى الموصوف، والمراد به إضافة صفته الذاتية وهذه الصّفات اتفق بعض المتكلمين أيضا على إثباتها ووصف الله ﷻ بها، كالعلم والقدرة والوجه واليدين ونحوها، قال تعالى : ﴿ ولا يحيطون بشيء من علمه إلا بما شاء ﴾ [2] وقال : ﴿ مَا مَنَعَكَ أَن تَسجُدَ لِمَا خَلَقتُ بِيَدَيّ ﴾ [2]، فهذا إضافة الصفة إلى الموصوف بها، فالمضاف فيه هو صفة غير قائمة بنفسها ولا منفصلة عن الموصوف بها، فلا يقال إنها مضافة إلى الله إضافة خلق، بل هي صفات له سبحانه مضافة إليه إضافة الصفة إلى الموصوف، لازمة له لا تنفك عنه بحال من الأحوال .

وأما الثالث : فهو الذي خالف فيه كثير من المتكلمين من الأشاعرة والماتريدية والكلابية وهو ما فيه معنى الصفة والفعل، أو بعبارة أصح أنه صفاته الفعلية المتعلقة

(١) سورة البقرة الآية ٢٥٥ .

(٢) سورة ص الآية ٧٥ .

بالمشيئة، والفعل صفته سبحانه لازمة له وهو لم يزل فاعلا يفعل ما يشاء [1] فلم يكن قط معطلا عن الفعل، فهو موصوف بالفعل في الأزل إلا أنه يتعلق بالمشيئة فيفعل ما يشاء متى يشاء، كالخلق والكلام والغضب والرضى ونحوها، قال تعالى : ﴿ وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيماً ﴾ [2]، وقال : ﴿ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ﴾ [3]، فهذا أيضا من إضافة الصفة إلى الموصوف، وليس من باب إضافة المخلوق إلى الخالق، إذ إن الفعل يقوم به سبحانه فهو الذي يباشره، وهو سبحانه وتعالى مع أفعاله وصفاته خالق وما سواه مخلوق، فكلامه وخلقه ورزقه ورضاه وغضبه ونحوها من الأفعال المضافة إلى الله سبحانه تقوم به وليست من المخلوقات المنفصلة عنه، فهي إضافة صفة إلى الموصوف، فالمضافات إلى الله سبحانه لا تخلو من هذه الأقسام الثلاثة : إما أعيان منفصلة عنه فهو من إضافة المخلوق إلى الخالق، وإما معاني لا تقوم بنفسها، أو أفعال يقوم بها الفاعل عند المشيئة، فهذين الأخيرين هما من باب إضافة الصّفات إلى الموصوف ، والله أعلم .

المطلب الحادي عشر : أنواع البركة المضافة إلى الله عز وجل .

- إضافة فعل .
- إضافة صفة .

يقول العلامة ابن القيم رحمه الله : "البركة المضافة نوعان : أحدهما بركة هي فعله تبارك وتعالى والفعل منه بارك، ويتعدى بنفسه تارة، وبأداة (على) تارة، وبأداة (في) تارة، والمفعول منها مبارك، وهو ما جعل كذلك فكان مباركا بجعله تعالى، النوع الثاني : بركة تضاف إليه إضافة الرحمة والعزة، والفعل منها تبارك، ولهذا لا يقال لغيره ذلك ولا

(١) يقول شيخ الإسلام : " وإنه لم يزل متكلما بمعنى إنه لم يزل يتكلم إذا شاء ويسكت إذا شاء " مجموع الفتاوى ٦/١٥٠ .

(٢) سورة النساء الآية ١٦٤ .

(٣) سورة المائدة الآية ١١٩ .

يصلح إلا له عز وجل فهو سبحانه المبارك، وعبده ورسوله، كما قال المسيح عليه السلام: ﴿ وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَمَا كُنتُ ﴾ [1] فمن بارك الله فيه وعليه فهو المبارَك "[2].

التعليق :

البركة من صفات الله ﷻ المتعدّية أثرها إلى الخلق مثل الرّحمة، فتضاف إليه إضافة صفة إلى الموصوف وتضاف إليه أيضا إضافة مفعول ومخلوق، فهو مبارك في نفسه ويبارك في بعض مخلوقاته فهذا التقسيم هو من حيث التفريق بين فعله الذي هو صفته وبين مفعوله الذي هو مخلوق مفعول له سبحانه .

فأما البركة التي هي صفته وفعله فالفعل منه يأتي بـ(تبارك) الدّال على المبالغة في البركة وسعتها وعظمتها ونهايتها على وزن تعالى الدّال على كمال علوه ونهايته، وتعاظم الدّال على كمال عظمته، ولذا اطردت في القرآن به عند الوصف بالبركة و لم يأت الوصف به غيره سبحانه، قال سبحانه : ﴿ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴾ [3] ﴿ فتبارك الله أحسن الخالقين ﴾ [4] .

وأما البركة التي هي صفته وفعله فالفعل منه يأتي بـ(بارك) المتعدي أثره إلى الغير فهو يلقي بركته على بعض خلقه ويجعله مباركا، فكتابه مبارك وبيته مبارك قال سبحانه : ﴿ وهذا كتاب أنزلناه مبارك فاتبعوه واتقوا لعلكم ترحمون ﴾ [5]، وقال سبحانه : ﴿ إن أول بيت وضع للناس للذي ببكة مباركا وهدى للعالمين ﴾ [6]، فهذا يضاف إليه إضافة مفعول إلى فاعله إذ أنه أثر بركته التي هي صفته وأما الأوّل فهو يضاف إليه إضافة صفة إلى الموصوف، والله أعلم .

---

(١) سورة مريم الآية ٣١ .

(٢) بدائع الفوائد لابن القيم ٢/٤١٠-٤١١ .

(٣) سورة الأعراف ٥٤ .

(٤) سورة المؤمنون الآية ١٤ .

(٥) سورة الأنعام الآية ١٥٥ .

(٦) سورة آل عمران الآية ٩٦ .

- إضافة مفعول إلى فاعله .
- إضافة صفة إلى الموصوف بها .

يقول العلامة ابن القيم رحمه الله : " اعلم أن الرحمة المضافة إلى الله تعـالى نوعـان، أحدهما : مضاف إليه إضافة مفعول إلى فاعله، الثاني : مضاف إليـه إضافـة صفـة الى الموصوف بها، فمن الأوّل قوله في الحديث الصحيح : ﴿ **احتجت الجنة والنار...فقـال للجنة : إنما أنت رحمتي أرحم بك من أشاء** ﴾ [1] فهذه رحمة مخلوقة مضافة إليه إضافـة المخلوق الى الخالق تبارك وتعالى، وسماها رحمة لأنها خلقت بالرحمة وللرحمة وخـص بـه أهل الرحمة، وهذا بخلاف قول الداعي : ((يا حي يا قيوم برحمتك استغيث)) فان الرحمة هنا صفته تبارك وتعالى " [2] .

التعليق :

من أسماء الله الحسنى " الرحمن، الرحيم " فالرحمن يدل على صفته الرحمة القائمة بـه سبحانه والرحيم دال على تعلقها بالمرحوم [3] فالله تعالى موصوف بالرحمة ويرحم بهـذه خلقه ويوصل إليهم آثار رحمته، فآثار رحمته التي هي خلق له أيضا توصف بأنها رحمـة الله وتضاف إليه، وعلى هذا فالرحمة المضافة إليه سبحانه على نوعين : صفة له قائمـة بـه، ومخلوق له منفصل عنه .

فالرحمة هي صفة الله الذاتية الملازمة له لا تنفك عنه كسائر صفاته وهي ثابتة بالكتـاب والسنة وبجميع أنواع طرق إثبات الصّفات، قال سبحانه : ﴿ قل ادعوا الله أو ادعوا الرحمن أيا ما تدعوا فله الأسماء الحسنى ﴾ [4]، وقال سبحانه : ﴿ وربك الغفور ذو الرحمة ﴾ [5]، وقـال

---

(١) الحديث أخرجه مسلم في صحيحه كتاب الجنة وصفة نعيمها ١٧/١٨٠/(٢٨٤٦) .

(٢) بدائع الفوائد لابن القيم ٢/٤٠٨ .

(٣) انظر بدائع الفوائد ١/٢٨، وتيسير العزيز الحميد للشيخ سليمان ص ١٦ .

(٤) سورة الإسراء الآية ١١٠ .

(٥) سورة الكهف الآية ٥٨ .

سبحانه : ﴿ ولا يزالون مختلفين إلا من رحم ربك ﴾ [1]، وأما السنة فلا تكاد تحصى الأحاديث الواردة في ذلك منها قوله ﷺ : « الرَّاحِمُونَ يَرْحَمُهُمْ الرَّحْمَنُ، ارْحَمُوا مَنْ فِي الأَرْضِ يَرْحَمْكُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ » [2]، فالرحمة صفة من صفات الله تضاف إليه إضافة صفة إلى الموصوف، وأما آثار هذه الصفة الموصولة إلى العباد فهي مخلوقة له سبحانه فتضاف إليه إضافة مخلوق إلى الخالق، كما قال سبحانه : ﴿ وهو الذي يرسل الرياح بشرا بين يدي رحمته ﴾ [3] أي "الرياح المبشرات بالغيث "[4] الذي هو أثر من آثار رحمته على عباده، كما قال سبحانه : ﴿ فانظر إلى آثار رحمة الله كيف يحي الأرض بعد موتها ﴾ [5] وقال ﷺ : « جَعَلَ اللَّهُ الرَّحْمَةَ مِائَةَ جُزْءٍ فَأَمْسَكَ عِنْدَهُ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ جُزْءًا وَأَنْزَلَ فِي الأَرْضِ جُزْءًا وَاحِدًا، فَمِنْ ذَلِكَ الْجُزْءِ يَتَرَاحَمُ الْخَلْقُ، حَتَّى تَرْفَعَ الْفَرَسُ حَافِرَهَا عَنْ وَلَدِهَا خَشْيَةَ أَنْ تُصِيبَهُ » [6]، فهذه رحمة الله مخلوقة منفصلة عنه لأنها من صفات المخلوقين فالصفة تتبع الموصوف فتضاف إليه إضافة مخلوق إلى خالقه، والله أعلم .

المطلب الثالث عشر : أنواع العلو .

- علو الصّفات .
- علو الذات .

يقول الشيخ محمد العثيمين رحمه الله :"وعلو الله ينقسم إلى قسمين: علو الصفة، وهذا لا ينكره أحد ينتسب للإسلام، والمراد به كمال صفات الله، كما قال تعالى : ﴿

---

(1) سورة هود الآية ١١٩ .

(2) الحديث سبق تخريجه .

(3) سورة الأعراف الآية ٥٧ .

(4) تيسير الكريم الرحمن ص ٢٥٤ وانظر تفسير ابن كثير ٢١٣/٢ .

(5) سورة الروم الآية ٥٠ .

(6) الحديث متفق عليه من حديث أبي هريرة ﷺ، أخرجه البخاري كتاب الأدب باب جعل الله الرحمة مائة جزء ٤٤٦/١٠/ برقم (٦٠٠٠) ومسلم كتاب التوبة ٦٨/١٧/ برقم (٢٧٥٢) .

للذين لا يؤمنون بالآخرة مثل السوء ولله المثل الأعلى وهو العزيز الحكيم ﴾ [1]، علو الذات، وهذا أنكره بعض المنتسبين للإسلام " [2]

التعليق :

العلو من صفات المدح التي يوصف الله بها مطلقاً، وهو من الصّفات التي دل عليها النقل والعقل والفطرة جميعاً، وعلو الله ﷻ على قسمين : علو الصفة، علو الذات .

أما القسم الأول فهو علو الصّفات، فالله ﷻ موصوف بكل صفات الكمال وصفاته كاملة بكل وجه ولا نقص فيها بوجه من الوجوه، ولذا جاء وصفه بالعلي الأعلى، قال سبحانه :﴿ سبح اسم ربك الأعلى ﴾وقال سبحانه:﴿وله المثل الأعلى في السماوات والأرض﴾ [3] وقال ﷻ : ﴿ ولله المثل الأعلى﴾ أي الوصف الأعلى والصفة العليا والكمال المطلق من كل وجوه [4]وكل كمال في الوجود فالله أحق به من غير أن يستلزم ذلك نقصا بوجه من والوجوه، وكل نقص في المخلوق يتره عنه فتتريه الخالق من باب أولى وأحرى [5] .

وأما القسم الثاني فهو علو الذات، فهذا أيضا من كمال ذات الرب تبارك وتعالى، فهو من كماله وشرفه وقهره على غيره لا يعلوه شيء من خلقه، بل هو عالٍ على كل مخلوقاته والعلو صفة لازمة له، وقد اختلف السلف هل يخلو منه العرش عند ما يترل إلى سماء الدنيا في كل ليلة ؟ ورجح شيخ الإسلام وغيره بأنه لا يخلو منه العرش، وأنه لا يعلوه شيء من خلقه في حال من الأحوال فهو عال في نزوله إلى سماء الدنيا وفي كل حين [6]، وقد دل على علوه سبحانه وتعالى أنواع من الأدلة في القرآن الكريم وأما السنة الصحيحة والآثار

---

(١) سورة النحل الآية ٦٠ .

(٢) القول المفيد ٣٨٢/٣ وانظر ٣٩٤/١ .

(٣) سورة الروم الآية ٢٧ .

(٤) انظر تفسير القرطبي ٧٩/١٠، وابن كثير ٥٥٤/٢ .

(٥) انظر مجموع الفتاوى ٤٨/١ و درء تعارض العقل والنقل ٣٦٢/٧ وتيسير الكريم الرحمن ص ٣٩٥ .

(٦) انظر مجموع الفتاوى ١٣٢/٥، ٣٦٦-٣٦٩ وما بعدها، والجواب الصحيح ٣١٧/٤ .

الثابتة عن الصحابة والتابعين فلا يحصيها إلا الله [1]، ومع ذلك أنكر كثير من المنتسبين للإسلام علو ذاته على خلقه وأولوه بعلو الصفة والشرف والقهر .

المطلب الرابع عشر: أنواع السمع المضاف إلى الله عز وجل.

- سمع يتعلق بالمسموعات .
- سمع بمعنى الإجابة .

يقول الشيخ السعدي رحمه الله : " وسمعه تعالى نوعان : أحدهما : سمعه لجميع الأصوات الظاهرة والباطنة الخفية والجلية وإحاطته التامة بها، الثاني : سمع الإجابة منه للسائلين والداعين والعابد ين فيجيبهم ويثيبهم " [2].

يقول الشيخ ابن العثيمين رحمه الله :"السمع المضاف الى الله عز وجل ينقسم إلى قسمين : سمع يتعلق بالمسموعات فيكون معناه إدراك الصوت، وسمع بمعنى الاستجابة فيكون معناه أن الله يجيب من دعاه، وسَمِع الله دعاءه يعني استجاب دعاءه" [3].

التعليق :

السمع من صفات الله الذاتية التي لم يزل متصفا بها ولا تنفك عنه في وقت من الأوقات، وهو ينقسم إلى قسمين :

سمع عام لجميع الأصوات، فهو سميع يسمع ضجيج الأصوات باختلاف اللغات وتفنن الحاجات فلا يشغله سمع عن سمع يسمع السر والنجوى، وهذا السمع هو الذي يتعلق بالمسموعات عموما فهو بمعنى إدراك الصوت والإحاطة به، ومن هذا حديث عائشة رضي الله عنها :﴿ **الْحَمْدُ لِلهِ الَّذِي وَسِعَ سَمْعُهُ الأَصْوَاتَ، لَقَدْ جَاءَتْ خَوْلَةُ إِلَى رَسُولِ اللَّـهِ**

---

(١) انظر مجموع الفتاوى ٥/١٦٤ .

(٢) الحق الواضح المبين ص ٢٢٩، وانظر مجموع الفتاوى لابن تيمية ١/٢٠٨، ٢٠٩، وانظر شأن الدعاء للخطابي ص ٥٩ وبدائع الفوائد لابن القيم ٣/٥١٥.

(٣) شرح العقيدة الواسطية لابن العثيمين ١/٣٢٣ .

ﷺ تَشْكُو زَوْجَهَا فَكَانَ يَخْفَى عَلَيَّ كَلامُهَا، فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ ﴿ قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا ﴾ (1) ﴾ (2) .

وسمع خاص وهو بمعنى الاستجابة للدعاء، فهو سبحانه يسمع الدعاء فيستجيب، ولذا يختم الله الآيات التي فيها إجابة دعاء أو قضاء حاجة يختمها في الغالب بصفتي السمع والعلم، كما في قوله سبحانه وتعالى :﴿ فاستجاب له ربه فصرف عنه كيدهن إنه هو السميع العليم ﴾(3)، وقال زكريا عليه السلام حين دعا الله سبحانه توسل باسم السميع فقال : ﴿ هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُ قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِن لَّدُنكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ ﴾ (4)فالسمع المراد في نحو هذه الآيات هو السمع الخاص الذي هو بمعنى الاستجابة(5) ولذا يثنى به على الله عند إجابة دعوة وقضاء حاجة كما قال إبراهيم عليه السلام :﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي وَهَبَ لِي عَلَى الْكِبَرِ إِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ الدُّعَاءِ ﴾ (6) " فالسميع في مقام الدعاء : دعاء العبادة ودعاء المسألة معنى المستجيب " (7) فالسمع المضاف إلى الله تعالى من حيث تعلقه بالمسموعات عموما ومن حيث سماعه الخاص للدعاء ينقسم إلى قسمين :سمع عام يتعلق بعموم المسموعات سمع خاص للدعاء وهو سمعه واستجابته، والله أعلم .

---

(1) سورة المجادلة الآية 1 .

(2) الحديث أخرجه البخاري تعليقا بصيغة الجزم 374/13، وأخرجه أحمد في المسند 46/6، والنسائي في كتاب الطلاق باب الظهار 168/6 برقم (3460)، وابن ماجة في المقدمة باب فيما أنكرت الجهمية 67/1 برقم (188)، والحاكم في المستدرك 481/2 وقال : صحيح الاسناد، ووافقه الذهبي، وابن أبي عاصم في السنة 278/1، والحديث صححه الشيخ الألباني، انظر ظلال الجنة 278/1 .

(3) سورة يوسف الآية 34 .

(4) سورة آل عمران الآية 38 .

(5) انظر النهج الأسمى في شرح الأسماء الحسنى لمحمد النجدي ص 232، 233 .

(6) سورة إبراهيم الآية 39، وانظر القاعدة الجليلة لابن تيمية ص 95 وبدائع الفوائد لابن القيم 515/3 .

(7) القواعد الحسان لتفسير القرآن للشيخ ناصر السعدي ص 57 ضمن المجموعة الكاملة .

المطلب الخامس عشر: أنواع السمع باعتبار تعلقه بالمسموعات.

- ما يقصد به ا لتهديد .
- ما يقصد به التأييد .
- ما يقصد به بيان إحاطته سبحانه .

يقول الشيخ العثيمين رحمه الله : " فالسمع الذي بمعنى الصوت ثلاثة أقسام، أحدها : ما يقصد به التهديد، الثاني : ما يقصد به التأييد، الثالث : ما يقصد به بيان إحاطة الله سبحانه وتعالى، أما ما يقصد به التهديد فكقوله تعالى :﴿ أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ بَلَى وَرُسُلُنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ ﴾[1] وقوله تعالى :﴿ لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا وَقَتْلَهُمُ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَنَقُولُ ذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ ﴾[2] "[3] .

التعليق :

السمع العام الذي هو بمعنى إدراك الصوت ورد في النصوص مضافا إلى الله على ثلاثة أقسام : ما يقصد به التهديد للكفار والعصاة، كقوله تعالى : ﴿ لا يحب الله الجهر بالسوء من القول إلا من ظلم وكان الله سميعا عليما ﴾[4] يقول القرطبي رحمه الله : " قوله تعالى :﴿ وكان الله سميعا عليما ﴾ تحذير للظالم حتى لا يظلم، وللمظلوم حتى لا يتعدى الحد في الانتصار "[5]

---

(١) سورة الزخرف الآية رقم ٨٠ .

(٢) سورة آل عمران الآية ١٨١ .

(٣) شرح العقيدة الواسطية لابن العثيمين ٣٢٤/١ .

(٤) سورة النساء الآية ١٤٨

(٥) الجامع لأحكام القرآن ٥/٦، وانظر فتح القدير للشوكاني ٨٠٢/١ .

ما يقصد به التأييد والنصر وذلك لعباده المؤمنين، لأنه إذا أخبر عباده بأنه يسمع ما يفعله عباده وما يفعل بهم فبذلك تتعالى هممهم وتتقوى عزائمهم على فعل الخير ومقابلة العدو، كما في قوله تعالى لموسى وهارون: ﴿ إِنَّنِي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَىٰ ﴾ [1].

ما يقصد به الإحاطة والعلم، كما في قوله تعالى: ﴿ قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا ﴾وتقول عائشة رضي الله عنها: ((الحمد لله الذي وسع سمعه الأصوات))، فهو سبحانه سميع يسمع الأصوات كلها سرها وجهرها، فالسمع العام الذي يتعلق بالمسموعات ورد مضافا إلى الله في النصوص الشرعية على هذه الأقسام الثلاثة، والله أعلم.

المطلب السادس عشر: أنواع الرؤية المضافة إلى الله.

- الرؤية العلمية.
- الرؤية البصرية.

يقول الشيخ العثيمين رحمه الله: "الرؤية تنقسم إلى قسمين: رؤية بمعنى العلم، ورؤية بمعنى إدراك المبصرات، وكل ذلك ثابت لله ﷻ" [2].

التعليق:

هذا التقسيم للرؤية هو من حيث إطلاقها اللغوي، فهي تطلق في اللغة للرؤية الحقيقية التي هي إدراك المبصرات بالبصر، وهذا لا شك بعد وقوع الأشياء وكونها ممكنة الرؤية، وللرؤية المعنوية التي هي إدراكها بالعلم والإحاطة، وهذا في مثل الأشياء المعنوية التي لا يمكن رؤيتها بالأبصار أو إطلاق الرؤية في أشياء لم تقع بعد، والرؤية المضافة إلى الله تعالى أيضا لها معنيان بهذين الاعتبارين:

---

(١) سورة طه الآيتان ٤٥، ٤٦، وانظر شرح العقيدة الواسطية للشيخ ابن عثيمين ١/٣٢٥.

(٢) شرح العقيدة الواسطية لابن العثيمين ١/٣٣٠.

الأول العلم والإحاطة كما قال تعالى : ﴿ إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُ بَعِيدًا * وَنَرَاهُ قَرِيبًا ﴾ [1]، وهذه الرؤية المراد بها هي العلم دون الرؤية بالبصر لأن اليوم ليس جسما يمكن رؤيته وهو أيضا لم يكن بعد [2]" والثاني رؤية المبصرات بالبصر، كقوله تعالى : ﴿ الَّذِي يَرَاكَ حِينَ تَقُومُ * وَتَقَلُّبَكَ فِي السَّاجِدِينَ ﴾ [3]" والرؤية هنا رؤية البصر لأن قوله تعالى : ﴿ الذي يراك حين تقوم ﴾ لا تصح أن تكون بمعنى العلم [4] لأن الله يعلم به حين يقوم وقبل أن يقوم وأيضا لقوله : ﴿ وَتَقَلُّبَكَ فِي السَّاجِدِينَ ﴾ وهو يؤيد أن المراد بالرؤية هنا رؤية البصر [5]" وكقوله تعالى : ﴿ قد نرى تقلب وجهك إلى السماء ﴾ [6] " أي كثرة تردده في جميع جهاته، شوقا وانتظارا لنزول الوحي "[7] ولا شك أن الرؤية بمعنى إدراك المبصر بالبصر في حق الله تعالى تشمل أيضا معنى العلم والإحاطة ولذا عقب الله تعالى الآية السابقة بقوله : ﴿ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾، فالرؤية المضافة إلى الله سبحانه وتعالى من حيث المعنى تنقسم إلى قسمين : رؤية علمية، رؤية بصرية، والله أعلم

المطلب السابع عشر : أنواع الرؤية من حيث تعلقها بالمبصرات .

- ما يقصد بها التهديد .
- ما يقصد بها التأييد .
- ما يقصد بها الإحاطة .

يقول الشيخ محمد العثيمين رحمه الله : " والرؤية التي بمعنى إدراك المبصرات ثلاثة أقسام : قسم يقصد به النصر والتأييد، كقوله تعالى : ﴿ إنني معكما أسمع وأرى ﴾ [8] وقسم

---

(١) سورة المعارج الآيتان ٦، ٧.
(٢) انظر شرح العقيدة الواسطية للشيخ العثيمين ٣٢٨/١ .
(٣) سورة الشعراء الآية ٢١٨، ٢١٩ .
(٤) أي بمعنى العلم فقط وإلا فإدراك المبصرات يتضمن العلم بها أيضا .
(٥) المصدر السابق ٣٢٨/١ .
(٦) سورة البقرة الآية ١٤٤ .
(٧) تيسير الكريم الرحمن ص ٧١ .
(٨) سورة طه الآية ٤٦ .

يقصد به الإحاطة والعلم، مثل قوله تعالى :﴿ إن الله نعما يعظكم به إن الله كان سميعا بصيرا ﴾ [1]، وقسم يقصد به التهديد، مثل قوله تعالى :﴿ قل لا تعتذروا لن نؤمن لكم قد نبأنا الله من أخباركم وسيرى الله عملكم ورسوله ﴾ [2]"[3]

التعليق :

الرؤية التي هي بمعنى إدراك المبصرات بالبصر وإن كان المراد بها رؤية الشيء نفسه الرؤية الحقيقية بالبصر إلا أنها لم ترد في النصوص مضافة إلى الله سبحانه لمجرد إخبار رؤية المبصر من غير أن يقصد بها شيئا من المعاني، بل وردت الرؤية مضافة إلى الله سبحانه على ثلاثة أقسام : قسم يقصد به النصر والتأييد لأوليائه ترغيبا لهم في الزيادة وتسلية عن الوحشة وتقوية لهم على الأعداء، كما قال تعالى لموسى عليه السلام وهارون عليه السلام حين أرسلهما إلى فرعون لتبليغ دعوة التوحيد وخافا من بطش فرعون وأعوانه فقال تعالى لهما مؤيدا :﴿ إنني معكما أسمع وأرى ﴾ " أي أراكما وأرى من أرسلتما إليه وأرى ما تفعلان وأرى ما يفعل بكما لأنه إما أن يساء إليهما بالقول أو بالفعل ... وإن كان بالفعل فهو مرئي عند الله " [4] .

وقسم يقصد به التهديد والتخويف، وذلك إذا أطلق الرؤية في حق الكفار أو لمن يهوي إلى المعصية كما قال تعالى:﴿ أَرَأَيْتَ الَّذِي يَنْهَى * عَبْدًا إِذَا صَلَّى ﴾ إلى قوله: ﴿ أَلَمْ يَعْلَمْ بِأَنَّ اللَّهَ يَرَى ﴾ [5] أي ألم يعلم هذا الناهي عن الصلاة بأن الله يراه وما يعمل ويفعل أما يخاف الله ويخشى عقابه [6] .

---

(١) سورة النساء الآية ٥٨ .

(٢) سورة التوبة الآية ٩٤ .

(٣) شرح العقيدة الواسطية ٣٣٠/١ .

(٤) المرجع السابق ٣٢٦/١ .

(٥) سورة العلق الآيات ٩ - ١٤.

(٦) انظر تيسير الكريم الرحمن للشيخ السعدي ص ٨٦٠.

وقسم يقصد به العلم والإحاطة، فهو سبحانه يرى دبيب النملة السوداء على الصخرة الصماء في الليلة الظلماء لا يخفى عليه خافية، لا يعزب عنه مثقال ذرة في السماوات ولا في الأرض، كما قال تعالى: ﴿ وَتَوَكَّلْ عَلَى الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ * الَّذِي يَرَاكَ حِينَ تَقُومُ * وَتَقَلُّبَكَ فِي السَّاجِدِينَ ﴾ [1] فالرؤية الحقيقية بمعنى إدراك المبصرات نفسها بالبصر وردت في النصوص مضافة إلى الله تعالى بهذه الأقسام الثلاث والله أعلم.

المطلب الثامن عشر: أنواع أفعال الله من حيث تعديها إلى غيره.

- متعد.
- لازم.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: "والأفعال نوعان: متعد، لازم، فالمتعدي: مثل الخلق، والإعطاء ونحو ذلك، واللازم: مثل الاستواء، المجيء، الإتيان، قال تعالى: ﴿ هو الذي خلق السماوات والأرض وما بينهما في ستة أيام ثم استوى على العرش ﴾ [2] فذكر الفعلين المتعدي واللازم، وكلاهما حاصل بمشيئته وقدرته وهو متصف به"[3].

ويقول الشيخ السعدي رحمه الله: " واعلم أن الأفعال الاختيارية للباري نوعان: نوع متعلق بذاته المقدسة كالاستواء على العرش والنزول كل ليلة إلى سماء الدنيا والمجيء والإتيان ونحوها، ونوع متعلق بالمخلوقات كالخلق والرزق والعطاء والمنع وأنواع التدابير الكونية والشرعية "[4].

---

(1) سورة الشعراء الآيات ٢١٧ – ٢١٩.

(2) سورة الحديد ٤.

(3) مجموع الفتاوى ٦/٢٣٣ وانظر: مجموع الفتاوى ٨/١٨، ١٩، ١٦/٣٧٢ ودرء التعارض ٢/٥، و مدارج السالكين ١/٤١٧، والحجة في بيان المحجة للأصبهاني ١/٣٠٢.

(4) توضيح الكافية الشافية ص ٣٩٠، ٣٩١.

التعليق :

هذا التقسيم هو باعتبار أصل تقسيم الفعل في اللغة، فالأفعال في اللغة تنقسم إلى متعد ولازم، فكذلك أفعال الله ﷻ باعتبار تعديها إلى المفعول وتعلقها بالمخلوق وعدم تعديها تنقسم إلى : متعد ولازم .

فاللازم ما لا يتعلق بأحد من المخلوقين ولا يقتضي شيئا غير القيام به سبحانه وتعالى، مثل الاستواء والمجيء والنزول ونحوها من الأفعال التي لا تتعدى إلى المخلوق بل تتعلق وتقوم به سبحانه، وأما الأفعال المتعدية فهي ما تتعدى إلى مفعول وتتعلق بالمخلوق مثل الخلق والرزق والإحياء والبعث والهدى والنصر ونحوها من الأفعال، وهي مما تقتضي آثارها من مخلوق ومرزوق ومبعوث ومهدي ونحوها، فهي مما تتعدى آثارها إلى المخلوق بعد قيامها به سبحانه، فاللازم هو ما يقوم بالرب فقط ولا تعلق له بالمخلوق، والمتعدي ما يقوم بالرب وتتعدى إلى المفعول أيضا، وقد والله أعلم .

المطلب التاسع عشر : أنواع فعله سبحانه

- مباشر .
- غير مباشر .

يقول الشيخ محمد العثيمين رحمه الله : "قوله تعالى: ﴿ يفعل ما يريد ﴾ [1] الفعل باعتبار ما يفعله تعالى بنفسه فعل مباشر، وباعتبار ما يقدره على العباد غير مباشر " [2] .

التعليق :

لا شك أن كل ما يفعله الإنسان هو مما قدره الله تعالى عليه قبل أن يخلق السماوات والأرض، فكل ما يعمله ويفعله فهو بقدر الله وإرادته ومشيئته، وبهذا الاعتبار كل أعمال العبد وأفعاله وما يصيبهم فهو ينسب إلى الله قضاء وقدرا، لكن لا يجوز أن ينسب إلى الله

(١) سورة الحج الآية ١٤ .

(٢) شرح الواسطية لابن العثيمين ١/٢١٦.

مباشرة إلا ما يفعله سبحانه بنفسه من الأفعال، نحو الاستواء والنّزول والمجيء فهذه الأفعال تنسب إلى الله مباشرة، فالأفعال في نسبتها إلى الله تنقسم إلى قسمين :

ما ينسب إليه مباشرة، وهو كل ما يقوم الرب سبحانه وتعالى به من الأفعال، وما ينسب إليه قدرا من غير مباشر وهو كل أفعال العبد وأعماله وما يصيبهم، فهذه لا تنسب إلى الله مباشرة ولا تنفي عنه سبحانه مطلقا بحيث ينسب إلى العبد خلقا وإيجادا من غير قدر سابق من الله سبحانه كما يزعم القدرية نفاة القدر، قال تعالى :﴿ ولوشاء الله ما اقتتلوا ولكن الله يفعل ما يريد ﴾[1]، وقال سبحانه لنبيه زكريا عليه السلام حين تعجب من أمر الولد قال سبحانه :﴿ قَالَ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَقَدْ بَلَغَنِيَ الْكِبَرُ وَامْرَأَتِي عَاقِرٌ قَالَ كَذَٰلِكَ اللَّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ ﴾[2]، فهذه الأفعال تنسب إلى الله خلقا وقدرا وقضاء لأنها كلها من قضائه وقدره على عباده، وهو الذي يخلقها قال تعالى : ﴿ والله خلقكم وما تعملون ﴾[3] وأما ما يفعله سبحانه بنفسه من بعض الأفعال مثل النّزول والمجيء والضحك ونحو ذلك فهو ينسب إليه مباشرة، ولا يجوز تأويله إلى نزول الأمر ولا نزول الملك، وكذا المجيء لا يجوز تأويله بمجيء أمره ومجيء ملك من الملائكة، وكذا تكليمه ﷻ لنبيه موسى عليه السلام بالوادي المقدس وخليله محمد ﷺ عند سدرة المنتهى فكل هذه تنسب إليه مباشرة من غير نسبة إلى أحد من خلقه ولا تأويلها إلى مالا يدل عليه دليل، فأفعاله سبحانه باعتبار مباشرته لها ونسبتها إليه قدرا من غير مباشر تنقسم إلى قسمين : مباشر، وغير مباشر، والله أعلم .

---

(١) سورة البقرة الآية ٢٥٣ .

(٢) سورة آل عمران الآية ٤٠.

(٣) سورة الصافات الآية ٩٦ .

المطلب العشرون: أنواع التنزيه.

- نفي النقص .
- نفي المماثلة .

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله :" والتنزيه يجمعه نوعان : نفي النقص، ونفي مماثلة غيره له في صفات الكمال، كما دل على ذلك سورة ﴿ قل هو الله أحد ﴾ وغيرها من القرآن مع دلالة العقل على ذلك "[1] .

التعليق :

التنزيه هو نفي العيوب والنقائص عن الله ﷻ، وتنزيه الرب سبحانه يكون إما بنفي صفات النقص عنه سبحانه وتعالى لثبوت كمال ضدها من صفات الكمال، أو بنفي مماثلة المخلوقين في صفاته الثابتة له، إذ أن المماثلة للمخلوق نقص في حق الخالق سبحانه، فليس التنزيه هو نفي صفات الكمال التي أثبتها الله في كتابه أو على لسان رسوله ﷺ، بل الواجب إثبات ما أثبته الله لنفسه ثم نفي مماثلة المخلوق له فيه كما قال سبحانه: ﴿ليس كمثله شيء وهو السميع البصير﴾[2] فنفى الله سبحانه مماثلة غيره له في شيء من الصّفات ثم أثبت له صفتي السمع والبصر مما يدل على أن التنزيه لا يستلزم نفي الصّفات بل التنزيه هو نفي المماثلة للمخلوق ونفي العيوب عنه ﷻ، فينفى عنه كل نقص وعيب بل كل ما يتوهم النقص منه من الصّفات وينزه عنها فلا يوصف بحال من الأحوال، والله أعلم .

المطلب الحادي والعشرون: أنواع أمر الله

- ديني شرعي .
- كوني قدري .

---

(١) منهاج السنة لابن تيمية ١٥٧/٢ وانظر ١٨٧/٢ و مجموع الفتاوى ٩٨/١٦.

(٢) سورة الشورى الآية ١١ .

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله : " أمر الله : الأمر الديني الشرعي ، قوله تعالى : ﴿ إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذي القربى ﴾[1] ﴿ إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات الى أهلها ﴾[2]" الأمر الكوني القدري، نحو قوله تعالى: ﴿ أتى أمر الله فلا تستعجلوه ﴾[3] "[4]

يقول العلامة ابن القيم رحمه الله : " أمره سبحانه نوعان : أمر كوني قدري، وأمر ديني شرعي، فمشيئته سبحانه متعلقة بخلقه وأمره الكوني، وكذلك تتعلق بما يحب وبما يكرهه كله داخل تحت مشيئته، وأما محبته ورضاه فمتعلقة بأمره الديني وشرعه الذي شرعه على ألسنة رسله "[5].

التعليق :

إن الله تعالى له الأمر جميعا وإليه يرجع الأمر كله ﴿ يَقُولُونَ هَل لَّنَا مِنَ الْأَمْرِ مِن شَيْءٍ قُلْ إِنَّ الْأَمْرَ كُلَّهُ لِلَّهِ ﴾[6]، وأمره سبحانه وتعالى ينقسم إلى قسمين : كوني قدري، يأمر به الله سبحانه وتعالى كونا وقدرا فيكون بمشيئته وإرادته ويقع حين يشاء ويريد، فكل مقدور بأمره الكوني وهو كائن لا محالة، قال تعالى: ﴿ وكان أمر الله قدرا مقدورا ﴾[7] ليس من المشترط فيه أن يكون الله يحبه ويرضاه، بل يكون الأمر من قدر الله ومشيئته وهو لا يحبه ولا يرضاه بل يبغضه ويكرهه، قال تعالى :﴿ وَإِذَا أَرَدْنَا أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيرًا ﴾[8] فهذا الأمر بالفسق ليس هو مما يحبه الله تعالى

---

(١) سورة النحل الآية ٩٠ .

(٢) سورة النساء الآية ٥٨ .

(٣) سورة النحل الآية ١ .

(٤) مجموع الفتاوى ٤١١/٢، ٤/ ١١٩، ٢٣٦ ٢٦٧/١١ .

(٥) شفاء العليل ص ٤٧ , ٤٨ .

(٦) سورة آل عمران الآية ١٥٤ .

(٧) سورة الأحزاب الآية ٣٨ .

(٨) سورة الإسراء الآية ١٦ .

ويرضاه شرعا بل أمره قدرا وكونا حتى تقوم حجة الله على أهل هـذه القريـة، فـأمره الكوني القدري هو ما يتعلق بربوبيته ومشيئته ويتعلق بما يحبه الله وبما لا يحبه .

وأما أمره الشرعي الديني فهو ما أمر الله به عباده وشرعه لهم ديناً وأمرهم بـالالتزام والامتثال به، وهو مما يحبه الله إلا أنه قد يتخلف بعض الناس عن فعله وامتثاله وتطبيق أمره وشرعه، فلا يلزم أن يقع هذا الأمر من العباد ويصدر منهم ما يأمرهم وإن كان مما يحبه الله تعالى، قال تعـالى : ﴿ الذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه ويقطعون ما أمر الله به أن يوصل ويفسدون في الأرض أولئك هم الخاسرون ﴾[1] وهذا كل أمر شرعي يأمر الله به عباده مـن الأوامر والنواهي على ألسنة الرسل، وأول أمرٍ أمرَ الله به تعالى وأهمه وأعظمه هو الأمـر بالتوحيد وعدم الإشراك به، قال تعالى : ﴿ إن الحكم إلا لله أمر ألا تعبدوا إلا إياه ﴾[2] ومع ذلك وجد في الخلق من يشرك به غيره، فالأمر الديني هو ما يحبه الله تعالى ويرضاه لعبـاده ويكون صادرا من ألوهيته فقد ينفذ العبد أمره وقد يتخلف المأمور به، ويختـص المؤمـن الموحد بامتثاله وتنفيذ أمره الديني دون الكفار، وأما أمره الكوني القدري فـهو يحصـل ولابد ويكون فيه الكافر والمؤمن والبر والفاجر كلهم سواء في تنفيذه لا راد لأمـره ولا يقدر أحد مخالفته، والله أعلم .

المطلب الثاني والعشرون : أنواع كلمات الله

- دينية شرعية .
- كونية قدرية .

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله : " كلماته نوعان : كلماته الدينية المتضمنـة شرعه ودينه كالقرآن، وكلماته الكونية التي بها كون الكائنات، وهي الكلمات التي كـان النبي ﷺ يستعيذ بها في قوله : **﴿ أعوذ بكلمات الله التامات التي لا يجاوزها بر ولا فاجر**

(١) سورة البقرة الآية ٢٧ .

(٢) سورة يوسف الآية ٤٠ .

﴾[1] فإن كلماته التي بها كون المخلوقات لا يخرج عنها بر ولا فاجر، بخلاف كلماته التي شرع بها دينه فإن الفجار عصوها كما عصاها إبليس ومن اتبعه "[2].

يقول العلامة ابن القيم رحمه الله : "وأما الكلمات الكونية فكقوله :﴿ كذلك حقت كلمة ربك على الذين فسقوا أنهم لا يؤمنون ﴾ [3]، وأما الديني فكقوله :﴿ وإن أحد من المشركين استجارك فأجره حتى يسمع كلام الله ﴾ [4] والمراد به القرآن، وقوله ﷺ في النساء :﴿ واستحللتم فروجهن بكلمة الله ﴾[5] أي بإباحته ودينه " [6]

التعليق :

كلمات الله تعالى هي التي تكلم الله بها وهي تنقسم إلى قسمين : كلمات كونية التي تكلم الله بها لخلق شيء ووجوده كما قال تبارك وتعالى :﴿ إنما أمره إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون﴾[7] يقول أبو عبيدة[8] :" فأخبر أن خلقه بقوله وأن كلامه قبل الخلق "

---

(1) الحديث أخرجه أحمد في المسند ٤١٩/٣، وابن أبي شيبة ٥١/٥، من حديث عبد الرحمن بن خنبش ﷺ، قال البخاري : في إسناده نظر، انظر الإصابة لابن حجر ٢٥٤/٤، وأخرجه الطبراني في الكبير ١١٤/٤، وابن أبي عاصم ١٦٤/١، من حديث خالد بن وليد ﷺ، قال الهيثمي ١٢٧/١٠: وفيه المسيب بن واضح وقد وثقه غير واحد وضعفه جماعة، وقال الألباني : سنده ضعيف، انظر ظلال الجنة ١٦٤/١ .

(2) درء تعارض العقل والنقل ٢٦٦/٧، انظر مجموع الفتاوى ٢٦/١٠، ٢٧٠/١١ والجواب الصحيح ١٥٣/١ .

(3) سورة يونس الآية ٣٣ .

(4) سورة التوبة الآية ٦ .

(5) جزء من حديث جابر الطويل في صفة حج النبي ﷺ أخرجه مسلم في كتاب الحج باب حجة النبي ﷺ ١٧٠/٨/ برقم (١٢١٨) .

(6) شفاء العليل ص ٢٨٢ .

(7) سورة يس الآية٨٢ .

(8) هو أبو عبيدة معمر بن المثنى التيمي البصري اللغوي العلامة الأخباري، ولد سنة ١١٠هـ، من تصانيفه كتاب مجاز القرآن، وكتاب غريب الحديث، توفي سنة ٢٠٩ هـ وقيل ٢١٠هـ .
انظر سير أعلام النبلاء ٤٥/٩-٤٧، وشذرات الذهب ٢٤/٢-٢٥ .

[1] وفي الحديث :﴿ عَطَائِي كَلامٌ، وَعَذَابِي كَلامٌ، إِنَّمَا أَمْرِي لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْتُهُ أَنْ أَقُولَ لَهُ : كُنْ فَيَكُونُ ﴾ [٢] فكل شيء – عدا بعض مخلوقاته التي يخلقها الله ﷻ بيده – يحصل ويقع بكلامه وقوله كن، وهذه كلماته الكونية التي بها يخلق الكائنات وما فيها مما يحبه الله تعالى ومما يكرهه، فالشيطان والكفار وغيرها من المخلوقات المبغوضة إنما خلقها بكلامه وقوله لها كن فكانت، وهذه الكلمات هي المتعلقة بربوبيته التي لا يمكن لأحد ردها ولا مخالفتها قال تعالى: ﴿ أفمن حق عليه كلمة العذاب أفأنت تنقذ من في النار ﴾[٣]، يقول الشوكاني رحمه الله : " معنى الآية التسلية لرسول الله ﷺ لأنه كان حريصا على إيمان قومه، فأعلمه الله أن من سبق عليه القضاء وحقت عليه كلمة الله لا يقدر رسول الله ﷺ أن ينقذه من النار بأن يجعله مؤمنا " [٤]

والثاني هي الكلمات الشرعية الدينية المتمثلة في الأوامر والنواهي والأخبار والقصص والوعد والوعيد ونحوها من الكلام المنزل على الرسل صلوات الله وسلامه عليهم وبركاته والتي من آمن بها وعمل بمقتضاها فاز بالثواب العظيم، وهذه الكلمات هي صادرة من ألوهيته سبحانه وتعالى ومتعلقة بما يحبه ويرضاه، وهي التي يجاوزهن الكفار والفجار الذين يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما تهوى أنفسهم، قال تعالى :﴿ وقد كان فريق منهم يسمعون كلام الله ثم يحرفونه من بعد ما عقلوه وهم يعلمون ﴾ [٥]، وأما الكلمات الكونية فهي التي لا يمكن لأحد مخالفتها، والله أعلم .

---

(١) خلق أفعال العباد للبخاري ص ٤٤ .

(٢) أخرجه الترمذي في كتاب صفة القيامة ٤/٤٥٦/ برقم (٢٤٩٥)وقال: حديث حسن، وابن ماجة كتاب الزهد باب ذكر التوبة ٢/١٤٣٩/ برقم (٥٢٥٧) وأحمد في المسند ٥/١٥٤، ١٧٧، والبخاري في خلق أفعال العباد ١/٤٠، كلهم من حديث أبي ذر ﷺ .

(٣) سورة الزمر الآية ١٩ .

(٤) فتح القدير ٤/٦٤٩ .

(٥) سورة البقرة الآية ٧٥ .

المطلب الثالث والعشرون: أنواع إرادة الله

- الدينية الشرعية.
- الكونية القدرية .

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله : " إرادة الله : الإرادة الدينية الشرعية، قوله تعالى : ﴿ يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر ﴾[1]، الإرادة الكونية القدرية : قوله تعالى : ﴿ فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام ومن يرد أن يضله يجعل صدره ضيقا حرجا ﴾[2] "[3].

التعليق :

إرادة الله تعالى أيضا تنقسم إلى قسمين مثل الأمر، فالإرادة الكونية هي ما تتعلق بكل كائن ولا يلزم أن يكون مرادها محبوبا لله مرضيا له، بل قد يكون هذا المراد مما يحبه الله ويرضاه، مثل إيمان المؤمن وطاعته ووجود الأنبياء والمرسلين والصالحين والشهداء، وقد يكون هذا المراد مما يكرهه ويبغضه مثل كفر الكافرين ومعصية العاصين ووجود المفسدين فهذا وإن كان مما أراده قدرا وكونا فهو لا يرضى لعباده الكفر والمعصية، بل ينهى عنه شرعا، والإرادة الكونية لا يتخلف مرادها ولا يمنعها ولا يصرفها أحد عن مراده وهي حاصلة لا محالة كما في الحديث :« وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ خَلْقَ شَيْءٍ لَمْ يَمْنَعْهُ شَيْءٌ »[4] فهي مرادفة للمشيئة تستلزم وقوع المراد .

وأما الإرادة الشرعية الدينية فهي مما أراده الله لعباده شرعا ودينا وهي تتعلق بما يحبه الله تعالى ويرضاه[5]" وهذا قد يتخلف عن حصول المراد ووقوعه فلا يصدر من العبد ما أراده الله منه شرعا وقد يفعل ما لم يرده الله له دينا وشرعا، فالله تعالى أراد من الكفار

---

(١) سورة البقرة الآية ١٨٥ .

(٢) سورة الأنعام الآية ١٢٥ .

(٣) مجموع الفتاوى ٤١١/٢ ،وانظر ٢٣٦/٤ و٦٢/١٧، الجواب الصحيح ٤٢/١ .

(٤) الحديث أخرجه مسلم في كتاب النكاح ١٢/١٠/ برقم (١٤٣٨) من حديث أبي سعيد الخدري ﷺ .

(٥) وانظر مجموع الفتاوى ١٩٧/٨-١٩٨ .

الإيمان وأمرهم به وأرسل إليهم الرسل وأراد منهم طاعته لكن لم يحصل منهم ذلك كونا لأنه لم يرد منهم قدرا وكونا، كما في الحديث :﴿ يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى لأَهْوَنِ أَهْلِ النَّارِ عَذَابًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ : لَوْ أَنَّ لَكَ مَا فِي الأَرْضِ مِنْ شَيْءٍ أَكُنْتَ تَفْتَدِي بِهِ ؟ فَيَقُولُ : نَعَمْ، فَيَقُولُ : أَرَدْتُ مِنْكَ أَهْوَنَ مِنْ هَذَا وَأَنْتَ فِي صُلْبِ آدَمَ أَنْ لا تُشْرِكَ بِي شَيْئًا فَأَبَيْتَ إِلاَّ أَنْ تُشْرِكَ بِي ﴾ [1] فهذه منه سبحانه إرادة دينية شرعية لا مكره لأحد على المراد منها، ومن هنا قد غلط من فسر الإرادة كلها بالإرادة الكونية القدرية التي لا يتخلف مرادها فبالتالي أولوا الإرادة الواردة في هذا الحديث ونحوه أولوها بغيرها تنزيها منهم للرب سبحانه وتعالى عن العجز الذي هو عدم حصول المراد [2] وهذا لعدم إدراكهم ومعرفتهم للنوع الثاني للإرادة وهي الشرعية التي يمكن أن يتخلف مرادها إذ لم يقدر الله ذلك، والله أعلم .

المطلب الرابع والعشرون : أنواع قضاء الله سبحانه

- الديني الشرعي .
- الكوني القدري .

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله : " قال في القضاء الديني الشرعي:﴿ وقضى ربك أن لا تعبدوا إلا إياه ﴾ [3] أي أمر ربك بذلك، وقال في القضاء الكوني :﴿ فقضاهن سبع سماوات ﴾ [4] " [5]

---

(١) الحديث سبق تخريجه .

(٢) انظر شرح النووي لصحيح مسلم عند شرح الحديث السابق /١٤٧، فقد أوله، وهذا مما أخذه العلماء على النووي وغيره وردوا عليهم على جلالة قدرهم وعلمهم، وكل يؤخذ منه ويترك إلا الرسول ﷺ .

(٣) سورة الإسراء الآية ٢٣ .

(٤) سورة فصلت الآية ١٢ .

(٥) مجموع الفتاوى ٤١٢/٢، ٢٣٦/٤، ٢٦٨/١١ .

يقول العلامة ابن القيم رحمه الله : " فالقضاء في كتاب الله نوعان: كوني قدري، كقوله : ﴿ فلما قضينا عليه الموت ﴾[1] وشرعي ديني، كقوله :﴿ وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه ﴾ أي أمر وشرع، ولو كان قضاء كونيا لما عبد غير الله "[2] .

التعليق :

القضاء هو الحكم والأمر، وقضاء الله تعالى أيضا ينقسم إلى قسمين : كوني قدري، شرعي ديني، فالكوني القدري هو مالا يختص بالمحبوبات فقط بل يشمل كل قضاء يقضي به الله تبارك وتعالى ويقدره فيكون بمشيئته وإرادته قال تعالى :﴿ هو الذي خلقكم من طين ثم قضى أجلا وأجل مسمى عنده ﴾[3]، وقال سبحانه : ﴿ سبحانه إذا قضى أمرا فإنما يقول له كن فيكون ﴾[4]، فهذا القضاء منه سبحانه هو قدرا وكونا ويقع لا محالة وإن كان مما لا يتعلق بما يحبه سبحانه[5] كما قال سبحانه :﴿ وقضينا إلى بني إسرائيل في الكتاب لتفسدن في الأرض مرتين ولتعلن علوا كبيرا ﴾[6]

وأما القضاء الديني الشرعي فهو مما يحبه الله تعالى، فهذا قد يقع ويحصل المقضي به وقد لا يحصل، فالله تعالى قضى أن لا يعبد الإنس والجن إلا إياه ومع هذا حصل العبادة لغير

---

(١) سورة سبأ الآية ١٤ .

(٢) شفاء العليل ص ٢٨٠ .

(٣) سورة الأنعام الآية ٢.

(٤) سورة مريم الآية ٣٥ .

(٥) وهنا قد ضل قدم طائفتين من الناس فمنهم من قال إن كل قضاء يقضي الله به فهو يحبه ويرضى به فيكون المعاصي والذنوب كلها بقضاء الله وقدره فهو يحبها ويرضى بها، وقالت الفرقة الثانية إن الله تعالى لا يحب المعاصي والذنوب بل يسخطه ويبغضه فليس هو بقضاء الله وقدره، وكلاهما منحرفتان جائرتان عن سواء السبيل، فليس بين القضاء والمحبّة تلازم ، فقد يقضي شيئا وهو لا يحبه وقد يحب شيئا ولا يقضيه على عبده. انظر مدارج السالكين لابن القيم ١٨٩/٢ .

(٦) سورة الإسراء الآية ٤.

الله تعالى، وقضى بالوالدين إحسانا، ومع ذلك كم يحصل من العقوق للوالدين، قال تعالى :﴿ وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه وبالوالدين إحسانا ﴾ [1]، والله أعلم .

المطلب الخامس والعشرون : أنواع قضائه الكوني .

- مصائب .
- معايب .

يقول العلامة ابن القيم رحمه الله : " والقضاء نوعان : إما مصائب، وإما معايب، وله عليه عبودية في هذه كلها، فعبوديته في قضاء المصائب الصبر عليها ثم الرضا بها وهو أعلى منه، ثم الشكر عليها وهو أعلى من الرضا، وعبوديته في قضاء المعايب المبادرة إلى التوبة عالما بأنه لا يرفعها عنه إلا هو، وانه لا سبيل له الى الإقلاع والتوبة إلا بتوفيقه وإعانته وأن ذلك بيده سبحانه لا بيد العبد فهو أعجز وأضعف " [2] .

التعليق :

القضاء هو ما يقضي الله تعالى على عبده وهو يصيبهم لا محالة، فكل ما يفعله العبد من الطاعات والمعاصي فهو من قضاء الرب عليه، فأما الطاعات فيجتمع فيها القضاء الشرعي مع القضاء الكوني، وأما المصائب والمعاصي فينفرد فيها القضاء الكوني دون الشرعي، فقضاؤه سبحانه وتعالى الكوني الذي ينفرد عن القضاء الشرعي على نوعين اثنين :

مصائب تتعلق بدنياه، ومعايب تضره في دينه، فالذي يتعلق بدنياه يجب على العبد فيه الصبر عليه والاعتقاد بأن الله تعالى لا يختار له شيئا إلا وفيه مصلحة وحكمة تقتضي اسمه الحكيم، فعسى أن يكره العبد شيئا وهو خير له وعسى أن يحب العبد شيئا وهو شر له، وما يصيب العبد من مصائب فهو وإن كان مما قدره الله ﷻ عليه إلا أنه قد يكون جزاء

---

(1) سورة الإسراء الآية ٢٣ .

(2) الفوائد لابن القيم ص ١١٢ بتصرف واختصار .

له بما كسبت نفسه، قال سبحانه : ﴿ وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم ﴾ [1]، وقد يكون ابتلاء من الله وامتحان منه للعبد، فينبغي للعبد الصبر عليه وعدم الفزع والجزع منه، بل يقول كما أمر الله سبحانه وتعالى : ﴿ قل لن يصيبنا إلا ما كتب الله لنا هو مولانا وعلى الله فليتوكل المتوكلون ﴾ [2]، وكما قال سبحانه : ﴿ الذين إذا أصابتهم مصيبة قالوا إنا لله وإنا إليه راجعون * أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة وأولئك هم المهتدون ﴾ [3]

وأما المعايب التي تضره في دينه فيجب على العبد مقاومتها وإزالتها والمبادرة إلى التوبة والفرار إلى القضاء الشرعي الكوني، ولا يستقيم الاستسلام هنا للقضاء الكوني ولا التسليم والرضى به، بل يجب منازعته بالقضاء الكوني الآخر[4] الذي هو التوبة والإنابة إلى الله ﷻ وكلما فزع العبد وجزع منها وبادر إلى إزالتها والتوبة كان خيرا وأحسن عاقبة له، قال سبحانه : ﴿ وإما ينزغنك من الشيطان نزغ فاستعذ بالله إنه سميع عليم * إن الذين اتقوا إذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا فإذا هم مبصرون ﴾ [5]، فالقضاء الكوني وإن كان بمشيئة الله ﷻ فلا يجوز التسليم له والرضى به إن كان مما يضره في دينه، فالله تعالى وإن كان قد قضى على بعض خلقه بالكفر فهو لا يرضى لعباده الكفر ولا يحبه بل يبغضه مع قضائه عليهم[6]، فيجب على العبد أيضا أن لا يرضى بما قضى عليه من المعاصي بل يبادر إلى الإقلاع عنها والتوبة منها، والله أعلم .

---

(١) سورة الشورى الآية ٣٠ .

(٢) سورة التوبة الآية ٥١ .

(٣) سورة البقرة الآيتان ١٥٦، ١٥٧ .

(٤) انظر طريق الهجرتين ص ٦٧ –٦٨ .

(٥) سورة الأعراف الآيتان ٢٠٠، ٢٠١ .

(٦) انظر شفاء العليل ص ٢٧٨ .

المطلب السادس والعشرون: أنواع الكتابة

- كونية .
- شرعية .

يقول العلامة ابن القيم رحمه الله : " أما الكتابة، فالكونية كقوله: ﴿كتب الله لأغلبن أنا ورسلي﴾ [1] وقوله ﴿ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر أن الأرض يرثها عبادي الصالحون﴾ [2] وقوله :﴿كتب عليه أنه من تولاه فأنه يضله ويهديه إلى عذاب السعير﴾ [3] والشرعية الأمرية كقوله :﴿كتب عليكم الصيام﴾ [4] وقوله:﴿حرمت عليكم أمهاتكم﴾ إلى قوله ﴿كتاب الله عليكم﴾ [5] وقوله:﴿وكتبنا عليهم فيها أن النفس بالنفس﴾ [6] فالأولى كتابة بمعنى القدر والثانية كتابة بمعنى الأمر " [7]

التعليق :

هذا التقسيم للكتابة هو أيضا كسابقه باعتبار تعلقها بما يحبه الله ﷻ ويأمر به وبعموم تعلقها بالمقادير، فالكتابة الواردة في الكتاب والسنة بهذا الاعتبار تنقسم إلى قسمين : كتابة كونية قدرية، وكتابة شرعية دينية .

فالقسم الأوّل هو ما يكتبه الله ﷻ على عباده قدرا وكونا ويكون لا محالة ولا يلزم أن يكون المكتوب مما يحبه الله ﷻ، فهو قد يكتب شيئا ويقدر على عباده وهو لا يحبه ولا يرضى به .

---

(١) سورة المجادلة ٢١ .

(٢) سورة الأنبياء ١٠٥ .

(٣) سورة الحج ٤ .

(٤) سورة البقرة ١٨٣ .

(٥) سورة النساء ٢٣ .

(٦) سورة المائدة ٤٥ .

(٧) شفاء العليل ص ٢٨١ .

والقسم الثاني فهو ما كتبه الله على عباده شريعة وأمرهم بامتثاله ونهاهم عن مخالفته، فالله سبحانه لا يكتب إلا ما يحبه ويرضاه، ولا يكتب عليهم ما لا يحب أن يأتوا به، إلا أنه لا يلزم من هذه الكتابة أن يحصل ما كتبه عليهم فقد يتخلف ذلك عن بعض المخلوقات، والله أعلم .

المطلب السابع والعشرون : أنواع الإذن .

- الديني .
- الكوني .

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله : " الإذن : الديني الشرعي، قوله تعالى :﴿ ما قطعتم من لينة أو تركتموها قائمة على أصولها فبإذن الله ﴾ [1] الكوني القدري : قوله تعالى :﴿ وما هم بضارين به من أحد إلا بإذن الله ﴾ [2] " [3] .

التعليق :

إذن الله تعالى أيضا ينقسم إلى قسمين من حيث تعلق المحبّة للمأذون به وعدم تعلقها به: الأول : إذن ديني شرعي، وهو كل ما أذنه الله به للعبد فعله وتناوله شرعا وأمر به، وقد يفعل العبد ما أذن به الله له وقد يفعل ما لم يأذن به الله لهم و لم يأمرهم به، قال تعالى : ﴿ أم لهم شركاء شرعوا لهم من الدين ما لم يأذن به الله ﴾ [4] أي " ابتدعوا لهم من الدين

---

(١) سورة الحشر الآية ٥ .

(٢) سورة البقرة الآية ١٠٢ .

(٣) مجموع الفتاوى ٤١٢/٢، وانظر ٢٣٦/٤ ٢٦٧/١١، والجواب الصحيح ٤٤/١ و انظر شفاء العليل ص ٢٨٢.

(٤) سورة الشورى الآية ٢١ .

ما لم يبح الله لهم ابتداعه ""[1] وقال تعالى : ﴿ ما قطعتم من لينة أو تركتموها قائمة على أصولها فبإذن الله ﴾ [2] أي بأمره وشرعه [3] .

والثاني إذن كوني قدري، وهو كل مأذون أذن الله به وقدره وشاء أن يقع ذلك وهو حاصل لا يمنعه شيء، فكل ما شاء وأذن به يكون وكل ما لم يشأ و لم يأذن به كونا لا يكون، فهو عام شامل لكل مخلوق مما يحبه ومما يبغضه ويكرهه، قال سبحانه:﴿ إنما النجوى من الشيطان ليحزن الذين آمنوا وليس بضارهم شيئا إلا بإذن الله ﴾[4] وقال سبحانه: ﴿ فيتعلمون منهما ما يفرقون به بين المرء وزوجه وما هم بضارين به من أحد إلا بإذن الله ﴾ [5] أي أن السحر الذي هو من أكبر الكبائر لا يتأثر في المسحور إلا بإذن من الله وبقضائه وقدره، فلا يكون شيء إلا بإذنه الكوني القدري، فالإذن الشرعي هو ما أذن به الله لعباده وأحله لهم شرعا، والكوني ما قدره الله تعالى عليهم فيكون حين يشاء الله كونه، والله أعلم .

المطلب الثامن والعشرون : أنواع التحريم

- ديني شرعي .
- كوني قدري .

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله : "وقال تعالى في التحريم الديني: ﴿ حرمت عليكم الميتة ﴾ [6] ﴿ حرمت عليكم أمهاتكم وبناتكم ... الآية ﴾ [7] وقال في التحريم الكوني :﴿ فإنها محرمة عليهم أربعين سنة ﴾ [8] "" [9].

---

(١) تفسير الطبري ٢١/٢٥ .
(٢) سورة الحشر الآية ٥ .
(٣) انظر تفسير الطبري ٣٤/٢٨ .
(٤) سورة المجادلة الآية ١٠ وانظر تفسير الطبري ١٦/٢٨.
(٥) سورة البقرة الآية ١٠٢ .
(٦) سورة المائدة الآية ٣ .
(٧) سورة النساء الآية ٢٣ .
(٨) سورة المائدة الآية ٢٦ .
(٩) مجموع الفتاوى ٢٦/١٠ وانظر ٢٧٠/١١، الجواب الصحيح ١٥٣/١ .

يقول العلامة ابن القيم رحمه الله :"وأما التحريم الكوني فكقوله : ﴿وحرمنا عليه المراضع من قبل﴾ [1] وقوله :﴿قال فإنها محرمة عليهم أربعين سنة﴾، وأما التحريم الديني فكقوله :﴿ حرمت عليكم أمهاتكم﴾و﴿ حرم عليكم صيد البر ما دمتم حرما ﴾ [2] "[3] .

التعليق :

وهذا التقسيم أيضا كسابقه، فالتحريم المضاف إلى الله من حيث تعلقه بالربوبية والألوهية ينقسم إلى قسمين : تحريم كوني قدري، تحريم ديني شرعي .

فالأوّل ما حرمه الله ومنعه قدرا كقوله تعالى : ﴿ وحرمنا عليه المراضع ﴾ أي تحريما قدريا فلم يقبل موسى عليه السلام ثدي امرأة أخرى حتى جاءت أمه وأعطته ثديها فالتقمه [4]، وليس هذا تحريما شرعيا يمكن مخالفته وارتكاب المحرم له [5] .

وأما التحريم الشرعي الديني فهو ما حرمه الله ونهى عنه على ألسنة رسله عليهم السلام من الذنوب والمعاصي فهو تحريم شرعي، قال تعالى : ﴿ قل تعالوا أتل ما حرم ربكم عليكم ألا تشركوا به شيئا ﴾ إلى قوله تعالى : ﴿ ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ذلكم وصاكم به لعلكم تتقون﴾ [6]، فالمحرمات التي أمر الله باجتنابها والبعد عنها فهي تحريم شرعي ديني يحب الله تعالى امتثال أوامره واجتناب نواهيه، إلا أنه لا يلزم منه أن لا يحصل الشيء المحرم البتة بل قد يعصى في ذلك ويرتكب العبد ما حرّم غليه، فمن أعظم ما نهى الله تعالى عنه هو الشرك به وترتب عليه من العقوبة ما ليس لذنب غيره ومع

---

(١) سورة القصص الآية ١٢ .

(٢) سورة المائدة الآية ٩٦ .

(٣) شفاء العليل ص ٢٨٢ .

(٤) انظر تفسير ابن كثير ٣٦٨/٣ .

(٥) إذ أنه صبي غير مكلف، انظر زاد المسير لابن الجوزي ٢٠٦/٦ م، روح المعاني للألوسي ٥٠/٢٠ .

(٦) سورة الأنعام الآيات ١٥١-١٥٣ .

ذلك عبد معه غيره، وأما الكوني فهو الذي لا يقع ولا يمكن حصوله ولا يجب تعلقه بالمحبوبات فقط فهو عام يشمل كل ما حرم الله ﷻ كونا وقدرا[1]، والله أعلم .

المطلب التاسع والعشرون : أنواع الإيتاء

- شرعي .
- قدري .

يقول العلامة ابن القيم رحمه الله : "الإيتاء الكوني، كقوله تعالى :﴿ والله يؤتي ملكه من يشاء ﴾[2] الإيتاء الديني كقوله تعالى :﴿ وما آتاكم الرسول فخذوه ﴾[3]، وأما قوله :﴿ يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيرا كثيرا ﴾[4] فهذا يتناول النوعين، فانه يؤتيها من يشاء أمرا ودينا وتوفيقا وإلهاما "[5] .

التعليق :

إن الله تعالى هو المنفرد بالعطاء والإيتاء، وإيتاؤه تعالى ينقسم إلى قسمين : كوني قدري، شرعي ديني .

فالأوّل هو ما يؤتي الله لأحد من خلقه قدرا، ويكون فيه المؤمن والمسلم والكافر والفاجر كلهم سواء، فلا يكون فيه دليل بالمحبّة والرضى لمن قد أوتي شيئا من الدنيا بل الدنيا لا تعدل عند الله جناح بعوضة، كما في الحديث : ﴿ **لَوْ كَانَتْ الدُّنْيَا تَعْدِلُ عِنْدَ اللَّهِ جَنَاحَ بَعُوضَةٍ مَا سَقَى كَافِرًا مِنْهَا شَرْبَةَ مَاءٍ** ﴾[6]، فالله تعالى قد يؤتي الكافر من المال والملك والقدرة ونحوها مما في الدنيا مالا يؤتي عبده المؤمن الموحد، فالإيتاء الكوني

(١) انظر مجموع الفتاوى ٨/٥٨-٥٩، ١١/٢٦٥-٢٦٦، وشفاء العليل ٢٨٠.

(٢) سورة البقرة الآية ٢٤٧ .

(٣) سورة الحشر الآية ٧ .

(٤) سورة البقرة الآية ٢٦٩ .

(٥) شفاء العليل ص ٢٨٢، وانظر منهاج السنة النبوية ٢/٤٤٦ .

(٦) الحديث أخرجه الترمذي كتاب باب ما في هوان الدنيا على الله ﷺ ٤/٥٦٠/ برقم (٢٣٢٠) وقال : صحيح غريب من هذا الوجه، وابن ماجة كتاب الزهد باب مثل الدنيا ٢/١٣٧٦ (٤١١٠)، والحاكم

=

والملك والقدرة ونحوها مما في الدنيا مالا يؤتي عبده المؤمن الموحد، فالإيتاء الكوني يشمل كل ما يملك العبد بغض النظر عن الحلال والحرام، والحرام أيضا مما آتاه الله لكن مما آتاه قدرا[1] .

وأما الإيتاء الشرعي فهو ما آتاه الله عباده عن طريق الرسل من شريعة وتحليل وتحريم، وهذا يشمل القرآن والحديث على حد سواء كما في الحديث : **« ألا إني أوتيت القرآن ومثله معه »** [2]، وقال تعالى : ﴿ وما آتاكم الرسول فخذوه ﴾، فالشريعة مما آتاها الله عباده منهجا وسلوكا، فهذا يتعلق بما يحبه ويرضاه، إلا أن العبد قد يخالف ما آتاه الله ﷻ كما فعل بنوا إسرائيل، قال تعالى : ﴿ ولما جاءهم رسول من عند الله مصدق لما معهم نبذ فريق من الذين أوتوا الكتاب كتاب الله وراء ظهورهم كأنهم لا يعلمون ﴾ [3] والله أعلم .

المطلب الثلاثون : أنواع البعث .

- الديني الشرعي .
- الكوني القدري .

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله : "وأما لفظ البعث، فقال تعالى في البعث الكوني : ﴿ فإذا جاء وعد أولاهما بعثنا عليكم عبادا لنا أولي بأس شديد فجاسوا خلال الديار

٣٤١/٤، وقال صحيح الإسناد من حديث سهل بن سعد ﷺ وفي إسناد الجميع زكريا بن منظور وهو ضعيف ولذا قال الذهبي : زكريا ضعفوه، لكن للحديث شواهد عدة ترتقي بمجموعها إلى درجة الصحة، وقد جمعها الشيخ الألباني ثم قال : والحديث بمجموع هذه الطرق صحيح بلا ريب، انظر الصحيحة برقم (٦٨٦، و٩٤٣) .

(١) وانظر مجموع الفتاوى ٥٤٢/٨-٥٤٦ .

(٢) الحديث سبق تخريجه .

(٣) سورة البقرة الآية ١٠١ .

وكان وعدا مفعولا ﴾ [1]" وقال في البعث الديني : ﴿ هو الذي بعث في الأميين رسولا منهم ﴾ [2] " [3] .

يقول العلامة ابن القيم رحمه الله : " وأما البعث الكوني فكقوله : ﴿ فبعث الله غرابا يبحث في الأرض ﴾ [4] وأما البعث الديني فكقوله : ﴿ كان الناس أمة واحدة فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين ﴾ [5] " [6]

التعليق :

هذا التقسيم للبعث هو أيضا من حيث تعلقه بالمحبّة والمشيئة .

فالبعث الكوني القدري هو المتعلق بالمشيئة والتقدير ولا يلزم أن يكون المبعوث مما يحبه سبحانه ويرضى به، بل قد يكون عقابا وعذابا للكفار والمشركين، قال تعالى : ﴿ وإذ تأذن ربك ليبعثن عليهم إلى يوم القيامة من يسومهم سوء العذاب ﴾ [7] .

وأما البعث الشرعي الديني هو بعثه للأنبياء والرسل إلى الناس يدعونهم إلى توحيده وطاعته مبشرين لمن أطاعهم بالجنة والرضوان ومنذرين لمن خالفهم بالعقاب والعذاب الأليم، ولا شك أن الله يحب أنبياءه ورسله وينصرهم ويرضى بهم ويأمر الناس باتباعهم وطاعتهم وتوقيرهم، ويكره مخالفتهم ويعذب من خالفهم، فالمبعوث شرعا يحبه الله ﷻ ويأمر باتباعه وأما المبعوث كونا وقدرا لا يلزم أن يكون كذلك، والله أعلم .

---

(١) سورة الإسراء الآية ٥ .

(٢) سورة الجمعة الآية ٢ .

(٣) مجموع الفتاوى ٢٦٩/١١، وانظر ٤١٣/٢، ٦١/٨، ٢٥/١٠، ١٣٣/١٨، وانظر النبوات له أيضا ص ١٨٦.

(٤) سورة المائدة الآية ٣١ .

(٥) سورة البقرة الآية ٢١٣ .

(٦) شفاء العليل ص ٢٨٢ .

(٧) سورة الأعراف الآية ١٦٧ .

المطلب الحادي الثلاثون : أنواع الإرسال .

- الكوني القدري .
- الديني الشرعي .

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله :"وأما لفظ الإرسال فقال في الإرسال الكوني: ﴿ وهو الذي أرسل الرياح بشرا بين يدي رحمته ﴾(1) وقال في الديني: ﴿ الله يصطفى من الملائكة رسلا ومن الناس ﴾(2)"(3)

يقول العلامة ابن القيم رحمه الله : " وأما الإرسال الكوني فكقوله : ﴿ ألم تر أنا أرسلنا الشياطين على الكافرين تؤزهم أزا ﴾ (4)" وأما الديني فكقوله : ﴿ هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ﴾ (5) " (6)

التعليق :

وهذا التقسيم أيضا كالسابق من أن الإرسال من الله ﷻ لا يلزم أن يكون المرسَل محبوبا إليه ﷻ ومرضيا عنده، بل هو على نوعين اثنين :

كوني قدري، وهذا عام شامل لكل ما يرسله الله تعالى من الأمور الكونية، فهو يرسل الشياطين على الكافرين والفجار وعلى كل أفاك أثيم، ويرسل الصواعق فيصيب بها من يشاء من الكفار، ويرسل عليهم الريح العقيم .

---

(1) سورة الفرقان الآية ٤٨ .

(2) سورة الحج الآية ٧٥ .

(3) مجموع الفتاوى ٢٦٩/١١ وانظر ٤١٣/٢، ٦١/٨، ٢٥/١٠، ١٣٣/١٨ .

(4) سورة مريم الآية ٨٣ .

(5) سورة التوبة الآية ٣٣ .

(6) شفاء العليل ص ٢٨٢ .

وأما إرسال الرسل إلى الناس مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل فهو إرسال شرعي ديني، فهذا خاص بالملائكة والرسل عليهم السلام، يرسل الله ﷻ الملائكة لتنفيذ أوامره، ويرسل الرسل إلى الناس لتبليغ شرعه وأداء رسالته إليهم .

المطلب الثاني والثلاثون : أنواع الإنشاء .

- إنشاء تكوين .
- إنشاء تشريع .

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية : " والإنشاء نوعان : إنشاء تكوين وإنشاء تشريع، فإنه سبحانه له الخلق والأمر "[1]

التعليق :

هذا التقسيم أيضا كسابقه باعتبار تعلقه بما يحب الرب تبارك وتعالى وبعموم تقديره، فالتكوين لا يلزم أن يتعلق بالمحبوبات فكم من مخلوق لا يحبه الله بل يبغضه ويكرهه، فهو سبحانه : ﴿ إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون ﴾ [2] وأما الشريعة التي ينشئها لعباده فهو سبحانه يحبها ويثيب على من اتبعها ويعاقب من خالفها، فالقسم الأوّل يتعلق بما يحبه الله ﷻ وبما لا يحب وأما الثاني فهو يتعلق بما يحبه سبحانه فقط والله سبحانه وتعالى : ﴿ له الخلق والأمر ﴾، والله أعلم .

المطلب الثالث والثلاثون : أنواع اختيار الرب .

- ديني شرعي .
- كوني قدري .

يقول العلامة ابن القيم رحمه الله : " اختيار الرب تعالى لعبده نوعان : أحدهما : اختيار ديني شرعي، فالواجب على العبد أن لا يختار في هذا النوع غير ما اختاره له سيده،

(١) الأصفهانية ص ٢٠ .

(٢) سورة يس الآية ٨٢ .

النوع الثاني : اختيار كوني قدري، لا يسخطه الرب كالمصائب التي يبتلي الله بها عبده، فهذا لا يضره فراره منها إلى القدر الذي يرفعها عنه ويدفعها ويكشفها، وليس في ذلك منازعة للربوبية وان كان فيه منازعة للقدر بالقدر " [1].

التعليق :

إن الله تعالى يخلق ما يشاء ويختار من خلقه ما يشاء، واختياره للعبد باعتبار تعلقه بالمشيئة وبالمحبّة ينقسم إلى قسمين : اختيار كوني قدري، اختيار ديني شرعي .

فالأوّل ما يختاره سبحانه لعبده فيقدره عليه ويبتليه به، فهذا ماض لا محالة ولا يكون للعبد إرادة ولا طاقة في رده وعدم تكوينه، فهذا الاختيار هو المتعلق بالمشيئة فما شاء واختار كان وما لم يشأ ولم يختر لم يكن، وقد يكون المختار مما يحبه الله ﷻ ويرضاه كاختيار الإيمان للمؤمنين والطاعات للمطيعين، وقد يكون المختار مما لا يحبه الله ﷻ كالمعاصي والذنوب المقدرة على الناس .

وأما الاختيار الشرعي الديني فهو ما اختاره الله لعباده شريعة ومنهجا، فهذا الاختيار يتعلق بالمحبّة، فالمختار فيه يحبه الله ﷻ ويحب من يحبه ويختاره، ويكره من يخالف ما اختار له ربه، واختيار العبد غير ما اختار له ربه مناف للرضى به ربّا وبالإسلام الذي شرع له دينا، قال تعالى : ﴿ وما كان لمؤمن ولا لمؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمرا أن يكون لهم الخيرة من أمرهم ﴾ [2]، وخص المؤمن والمؤمنة بالذكر لأنهم هم الذين يمتثلون أوامر الله ويقدمونها على هواهم، والله أعلم .

المطلب الرابع والثلاثون : أنواع الاختيار باعتبار قبل الخلق وبعده

- عام قبل الخلق .
- خاص بعد الخلق .

يقول العلامة ابن القيم رحمه الله : " وبعد فإن الله سبحانه وتعالى هو المنفرد بالخلق والاختيار من المخلوقات، قال الله تعالى : ﴿ وربك يخلق ما يشاء ويختار ﴾ [3]، المراد

---

(١) مدارج السالكين ٢/١٨٨-١٨٩.

(٢) سورة الأحزاب الآية ٣٦ .

(٣) سورة القصص الآية ٦٨ .

بالاختيار هاهنا الاجتباء والاصطفاء فهو اختيار بعد الخلق، والاختيار العام اختيار قبل الخلق، فهو أعم وأسبق وهذا أخص وهو متأخر، فهو اختيار من الخلق والأوّل اختيار للخلق"[1].

التعليق :

إن الله تعالى يفعل ما يشاء ويختار من خلقه ما يشاء، واختياره سبحانه باعتبار قبل الخلق وبعده على نوعين : عام وخاص

فالعام هو اختيار قبل الخلق للخلق، فالله تعالى يختار ما يشاء للخلق فيخلقه، فلا يخلق شيئا إلا باختياره، وهذا يشمل كل مخلوق في الكون .

ثم إنه سبحانه يختار ثانيا مما خلقه بعضا من مخلوقاته فيميزهم عن سائرهم ببعض المزايا ويفضلهم على غيرهم، وينعم عليهم نعمة الاختيار الخاص، فهذا اختيار خاص بعد الاختيار الأوّل العام، فالله تعالى اختار رسله من بين سائر الناس لأداء رسالته وتبليغ شريعته ففضلهم على غيرهم وجعل لهم منزلة ليست لغيرهم، قال تعالى لنبيه موسى عليه السلام : ﴿ وأنا اخترتك فاستمع لما يوحى ﴾ [2]، وقال تعالى : ﴿ واذكر عبادنا إبراهيم وإسحاق ويعقوب أولي الأيدي والأبصار * إنا أخلصناهم بخالصة ذكرى الدار * وإنهم عندنا لمن المصطفين الأخيار * واذكر إسماعيل واليسع وذا الكفل وكل من الأخيار ﴾ [3] "أي لمن المختارين المجتبين الأخيار فهم أخيار مختارون "[4] واختار الله هذه الأمة وجعلها خير أمة أخرجت للناس، واختار منهم أصحاب محمد ﷺ لصحبة نبيه وخليفته من بعده في أداء الرسالة وتبليغ الشريعة لمن بعدهم، فهم خير الخلق بعد الأنبياء والرسل ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم، فهذا اختيار خاص بعد أن يخلقهم ويخلق غيرهم بعد اختيار عام للجميع للخلق، والله أعلم .

---

(١) زاد المعاد ١/٣٩ .

(٢) سورة طه الآية ١٣ .

(٣) سورة ص الآيات ٤٥-٤٧.

(٤) تفسير ابن كثير ٤/٤١ .

- الديني .
- الكوني .

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله : " الحكم : الديني، قوله تعالى : ﴿أفحكم الجاهلية يبغون ومن أحسن من الله حكما لقوم يوقنون﴾ [(١)]، الكوني، قوله تعالى :﴿ فلن أبرح الأرض حتى يأذن لي أبي أو يحكم الله لي وهو خير الحاكمين ﴾ [(٢)]" [(٣)]

يقول العلامة ابن القيم رحمه الله :"والحكم نوعان، الكوني كقوله:﴿قال رب احكم بالحق﴾[(٤)] أي افعل ما تنصر به عبادك وتخذل به أعداءك، والديني كقوله:﴿ ذلكم حكم الله يحكم بينكم ﴾ [(٥)] وقد يرد بالمعنيين معا كقوله:﴿ ولا يشرك في حكمه أحدا ﴾ [(٦)]"[(٧)].

التعليق :

هذا التقسيم أيضا كالتقسيمات السابقة من حيث التعلق بالمشيئة والتقدير وبالمحبّة والرضى، فحكمه أيضا على قسمين : كوني قدري، شرعي ديني .

فالأوّل هو الذي حكم الله به بين العباد وقدره عليهم، فهو سبحانه يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد، وهذا الحكم لا يمكن لأحد رده ولا مخالفته ولا إبطاله قال تعالى : ﴿

---

(١) سورة المائدة الآية ٥٠ .

(٢) سورة يوسف الآية٨٠ .

(٣) انظر مجموع الفتاوى ٤١٣/٢، ٢٣٦/٤ .

(٤) سورة الأنبياء الآية ١١٢ .

(٥) سورة الممتحنة الآية ١٠ .

(٦) سورة الكهف الآية ٢٦ .

(٧) شفاء العليل ص ٢٨٠ .

والله يحكم لا معقب لحكمه وهو سريع الحساب ﴾[1] وقال ﷺ ثناء على الله ﷻ :﴿ عدل في قضاؤك ماض في حكمك ﴾[2] أي حكمك القدري الكوني ماض لا يمكن لأحد رده ولا تعقيبه .

وأما الحكم الديني الشرعي فهو الأحكام الشرعية التي أنزل الله بها كتبه وأرسل بها رسله من الأوامر والنواهي، من أهمها الأمر بالتوحيد وعدم الشرك، قال تعالى :﴿ إن الحكم إلا لله أمر أن لا تعبدوا إلا إياه ﴾[3]، وقال تعالى :﴿ لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ﴾ إلى قوله تعالى :﴿ ولا تمسكوا بعصم الكوافر وسئلوا ما أنفقتم وليسألوا ما أنفقوا ذلكم حكم الله يحكم بينكم والله عليم حكيم ﴾[4]، وهذا الحكم الواجب على العبد فيه هو مثل ما سبق من الأمور الشرعية الدينية أن ينقاد ويستسلم له وأن ينفذّ ما حكم الله له من الأوامر والنواهي الشرعية، ولا شك أن الأحكام الشرعية الدينية كلها فيها من الحكم والمصالح للعباد آجلا أو عاجلاً ما لا يعلمها إلا الله ﷻ، فأحكامه صادرة منه فهو موصوف بالحكمة والحكم، فهو حكيم وحاكم يحكم بما يشاء، وكذا حكمه القدري الكوني صادر من اسمه الحكيم فالواجب أن يستسلم لحكم الله ويصبر، ويعلم أن ما أصابه لم يكن ليخطئه وما أخطأه لم يكن ليصيبه[5]، وأن الله تعالى قد حكم بين العباد وهو واقع لا محالة: ﴿ رفعت الأقلام وجفت الصحف ﴾[6]، والله أعلم .

---

(١) سورة الرعد الآية ٤١ .

(٢) الحديث سبق تخريجه .

(٣) سورة يوسف الآية .

(٤) سورة الممتحنة الآيات ٧ — ١٠ .

(٥) انظر طريق الهجرتين ص ٦٦

(٦) الحديث سبق تخريجه .

المطلب السادس والثلاثون : أنواع الحكم الكوني .

- ما فيه كسب واختيار للعبد .
- ما ليس فيه للعبد كسب ولا اختيار .

يقول العلامة ابن القيم رحمه الله : " بل الأحكام ثلاثة : حكم شرعي ديني، فهذا حقه أن يتلقى بالمسالمة والتسليم وترك المنازعة، الحكم الثاني : الحكم الكوني القدري الذي للعبد فيه كسب واختيار، والذي إذا حكم به يسخطه ويبغضه ويذم عليه فهذا حقه أن ينازع ويدافع بكل ممكن ولا يسالم البتة، الحكم الثالث : وهو الحكم القدري الكوني الذي يجري على العبد بغير اختياره ولا طاقة له بدفعه، فهذا حقه أن يتلقى بالاستسلام والمسالمة وترك المخاصمة وأن يكون فيه كالميت بين يدي الغاسل "[1].

التعليق :

كما سبق أن الحكم الكوني القدري هو ما حكم الله به وقدره على العباد، وأحكامه الكونية التي هي قدر الله لا شك أنها تكون مرتبطة بالأسباب، وقد تكون الأسباب في اختيار العبد أن يأتي بها أو يتركها وقد لا يكون كذلك، فالأحكام الكونية التي تجري على العبد باعتبار تعلقه باختيار العبد تنقسم إلى قسمين : ما يجري عليه باختياره وكسبه للأسباب، وما يجري عليه بغير اختيار ولا كسب منه ولا حيلة لدفعه عنه .

ففي الأوّل يكون العبد هو السبب الأوّل لجريان الحكم الكوني عليه إذ أنه هو الذي باشر الأسباب، فيرجع الحكم حينئذ بالمدح والذم إليه، ولذا يجب عليه فعل ما يصلح له في دينه ودنياه ويحمد الله على ذلك، ودفع ما يضره في دينه ودنياه إما بدفع الأسباب المقتضية لذلك كما قال عمر ﷺ لأبي عبيدة ﷺ حين قال له : أتفر من قدر الله ؟ فقال : نفر من قدر الله إلى قدر الله[2]، أو إزالة ما وقع منه كمن قدر عليه بارتكاب الجريمة وفعل المعصية

(١) طريق الهجرتين ٦٦ ..

(٢) سبق تخريج الأثر .

فيجب عليه منازعته بقدر التوبة واتباع ما يمحها من الحسنة فينازع الحق بالحق، ويحرم عليه الاستسلام للحكم في مثل هذه الحالة إذ أن الحكم الكوني ليس في صالحه .

وأما الحكم الكوني الثاني الذي ليس فيه للعبد كسب ولا اختيار ولا حيلة له لدفعه، فحينئذ يجب عليه الاستسلام للحكم وعدم المنازعة له "وأن يكون فيه كالميت بين يدي الغاسل، وكمن انكسر به المركب في لجة البحر وعجز عن السباحة وعن سبب يدنيه من النجاة، فهاهنا يحسن الاستسلام والمسالمة، مع أن عليه في هذا الحكم عبوديات أخر سوى التسليم والمسالمة وهي أن يشهد عزة الحاكم في حكمه، وعدله في قضائه، وحكمته في جريانه عليه، وأن ما أصابه لم يكن ليخطئه وما أخطأه لم يكن ليصيبه، وإن الكتاب الأوّل سبق بذلك قبل بدء الخليقة، فقد جف القلم بما يلقاه كل عبد، فمن رضي فله الرضا ومن سخط فله السخط، ويشهد أن القدر ما أصابه إلا لحكمة اقتضاها اسم الحكيم جل جلاله وصفته الحكمة "[1] فحكمه سبحانه كله لا يخلو من حكم علمها من علمها وجهلها من جهلها، ويدعو الله تعالى أن يحكم فيه بما يحبه سبحانه ويرضاه وما يكون في صالح دينه ودنياه، والله أعلم .

المطلب السابع والثلاثون : أنواع الحكمة .

- في خلقه .
- في شرعه .

يقول العلامة ابن القيم رحمه الله :

والحكمة العليا على نوعين ... أيضا حصلا بقواطع البرهان
إحداهما في خلقه سبحانه ... نوعان أيضا ليس يفترقان
أحكام هذا الخلق إذ إيجاده ... في غاية الإحكام والإتقان
وصدوره من أجل غايات له ... وله عليها حمد كل لسان

(١) طريق الهجرتين ٦٦ ..

والحكمة الأخرى فحكمة شـرعه أيضا وفيها ذلك الوصفان

غاياتها اللاتي حمدن وكونها أيـضا وفيها الإتقان والإحسان[1]

يقول الشيخ عبد الرحمن ناصر السعدي رحمه الله : " وحكمته نوعان : أحدهمـا : الحكمة في خلقه فانه خلق الخلق بالحق مشتملا على الحق وكان غايته والمقصود به الحـق ... الثاني : الحكمة في شرعه وأمره فانه تعالى شرع الشرائع وأنزل الكتب وأرسل الرسل ليعرفه العباد ويعبدوه فأي حكمة أجل من هذا "[2] .

التعليق :

من أسماء الله الحسنى (الحكيم) المتضمن لصفة الحكمة والحكم، وحكمه كما سـبق ينقسم إلى قسمين : كوني قدري وديني شرعي، فالكوني ما يتعلـق بـالخلق والتكويـن والإيجاد فهو متعلق بربوبيته العامة، وأما الشرعي فهو ما يتعلق بـالأمر والنـهي المتعلـق بألوهيته، وكل من هذين القسمين منه سبحانه لا يخلو من حكم ومصالح، وعلـى هـذا فالحكمة أيضا تنقسم إلى قسمين :

فالأوّل الحكمة في خلقه وتكوينه للكون، فأفعاله سبحانه كلها لا تخلو من الحكم، فما في الكون من مخلوق إلا وفي خلقه حكم يعلمها الحكيم ﷻ قال سـبحانه:﴿ وما خلقنا السماوات والأرض وما بينهما إلا بالحق﴾[3]يقول شيخ الإسلام : "إنه إنما خلـق المخلوقـات لحكمته وهذا معنى قوله : ﴿ بالحق ﴾، وقد ذم من ظن أنه خلق ذلك باطلا وعبثا فقـال: ﴿ أفحسبتم أنما خلقناكم عبثا وأنكم إلينا لا ترجعون ﴾ [4] ،ولله سبحانه في كل مـا يخلقه حكمة يحبها ويرضاها، وهو سبحانه أحسن كل شيء خلقه وأتقن كل ما صنـع، فما وقع من الشر الموجود في المخلوقات فقد وجد لأجل تلك الحكمة المطلوبـة المحبوبـة

---

(١) القصيدة النونية (الهراس) ٨٣/٢ .

(٢) الحق الواضح للسعدي ص ٢٣٨،٢٣٧ وانظر : مباحث العقيدة في سورة زمر ص٧٩ .

(٣) سورة الحجر الآية ٨٥ .

(٤) سورة المؤمنون الآية ١١٥ .

المرضية، فهو من الله حسن جميل وهو سبحانه محمود عليه وله الحمد على كل حال وإن كان شرا بالنسبة إلى بعض الأشخاص "[1] .

والثاني الحكمة في شرعه وأمره ونهيه، فهو سبحانه حكيم حميد لا يأمر بشيء ولا ينهى عن شيء إلا وفيه حكم ومصالح للعباد في الدنيا وفي الآخرة، بل الأمر والنهي والشريعة هي بنفسها من آثار حكمته سبحانه؛ إذ إن حكمته تأبى أن يهمل الناس سدى إهمال البهائم بعد أن زينهم بالعقل والمعرفة ونحوها من غير أمر ولا نهي[2]، وقد ذم من حسب ذلك فقال : ﴿ أيحسب الإنسان أن يترك سدى ﴾ [3]، أي من غير أمر ولا نهي ولا ثواب ولا عقاب [4] فالأمر والنهي فيهما حكمة له وقد تكون الحكمة في المأمور أيضا فتجتمع فيه الحكمتان، كما في العدل والإصلاح بين الناس والإحسان إليهم ونحو ذلك وهذا هو الغالب على الشريعة [5] .

"فخلقه وأمره صدرا عن حكمته وعلمه، وحكمته وعلمه اقتضيا ظهور خلقه وأمره، فمصدر الخلق والأمر عن هذين المتضمنين لهاتين الصفتين، ولهذا يقرن سبحانه بينهما عند ذكر إنزال كتابه وعند ذكر ملكه وربوبيته، إذ هما مصدر الخلق والأمر "[6]، فحكمته سبحانه تنقسم إلى هذين القسمين : حكمة في آثار ربوبيته التي هي الخلق، وحكمة في آثار ألوهيته التي هي الشرع والأمر والنهي، (ومن تدبر حكمته في مخلوقاته ومشروعاته رأى ما يبهر العقول) [7] .

---

(1) مجموع الفتاوى ٩٩/١٧ بتصرف .

(2) انظر شفاء العليل ص ٢٦٦ .

(3) سورة القيامة الآية ٣٦ .

(4) انظر تفسير ابن كثير ٤٥٢/٤ وتيسير الكريم الرحمن ص ٨٣٣ .

(5) انظر مجموع الفتاوى ١٤٤/١٤ .

(6) الصواعق المرسلة ١٥٦٥/٤، وانظر زاد المهاجر لابن القيم ص ٧٠.

(7) النبوات ص ١٠٧ .

المطلب الثامن والثلاثون : أنواع الجعل في كتاب الله .

- ديني شرعي .
- كوني قدري .

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله : " الجعل فقال في الكوني: ﴿ وجعلناهم أئمة يدعون إلى النار ﴾ [1] وقال في الجعل الديني :﴿ لكل جعلنا شرعة ومنهاجا ﴾ "[2] .

يقول العلامة ابن القيم رحمه الله : " الجعل في كتاب الله نوعان : شرعي أمري، كوني قدري، أما الجعل الكوني فكقوله تعالى: ﴿ انا جعلنا في أعناقهم أغلالا فهي إلى الأذقان فهم مقمحون * وجعلنا من بين أيديهم سدا ومن خلفهم سدا ﴾ [3]وهو كثير، وأما الجعل الديني فكقوله :﴿ ما جعل الله من بحيرة ولا سائبة ولا وصيلة ولا حام ﴾ [4]أي ما شرع ذلك ولا أمر به وإلا فهو مخلوق له واقع بقدره ومشيئته، وأما قوله :﴿ جعل الله الكعبة البيت الحرام قياما للناس ﴾ [5] فهذا يتناول الجعلين فإنها جعلها كذلك بقدره وشرعه" [6]

التعليق :

هذا التقسيم للجعل هو أيضا باعتبار تعلقه بالمشيئة والتقدير وتعلقه بالمحبّة، فهو على نوعين : كوني قدري، وشرعي ديني .

فالكوني هو ما ينسب إلى الله خلقاً وقدراً فهو المتعلق بالمشيئة، نحو قوله تعالى :﴿ الذي جعل لكم الأرض فراشا والسماء بناء ﴾ [7]، وقوله تعالى :﴿ وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد

---

(1) سورة المائدة الآية ٤٨ .

(2) مجموع الفتاوى ٢٦٩/١١،٢٧٠ .

(3) سورة يس الآية ٨ .

(4) سورة المائدة ١٠٣ .

(5) سورة المائدة ٩٧ .

(6) شفاء العليل ص ٢٨٢ .

(7) سورة البقرة الآية ٢٢ .

﴿أفإن مت فهم الخالدون﴾ [1] وقوله تعالى: ﴿ما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه﴾ [2]، أي ما جعل ذلك كونا وقدرا وخلقا فلا يقع لأحد الخلد في الدنيا ولا يقع لأحد قلبين في جوفه.

وأما الجعل الديني الشرعي نحو قوله تعالى: ﴿وما جعلنا القبلة التي كنت عليها إلا لنعلم من يتبع الرسول ممن ينقلب على عقبيه﴾ [3] " أي شرعنا تلك القبلة لنعلم ونمتحن من يتبع الرسول ويؤمن به فيتبعه على كل حال "[4] فالجعل الديني ما جعله الله دينا وشريعة ولا يلزم من ذلك تطبيق ما جعله لهم شرعة ومنهاجا وإن كان مما يحبه ويرضاه، وأما الكوني فهو ما ينسب إليه خلقا وكونا وقدرا مما يحب ومما يكره، فالتقدير وما سبق به الكتاب لا يمكن تخلفه: ﴿رب هب لي حكما وألحقني بالصالحين * واجعل لي لسان صدق في الآخرين * واجعلني من ورثة جنة النعيم﴾ [5].

المطلب التاسع والثلاثون: أنواع الجعل من الله.

- خلق.
- فعل.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: " إن الجعل من الله قد يكون خلقا كقوله: ﴿وجعل الظلمات والنور﴾ [6] وقد يكون فعلا ليس بخلق، وقوله: ﴿إنا جعلناه قرآنا عربيا﴾ [7] من هذا الباب " [8].

---

(1) سورة الأنبياء الآية ٣٤ .
(2) سورة الأحزاب الآية ٤ .
(3) سورة البقرة الآية ١٤٣ .
(4) تيسير الكريم الرحمن للشيخ السعدي ص ٥٣ .
(5) سورة الشعراء الآية ٨٣-٨٥ .
(6) سورة الأنعام الآية ١ .
(7) سورة الزخرف الآية ٣ .
(8) مجموع الفتاوى ٣٨٥/١٦ .

التعليق :

هذا التقسيم هو باعتبار معنى اللفظ " جعل " فهو كما في اللغة يطلق على معان عدة، فهو في النصوص القرآنية أيضا ليس على معنى الخلق فقط، فالجعل من الله ﷻ قد يكون خلقا، كما في قوله سبحانه : ﴿ وجعلنا من الماء كل شيء حي ﴾ [1]، أي خلق كما في الآية الأخرى : ﴿ والله خلق كل دابة من ماء ﴾ [2]، وقد يطلق على صفاته الفعلية التي هي غير الخلق، كما في قوله تعالى : ﴿ إنا جعلناه قرآنا عربيا لعلكم تعقلون ﴾ [3]، والقرآن ليس مخلوقا بل هو كلامه سبحانه منه بدأ وإليه يعود، والله أعلم .

المطلب الأربعون : أنواع حفظه سبحانه لعباده

- عام .
- خاص .

يقول الحافظ ابن رجب رحمه الله : " وحفظ ا لله لعبده يدخل فيه نوعان : أحدهما: حفظه له في مصالح دنياه ...الثاني : حفظ الله لعبده في دينه وإيمانه ... "[4] .

ويقول الشيخ عبد الرحمن السعدي رحمه الله : " وحفظه لخلقه نوعان : عام ،خاص، فالعام حفظه لجميع المخلوقات بتيسيره لها ما يقيتها ويحفظ بنيتها، وتمشي إلى هدايته وإلى مصالحها بإرشاده وهدايته العامة، والنوع الثاني حفظه الخاص لأوليائه سوى ما تقدم، يحفظهم عما يضر إيمانهم، أو يزلزل إيقانهم من الشبه والفتن والشهوات، فيعافيهم منها ويخرجهم منها بسلامة وحفظ وعافية "[5] .

---

(١) سورة الأنبياء الآية ٣٠ .

(٢) سورة النور الآية ٤٥ .

(٣) سورة الزخرف الآية ٣ .

(٤) جامع العلوم والحكم لابن رجب ٤٦٥/١، وانظر شأن الدعاء للخطابي ص ٦٧.

(٥) الحق الواضح للسعدي ص ٢٤٣ .

التعليق :

من أسماء الله الحسنى " الحفيظ " الدّال على حفظه سبحانه.لعباده، وحفظه سبحانه على نوعين : عام وخاص، أما العام فحفظه لجميع عباده يحفظهم ويكلؤهم وجعل على كل واحد منهم حفظة يحفظونهم، قال تعالى : ﴿ له معقبات من بين يديه ومن خلفه يحفظونه من أمر الله ﴾ [1] فما من عبد إلا ومعه حفظة يحفظونه من أمر الله ﷻ حتى إذا جاء قدر الله خلى بينه وبين القدر[2]" وقال تعالى : ﴿ إن كل نفس لما عليها حافظ ﴾ [3] " أي كل نفس عليها من الله حافظ يحرسها من الآفات " [4]، وأما الحفظ الخاص فهو حفظه لأوليائه مما يزعزع إيقانهم أو يزلزل إيمانهم من الشبهات والشهوات سوى حفظهم بالحفظ العام في دنياهم، فيحفظهم في دينهم "ويعصمهم عن مواقع الذنوب ويحرسهم عن مكايدة الشيطان ليسلموا من شره وفتنته"[5] فلا تقع فتنة أو شبهة في الناس إلا ويعافيهم ويخرجهم منها بحفظه ويجنبهم الأهواء والفتن ويوفق لهم الاستقامة والتمسك بالصراط المستقيم والهداية إلى طريق الحق بإذنه، ومن هذا قول كعب بن مالك ﷺ : ﴿ **مَا تَعَمَّدْتُ مُنْذُ ذَكَرْتُ ذَلِكَ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ إِلَى يَوْمِي هَذَا كَذِبًا وَإِنِّي لأَرْجُو أَنْ يَحْفَظَنِي اللَّهُ فِيمَا بَقِيتُ** ﴾ [6]، فالحفظ الخاص هو حفظه لعباده المؤمنين حفظه لجوارحهم من الوقوع في الشهوات وقلوبهم من الشبهات فيحفظهم من جميع الأهواء والفتن حتى يتوفاهم الله على التوحيد والإيمان[7]" وأما الكفار فهم وإن كانوا يحفظهم الله ﷻ بحفظه العام إلا أنهم

---

(١) سورة الرعد الآية ١١ .

(٢) انظر تفسير الطبري ١١٦/١٣ وتفسير ابن كثير ٤٨٥/٢ ، وبه فسر غير واحد من العلماء هذه الآية منهم ابن عباس ومجاهد وغيرهم .

(٣) سورة الطارق الآية ٤ .

(٤) تفسير ابن كثير ٤ /٤٩٨ .

(٥) شأن الدعاء للخطابي ص ٦٧، ٦٨ .

(٦) الحديث متفق عليه، أخرجه البخاري في كتاب المغازي باب حديث كعب بن مالك ٧١٧/٧/ برقم (٤٤١٨)، ومسلم في كتاب التوبة ٨٧/١٨/ برقم (٢٧٦٩) .

(٧) انظر جامع العلوم والحكم لابن رجب ٤٦٨/١-٤٦٩ .

في جانب الدين فيخلي الله تعالى بينهم وبين الشياطين فيمدونهم في الغي ثم لا يقصرون، والله أعلم .

المطلب الحادي والأربعون : أنواع القرب

- عام .
- خاص .

يقول الشيخ عبد الرحمن السعدي رحمه الله : " من أسمائه سبحانه القريب، وقربه نوعان : قرب عام ، وهو إحاطة علمه بجميع الأشياء وهو أقرب إلى الإنسان من حبل الوريد، قرب خاص بالداعين والعابدين المحبين، وهو قرب يقتضي المحبّة والنصر والتأييد في الحركات والسكنات "[1] .

التعليق :

من أسمائه سبحانه وتعالى ' القريب ' الدّال على قربه سبحانه من خلقه، وقربه منهم على نوعين : قرب عام وقرب خاص .

فالعام هو قربه من جميع خلقه في أي مكان كانوا فالله قريب منهم محيط بما هم عليه سميع بصير لحركاتهم وسكناتهم، فالذي تحت الأرضين السبع فالله قريب منه وهو فوق السماوات السبع بائن من خلقه، كما قال إسحاق بن راهويه رحمه الله : ((هو أقرب إليك من حبل الوريد))[2] فهو سبحانه قريب في علوه وعلي في قربه[3] وهذا قرب عام يشمل جميع مخلوقاته مما يحبه وما يكرهه فهو قريب منهم يرى أفعالهم ويسمع كلامهم لا يخفى عليه خافية .

وأما القرب الخاص فهو قربه من عباده المؤمنين المتقين، فهو قريب منهم القرب الخاص المقتضي للمحبّة والنصر والتأييد وقبول الطاعات وإجابة الدعوات، بخلاف المشرك الكافر

---

(١) الحق الواضح للسعدي ص ٢٤٥ وانظر تيسير الكريم الرحمن ص ٣٤٠، وفتح الباري لابن رجب ٣٣٣/٢، والحجة في بيان المحجة للأصبهاني ١٦٤/١.

(٢) انظر : فتح الباري لابن رجب ٣٣٢/٢ .

(٣) انظر مجموع الفتاوى لشيخ الإسلام ١٤٣/٣، ٦٥/٥، وحادي الأرواح لابن القيم ص ٢٠٣ .

فلا يقبل منه طاعة ولا يقضي له حاجة لشركه وكفره بالله سبحانه وتعالى، قال سبحانه : ﴿ وإذا سألك عبادي عني فإني قريب أجيب دعوة الداعي إذا دعان فليستجيبوا لي وليؤمنوا بي لعلهم يرشدون ﴾ [1]، فهذا القرب خاص بالمؤمنين العابدين والداعين دون غيرهم من الكفرة والفجرة الذين يستكبرون عن عبادته ودعائه، والله أعلم .

المطلب الثاني والأربعون : أنواع القرب الخاص

- بالداعين بالإجابة .
- بالعابدين بالإثابة .

يقول العلامة ابن القيم رحمه الله : " وأما القرب فلا يقع في القرآن إلا خاصا وهو نوعان : قربه من داعيه بالإجابة، قربه من عابديه بالإثابة، فالأوّل كقوله تعالى : ﴿ وإذا سألك عبادي عني فإني قريب أجيب دعوة الداعي إذا دعان ﴾ ، والثاني قوله ﷺ : **﴿ أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد﴾** [2] **و﴿ أقرب ما يكون الرب من عبده في جوف الليل﴾** [3] فهذا قرب من أهل طاعته "[4] .

التعليق :

كما سبق أن قرب الله سبحانه من عباده نوعان : عام بجميع خلقه، وخاص بعباده المؤمنين وهو نوعان : قرب من الداعين بالإجابة وقرب من العابدين بالإثابة، وهذا

---

(1) سورة البقرة الآية ١٨٦ .

(2) الحديث أخرجه مسلم في كتاب الصلاة ٤/٢٠٠ برقم (٤٨٢) من حديث أبي هريرة ﷺ .

(3) الحديث أخرجه الترمذي ٥/٥٦٩ برقم (٣٥٧٨) وقال : حسن صحيح غريب من هذا الوجه، والنسائي في كتاب الصلاة باب النهي عن الصلاة بعد العصر ١/٢٧٩ (٥٧٢)، وابن خزيمة في صحيحه ٢/١٨٢ برقم (١١٤٦)، والحاكم في المستدرك ١/٤٥٣(١١٦٢) وقال : صحيح على شرط مسلم ووافقه الذهبي، .

(4) المدارج لابن القيم٢/٢٦٦، وانظر مختصر الصواعق ص ٣٩٦، مجموع الفتاوى ٥/٢٤٠، وفيض القدير للمناوي ٤/٤٩٦ .

التقسيم هو باعتبار أنواع الدعاء، فالدعاء كما ينقسم إلى قسمين دعاء عبادة ودعاء مسألة، فكذلك قربه سبحانه من عباده ينقسم إلى قسمين بحسب أنواع الدعاء .

فأما دعاء العبادة فهو كل ما يأتي به العبد من أنواع العبادات، إذ إن العبد يرجو الثواب من الله تعالى ويدعوه سبحانه بلسان حاله أن يتقبل منه هذا العمل ويثيبه عليه ويطلب منه سبحانه رضوانه والجنة، فالله تعالى قريب من هذا العابد يقبل منه الطاعات ويثيبه عليها ويحقق رجاءه منه سبحانه، فهذا هو قربه سبحانه من عابديه بالإثابة، كما في حديث أبي موسى الأشعري ﷺ أنه قال: **« كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَكُنَّا إِذَا أَشْرَفْنَا عَلَى وَادٍ هَلَّلْنَا وَكَبَّرْنَا ارْتَفَعَتْ أَصْوَاتُنَا، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ : يَا أَيُّهَا النَّاسُ اربعوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ فَإِنَّكُمْ لا تَدْعُونَ أَصَمَّ وَلا غَائِبًا إِنَّهُ مَعَكُمْ إِنَّهُ سَمِيعٌ قَرِيبٌ تَبَارَكَ اسْمُهُ وَتَعَالَى جَدُّهُ»** [1] وفي رواية : **« إِنَّ الَّذِي تَدْعُونَ أَقْرَبُ إِلَى أَحَدِكُمْ مِنْ عُنُقِ رَاحِلَتِهِ »** "[2]، فهو سبحانه قريب من عباده، وكل ما يقرب العبد منه ﷻ فهو يقرب إليه أكثر كما في الحديث : **« عَنْ النَّبِيِّ ﷺ يَرْوِيهِ عَنْ رَبِّهِ قَالَ : إِذَا تَقَرَّبَ الْعَبْدُ إِلَيَّ شِبْرًا تَقَرَّبْتُ إِلَيْهِ ذِرَاعًا، وَإِذَا تَقَرَّبَ مِنِّي ذِرَاعًا تَقَرَّبْتُ مِنْهُ بَاعًا، وَإِذَا أَتَانِي مَشْيًا أَتَيْتُهُ هَرْوَلَةً »** [3] .

وأما دعاء المسألة فهو ما يدعو العبد ربه ويسأله حاجته "فدعاء المسألة أن يقول العبد : اللهم اعطني كذا اللهم ادفع عني كذا "[4] ونحو هذا مما يدعو الإنسان من قضاء حاجة أودفع مضرة، فالله تعالى قريب منه يستجيب له ويعطيه سؤله ويقضي حاجته بحسب ما تقتضي حكمته سبحانه، فكلما يدعو العبد المؤمن المستيقن بالإجابة دعاء مسألة فالله تعالى

---

(١) الحديث متفق عليه، أخرجه البخاري في صحيحه في عدة مواضع منها : كتاب الجهاد والسير باب ما يكره من رفع الصوت بالتكبير ٦/١٥٧/ برقم (٢٩٩٢)، وكتاب التوحيد باب قول الله تعالى ((**وكان الله سميعا بصيرا**)) ١٣/٣٧٤/ برقم (٧٣٨٦)، وأخرجه مسلم في صحيحه كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار ١٧/٢٥/ برقم (٢٧٠٤).

(٢) أخرجها الإمام أحمد في المسند ٤٠٢/٤ بسند صحيح .

(٣) الحديث بهذا اللفظ أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب التوحيد باب ذكر رواية النبي ﷺ عن ربه ﷻ ١٣/٥٢١/ برقم (٧٥٣٦) .

(٤) الحق الواضح للسعدي ص ٢٤٦ .

قريب منه يستجيب دعاءه، فهو سبحانه يقترب بهم قرباً خاصا في كل ليلة حين يبقى ثلثها حتى ينزل إلى السماء الدنيا ويقول : هل من مستغفر فأغفر له ؟ هل من سائل فأعطيه ؟ فهو سبحانه يقترب كل ليلة من الجميع قربا عاما ثم يقترب من الداعي والمستغفر والسائل قربا خاصا فيعطيهم ويغفر لهم حتى يصبح، كما في حديث أبي هريرة ﷺ في الصحيحين وغيرهما أن النبي ﷺ قال : **﴿ يَنْزِلُ رَبُّنَا تَبَارَكَ وَتَعَالَى كُلَّ لَيْلَةٍ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا حِينَ يَبْقَى ثُلُثُ اللَّيْلِ الآخِرُ فَيَقُولُ مَنْ يَدْعُونِي فَأَسْتَجِيبَ لَهُ ؟ مَنْ يَسْأَلُنِي فَأُعْطِيَهُ ؟ مَنْ يَسْتَغْفِرُنِي فَأَغْفِرَ لَهُ ؟ ﴾** [1]، فالله تعالى ينزل إلى السماء الدنيا ليقترب من عباده ويستجيب دعوتهم ويغفر خطيئتهم فهو قريب مجيب، وقال صالح ﷺ : ﴿ فاستغفروا ربكم ثم توبوا إليه إن ربي قريب مجيب ﴾ [2] " أي قريب ممن دعاه، دعاء مسألة أو دعاء عبادة، يجيبه بإعطائه سؤاله، وقبول عبادته وإثابته عليها "[3] والله أعلم .

المطلب الثالث والأربعون : أنواع قبول الرب عز وجل .

أن قبول الرب سبحانه للأعمال يتفاوت بحسب رضاه بالعمل وصاحبه، فهو على ثلاث أنواع :

- قبول رضا ومحبة .
- قبول جزاء وثواب .
- قبول إسقاط للعقاب .

يقول العلامة ابن القيم رحمه الله : " القبول يختلف ويتفاوت بحسب رضا الرب سبحانه بالعمل، فقبول يوجب رضا الله سبحانه وتعالى بالعمل ومباهاة الملائكة به وتقريب عبده منه وقبول يترتب عليه كثرة الثواب والعطاء فقط...والقبول ثلاثة أنواع : **قبول رضا ومحبة** واعتداد ومباهاة وثناء على العامل به بين الملأ الأعلى، **وقبول جزاء**

---

(١) الحديث سبق تخريجه .

(٢) سورة هود الآية ٦١ .

(٣) تيسير الكريم الرحمن ص ٣٤٠ .

وثواب، وإن لم يقع موقع الأول، وقبول إسقاط للعقاب فقط وان لم يترتب عليه ثـواب وجزاء كقبول صلاة من لم يحضر قلبه..." [1].

ويقول الحافظ ابن رجب رحمه الله : "القبول قد يراد به الرضا بالعمل ومـدح فاعله والثناء عليه بين الملائكة والمباهاة به وقد يراد به حصول الثواب والأجر عليه وقد يراد به سقوط الفرض به من الذمة "[2].

التعليق :

من شروط قبول الأعمال عند الله أن يكون العمل خالصا له سـبحانه وأن يكـون موافقا لما شرعه على لسان نبيه ﷺ، فلا يكون العمل مقبـولا حـتى يسـتوفي هذيـن الشرطين[3]، ولا شك أن الناس يتفاضلون في تحقيق هذين الشرطين علـى درجـات لا يحصيها إلا الله سبحانه، وبحسب تحقيق هذين الشرطين تتفاضل الأعمال في قبولها والثواب عليها ورضى الرب بها، قال تعالى: ﴿ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ ﴾[4]"قال ابن عطية[5] : المـراد بالتقوى هنا اتقاء الشرك بإجماع أهل السنة، فمن اتقاه وهو موحد فأعماله التي تصـدق فيها نيته مقبولة، وأما متقي الشرك والمعاصي فله الدرجة العليا من القبول والختم بالرحمـة " [6]

يقو ابن القيم رحمه الله : "والأعمال تتفاضل بتفاضل ما في القلوب من الإيمان والمحبـة والتعظيم والإجلال وقصد وجه المعبود وحده دون شيء من الحظوظ سواه، حتى لتكـون

---

(١) المنار المنيف ص ٢٢ .

(٢) جامع العلوم والحكم ٢٦٢/١ .

(٣) انظر الفتاوى لشيخ الإسلام ٣١١/١-٣١٢، ٣٣٤-٣٣٥، ٤٧٤/٢٧، ومدارج السـالكين ٨٣/١-٨٤، وجامع العلوم والحكم ٧٢/١، ومعارج القبول ٣٥٤/ .

(٤) سورة المائدة الآية ٢٧ .

(٥) هو الإمام العلامة أبو محمد عبد الحق بن الحافظ أبي بكر غالب بن عطية المحاربي الغرنـاطي، ولـد سـنة ٤٨٠هـ، من مؤلفاته المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، توفي سنة ٥٤١هـ .
انظر السير للذهبي ٥٨٧/١٧-٥٨٨، وطبقات المفسرين للسيوطي ص ١٦-١٧ .

(٦) انظر تفسير القرطبي ٨٩/٦ .

صورة العملين واحدة وبينهما في الفضل ما لا يحصيه إلا الله تعالى، وتتفاضل أيضا بتجريد المتابعة، فبين العملين من الفضل بحسب ما يتفاضلان به في المتابعة، فتتفاضل الأعمال بحسب تجريد الإخلاص والمتابعة تفاضلا لا يحصيه إلا الله تعالى، وينضاف هذا إلى كون أحد العملين أحب إلى الله في نفسه" [1] فإخلاص الصديق ﷺ لا يساويه إخلاص أحد كما قال بعض العلماء : ((ما سبقكم أبو بكر ﷺ بكثرة صوم ولا صلاة ولكن بشيء وقر في صدره)) [2] وهذا هو الذي اعترف به عمر رضي الله عنه حيث قال له : ((لا أسابقك إلى شيء أبداً)) [3] مع كون الفاروق عمله أكثر من عمل الصديق ذاك الوقت [4]" وكذا في تجريد المتابعة للرسول ﷺ فليس العلماء الربانيين الذين تفقهوا في الدين وعملوا بما علموه كالعوام في متابعة السنة، فقبول الرب سبحانه للأعمال التي قد استوفى صاحبها شرطي القبول حق وفائها مع كون العمل من أحب الأعمال إلى الله لاشك أنه أعلى وأرفع من قبوله للأعمال التي دونه في تحقيق الشرطين، فالأول هو قبول محبة ورضى ومباهاة وثناء على العامل بين الملأ الأعلى وأما الثاني فهو قبول جزاء وثواب لكن لا يقع موقع الأول في الرضا والثناء على صاحبه، وقد يكون القبول هو قبول إسقاط الفريضة فقط ويكون مجزيا ومبرئا للذمة ولا تجب الإعادة والقضاء على صاحبه، وإن لم يحصل له بذلك جزاء ولا ثواب الموعود لهذا العمل، كصلاة من أتى عرافا أو كاهنا وكذا صلاة شارب الخمر ونحوها التي وردت النصوص بأنها لا تقبل مع عدم إخراج صاحبه من الملة، كما في الحديث :﴿ مَنْ أَتَى عَرَّافًا فَسَأَلَهُ عَنْ شَيْءٍ لَمْ تُقْبَلْ لَهُ صَلاةٌ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ﴾ [5] وفي الحديث :﴿ مَنْ شَرِبَ الْخَمْرَ لَمْ يَقْبَلِ اللَّهُ لَهُ صَلاةً أَرْبَعِينَ صَبَاحًا، فَإِنْ تَابَ تَابَ

---

(١) المنار المنيف ١/٣٣ .

(٢) من كلام أبي بكر بن عياش، انظر المنار المنيف لابن القيم ص ١١٥، وجامع العلوم والحكم ١/١١٤ .

(٣) أخرجه أبو داود في كتاب الزكاة باب الرجل يخرج من ماله والرخصة في ذلك ٢/٢١٤/برقم (١٦٧٨) والترمذي في كتاب المناقب باب ٥/٥٨٤/برقم (٣٦٧٥)، وابن أبي عاصم في السنة ص ٥٦٤ برقم (١٢٤٠) .

(٤) انظر عون المعبود ٦/٦٥ وتحفة الأحوذي ١٠/١١١ .

(٥) الحديث أخرجه مسلم في صحيحه كتاب السلام ١٤/٢٢٧/برقم (٢٢٣٠) .

اللَّهُ عَلَيْهِ، فَإِنْ عَادَ لَمْ يَقْبَلِ اللَّهُ لَهُ صَلاةً أَرْبَعِينَ صَبَاحًا فَإِنْ تَابَ تابَ اللَّهُ عَلَيْهِ ... الحديث ﴾ [(١)] فهؤلاء تسقط عنهم الفريضة ولا تجب عليهم الإعادة، فصلاتهم بهذا الاعتبار مقبولة عند الله سبحانه إذا استكمل الشروط، لكن ليس لهم بهذا أجر ولا ثواب الصلاة وبهذا الاعتبار فهي غير مقبولة [(٢)]، فقبول الرب سبحانه للأعمال على ثلاث مراتب باعتبار ما يترتب الجزاء والثواب على العمل : قبول رضا ومباهاة وثناء على العامل، وقبول جزاء وثواب فقط، وقبول إسقاط الوجوب والعقاب عن صاحبه فقط، والله أعلم .

المطلب الرابع والأربعون : أنواع توبته على العبد

- التوفيق لها .
- قبولها .

يقول العلامة ابن القيم رحمه الله : "

وكذلك التواب من أوصافه والتوبة في أوصافه نوعان

إذن بتوبة عبده وقبولها بعد المتاب بمنة المنان[(٣)]

يقول الشيخ السعدي رحمه الله : " وتوبته سبحانه على عبده نوعان : أحدهما : أنه يوقع في قلب عبده التوبة إليه والإنابة إليه، فيقوم بالتوبة وشروطها من الإقلاع عن

---

(١) الحديث أخرجه الترمذي كتاب الأشربة باب ما جاء في شارب الخمر ٢٩٠/٤/ برقم (١٨٦٢) وقال حديث حسن، وأحمد في المسند ١٧٦/٢، ١٧١/٥، والطبراني في الكبير ٣٩٠/١٢، وهؤلاء نقصت صلاتهم من قبول الجزاء والثواب إلى قبول إسقاط الوجوب وإبراء الذمة فقط للسيئة التي ارتكبوها من الإتيان إلى العراف أو شرب الخمر فتسقط هذه السيئة ثواب تلك الحسنة فصارت كأنها غير مقبولة وإن كانت مجزئة، انظر القول المفيد شرح كتاب التوحيد للشيخ محمد بن عثيمين ٦٣/٢ .

(٢) انظر شرح مسلم للنووي ٢٢٧/١٤، والقول المفيد ٥١/٢ .

(٣) القصيدة النونية (الهراس) ٩٨/٢ .

المعاصي والندم على فعلها والعزم على أن لا يعود إليها واستبدالها بعمل صالح، والثاني : توبته على عبده بقبولها وإجابتها ومحو الذنوب بها، فان التوبة النصوح تجب ما قبلها"[1] .

التعليق :

من أسماء الله الحسنى التواب، فالله تعالى يتوب على عباده ويقبل التوبة عنهم، ومن المعلوم أن العبد لا يمكن أن يتوب إلى الله ﷻ حتى يتوب الله عليه، فهو سبحانه يتوب عليه أولاً وآخراً، وعلى هذا فتوبته سبحانه وتعالى تنقسم إلى قسمين : توبة على العبد بالتوفيق لها، وتوبة عليه بقبوله إياها .

فالله تعالى يتوب على العبد أولا بالتوفيق له للتوبة فلا يمكن للعبد أن يتوب إليه ويأتي بشروط التوبة كلها حتى تكون توبته نصوحا مقبولة إلا بتوفيق منه سبحانه، وكل شيء للعبد بتوفيق الله إياه، يقول تبارك وتعالى : ﴿ ثم تاب الله عليهم ليتوبوا إن الله هو التواب الرحيم ﴾[2]" أي أذن في توبتهم ووفقهم لها لتقع منهم فيتوب الله عليهم "[3]، فهذه التوبة صادرة من ربوبيته ومشيئته فلا يكون شيء إلا بمشيئته وحده .

وأما القسم الثاني من توبته على عبده فهو توبته عليه بقبوله إياها بعد توفيقه له بها ويثيبه عليها ويحط عنه ما اقترف من الخطيئة ويبدل سيئاته حسنات ويرفع درجته، يقول سبحانه : ﴿ ألم يعلموا أن الله هو يقبل التوبة عن عباده ويأخذ الصدقات وأن الله هو التواب الرحيم ﴾[4]، وقال جل شأنه : ﴿ فمن تاب من بعد ظلمه وأصلح فإن الله يتوب عليه ﴾[5] وقال سبحانه : ﴿ إنما التوبة على الله للذين يعملون السوء بجهالة ثم يتوبون من قريب فأولئك يتوب الله عليهم ﴾[6] فهو يتوب على العبد أولا وأخرا، ولذا سمى نفسه بصيغة المبالغة " التوّاب " أي أنه هو الذي يتوب على العبد أولا بتوفيقه له بالتوبة ثم يتوب عليه ثانيا بقبوله إياها ومحو الذنوب عن

(١) الحق الواضح للسعدي ص ٢٥٠ وانظر تيسير الكريم الرحمن له أيضا ص ١٥٧.

(٢) سورة التوبة الآية ١١٨ .

(٣) تيسير الكريم الرحمن للشيخ السعدي ص ٣١٢ .

(٤) سورة التوبة الآية ١٠٤ .

(٥) سورة المائدة الآية ٣٩ .

(٦) سورة النساء الآية ١٨ .

على العبد أولا بتوفيقه له بالتوبة ثم يتوب عليه ثانيا بقبوله إياها ومحو الذنوب عن التائب، وهذا التقسيم هو باعتبار تعلقها بربوبية الرب سبحانه وتعالى وألوهيته، فالأوّل صادر من ربوبيته فلا يقع شيء إلا بمشيئته وإرادته، والثاني متعلق بألوهيته فعند ما يتوب العبد إلى الله ﷻ وينيب إليه فالله يقبل منه ويثيبه على ذلك، والله أعلم .

المطلب الخامس والأربعون : أنواع إحسانه عز وجل

- عام .
- خاص .

يقول الشيخ السعدي رحمه الله : " وإحسانه : عام، خاص، فالعام المذكور في قوله : ﴿ ربنا وسعت كل شيء رحمة وعلما ﴾ [1] وهذا يشترك فيه البر والفاجر وأهل السماء وأهل الأرض والمكلفون وغيرهم، والخاص : رحمته ونعمه على المتقين حيث قال : ﴿ فسأكتبها للذين يتقون ويؤتون الزكاة ﴾ " [2].

التعليق :

من أسماء الله الحسنى (المحسن) الدّال على إحسانه على عباده وخلقه، وإحسانه إليهم من حيث شموله لجميع الخلائق واختصاصه بالمؤمنين ينقسم إلى قسمين : إحسان عام، وإحسان خاص .

فالعام هو الشامل لجميع خلقه المحيط بجميع الحيوان المكلف منهم وغير المكلف، فالجميع لا يستغني عن إحسانه إليهم ولطفه بهم ورحمته إياهم، فالحياة هي نفسها إحسان منه إليهم مع ما فيهم من العصيان والكفر والشرك معه، فهو يحسن إليهم وهم يسيئون إليه، فلا أحد أصبر من الله على أذى يسمعه، وهذا الإحسان عام يعم جميع المخلوقين مؤمنهم وكافرهم برهم وفاجرهم .

---

(١) سورة غافر الآية ٧ .

(٢) الحق الواضح للسعدي ص ٢٥٥ .

وأما الإحسان الخاص منه سبحانه فهو إحسانه على المؤمنين الموحدين الذين يتقون المعاصي ويجتنبون النواهي، ولذا لما سأل موسى عليه السلام ربه أن يكتب لهم الإحسان في الدنيا والآخرة، فقال عز شأنه إن رحمته وإحسانه العام وسع كل شيء وأما إحسانه الخاص المقتضي للفوز والسعادة في الدارين فهو خاص بالمتقين [1] قال عز وجل : ﴿ قَالَ رَبِّ لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُم مِّن قَبْلُ وَإِيَّايَ ﴾ إلى قوله ﴿ وَاكْتُبْ لَنَا فِي هَٰذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ إِنَّا هُدْنَا إِلَيْكَ قَالَ عَذَابِي أُصِيبُ بِهِ مَنْ أَشَاءُ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُم بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ ﴾ [2]، فهو محسن لعباده المتقين بإحسانه الخاص أما في الدنيا فبتوفيقه لهم للإيمان والتقوى وبالنصر والتأييد والمحبّة لهم، وأما في الآخرة فبالفوز بالجنة والنجاة من النار، فالجنة ليست عوضا يستحقه العبد بعمله بل هو أيضا من خالص إحسانه وفضله على الموحدين فهذا إحسان خاص منه إلى عباده في الدنيا والآخرة والله أعلم .

المطلب السادس والأربعون : أنواع لقائه سبحانه

- لقاء محبوب .
- لقاء مكروه .

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله :" لقاء الله على نوعين : لقاء محبوب ولقاء مكروه ... فلما كان اللقاء على نوعين – وإنما يميز أحدهما عن الآخر في الإخبار بما يوصف به هذا اللقاء وهذا اللقاء – وصف النبي ﷺ اللقاء المحبوب بما تتقدمه البشرى بالخير وما يقترن به من الإكرام، واللقاء المكروه بما يتقدمه من البشرى بالسوء وما يقترن

(١) انظر تيسير الكريم الرحمن ص ٢٦٨ .

(٢) سورة الأعراف الآية ١٥٦ .

به من الإهانة، فصار المؤمن يحب لقاء الله وصار الكافر يكره لقاء الله فأحب الله لقاء هـذا وكره لقاء هذا ﴿جزاءً وفاقاً﴾ [1]فإن الجزاء بذلك من جنس العمل"[2].

التعليق :

الإيمان بلقاء الله سبحانه وتعالى يوم القيامة جزء من الإيمان باليوم الآخر، ومن لم يؤمن به فأولئك من الخاسرين، قال تعالى : ﴿ قد خسر الذين كذبوا بلقاء الله وما كانوا مهتدين ﴾ [3]، ولقاء الله تعالى على نوعين : لقاء محبوب، ولقاء مكروه .

فالمحبوب هو لقاء المؤمنين الأبرار الذي يؤمنون بلقاء الله ﷻ ويحبون لقاءه ويشتاقون إليه[4] فيعملون عملا صالحا ولا يشركون بعبادته أحدا، فالله تعالى أيضا يحبهم ويحب لقاءهم ويحقق رجاءهم، وعند ما يحضر الأجل يبشرهم الله تعالىٰ بالرضوان والجنة فيزداد شوقهم إلى لقاء الله ورجاؤهم منه، وأما الذين يكذبون لقاء الله ولا يؤمنون به ولا يرجون لقاءه ورضوا بالحياة الدنيا واطمأنوا بها، فيبشرهم بالسوء والعذاب الأليم فيكره لقاء الله فيكره الله لقاءهم والجزاء من جنس العمل، كما في الحديث أن النبي ﷺ قال : « **مَنْ أَحَبَّ لِقَاءَ اللَّهِ أَحَبَّ اللَّهُ لِقَاءَهُ، وَمَنْ كَرِهَ لِقَاءَ اللَّهِ كَرِهَ اللَّهُ لِقَاءَهُ، قَالَتْ عَائِشَةُ أَوْ بَعْضُ أَزْوَاجِهِ : إِنَّا لَنَكْرَهُ الْمَوْتَ، قَالَ : لَيْسَ ذَاكِ وَلَكِنَّ الْمُؤْمِنَ إِذَا حَضَرَهُ الْمَوْتُ بُشِّرَ بِرِضْوَانِ اللَّهِ وَكَرَامَتِهِ فَلَيْسَ شَيْءٌ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا أَمَامَهُ فَأَحَبَّ لِقَاءَ اللَّهِ وَأَحَبَّ اللَّهُ لِقَاءَهُ، وَإِنَّ الْكَافِرَ إِذَا حُضِرَ بُشِّرَ بِعَذَابِ اللَّهِ وَعُقُوبَتِهِ فَلَيْسَ شَيْءٌ أَكْرَهَ إِلَيْهِ مِمَّا**

---

(١) سورة النبأ ٢٦ .

(٢) فتاوى ابن تيمية ٤٨٢/٦ .

(٣) سورة يونس الآية ٤٥ .

(٤) وفي دعاء الرسول ﷺ : « **وأسألك لذة النظر إلى وجهك والشوق إلى لقائك** » أخرجه أحمد في المسند ٢٦٤/٤ والنسائي في كتاب الصلاة باب الدعاء بعد الذكر ٥٤/٣،٥٥/(١٣٠٥،١٣٠٦) والحاكم ٥٢٤/١ وصححه ووافقه الذهبي، وصححه الشيخ الألباني في كتابه التوسل والوسيلة ص ٣٣ وانظر المشكاة برقم (٢٤٩٧).

أَمَامَهُ كَرِهَ لِقَاءَ اللَّهِ وَكَرِهَ اللَّهُ لِقَاءَهُ ﴾[1]، فلقاء الله ﷻ للمؤمن لقاء محبوب ولقاؤه للكافر والفاجر لقاء مكروه فيلقاه وهو عليه غضبان كما في الحديث أن النبي ﷺ قال: ﴿ مَنْ حَلَفَ عَلَى يَمِينٍ يَقْتَطِعُ بِهَا مَالَ امْرِئٍ مُسْلِمٍ هُوَ عَلَيْهَا فَاجِرٌ لَقِيَ اللَّهَ وَهُوَ عَلَيْهِ غَضْبَانُ ﴾[2]، فهذا كله يدل على أن المراد هو لقاء الله بنفسه لعباده يوم القيامة فليس المراد باللقاء لقاء ثوابه وعقابه كما يقول به أهل البدع[3]، فلقاؤه حق ثابت فيلقى المؤمن بالحب والرضوان ويلقى الكافر والفاجر وهو عليه غضبان، نسأل الله سبحانه أن يجعلنا ممن يحب لقاء الله فيحب لقاءه، وبالله التوفيق .

المطلب السابع والأربعون: أنواع رزقه سبحانه

- عام .
- خاص .

يقول العلامة ابن القيم رحمه الله في نونيته :

وكذلك الرزاق من أسمائه والرزق من أفعاله نوعان

رزق على يد عبده ورسوله نوعان أيضا ذان معروفان

رزق القلوب العلم والإيمان والرزق المعد لهذه الأبدان

هذا هو الرزق الحلال وربنا رزاقه والفضل للمنان

والثاني سوق القوت للأعضاء في تلك المجاري سوقه بوزان

هذا يكون من الحلال كما يكون من الحرام كلاهما رزقان

---

(١) الحديث متفق عليه أخرجه البخاري من حديث عبادة بن الصامت ﷺ في كتاب الرقاق باب من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه ١١/٣٦٤/ برقم (٦٥٠٧) وأخرجه مسلم من حديث عائشة رضي الله عنها في كتاب الدعاء والتوبة ١٧/١٠/ برقم (٢٦٨٥).

(٢) الحديث متفق عليه من حديث ابن مسعود ﷺ، أخرجه البخاري في عدة مواضع من صحيحه، منها كتاب المساقاة باب خصومة في البئر والقضاء فيها ٥/٤١/ برقم (٢٣٥٧) ومسلم في كتاب الإيمان ٢/١٥٨/ برقم (١٣٨، ١٣٩) .

(٣) انظر الرد على من أول اللقاء بلقاء الثواب والعقاب بمجموع الفتاوى ٦/٤٦١ .

والله رازقه بهذا الاعتبـــار وليس بالإطــلاق دون بيان [1]

ويقول الشيخ ابن عثيمين رحمه الله : " وينقسم الرزق إلى قسمين : عام وخاص، فالعـــام كل ما ينتفع به البدن، سواء كان حلالا أو حراما، وسواء كان المرزوق مسلما أو كافرا، أما الرزق الخاص فهو ما يقوم به الدين من العلم النافع والعمل الصالح والـــرزق الحــلال المعين على طاعة الله "[2].

التعليق :

من أسماء الله الحسنى " الرزاق " والرزق منه سبحانه وتعالى ينقسم إلى قسمين : عـلم وخاص، فالعام هو ما يرزق الله سبحانه جميع الخلق، فهو يعطي خلقه ما يصلح لهـــم في حياتهم وتنتفع به أبدانهم، فما من مخلوق إلا وهو يرزقه كما قال تعالى : ﴿ وما من دابة في الأرض إلا على الله رزقها ﴾ [3] فالجميع يرتزق برزق الله لا يستغني عنه أحد من الحيـــوان، سواء أكان الرزق حلالا أم حراما وسواء كان المرزوق مسلما أو كافرا، كما قال سبحانه : ﴿ قد خسر الذين قتلوا أولادهم سفها بغير علم وحرموا ما رزقهم الله افتراء على الله قد ضلوا وما كانوا مهتدين ﴾ [4].

وأما الرزق الخاص فهو ما يرزق الله لعباده المتقين ما تحيي به قلوبهم من الإيمان والعلـــم والمعرفة به سبحانه، فهذا منه رزقا يختص به عباده الموحدين وأولياءه المتقين فيعطيهم مـــا يعيشون به حياة طيبة مطمئنة وإن لم يحظوا من الرزق العام بالنصيب الوافر، بل يعطيـــهم الله ما تطمئن به قلوبهم ويلتذ به روحهم، حتى لا يكاد واحد منهم يلتذ بالرزق العام مـــا يحصل له من الرزق الخاص الذي هو قوته الروحية، ولذا قال أحدهم : ((مساكين أهـــل الدنيا خرجوا من الدنيا وما ذاقوا أطيب ما فيها، قالوا : وما أطيب ما فيها ؟ قال : محبّـــة

---

(١) القصيدة النونية ٢/٢٣٤ وانظر الحق الواضح المبين للسعدي ص ٢٥٦ ، وتوضيح الكافية الشافية له أيضا ص ٣٧٨، والمقصد الأسنى في شرح الأسماء الحسنى ص ٨٥ .

(٢) شرح العقيدة الواسطية ١/٢٠٣.

(٣) سورة هود الآية ٦ .

(٤) سورة الأنعام الآية ١٤٠ .

الله والأنس به والشوق إلى لقائه والإقبال عليه والإعراض عما سواه " [1] فهذا هو الرزق الحقيقي الذي يختص به الله ﷻ عباده المحبوبين فقط دون غيرهم، وأما الرزق العام فهو يعطيه لمن يحب ولمن لا يحب فلا يدل على المحبّة والولاية وإنما هو ابتلاء وامتحان فالمؤمن يصرفه ويهلكه في مرضاة الله ﷻ وأما الكافر فلا يزيده إلا بعدا عن الله ويكون هذا استدراجا وزيادة في المقت، والله أعلم .

المطلب الثامن والأربعون : أنواع الرزق العام

- الرزق الشرعي .
- الرزق القدري .

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله : " لفظ الرزق فقد يراد : ما أباحه أو ملكه فلا يدخل الحرام في مسمى هذا الرزق، كما في قوله تعالى : ﴿ ومما رزقناهم ينفقون ﴾ وقد يراد بالرزق ما ينتفع به الحيوان وان لم يكن هناك إباحة ولا تمليك، فيدخل فيه الحرام كما في قوله تعالى : ﴿ وما من دابة في الأرض إلا على الله رزقها ﴾ [2] وقوله عليه السلام في الصحيح : « فيكتب رزقه وعمله وأجله وشقي أو سعيد » "[3] .

التعليق :

كما سبق أن جميع الحيوان يرزق برزق الله سبحانه لا يستغني أحد من رزقه وهو ﷻ يرزقهم جميعا، ورزقه سبحانه ينقسم إلى قسمين : رزق شرعي ورزق قدري .

فالرزق الشرعي هو ما أعطاه الله ﷻ وأباح له التصرف فيه شرعا، وأمره بالإنفاق في سبيله وأثنى على من ينفق منه، قال تعالى : ﴿ الذين يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلاة ومما رزقناهم

---

(١) مدارج السالكين ١/٤٥٤ .

(٢) سورة هود الآية ٦ .

(٣) مجموع الفتاوى ٨/١٣٢ .

ينفقون ﴾ إلى قوله : ﴿ أولئك على هدى من ربهم وأولئك هم المفلحون ﴾ [1] وقال سبحانه : ﴿ قل لعبادي الذين آمنوا يقيموا الصلاة وينفقوا مما رزقناهم سرا وعلانية ﴾ [2]، وكل ما ورد في القرآن من الأمر بالإنفاق أو الثناء على من ينفق من رزقه فالمراد به الرزق الشرعي الذي يجوز له التصرف فيه[3] .

وأما القسم الثاني فهو كل ما يستهلكه العبد وينتفع به بدنه وما رزقه الله له قدرا وكونا المضمن له في قوله ﷻ : ﴿ وما من دابة في الأرض إلا على الله رزقها ﴾، فيشمل ذلك كل ما رزقهم الله ﷻ سواء مما يجوز لهم التصرف فيه شرعا أو يحرم عليهم ذلك، فالحلال والحرام كله من رزق الله للعبد وإن كان لا يحب الحرام ولا يأمر به فهو " مما قدره الله وكتبته الملائكة ...وهو مع ذلك قد حرمه ونهى عنه، فلفاعله من غضبه وذمه وعقوبته ما هو أهله "[4] فهذا التقسيم هو باعتبار تعلق الرزق بربوبيته العامة لجميع الكائنات وتعلقه بألوهيته ﷻ، فهو سبحانه بربوبيته يرزق جميع سواء كان الرزق حلالا أو حراما والمرزوق مسلما أو كافرا، وبألوهيته يجعل مما رزقهم حلالا يبيح لهم التصرف فيه ويأمرهم بالإنفاق منه، فالحرام رزق منه يتعلق بربوبيته والحلال رزق منه يتعلق بربوبيته وألوهيته، والله أعلم .

---

(١) سورة البقرة الآيات ٣ ـ ٥ .

(٢) سورة إبراهيم الآية ٣١ .

(٣) وانظر المصدر السابق ٥٤٢/٨ .

(٤) المصدر السابق ٥٤٦/٨ .

المطلب التاسع والأربعون: أنواع رزق الله باعتبار تعلقه بمراتب التقدير

- ما علمه الله ﷻ .
- ما كتبه وأعلم به الملائكة .

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله : " الرزق نوعان، أحدهما : ما علمه الله أنه يرزقه، فهذا لا يتغير، و الثاني : ما كتبه و أعلم به الملائكة، فهذا يزيد و ينقص بحسب الأسباب، فإن العبد يأمر الله الملائكة أن تكتب له رزقا وإن وصل رحمه زاده الله على ذلك، كما ثبت في الصحيح عن النبي ﷺ أنه قال : **﴿ من سره أن يبسط له في رزقه و ينسأ له في أثره فليصل رحمه ﴾**[1] "[2] .

التعليق :

هذا التقسيم هو باعتبار تعلق الرزق بتقدير الرب سبحانه على العبد وما يحصل فيه من الزيادة والنقصان، وهو بهذا الاعتبار ينقسم إلى قسمين : ما علمه الرب سبحانه، وما كتبه على العبد وأعلم به الملائكة .

فكما سبق أن من مراتب التقدير علمه سبحانه القديم الأزلي الذي به علم جميع ما يكون من خلق ورزق وحركة وسكون في هذا الكون، فما كان في علمه سبحانه فهذا لا يقع فيه التغيير مهما كان ولا يقع إلا ما في علمه سبحانه وإلا للزم النقص في علمه القديم بحدوث علم عند التغيير ما لم يكن يعلم من قبل وهذا محال واعتقاده كفر[3]، فالرزق الذي علمه الله أن العبد يرزقه فهذا لا يتغير فلا يزاد فيه ولا ينقص منه وهو واصل إليه لا محالة كما قال ﷺ : **﴿ لن يموت عبد حتى يستكمل رزقه ﴾**[4] .

---

(١) الحديث أخرجه مسلم في صحيحه كتاب البر والصلة والأدب ١١٤/١٦/ برقم (٢٥٥٧) من حديث أنس بن مالك ﷺ .

(٢) مجموع الفتاوى ٥٤٠/٨ .

(٣) ولذا كفر السلف من أنكر علمه القديم من المعتزلة والغلاة القدرية كما سبق .

(٤) الحديث أخرجه ابن حبان في صحيحه ٣٢/٨، والحاكم في المستدرك ٣٦١/٤ وقال صحيح الإسناد ووافقه الذهبي، والبيهقي ٣٦٥/٥، وابن أبي عاصم في السنة ١٨٣/١، وصححه الألباني في ظلال الجنة ١٨٣/١ .

وأما ما يكتبه الملك للعبد من الرزق وهو في بطن أمه فهذا الذي يحصل فيه التغيير والزيادة والنقصان بحسب ما يأتي به العبد من الأسباب، كما ثبت في الحديث أن صلة الرحم تزيد في الرزق وكذا المعاصي تنقصه وتحرم منه العبد، قال ﷺ : ﴿ **إن الرجل ليحرم من الرزق بالذنب يصيبه** ﴾ [1]، فهو سبحانه ﴿ يمحوا الله ما يشاء ويثبت وعنده أم الكتاب ﴾ [2]، فالزيادة والنقصان إنما يحصل فيما في أيدي الملائكة من الصحف وهو أيضا قد علمه الله ﷻ، وعلم أن فلانا من عباده يأتي بالأعمال التي تتسبب في سعة الرزق ورغد العيش وأن الآخر يأتي بالأعمال التي تمحو بركة رزقه وتسبب ضنك العيش وقلة الرزق، فيغير الله ﷻ ما في أيدي الملائكة وما أعلمهم به عند الكتابة ويجعل مكانه ما تقتضي الأسباب، والله أعلم .

المطلب الخمسون : أنواع العلم

- تابع .
- متبوع .

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية : " أن العلم نوعان : تابع متبوع ... وكذلك علم الله بنفسه المقدسة تابع غير مؤثر فيها، وأما علمه بمخلوقاته فهو متبوع وبه خلق الله الخلق كما قال تعالى : ﴿ ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير ﴾ [3] وقد يجوز أن يقال : كله علم فهو تابع للمعلوم مطابق سواء كان سببا في وجود المعلوم أو لم يكن " [4]

---

(١) الحديث أخرجه الإمام أحمد في المسند ٢٧٧/٥، ٢٨٠، ٢٨٢، وابن ماجة كتاب الفتن باب العقوبات ١٣٣٤/٢ (٤٠٢٢)، وابن حبان في صحيحه ١٥٣/٣، والحاكم في المستدرك ٦٧٠/١ وصححه ووافقه الذهبي، والحديث حسنه البوصيري انظر المصباح الزجاجة ١٨٧/٤، وقد ضعفه العلامة الألباني رحمه الله .

(٢) سورة الرعد الآية ٣٩ .

(٣) سورة الملك الآية ١٤ .

(٤) مجموع الفتاوى ١٢٩/١٩، وانظر : درء التعارض ٣٩٠/٩، وجامع الرسائل : ٣٩٥/٢ ، مفتاح دار السعادة لابن القيم ١٠٨/١.

التعليق :

العلم من صفات الله الذاتية، فهو سبحانه يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور، وقد علم الأشياء قبل كونها فكتب المقادير بعلمه القديم قبل أن يخلق الخلق، وعلمه سبحانه ينقسم إلى قسمين : تابع ومتبوع .

وهذا التقسيم هو باعتبار تأثير العلم في المعلوم وعدم تأثيره فيه، فالتابع هو العلم بالأشياء على ما هي عليها وليس له تأثير في المعلوم ووجوده، كعلمه سبحانه بنفسه المقدسة فهذا تابع غير مؤثر فيها ولا سبب لوجودها، وأما علمه القديم الواسع بكل ما يكون الشامل لكل ما هو خالق وفاعل فهو علم متبوع إذ أنه به خلق المخلوقات وكتب المقادير وهو الذي أثر في المخلوقات فأحكم وأتقن، وقدر على من علم فيه الخير الإيمان والهداية ومن علم أنه لا خير فيه لم يوفقه لذلك، قال تعالى : ﴿ولو علم الله فيهم خيرا لأسمعهم ولو أسمعهم لتولوا وهم معرضون﴾ [(1)]، فعلمه سبحانه هو الأصل والسبب في الخلق والتقدير، ولذا استدل الله بالخلق على العلم فقال ﷻ : ﴿ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير﴾ [(2)]، وهذا العلم ينكره غلاة المعتزلة ويقولون : إنه لا يعلم الأشياء حتى يخلقها، تعالى الله عما يقولون علوا كبيرا، وقد كفر السلف من أنكر علمه القديم وقال غير واحد منهم : ((ناظروا القدرية بالعلم فإن أقروا به خصموا وإن جحدوه كفروا)) [(3)]، فعلمه سبحانه وتعالى من حيث تأثيره في المعلوم ينقسم إلى هذين القسمين : تابع ومتبوع، والله أعلم .

---

(١) سورة الأنفال الآية ٢٣ .

(٢) سورة الملك الآية ١٤، وانظر الفتاوى ٢٨١/٨، ٣٥٤/١٦، ١٣٠/١٩ .

(٣) انظر مراتب التقدير في المبحث الثاني .

المطلب الحادي والخمسون : أنواع الغيب

- المطلق .
- المقيد .

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية : " قال تعالى : ﴿ قل لا يعلم من في السموات والأرض الغيب إلا الله ﴾ [1] ... وهو سبحانه قال : ﴿ قل لا يعلم من ﴾ ولم يقل : (ما) فانه لما اجتمع ما يعقل وما لا يعقل غلب ما يعقل وعبر عنه ب (من) لتكون أبلغ، فإنهم مع كونهم من أهل العلم والمعرفة لا يعلم أحد منهم الغيب إلا الله، وهذا هو الغيب المطلق عن جميع المخلوقين الذي قال فيه : ﴿ فلا يظهر على غيبه أحدا ﴾ [2] والغيب المقيد : ما علمه بعض المخلوقات من الملائكة أو الجن أو الإنس وشهدوه، فإنما هو غيب عمن غاب عنه فيكون غيبا مقيدا ليس غيبا مطلقا غاب عن المخلوقين قاطبة، وقوله ﴿ عالم الغيب والشهادة ﴾ أي عالم ما غاب عن العباد مطلقا ومعينا وما شهدوه فهو سبحانه يعلم ذلك كله "[3] .

التعليق :

الغيب هو ما غاب عن الحواس، فالله سبحانه ليس شيء عنه غائب، قال ﷻ :﴿ عالم الغيب لا يعزب عنه مثقال ذرة في السماوات ولا في الأرض ﴾ [4] فلا يغيب عن علمه شيء، يعلم الأشياء كلها دقها وجلها صغيرها وكبيرها، ويعلم ما كان وما يكون وما لم يكن لو كان كيف يكون، فهو موصوف بالعلم المطلق الذي لم يسبقه جهل ولا يعتريه نقص ولا يلحقه نسيان[5] ثم إنه قد ميز بعض خلقه بصفة العلم والمعرفة والعقل، ولا شك أن الخلق

---

(١) سورة النمل الآية ٦٥ .

(٢) سورة الجن الآية ٢٦ .

(٣) مجموع الفتاوى ١١٠/١٦ وانظر درء تعارض النقل والعقل ٣٣/٦، وكتاب النبوات ص ٢٨١.

(٤) سورة سبأ الآية ٣ .

(٥) انظر القواعد المثلى في صفات الله وأسمائه الحسنى ص ٧.

مهما بلغوا في هذه الصفة كمالها فهو بالنسبة إلى صفة واهبها ليس بشيء بل ولا نسبة بينهما البتة[1]، فالمخلوق لا يعلم شيئا حتى يعلمه الله كما قال ﷻ عن الملائكة : ﴿ سبحانك لا علم لنا إلا ما علمتنا ﴾[2]، لا يعلم أحد إلا ما يشاهده وتدركه حواسه وما وراء ذلك فهو جاهل، فلا يعلم الواحد منهم ما يشاهده غيره إذا لم يدخل تحت حواسه، فعلم الغيب المطلق من اختصاص الرب سبحانه لا يشاركه في جنسه أحد لا ملك مقرب ولا نبي مرسل، إلا أن الله تعالى يختص بعض خلقه بتعليمه واطلاعه إياه على بعض الأمور الغيبية فيشهد ويطلع على شيء منها، إلا أن علمهم مقيد بما يعلمهم الله ويطلعهم عليه فقط، قال سبحانه : ﴿ عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحدا إلا من ارتضى من رسول فإنه يسلك من بين ومن خلفه رصدا * ليعلم أن قد أبلغوا رسالات ربهم وأحاط بما لديهم وأحصى كل شيء عددا ﴾، ومن هذا إخبار الأنبياء بالأمور الغيبية ومعرفتهم ببعض ما يغيب عن أصحابهم، كما كان عيسى عليه السلام يخبر بما يدخره الناس في بيوتهم، وكذا سماع النبي ﷺ لأصوات المعذبين في قبورهم ومشاهدتهم ورؤيته النار والشيطان وهو في الصلاة دون غيره ممن معه ونحو ذلك من الأمور الغيبية التي يطلع الله بعض خلقه على شيء منها، فيكون هذا شاهدا لهذا، وهو لغيره لمن لم يطلع عليه و لم يشاهده يكون غائبا، فهذا من الغيب النسبي المقيد وليس غيبا مطلقا عن جميع الخلق، إذ إن بعضا منهم قد علمه واطلع عليه .

فالغيب الذي أضافه الله ﷻ إليه في قوله : ﴿ غيبه ﴾ من حيث المعرفة والاطلاع على بعض أفراده من بعض الخلق ومن حيث عدم معرفة الخلق قاطبة ينقسم إلى قسمين : مطلق ومقيد، فالمطلق ما لا يعرفه أحد من الخلق لا ملك مقرب ولا نبي مرسل بل استأثر الله بعلمه لنفسه، ومنه العلم بقيام الساعة وكذا تفاصيل الأمور الغيبية لا يعلمها أحد من الخلق، وأما المقيد فهو ما غاب عن بعض المخلوقين والبعض الآخر مطلع عليه، والله تعالى

---

(١) انظر الحق الواضح المبين ص ٢٣٠-٢٣١

(٢) سورة البقرة الآية ٣٢ .

يعلم ما غاب عن الناس مطلقا ومعينا، فالله تعالى له علم الغيب المطلق لا يعزب عنه مثقال ذرة في السماوات ولا في الأرض ولا أصغر من ذلك، والله أعلم .

المطلب الثاني والخمسون : أنواع تصرفه سبحانه

- بالقول .
- بالفعل .

يقول العلامة ابن القيم رحمه الله : " المُلك يقتضي التصرف بالقول كما أن المِلك يقتضي التصرف بالفعل، فالمَلِك هو المتصرف بأمره وقوله فتنفذ أوامره ومراسيمه حيث شاء، والمالك هو المتصرف في ملكه بفعله، والله هو المَلِك وله المُلك فهو المتصرف في خلقه بالقول والفعل، وتصرفه بقوله نوعان : تصرف بكلماته الكونية، تصرف بكلماته الدينية وكمال الملك بهما " [1] .

التعليق :

إن الله ﷻ هو رب كل شيء ومليكه وهو الذي يتصرف في خلقه كيف شاء بما شاء، وتصرفه في ملكه على نوعين : تصرف بقوله وتصرف بفعله .

فالله تعالى له التصرف المطلق قدرا وشرعا، يتصرف في ملكه بقوله فيأمر بما شاء وينهى عما شاء إلا أنه لا يأمر ولا ينهى إلا لحكمة كما سبق [2]، فهذا تصرف بالقول وبكلماته الشرعية، وكذا كل خلق وتكوين في العالم فهو بقوله كن فيكون، كما قال ﷻ : ﴿ إنما أمره إذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون ﴾ [3] وقال ﷻ : ﴿ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ ﴾ [4] " أي كلمةٌ تكلم الله بها فكان

(١) المدارج لابن القيم ٦٨/١ .

(٢) انظر (أنواع الحكمة) فيما سبق .

(٣) سورة يس الآية ٨٢ .

(٤) سورة النساء الآية ١٧١ .

بها وهذا من باب التشريف والتكريم "[1] فتصرفه بالقول هو أمره ونهيه الشرعيين وكذا كلماته الكونية التي بها كون الكائنات، وأما تصرفه بالفعل فجميع ما يفعله سبحانه في ملكه من خلق ورزق وتدبير للأمور، فهو سبحانه كل يوم هو في شأن يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد، وكما سبق أن أفعاله سبحانه وتعالى تنقسم إلى ما يفعله هو بنفسه ويباشر الفعل وإلى ما يقدره على العباد فينسب إليه باعتبار أنه هو الذي قدره عليه وبمشيئته حصل الفعل وكذا فعله أيضا باعتبار تعدي آثاره إلى الخلق أيضا ينقسم إلى قسمين متعد ولازم فكل ذلك من تصرفاته سبحانه في ملكه بالفعل فهو سبحانه: ﴿ ذُو الْعَرْشِ الْمَجِيدُ * فَعَّالٌ لِمَا يُرِيدُ ﴾ [2]، والله أعلم .

المطلب الثالث والخمسون : أنواع المعية .

- عامة .
- خاصة .

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية : " والمعية معيتان : عامة وخاصة، فالأولى قوله تعالى : ﴿ وهو معكم أينما كنتم ﴾ [3]، والثانية كقوله تعالى : ﴿ إن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون ﴾[4] " [5]

ويقول العلامة ابن القيم :" المعية نوعان : عامة، وهي معية العلم والإحاطة كقوله تعالى : ﴿ مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَا أَدْنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَا

---

(1) تيسير الكريم الرحمن ص ١٧٩ باختصار .
(2) سورة البروج الآيتان ١٥،١٦ .
(3) سورة الحديد الآية ٤ .
(4) سورة النحل الآية ١٢٨ .
(5) مجموع الفتاوى ١٢٢/٥ ، وانظر ٤٩٦/٥، ٣٧٣/٨، و منهاج السنة النبوية له ٢٤٩/١١ .

أكثر إلا هو معهم أين ما كانوا ﴾ [1]، وخاصة وهي معية القرب كقوله تعالى : ﴿ إن الله مع الصابرين ﴾ [2] وقوله : ﴿ وإن الله لمع المحسنين ﴾ [3] فهذه معية قرب تتضمن الموالاة والنصر والحفظ " [4]

التعليق :

إن الله ﷻ أخبر عن نفسه بأنه مع الخلق مع وصفه له بالعلو والفوقية والاستواء على العرش، فقال عز شأنه : ﴿ هو الذي خلق السماوات والأرض في ستة أيام ثم استوى على العرش يعلم ما يلج في الأرض وما يخرج منها وما ينزل من السماء وما يعرج فيها وهو معكم أين ما كنتم ﴾ [5] وأخبر أيضا أنه مع الصابرين والمحسنين والمتقين، وقال لموسى وهارون عليهما السلام : ﴿ قال لا تخافا إنني معكما أسمع وأرى ﴾[6] فهذا الوصف بالمعية لا ينافي كونه على العرش فوق سبعة أرقع، إذ إن (مع) إنما تدل على مطلق المصاحبة والمقارنة وتختلف أحكامها بحسب الموارد[7] ولذا جمع في الآية السابقة بين استوائه على العرش وبين المعية مع الخلق فالله تعالى فوق عرشه حقيقة وهو مع خلقه حقيقة [8] ووصفه بالمعية ورد في النصوص على نوعين : عامة وخاصة .

---

(١) سورة المجادلة الآية ٧ .

(٢) سورة البقرة الآية ١٥٣ .

(٣) سورة العنكبوت الآية ٦٩ .

(٤) مدارج السالكين ٢٦٥/٢، وانظر عدة الصابرين ص ٤٥، والوابل الصيب ص ٩٣، وتفسير ابن كثير ٥٧٣/٢ وجامع العلوم والحكم لا بن رجب ٤٧٢/١، وفتح الباري ٣٨٥/١٣ (٦٩٧٠) ٥٠٠/١٣، وفيض القدير للمناوي ٤٩٧/٤ وروح المعاني للألوسي ٦٦/١٩، والقواعد المثلى للشيخ محمد بن صالح العثيمين ٤٠١/١ .

(٥) سورة الحديد الآية ٤ .

(٦) سورة طه الآية ٤٦ .

(٧) انظر مجموع الفتاوى ١٠٣/٢، و مدارج السالكين ٢٦٥/٢، ومختصر الصواعق المرسلة ص ٤٠٩ .

(٨) انظر مجموع الفتاوى ١٤٢/٣، والقواعد المثلى ص ٥٧ .

فالأوّل هي المعية بالإحاطة والعلم والقدرة والسمع والبصر والسلطان ونحوها من معاني الربوبية [1]، فهذه المعية عامة مع جميع الخلق مع المؤمن والكافر والبر والفاجر سواء، فالله تعالى محيط بهم يعلم أفعالهم ويسمع أقوالهم سرهم ونجواهم فيجازيهم حسب أعمالهم، وأما المعية الخاصة فهي أخص من الأولى بحيث يكون مع عباده المتقين المؤمنين بالنصر والإعانة والحفظ والكلأ ونحوها مما تقتضي المعية الخاصة، فقوله ﷺ : ﴿ **ما ظنك باثنين الله ثالثهما** ﴾ [2] وقوله تعالى : ﴿ إذ هما في الغار إذ يقول لصاحبه لا تحزن إن الله معنا ﴾ ليس المراد مجرد اطلاع الله سبحانه عليهم إذ أنه مطلع على الكافرين أيضا ومحيط بهم وإنما كان هذا تسلية من النبي ﷺ لأبي بكر ﷺ بأن الله معنا فهو يحفظنا وينصرنا، فالمعية الخاصة هي مع المؤمنين وأوليائه المتقين دون الكفار والفجار، والله أعلم .

المطلب الرابع والخمسون : أنواع المعية الخاصة

- مقيدة بشخص .
- مقيدة بوصف .

يقول الشيخ محمد العثيمين : " معية الله عز وجل تنقسم إلى قسمين :خاصة وعامة، والخاصة تنقسم إلى قسمين : مقيدة بشخص، ومقيدة بوصف "[3] .

التعليق :

لا شك أن المعية الخاصة إنما تكون مع عباده المؤمنين وأوليائه المتقين الذين ينصرون الله فينصرهم الله عند الحاجة والضرورة، فهي مشروطة بأن يكون العبد أيضا مع الله يعبده ويوحده ويتقيه ويصبر على الطاعات وعن المعاصي فيكون الله تعالى معه في مواطن الحاجة

---

(١) انظر القواعد المثلى ص ٥٤ .

(٢) الحديث متفق عليه من حديث أبي بكر الصديق ﷺ، أخرجه البخاري كتاب فضائل الصحابة باب مناقب المهاجرين ٧/١١/ برقم (٣٦٥٣)، ومسلم كتاب فضائل الصحابة ١٥/١٤٨/ (٢٣٨١) .

(٣) شرح الواسطية لابن العثيمين ١/٤٠١ .

للنصر والتأييد، كما حصل لبعض عباده وأوليائه من الرسل وأتباعهم من المخافة من العدو فأنزل الله تعالى عليهم السكينة وأذهب عنهم الخوف والرعب، قال تعالى : ﴿ إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا فَأَنزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَىٰ وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا ﴾ (1) فهذا هو أثر المعية الخاصة ومقتضياتها ومستلزماتها، وهي وردت في النصوص على نوعين : مقيدة بوصف، ومقيدة بشخص .

وهذا التقسيم إنما هو باعتبار متعلق هذه المعية، فلا شك أن نصوص المعية إنما هي إخبار من الله ﷻ أنه مع فلان وفلان بالمعية الخاصة، فقد يكون متعلقها وصف عام بحيث يكون الله مع كل من اتصف بهذا، كما قال سبحانه : ﴿ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوا وَّالَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ ﴾ (2) وقال ﷻ : ﴿ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴾ (3) فهذه ونحوها أوصاف عامة ومن اتصف بها فالله تعالى يكون معه بالمعية الخاصة، ثم إنه قد ورد بعضُ النصوص بتقييد متعلقها ببعض عباده من الرسل وأتباعهم لما كانوا متصفين بالأوصاف التي تستلزم المعية الخاصة، كما حصل لموسى وهارون عليهما السلام وكما حصل لسيد الأنبياء وقدوة الصابرين وإمام المتقين ﷺ وصاحبه، فهذه المعية خاصة ومقيدة بهم، وأما الأولى فهي عامة مع جميع من اتصف بالصّفات المذكورة والمشروطة لحصول المعية كالتقوى والإحسان والصبر بجميع أنواعها، والله أعلم .

المطلب الخامس والخمسون : أنواع نعم الله

- نعمة مطلقة .
- نعمة مقيدة .

يقول العلامة ابن القيم رحمه الله : " النعمة نعمتان : نعمة مطلقة، ونعمة مقيدة، فالنعمة المطلقة هي المتعلقة بسعادة الأبد، وهي نعمة الإسلام والسنة ... وهي التي

---

(1) سورة التوبة الآية ٤٠ .

(2) سورة النحل الآية ١٢٨ .

(3) سورة البقرة الآية ١٥٣ .

اختصت بالمؤمنين وإذا قيل ليس لله على الكافر نعمة بهذا الاعتبار فهو صحيح، والنعمة الثانية النعمة المقيدة، كنعمة الصحة والغنى وعافية الجسد وتبسط الجاه وكثرة الولد وأمثال هذا، فهذه النعمة مشتركة بين البر والفاجر والمؤمن والكافر، وإذا قيل لله على الكافر نعمة بهذا الاعتبار فهو حق "[1] .

التعليق :

نعم الله تعالى على عباده كثيرة لا يحصيها إلا هو، والنعمة منه على نوعين : نعمة مطلقة، ونعمة مقيدة .

وهذا التقسيم للنعمة هو باعتبار تعلقها بالربوبية والألوهية وبالمشيئة والمحبة، فالمطلقة هي النعمة الحقيقية التي ينعم الله بها على بعض خلقه، وهي السبيل إلى النعمة الأبدية التي لا زوال لها، وهي التوفيق لهم بالهداية والإيمان واتباع السنة، "وهذه النعمة المطلقة هي التي يفرح بها في الحقيقة، والفرح بها مما يحبه الله ويرضاه وهو لا يحب الفرحين، قال الله تعالى : ﴿ قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا هو خير مما يجمعون ﴾ [2] وقد دارت أقوال السلف على أن فضل الله ورحمته الإسلام والسنة "[3] وهي التي من حرم منها فهو المحروم وإن كانت عنده من أنواع النعم الدنيوية، فالشقي والمحروم من حرم من هذه النعمة والسعيد من أنعم الله عليه بنعمة الإسلام والسنة .

وأما النعمة المقيدة فهي النعمة الزائلة وهي النعمة الدنيوية التي تزول بزوالها مثل نعمة الصحة والغنى والجاه ونحو ذلك، ويشترك فيها البر والفاجر والمؤمن والمشرك، بل قد يؤتي الله للكافر من الدنيا مالا يعطيه لعبده المؤمن فيدخره له في الآخرة، كما قال النبي ﷺ لعمر : « أَمَا تَرْضَى أَنْ تَكُونَ لَهُمْ الدُّنْيَا وَلَنَا الآخِرَةُ » [4]، فالنعمة المطلقة هي ما اختص الله بها المؤمنين دون الكفار فأنعم عليهم بنعمة الإسلام ووفق لهم بالهداية والإيمان،

---

(١) اجتماع الجيوش الإسلامية لابن القيم ص ٥ .

(٢) سورة يونس الآية ٥٨ .

(٣) اجتماع الجيوش الإسلامية لابن القيم ص ٦ .

(٤) الحديث متفق عليه من حديث عمر ﷺ، أخرجه البخاري كتاب التفسير باب قوله تعالى﴿ تبتغي مرضات أزواجك﴾ ٥٢٥/٨/ برقم (٤٩١٣)، ومسلم في كتاب الطلاق ٧٢/١٠/ برقم (١٤٧٩) .

وعلى هذا يقال أن الكفار لم تشملهم رحمة الله ونعمته مع كونها واسعة، وأما النعمة المقيدة التي لا محالة زائلة غير دائمة ولا نافعة في الآخرة فيشترك فيها جميع خلقه [1]، والله أعلم .

المطلب السادس والخمسون : أنواع النعم

- مستمرة .
- متجددة .

يقول العلامة ابن القيم : " النعم نوعان، مستمرة ومتجددة، فالمستمرة شكرها بالعبادات والطاعات، والمتجددة شرع لها سجود الشكر شكرا لله عليها وخضوعا له وذلا في مقابلة فرحة النعم وانبساط النفس لها وذلك من أكبر أدوائها، فإن الله سبحانه لا يحب الفرحين ولا الأشرين فكان دواء هذا الداء الخضوع والذل والانكسار لرب العالمين، وكان سجود الشكر من تحصيل هذا المقصود ما ليس في غيره، ونظير هذا السجود عند الآيات التي يخوف الله بها عباده، كما في الحديث ﴿ إذا رأيتم آيةً فاسجُدُوا ﴾ [2] " [3]

التعليق :

نعم الله على عباده كثيرة وهي من حيث الدوام تنقسم إلى قسمين :

الأوّل : نعم مستمرة، والثاني : ونعم متجددة، فكل منها لا تعد ولا تحصى وكلما شكر العبد على نعمة هو فيها يزيد الله له منها وغيرها، قال تعالى : ﴿ لئن شكرتم لأزيدنكم ولئن كفرتم إن عذابي لشديد ﴾، فالشّكر قيد للنّعمة الموجودة وصيد للنّعمة

---

(١) انظر ما ذكره ابن القيم في بدائع الفوائد ٢/٢٦٠ .

(٢) الحديث أخرجه أبو داود في السنن كتاب باب السجود عند الآيات ١/٤٩٢ (١١٩٧)، والترمذي في المناقب باب فضل أزواج النبي ﷺ ٥/٧٠٧، وقال : حسن غريب، والبيهقي ٣/٣٤٣، والطبراني في الكبير ١١/٢٤٢ كلهم من حديث ابن عباس رضي الله عنهما، وقال الألباني : إسناده حسن، انظر المشكاة ١/٤٧٠ .

(٣) إعلام الموقعين ٢/٤١٠ .

المفقودة[1] فمن النّعم المستمرّة نعمة الحياة ونعمة الصّحة والعافية وفي الحديث : ﴿ **نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس الصحة والفراغ** ﴾ [2] ومن أعظم النعم على الإطلاق نعمة الإيمان والإسلام والتوفيق باتباع السنة [3]، فهذه من أعظم نعم الله ﷻ على العبد المسلم مع نعمه الكثيرة التي تشمل جميع الخلق والتي يتنعم بها الصنف البشري كافة من النعم الدنيوية التي يشترك فيها المؤمن والكافر والبر والفاجر بل والمكلف وغير المكلف .

وأما النّعم المتجدّدة فهي ما يحصل للعبد بين الحين والآخر، وتكون في الغالب خاصّة ومؤقّتة وزائلة إمّا عينها وأثرها أو عينها، وشكر مثل هذه النعم يكون بحمد الله وشكره عند حصوله والتذلل والانكسار له حتى لا يتعجب ويفتخر بها فيضيف النعم إلى غير مسديها فشرع حينئذ السجدة لله ﷻ تذللا وشكرا له سبحانه، والله أعلم .

المطلب السابع والخمسون : أنواع تكليم الله لعباده

- من وراء حجاب .
- بإرسال الرسل .
- بالإيحاء .

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله : " وتكليم الله لعباده على ثلاثة أوجه : من وراء حجاب كما كلم موسى، وبإرسال رسول كما أرسل الملائكة إلى الأنبياء، وبالإيحاء وهذا فيه نصيب للولي، وأما المرتبتان الأوليان فانهما للأنبياء خاصة "[4] .

---

(١) انظر تفسير البغوي ٢٧/٣، ٤٢٠ .

(٢) الحديث أخرجه البخاري في كتاب الرقاق باب ما جاء في الصحة والفراغ ٢٣٣/١١(٦٤١٢).

(٣) وقد قال بعض السلف : ((لا أدري أي النعمتين علي أعظم أن هداني للإسلام أو عافاني من الأهواء)) وذلك لانتشار البدع في المنتسبين إلى الإسلام والله المستعان، انظر شعب الإيمان للبيهقي ١٢١/٤ عن مجاهد وأبي العالية، واللالكائي في شرح السنة ١٤٧/١(٢٣٠) عن أبي العالية .

(٤) مجموع الفتاوى لابن تيمية ٢٢٨/٢ .

التعليق :

هذه الأقسام هي لتكليم الله لعباده في الدنيا، فتكليمه في الدنيا لعباده ينقسم إلى ثلاثة أقسام، وهذه الأقسام كما ذكر الله ﷻ في كتابه فقال : ﴿ وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَاءِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ ﴾ [1] فتكليم الله لعباده لا يخرج عن هذه الأقسام الثلاثة المذكورة : إما أن يكلمه مباشرة من وراء حجاب، أو بواسطة الرسل، أو عن طريق الإلهام والوحي الخفي .

أما القسم الأوّل وهو التكليم من وراء حجاب فهو التكليم مباشرة من غير واسطة، فيسمع كلام الله منه مباشرة كما سمع موسى عليه السلام ونبينا محمد ﷺ كلام الله يقظة من غير واسطة بل سمع صوته منه مباشرة، إلا أنه كان من وراء حجاب لأن الله ﷻ لا يرى في هذا الدنيا[2] .

وأما القسم الثاني وهو التكليم بواسطة الرسل، وهذا هو الغالب في وحي الأنبياء والرسل، فيكلمهم الله بواسطة الرسل من الملائكة كما قال سبحانه: ﴿ اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ النَّاسِ ﴾ [3] وقد فرق الله ﷻ بين تكليمه لبعض الرسل ووحيه إلى عامة الأنبياء والرسل في قول ﷻ: ﴿ إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِن بَعْدِهِ وَأَوْحَيْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ ﴾ إلى قوله :﴿ وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا ﴾ [٢] وقال سبحانه :﴿ تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ اللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ ﴾ [3] فخص بعضهم بالتكليم من وراء حجاب وأما سائرهم فبواسطة الرسل من الملائكة[4] ..

---

(١) سورة الشورى الآية ٥١ .

(٢) انظر مدراج السالكين ٣٧/١، وفتح القدير ٧٧٥/٤.

(٣) سورة الحج الآية ١٣ .

() سورة النساء الآيتان ١٦٣، ١٦٤

(٣) سورة البقرة الآية ٢٥٣

(٤) انظر المدارج لابن القيم ٣٧/١

وأما القسم الثالث وهو الوحي الخفي الذي هو الإلهام في قلب أحد من الناس من غير كلام يسمع أو عن طريق الرؤيا الصادقة، ومن هذا النوع غالب ما يقول به النبي ﷺ مما يتعلق بالشرع مما ليس في القرآن الكريم، كما قال تعالى: ﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَى * إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى ﴾ [(١)] وكذا رؤيا الأنبياء فهي أيضا حق وصدق .

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله : "فهذا الوحي يكون لغير الأنبياء ويكون يقظة ومناما، وقد يكون بصوت هاتف يكون الصوت في نفس الإنسان ليس خارجا عن نفسه يقظة ومناما ... فهذه الدرجة من الوحي التي تكون في نفسه من غير أن يسمع صوت ملك في أدنى المراتب وآخرها وهي أولها باعتبار السالك " [(٢)] .

ويقول العلامة ابن القيم رحمه الله : " التحديث إلهام خاص وهو الوحي إلى غير الأنبياء إما من المكلفين، كقوله تعالى :﴿ وَأَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّ مُوسَى أَنْ أَرْضِعِيهِ ﴾ [(٣)] وقوله :﴿ وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى الْحَوَارِيِّينَ أَنْ آمِنُوا بِي وَبِرَسُولِي ﴾ [(٤)] وإما من غير المكلفين كقوله : ﴿ وَأَوْحَى رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنِ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ ﴾ [(*)]، فهذا كله وحي إلهام "[(٥)] .

المطلب الثامن والخمسون : أنواع التكليم

- خاص .
- وعام .

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله :" إن الله يكلّم عبده تكليما زائدا عن الوحي الذي هو قسيم التّكليم الخاص، فان لفظ التّكليم والوحي كل منهما ينقسم إلى: خاص

(١) سورة النجم الآيتان ٣، ٤ .

(٢) مجموع الفتاوى ٣٩٨/١٢

(٣) سورة القصص الآية ٧ .

(٤) سورة المائدة الآية ١١١ .

(*) سورة النحل الآية ٦٨

(٥) مدارج السالكين ٤٤/١، ٤٥ .

وعام، فالتّكليم هو المقسوم في قوله تعالى : ﴿وما كان لبشر أن يكلّمه الله إلا وحيا أو من وراء حجاب أو يرسل رسولا﴾ [1] والتّكليم المطلق هو قسيم الوحي الخاص ليس هو قسما منه " [2].

التعليق :

كما سبق أن تكليم الله لرسله شامل للتكليم المباشر من غير واسطة والوحي الذي يكون بواسطة الرسول من الملائكة، فجميع ما يوحى إلى الأنبياء والرسل يطلق عليه وصف التّكليم من حيث العموم، وإن كان التّكليم المباشر أخص من التّكليم العام الذي يكون لجميع الأنبياء والرسل فهو خاص ببعض الرسل كما قال سبحانه : ﴿ تلك الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بعضَهُم على بَعضٍ مِنهُم مَن كَلَّم الله ﴾ [3] فالتّكليم من حيث المباشر وغير المباشر ينقسم إلى قسمين : تكليم خاص، وتكليم عام .

أما القسم الأوّل وهو التّكليم العام فهو ما أوحى الله إلى جميع الأنبياء بواسطة الرسل من الملائكة أو عن طريق الإلهام والرؤيا، وليس في هذا مزية زائدة وفضل لبعض الرسل على البعض بل جميعهم مشترك في هذا التّكليم والوحي، كما قال تعالى :﴿ إنا أوحينا إليك كما أوحينا إلى نوح والنّبيين من بعده وأوحينا إلى إبراهيم وإسماعيل ﴾ إلى قوله :﴿ وَكَلَّمَ الله مُوسَى تكليماً ﴾ [4]

والقسم الثاني وهو التّكليم الخاص فهو التّكليم المباشر من غير واسطة بل من وراء حجاب، فيسمع الرسول كلام الله مباشرة منه سبحانه وتعالى، كما كلّم الله موسى تكليماً وكما كلّم محمداً ﷺ عند ما عرج به إلى السماء، فهذا فيه مزية خاصة وفضل زائد على التّكليم العام ولذا منّ الله على موسى بذكر هذه المزية والفضل إضافة إلى التّكليم

---

(١) سورة الشورى الآية ٥١ .

(٢) مجموع الفتاوى ١٢/ ٤٠١، ١٢٩ .

(٣) سورة البقرة الآية ٢٥٣ .

(٤) سورة النساء الآيتان ١٦٣-١٦٤ .

العام فقال سبحانه : ﴿ قَالَ يَا مُوسَى إِنِّي اصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ بِرِسَالاتِي وَبِكَلامِي ﴾ [1] وإلا فهو مساوٍ لسائر الأنبياء في الوحي والتّكليم العام، وفي الآية الأولى أن الله لما ذكر وحيه إلى جميع الأنبياء خص موسى بالتّكليم فقال : ﴿ وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيماً ﴾ [2] .

المطلب التاسع والخمسون : أنواع الوحي

- خاص .
- وعام .

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله : " لفظ التّكليم والوحي كل منهما ينقسم إلى : خاص، عام...وكذلك لفظ الوحي قد يكون عاما فيدخل فيه التكلّم الخاص كما في قوله لموسى :﴿ فاستمع لما يوحى ﴾، وقد يكون قسيم التكلّم الخاص كما في سورة الشورى" [3] .

التعليق :

هذا التقسيم أيضاً مثل التقسيم السابق إذ إن الوحي والتكليم كلّ منهما عند العموم يشمل أحدهما الآخر، وقد يخصّ كل منهما بنوع غير الآخر، فكما أن التكليم ينقسم إلى قسمين كذلك الوحي أيضاً من حيث العموم والخصوص ينقسم إلى قسمين : وحي خاص، ووحي عام .

فالقسم الأوّل الوحي الخاص وهو الوحي بواسطة الملائكة أو بالإلهام والرؤيا فهذا لا يدخل فيه التكليم المباشر الذي يكون من غير واسطة، ثم إن هذا الوحي ليس خاصّاً بالرسول فقط بل هو مشترك بين الأنبياء وغيرهم كما سبق ذلك .

---

(١) سورة الأعراف الآية ١٤٤ .

(٢) سورة النساء الآية ١٦٤ .

(٣) مجموع الفتاوى ١٢/ ٤٠١، ١٢٩ .

والقسم الثاني الوحي العام فهذا يشمل ويندرج فيه جميع أنواع الوحي ويدخل فيه أيضاً التكليم المباشر الخاص، فهو أيضا جزء من الوحي من حيث العموم كما قال سبحانه : ﴿ فلما أتاها نودي يا موسى * إِنِّي أَنَا رَبُّكَ ﴾ إلى قوله : ﴿ فاستمع لما يوحى * إِنَّنِي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي ﴾ [1] فالتكليم من جملة الوحي العام، وأما الوحي الخاص فلا يدخل فيه التكليم المباشر، والله أعلم .

المطلب الستون : أنواع الإتيان والمجيء المضاف إلى الله

- مطلقا .
- مقيدا .

يقول العلامة ابن القيم رحمه الله : " والإتيان والمجيء من الله نوعان : مطلق، مقيد، فإذا كان مجيء رحمته وعذابه كان مقيدا، كما في قوله تعالى : ﴿ ولقد جئناهم بكتاب فصلناه على علم ﴾ [2] وقوله: ﴿ بل أتيناهم بذكرهم ﴾ [3]، والنوع الثاني المجيء والإتيان المطلق كقوله : ﴿ وجاء ربك والملك ﴾ [4] وقوله : ﴿ هل ينظرون إلا أن يأتيهم الله في ظلل من الغمام والملائكة ﴾ [5] وهذا لا يكون إلا مجيئه سبحانه "[6] .

التعليق :

إن الله ﷻ وصف نفسه في كتابه بالمجيء والإتيان وأضافهما إليه، والإضافة إليه على نوعين : مطلق ومقيد، فالمطلق ما أضيف إليه مطلقا من غير تقييد بشيء من خلقه مثل

---

(١) سورة طه الآيات ١١-١٤ .

(٢) سورة الأعراف ٥٢ .

(٣) سورة المؤمنون ٧١ .

(٤) سورة الفجر ٢٢ .

(٥) سورة البقرة ٢١٠ .

(٦) مختصر الصواعق لابن القيم ص ٣٦٩ بتصرف .

مجيء الثواب والعذاب والملائكة ونحو ذلك وإنما وصف به نفسه وأضاف إليه إضافة مطلقة، قال سبحانه : ﴿ هل ينظرون إلا أن تأتيهم الملائكة أو يأتي ربك أو يأتي بعض آيات ربك ﴾ [1]، فهذه ونحوها المراد بها هو مجيء الرب نفسه لأنه أضاف الفعل إلى نفسه، فالفعل يقوم بالفاعل لا يقوم بغيره، ثم إنه عطف عليه مجيء الملائكة أو مجيء بعض آياته مما يدل على أن هذا المجيء لكل من أضيف إليه هو مجيء حقيقي فيجيء الموصوف هو بنفسه لا غيره فلا يقال فالمجيء المضاف إليه سبحانه المراد به مجيء ملك أو مجيء آية أو ثواب وعذاب[2] لأن كل هذا تحريف للفظ عن ظاهره من غير دليل وتقول على الله من غير علم، وأما الثاني وهو المجيء والإتيان المضاف إليه بالتقييد بشيء من خلقه، كما قال تعالى : ﴿قل إن كان آباؤكم أو أبناؤكم ﴾ إلى قوله تعالى : ﴿ فتربصوا حتى يأتي الله بأمره ﴾ [3] أي بعقوبة عاجلة أو آجلة، وإنما أبهم الأمر ليكون التهديد أوقع في النفوس فتردد بين أنواع العقوبات [4]، وقال سبحانه حكاية لقول نبيه نوح عليه السلام لقومه : ﴿ قال إنما يأتيكم به الله إن شاء وما أنتم بمعجزين﴾ [5]، فالإتيان في هذه الآيات ونحوها المضاف إلى الله سبحانه المراد به إتيان ما قيد به من عقاب أو ثواب أو غير ذلك، فالتقييد في بعض الآيات بمجيء بعض آياته أو مخلوقاته دل على أن الإطلاق في الآيات الأخرى يدل على مجيء الرب هو بنفسه لا غيره، فإضافة المجيء إلى الرب سبحانه باعتبار الإطلاق والتقييد تنقسم إلى قسمين، مقيد بشيء من خلقه فهذا معناه ظاهر، ومطلق من غير تقييد فهذا لا يجوز تأويله بمجيء شيء من خلقه بل هو يدل على مجيئه ﷻ، والله أعلم .

---

(١) سورة الأنعام الآية ١٨٥ .

(٢) انظر المصدر السابق ص ٦٩، والصواعق المرسلة ٣٩٥/١، ومدارج السالكين ٣٥٤/٣، ومعارج القبول ٢٩٢/١.

(٣) سورة التوبة الآية ٢٤ .

(٤) انظر فتح القدير للشوكاني ٥٠٤/٢، وتفسير القرطبي ٦٢/٨ .

(٥) سورة هود الآية ٣٣ .

المطلب الحادي والستون : أنواع الأدلة على نفي التمثيل

- خبر .
- طلب .

يقول الشيخ محمد العثيمين رحمه الله : " الأدلة السمعية – على نفي المماثلة – تنقسم إلى قسمين : خبر وطلب، فمن الخبر قوله تعالى : ﴿ ليس كمثله شيء ﴾، فالآية فيها نفي صريح للتمثيل، وقوله : ﴿ هل تعلم له سميا ﴾، فإن هذا وإن كان إنشاء، لكنه بمعنى الخبر، لأنه استفهام بمعنى النفي، وقوله : ﴿ لم يكن له كفوا أحد ﴾، فهذه كلها تدل على نفي المماثلة، وهي كلها خبرية وأما الطلب فقال الله تعالى : ﴿ فلا تجعلوا لله أندادا ﴾ أي نظراء مماثلين، وقال : ﴿ فلا تضربوا لله الأمثال ﴾ "[1] ..

التعليق :

إن الله تعالى ليس كمثله شيء لا في صفاته ولا في أسمائه ولا في أفعاله، إذ إن مماثلة أحد من خلقه في شيء من خصائصه نقص فيه وهو منزه عن النقص من كل الوجوه، ولذا أكد الله سبحانه نفي مماثلة شيء مما يخصه بصفات المخلوقين بجميع أنواع الكلام، والكلام نوعان : خبر وطلب، فهذا التقسيم للأدلة هو باعتبار أصل التقسيم للكلام، فالأدلة في هذا الباب أيضا نوعان : خبر وطلب .

فالخبر ما ورد بصيغة الخبر، فقد أخبر الله ﷻ في نصوص عدة بنفي مشابهة أحد من خلقه له في صفاته وأفعاله، والنصوص في ذلك وردت في بعضها مجملة في النفي ومطلقة في جميع ما يخصه الله به من الكمال المطلق، ومن تلك النصوص قوله سبحانه : ﴿ ليس

---

(١) شرح الواسطية لابن عثيمين ١٠٣/١ .

﴿ليس كمثله شيء وهو السميع البصير﴾ [1] " أي ليس يشبهه تعالى ولا يماثله شيء من مخلوقاته لا في ذاته ولا في أسمائه ولا في صفاته ولا في أفعاله، لأن أسماءه كلها حسنى، وصفاته صفات كمال وعظمة، وأفعاله أوجد بها المخلوقات العظيمة من غير مشارك، فليس كمثله شيء لانفراده وتوحده بالكمال من كل وجه " [2] وقال تعالى أيضا : ﴿ قل هو الله أحد ﴾ [3] فالأحدية تنفي مماثلة أحد من خلقه له في شيء من صفاته الثابتة [4].

وأما الطلب فما ورد بصيغة النهي عن ضرب الأمثال له وأن يجعل معه المشارك له في شيء من خصائصه، بل ومنع عن التعمق والتفكير في ذاته وكيفية صفاته المؤدي إلى الإلحاد والتعطيل أو التشبيه والتمثيل، كما في الحديث : ﴿ **لا تفكروا في الله وتفكروا في خلق الله** ﴾ [5] فالمأمور والمطلوب هو التفكر والتدبر في آثار أسمائه وصفاته وأفعاله [6] والإيمان المطلق بما ورد من أسمائه وصفاته إيمانا جازما واعتقادا خازما بأنه موصوف بتلك الصّفات كما يليق به سبحانه، وهذا هو معنى قول الإمام مالك رحمه الله حين سئل عن قوله تعالى : ﴿ الرحمن على العرش استوى ﴾ قال : " الاستواء معلوم والكيف مجهول والإيمان به واجب والسؤال عنه بدعة " [7] وقال للسائل : ما أراك إلا مبتدعا، ثم أمر به

---

(١) سورة الشورى الآية ١١ .

(٢) تيسير الكريم الرحمن للشيخ السعدي ص ٧٠٠ .

(٣) سورة الإخلاص الآية ١ .

(٤) انظر مجموع الفتاوى ١٠٨/١٧ .

(٥) الحديث أخرجه أبو نعيم في الحلية ٦٦/٦، والإمام أبو القاسم الأصبهاني في الحجة في بيان المحجة ٩٨/١ من حديث عبد الله بن سلام ﷺ، وقال الشيخ الألباني رحمه الله : " إسناده حسن في الشواهد، عبد الجليل وشهر صدوقان سيئا الحفظ وسائر الرجال ثقات، ثم بعد ذكر طرقه وشواهده قال : وبالجملة فالحديث بمجموع طرقه حسن عندي " سلسلة الأحاديث الصحيحة ٣٩٦/١، ٣٩٧ .

(٦) وانظر المنهاج الأسنى في شرح الأسماء الحسنى ٥١/١ .

(٧) الأثر أخرجه الدارمي في الرد على الجهمية ص ٥٥، والبيهقي في الأسماء والصّفات ٣٠٥/٢، والصابوني في عقيدة السلف بأرقام (٢٤،٢٥،٢٦)، وقد استوفى طرقه وتخريجه فضيلة الأستاذ الدكتور عبد الرزاق البدر في مقالة بعنوان (الأثر المشهور عن الإمام مالك في صفة الاستواء دراسة تحليلية) ونشرت في مجلة الجامعة الإسلامية في العدد ١١١ .

فأخرج من المجلس، وما ذاك إلا لتعنته وتعمقه في البحث عن كيفية الصّفات الذي هو أمر مبتدع في الدين، ولذا لم يتعمق أحد في الكيفية وخاض فيما ليس عنده علم من الكتاب والسنة إلا وقع في التشبيه والتعطيل الذين هما أصل الكفر والشرك .

يقول الإمام البربهاري[1] رحمه الله : "واعلم أنه إنما جاء هلاك الجهمية من أنهم فكروا في الرب عز وجل، فأدخلوا لم ؟ وكيف ؟ وتركوا الأثر ووضعوا القياس وقاسوا الدين على رأيهم فجاءوا بالكفر عيانا لا يخفي فكفروا وكفروا الخلق واضطرهم الأمر إلى أن قالوا بالتعطيل "[2]

فالله تعالى لا مثيل له ولا كفوا له ولا ند فكيف تكيف صفاته من غير إخبار منه عنها وكيف يقاس على غيره[3] ولذا نهى الله عن ضرب الأمثال له وأن يقول أحد على الله ما لا يعلم بل جعل هذا في المرتبة العليا من المحرمات وذلك أن القول على الله بغير علم هو أصل كل بلية في الدين[4] فالأدلة في نفي التمثيل والتشبيه على نوعين إما خبر عن ذلك أو نهي الخوض في ذلك بضرب الأمثال والأقيسة، والله أعلم .

المطلب الثاني والستون : أنواع التعظيم

- تعظيم من جهة ذاته .
- تعظيم من جهة خلقه .

يقول الشيخ السعدي رحمه الله : " واعلم أن معاني التعظيم الثابتة لله وحده نوعان : أحدهما : أنه موصوف بكل صفة كمال وله من ذلك الكمال أكمله وأعظمه وأوسعه،

---

(١) هو الإمام أبو محمد الحسن بن علي الفقيه القدوة شيخ الطائفة في وقته ومتقدمها في الإنكار على أهل البدع والمباينة لهم باليد واللسان، له كتاب شرح السنة، توفي رحمه الله سنة ٣٢٩هـ .
انظر طبقات الحنابلة ١٨/٢-٤٥، وسير أعلام النبلاء ٩٠/١٥-٩٣، وشذرات الذهب ٣١٩/٢-٣٢٣ .

(٢) شرح السنة ٤٣/١ .

(٣) انظر بيان تلبيس الجهمية ٣٢٧/١ .

(٤) انظر إعلام الموقعين ٣٨/١ و مدارج السالكين ٣٧٢/١ .

فله العلم المحيط والقدرة النافذة والكبرياء والعظمة، ومن عظمته أن السماوات والأرض في كف الرحمن أصغر من الخردلة ...النوع الثاني : أنه لا يستحق أحد من الخلق أن يعظم كما يعظم الله فيستحق جل جلاله من عباده أن يعظموه بقلوبهم وألسنتهم وجوارحهم ..."[1]

التعليق :

من أسماء الله الحسنى " العظيم " الدّال على عظمته، فهو موصوف بالعظمة في كل ما يتعلق به لأن العظيم من الأسماء الدّالة على جملة عديدة من صفات الكمال، فهذا التقسيم لدلالة اسمه العظيم هو من حيث تعلقه بذاته سبحانه وما يستلزم ذلك من عباده من التعظيم المطلق له .

أما الأول فهو أنه سبحانه موصوف بالعظمة المطلقة التي تتضمن وصفه بجميع صفات الكمال ونعوت الجلال، فهو عظيم في صفاته ليس فيها نقص بوجه من الوجوه، وعظيم في أفعاله لا يشوبها نقص ولا عبث، وعظيم في أسمائه ليس فيها اسم جامد ولا اسم يتضمن صفة نقص، وعظيم في ذاته فلا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار ويضع جميع الخلائق على أصابعه ويطوي السماء كطي السجل للكتب، فله العظمة المطلقة بكل وجه، ولذا لا يقدر أحد من الخلق أن يحصي الثناء عليه كما ينبغي له بل هو كما أثنى على نفسه[2]، فهذه العظمة هي من جهة ذاته .

والنوع الثاني من معانيه هو أنه سبحانه لكمال عظمته هو وحده المستحق لكل أنواع التعظيم والتمجيد، فالعظمة إزاره والكبرياء رداءه، كما في الحديث : ﴿ **الْعِزُّ إِزَارُهُ وَالْكِبْرِيَاءُ رِدَاؤُهُ، فَمَنْ يُنَازِعُنِي عَذَّبْتُهُ** ﴾[3] ومن عظم غير الله مثل تعظيمه فقد أشرك معه فيما يخصه من العظمة التي هي إزاره، ومن عظم نفسه فقد نازعه في عظمته، فلا أحد يستحق أن يعظم مثل ما يعظم الرب ﷻ فعظمته لا تدانيها عظمة ولا نسبة بين عظمته

---

(١) الحق الواضح المبين للسعدي ص ٢٢٤ .

(٢) انظر لما سبق المرجع السابق ص ٢٢٤، والنهج الأسمى في شرح الأسماء الحسنى ١/٢٨٤ .

(٣) الحديث سبق تخريجه، انظر هامش (١) الصفحة (١٧١) .

وبين عظمة أحد من خلقه، وعظمته المطلقة تستلزم وتقتضي من العباد أن لا يعظموا أحدا من الخلق مثل ما يعظمونه بل يجعل التعظيم المطلق له وحده، والله أعلم .

المطلب الثالث والستون : أنواع كيده سبحانه

- مجازاة .
- إلهام أمر للعبد .

يقول العلامة ابن القيم رحمه الله : "وكيد الله تعالى لا يخرج عن نوعين : أحدهما وهو الأغلب أن يفعل تعالى فعلاً خارجاً عن قدرة العبد الذي كاد له، فيكون الكيد قدرا زائدا محضا ليس هو من باب الشرع، كما كاد أعداء الرسل بانتقامه منهم بأنواع العقوبات ... النوع الثاني من كيده لعبده المؤمن هو أن يلهمه تعالى أمراً مباحاً أو مستحباً أو واجباً يوصله به إلى المقصود الحسن" [1]، وقال : " وكذلك الكيد ينقسم إلى نوعين : قال تعالى : ﴿ وأملي لهم إن كيدي متين﴾ [2] وقال تعالى: ﴿كذلك كدنا ليوسف ما كان ليأخذ أخاه في دين الملك إلا أن يشاء الله﴾ [3] وقال تعالى : ﴿انهم يكيدون كيدا * وأكيد كيدا﴾ [4] " [5]

التعليق :

الكيد ليست من صفات الكمال التي يوصف الله ﷻ بها مطلقا[6] بل يوصف الله ﷻ منها ما يكون به الكمال المطلق وينزه الله ﷻ من غيرها، فالكيد الذي هو إيصال الشيء

---

(١) إعلام الموقعين ٣/٣١٩-٣٢١ باختصار، وانظر إغاثة اللهفان ٢/١٢٥-١٢٨ .

(٢) سورة الأعراف الآية ١٨٣ .

(٣) سورة يوسف الآية ٧٦ .

(٤) سورة الطارق الآيتان ١٥، ١٦ .

(٥) إغاثة اللهفان ١/٤٢٨ .

(٦) وانظر مختصر الصواعق المرسلة ٢/٣٤ .

إلى الغير بطريق خفي والذي يوصف الله به على نوعين : أحدهما كيد لمن كاد له، والثاني كيد لعبده المؤمن .

أما القسم الأول فهو كيد لأعدائه من الكفار والمشركين بالانتقام منهم، وإدخالهم في أشد العذاب بعد إمهالهم وتأخير العذاب عنهم بما كانوا يكيدون رسله بالتكذيب والصد عن الدعوة وتبليغ الرسالة، فهذا الكيد جزاء لكيدهم، كما قال سبحانه : ﴿إنهم يكيدون كيدا وأكيد كيدا﴾، فالوصف بهذا مقيد بمن كاد رسله وأولياءه وكاد شريعته وأوامره فالله ﷻ يكيدهم فيمهلهم ويملي لهم في هذا الدنيا ليضاعف لهم العذاب في الآخرة .

وأما القسم الثاني فهو الكيد لبعض عباده الصالحين، ومنه كيده سبحانه ليوسف عليه السلام أن يفعل ما فعل مع اخوته، كما قال سبحانه : ﴿كذلك كدنا ليوسف ما كان ليأخذ أخاه في دين الملك إلا أن يشاء الله﴾ " فكاد الله له أحسن كيد وألطفه وأعدله، بأن جمع بينه وبين أخيه، وأخرجه من أيدي اخوته بغير اختيارهم كما أخرجوا يوسف من يدي أبيه بغير اختياره "[1] فهذا إلهام منه لعبده أمرا مباحا له ليوصله به إلى مقصود حسن، والله أعلم

(١) إعلام الموقعين ١٧١/٣ وانظر مختصر الصواعق المرسلة له ص ٢٤٩.

المبحث الثالث :

التقسيمات المتعلقة بما يضاد توحيد الأسماء والصّفات .

المطلب الأول : أنواع التعطيل من حيث متعلقه.

- تعطيل الألفاظ .
- تعطيل المعاني .

يقول العلامة ابن القيم رحمه الله : " تعطيل أسماء الرب وصفاته وأفعاله بالمقاييس الباطلة التي وضعها أهل البدع والضلال من الجهمية والمعتزلة والقدرية ومن ضاهاهم، حيث استعمل أهله قياساتهم الفاسدة وآراءهم الباطلة وشبههم الداحضة في رد النصوص الصحيحة الصريحة، فردوا لأجلها **ألفاظ النصوص** التي وجدوا السبيل إلى تكذيب رواتها وتخطئتهم، **ومعاني النصوص** التي لم يجدوا إلى رد ألفاظها سبيلا، فقابلوا النوع الأوّل بالتكذيب، والنوع الثاني بالتحريف والتأويل، فأنكروا لذلك رؤية المؤمنين لربهم في الآخرة، وأنكروا كلامه ... وعلوه على المخلوقات وعموم قدرته على كل شيء "[(1)]

التعليق :

التعطيل في اللغة هو التخلية والترك، وفي باب الأسماء والصّفات هو نفي الأسماء الحسنى وصفات الكمال الثابتة بالكتاب والسنة الصحيحة[(2)]، وهو من حيث متعلقها ينقسم إلى قسمين : نفي ألفاظ النصوص، ونفي معاني النصوص، فالأوّل هو نفي النصوص الواردة في صفات الله العليا وردها ردا كليا بحجج عقلية وهمية وقواعد ظنية كاذبة، فكم من نصوص الصّفات الثابتة عن المصطفى ﷺ نفوها وردوها - وإن اتفق على إخراجها الشيخان – بحجة أنها وردت بخبر الآحاد، وكم من نصوص شنعوا فيها على الراوي وقدحوا فيه وإن كان الراوي من خيار الصحابة وفقهائهم[(3)]، وهؤلاء كلما

---

(1) إعلام الموقعين ٦٨/١ .

(2) انظر مقالة التعطيل والجعد بن درهم ص ١٧ .

(3) كحديث ابن مسعود ﷺ في صفة الأصابع حين فهم ابن مسعود ﷺ من ضحك النبي ﷺ التصديق لما وصف به اليهودي، وكذا حديث أبي هريرة ﷺ في تأكيد النبي ﷺ صفتي السمع والبصر بوضع إصبعيه على العين والأذن، فرده المؤولون المبطلون للنصوص، ولهم في ذلك أقوال شنيعة واعتذارات أشبه بالتهم والقدح =

وجدوا سبيلا لرد النص تشبثوا به وبادروا بإنكاره، لأنه كلما كثرت نصوص الصّفات تقذرت أذهانهم بشبهة التشبيه وصعب عليهم الخروج من ذلك، ولذا يرمون سهامهم إلى النص أولا فيردونه وينكرونه، وليس ذلك غريبا منهم إذ إن ذلك ورثوه من مشايخهم اليهود الراسخين في تحريف النصوص عن مواضعها، وكل من يرتوي من هذا المشرب يقع في رد النصوص بقدر ما عندهم من هذه الوراثة، وهذا خليفة رئيسهم ابن أبي دؤاد[1] يشير على خليفة المسلمين بأن يكتب على ستار الكعبة ((ليس كمثله شيء وهو العزيز الحكيم))[2] حتى يتخلص من إثبات صفتي السمع والبصر، ورئيسهم الأعلى وإمامهم الأقدم الجهم بن صفوان[3] يقول بكل وقاحة: (لو وجدت سبيلاً إلى حكّها لحككتها)[4] أي قوله تعالى : ﴿ الرحمن على العرش استوى ﴾، فما أجرأهم على النصوص، وهم الذين قال الله ﷻ فيهم وإخوانهم: ﴿وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا ائْتِ بِقُرْآنٍ غَيْرِ هَذَا أَوْ بَدِّلْهُ قُلْ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أُبَدِّلَهُ مِنْ تِلْقَاءِ نَفْسِي إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَى إِلَيَّ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾[5]

يقول الحافظ ابن القيم رحمه الله : " وأما توحيد المعطلين فنفي حقائق أسمائه وصفاته وتعطيلها، ومن أمكنه منهم تعطيلها من لسانه عطلها، فلا يذكرها ولا يذكر آية تتضمنها

في الصحابة نسأل الله السلامة والعافية،فما أقبح قول القائل: إن وضع النبي ﷺ أصابعه على العين والأذن لعله لحكة أو مسح عليها؟!.

(١) هو القاضي أبو عبد الله أحمد بن فرج بن حريز الإيادي البصري الجهمي، عدو الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله، مات سنة ٢٤٠هـ .

انظر السير للذهبي ١١/١٦٩-١٧١، وتاريخ بغداد ٤/١٤١-١٥٦، وشذرات الذهب ٢/٩٣ .

(٢) انظر مجموع الفتاوى ١١/٤٧٩، ١٣/١٨٤ شرح العقيدة الطحاوية ص ١٤٦ .

(٣) هو الجهم بن صفوان أبو محرز السمرقندي الضال المبتدع أس الجهمية، هلك في زمان صغار التابعين سنة ١٢٨هـ . انظر ميزان الإعتدال ١/٤٢٦، والسير ٦/٢٦-٢٧ .

(٤) انظر الإبانة لابن بطة ٢/٩٢ برقم (٣٢٢، ٣٢٣)، وخلق أفعال العباد للبخاري ص ٢٠، والعلو للذهبي ص ١٦٢ (مختصره للألباني).

(٥) سورة يونس الآية ١٥ .

ولا حديثا يصرح بشيء منها، ومن لم يمكنه تعطيل ذكرها سطا عليها بالتحريف ونفي حقيقتها وجعلها اسما فارغا لا معنى له، أو معناه من جنس الألغاز والأحاجي ''[1] فسهمهم الثاني يأتي بعد محاولتهم رد النص فإذا هم عجزوا انتقلوا إلى معناه فيعطلون دلالة اللفظ ويتقولون من عند أنفسهم فينسبون ذلك إلى الله افتراء عليه، وفي ذلك يقول أحدهم :

كل نص أوهم التشبيها * أوله أو فوضه ورم تنزيها

فهذه قاعدتهم ومنهجهم في باب العقيدة والصّفات، فلا يجدون نصا من نصوص الصّفات إلا يعطلون معناه ويكفرون بظاهر دلالته ويفسرونه من عند أنفسهم بما لا يدل عليه إلا بالتعسف أو بالتحكم، ويقولون إن ظاهر النصوص تشبيه يجب تنزيه الله من ذلك بل قال أحدهم من غير حياء ولا خوف من الله : '' إن ظاهر القرآن كفر '' [2] ﴿ كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِن يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا ﴾ [3]، فهم بهذا المنهج والأصل ينفون معاني جميع نصوص الصّفات ويعطلونها عن دلالتها ومفهومها الظاهر، فالتعطيل من حيث متعلقه ينقسم إلى هذين القسمين، وهذان النوعان لا يتخلص منهما جميعا إلا بالتمسك بالكتاب والسنة ظاهرا وباطنا واتباع منهج السلف الصالح الذين هم خيار هذه الأمة بعد نبيها ''وطريقة سلف الأمة وأئمتها أنهم يصفون الله بما وصف به نفسه وبما وصفه به رسوله من غير تحريف ولا تعطيل ولا تكييف ولا تمثيل، إثبات بلا تمثيل وتنزيه بلا تعطيل، إثبات الصّفات ونفي مماثلة المخلوقات ''[4]، والله أعلم .

---

(١) الروح ص ٢٦١ .

(٢) انظر حاشية الصاوي على تفسير الجلالين ٣/١٠ في تعليقه على قوله تعالى: ﴿ولا تقولن لشيء إني فاعل ذلك غدا﴾ الكهف الآية ٢٣ .

(٣) سورة الكهف الآية ٥ .

(٤) منهاج السنة النبوية لابن تيمية ٢/٥٢٣ .

- تعطيل حقائقها .
- تعطيل أحكامها .

يقول الحافظ ابن القيم رحمه الله : " كمال أسمائه وصفاته يستحيل عليه تقدير خلافها ويستحيل عليه تخلف آثارها ومقتضاها عنها بل ذلك تعطيل لأحكامها، كما أن نفيها عنه تعطيل لحقائقها، وكلا التعطيلين محال عليه سبحانه وتعالى، فالمعطلون نوعان : أحدهما عطل صفاته، والثاني عطل أحكامها و موجباتها "[1]

التعليق :

كما سبق أن تعطيل الصّفات هو نفيها عن الرب تبارك وتعالى، وتعطيلها على نوعين: تعطيل الصفة نفسها، وتعطيل لمقتضاها وأحكامها .

أما الأوّل فهو أن ينفي الصفة عن الله ﷻ فلا يثبتها حقيقة ولا يثبت له ما تدل عليه الصفة من المعنى والمفهوم الظاهر، ويدخل في ذلك جميع من ينفي الصّفات كلها أو بعضها نفي إنكار أو نفي تأويل، فإن المؤول لم يثبت الصفة لله ﷻ حقيقة بل ولا إطلاق الصفة عليه لفظا، فعطلوا الصفة الثابتة له ﷻ لفظا وحقيقة وأولوها بصفة أخرى، كأنهم قالوا بأن الله ليس موصوفا بهذه الصفات كلها وإنما هو موصوف بتلك الصفة – التي يثبتونها بعقولهم – فقط وتعبر عنها بعبارات وصفات كلها راجعة إلي تلك الصفة، كتأويل من يؤول الرحمة والرضى والغضب ونحوها بالإرادة[2] وكذا تأويل صفة السمع والبصر ونحوها بالعلم، فهؤلاء لم يثبتوا إلا بعض الصّفات وعطلوا سائرها إما لفظا وحقيقة أو حقيقة .

---

(١) حادي الأرواح ٢٦٢، وانظر مدارج السالكين ١/٢٦٣ .

(٢) انظر مجموع الفتاوى ١٢/١٣٣ .

وأما التعطيل الثاني فهو تعطيل من يعطل آثار الصّفات ومتعلقاتها وأحكامها، وذلك أن صفاته كلها صفات كمال فتأبى أن تكون معطلة عن مقتضياتها ومستلزماتها، فتعطيل مقتضاها وآثارها هو في الحقيقة تعطيلٌ لكمالها ونفي كونها صفات كمال .

يقول العلامة ابن القيم رحمه الله : "وإذا كانت أوصافه صفات كمال، وأفعاله حكما ومصالح، وأسماؤه حسنى : ففرض تعطيلها عن موجباتها مستحيل في حقه، ولهذا ينكر سبحانه على من عطله عن أمره ونهيه، وثوابه وعقابه ... كما قال تعالى في حق منكري النبوة وإرسال الرسل، وإنزال الكتب :﴿وما قدروا الله حق قدره إذ قالوا ما أنزل الله على بشر من شيء﴾... ونظائر هذا في القرآن كثيرة، ينفي فيها عن نفسه خلاف موجب أسمائه وصفاته، إذ ذلك مستلزم تعطيلها عن كمالها ومقتضياتها، فاسمه " الحميد، المجيد " يمنع ترك الإنسان سدى مهملا معطلا، لا يؤمر ولا ينهى، ولا يثاب ولا يعاقب، وكذلك اسمه " الحكيم " يأبى ذلك، وكذلك اسمه " الملك " واسمه " الحي " يمنع أن يكون معطلا من الفعل، بل حقيقة " الحياة " الفعل، فكل حي فعال " (1) .

وهذا النوع يشمل أيضا تعطيل من يعطل العبودية التي هي من مُوجبات ومقتضيات الأسماء الحسنى والصفات العليا، " لأن الأسماء الحسنى والصفات العلا مقتضية لآثارها من العبودية والأمر اقتضاها لآثارها من الخلق والتكوين فلكل صفة عبودية خاصة هي من موجباتها ومقتضياتها ...وهذا مطرد في جميع أنواع العبودية التي على القلب والجوارح، فعلم العبد بتفرد الرب تعالى بالضر والنفع والعطاء والمنع والخلق والرزق والإحياء والإماتة يثمر له عبودية التوكل عليه باطنا ولوازم التوكل وثمراته ظاهرا " (2) فالعبودية كلها راجعة إلى مقتضى الأسماء والصفات وتعطيل شيء منها تعطيل لموجبات الأسماء والصفات ومقتضياتها .

---

(1) مدارج السالكين ١/٤١٧-٤١٨

(2) مفتاح دار السعادة ٢/٤٤٢-٤٤٣، وانظر مدارج السالكين ١/٤١٩-٤٢٠

المطلب الثالث : درجات التعطيل.

- نفي الأسماء والصّفات جميعا.
- نفي الصّفات دون الأسماء .
- نفي بعض الصّفات .

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله : " الجهمية على ثلاث درجات : فشرها الغالية الذين ينفون أسماء الله وصفاته ... والدرجة الثانية من التجهم هو تجهم المعتزلة ونحوهم الذين يقرون بأسماء الله الحسنى في الجملة لكن ينفون صفاته، وهم لا يقرون بأسماء الله الحسنى كلها على الحقيقة بل يجفلون كثيرا منها على المجاز ... وأما الدرجة الثالثة فهم الصّفاتية المثبتون المخالفون للجهمية لكن فيهم نوع من التجهم كالذين يقرون بأسماء الله وصفاته في الجملة لكن يردون طائفة من أسمائه وصفاته الخبرية أو غير الخبرية ويتأولونها كما تأول الأولون صفاته كلها " [1].

"وجهم اشتهر عنه نوعان من البدعة : نوع في الأسماء و الصّفات، فغلا في نفي الأسماء و الصّفات، ووافقه على ذلك ملاحدة الباطنية و الفلاسفة ونحوهم، ووافقه المعتزلة في نفي الصّفات دون الأسماء، والكلابية ومن وافقهم من السالمية ومن سلك مسلكهم من الفقهاء وأهل الحديث والصوفية وافقوه على نفي الصّفات الاختيارية دون نفي أصل الصّفات"[2]

التعليق :

جهم بن صفوان هو أول من اشتهر عنه إنكار الأسماء والصّفات عن الرب تبارك وتعالى، وكان قد أخذه عن جعد بن درهم[3] وسلسلة سنده الخشنبية الشركية تصل إلى

---

(١) التسعينية ١/٢٦٥-٢٧٠ .

(٢) مجموع الفتاوى ١٤/٣٤٨، ٥/٣٩٢، وانظر الجواب الصحيح ٢/١٦٢، ومقالة التعطيل والجعد بن درهم ص ٢٤،٢٥ .

(٣) هو جعد بن درهم مؤدب مروان الحمار، قال الذهبي : " مبتدع ضال، زعم أن الله لم يتخذ إبراهيم خليلا و لم يكلم موسى، فقتل على ذلك بالعراق يوم النحر " انظر ميزان الاعتدال ١/٣٩٩، والسير ٥/٤٣٣ .

اليهود الراسخين في طريقي التشبيه والتحريف[1]، وكل من أخذ من هذا المذهب والمنهج وقع في التشبيه ومن ثم في التحريف المفضي إلى التعطيل بقدر ما أخذوا منه، فكل معطل لم يقع في التعطيل إلا بعد ما شبه واعتقد تشبيه الخالق بالمخلوق في هذه الصفة فعندئذ نفوا الصفة حقيقة ولفظا تتريها في زعمهم من التشبيه فشبهوا أولا وعطلوا ثانيا "فلم يثبتوا له في وصفهم حقيقة، إذ كل كلامهم يؤول إلى التعطيل، وجميع أوصافهم تدل على النفي يريدون بذلك التتريه ونفي التشبيه على زعمهم، فنعوذ بالله من تتريه يوجب النفي والتعطيل"[2] وتعطيلهم في باب الأسماء والصّفات على دركات ثلاث، وذلك بقدر ما تتنجس أذهان المعطلين كلما وردت نصوص الأسماء والصّفات بنجاسة التشبيه [3] .

فالجهمية التي هي أول مدرسة لهذا المنهج في ملة الإسلام نفوا كل ما يتعلق بالرب من الأسماء والصّفات وعطلوا الرب تعطيلا كليا عن كل ما هو موصوف به، حتى نفوا وجوده تتريها في زعمهم من تشبيهه بالموجودات فوقعوا في شر مما فروا منه فشبهوه بالمعدومات[4]، ووافقهم في ذلك ملاحدة الفلاسفة والمتصوفة والقرامطة الباطنية [5]، فهؤلاء كلهم اتفقوا على نفي الأسماء والصّفات فرارا من التجسيم والتشبيه، وأقوالهم وآراءهم في ذلك متضاربة ومتناقضة[6] .

---

(١) انظر شرح إعتقاد أهل السنة للالكائي ٣٤٤/٢، ومجموع الفتاوى ٢٠/٥-٢٢، وبيان تلبيس الجهمية ٣٧٤/١، وشرح العقيدة الطحاوية ص ٥٢٢-٥٢٣.

(٢) الإبانة للأشعري ص ١١٧ .

(٣) لأنه كلما يرد في الكتاب والسنة صفة من صفات الله ﷻ تتبادر أذهان هؤلاء إلى التشبيه بالمخلوقين فمن غال فيه ومن متوسط، والله المستعان، وانظر المنهج والدراسات في آيات الأسماء والصفات ص ٣٥.

(٤) يقول ابن القيم : "فانظر إلى الجهمية وأتباعهم جاءوا إلى التشبيه المذموم فأعرضوا عنه صفحا وجاءوا إلى الكمال والمدح فجعلوه تشبيها وتمثيلا عكس ما يثبته القرآن وجاء به من كل وجه" إغاثة اللهفان ٢٣١/٢.

(٥) انظر مجموع الفتاوى ٣٥٥/٥، ٣٤/٦، ٣٥، ومنهاج السنة النبوية ٥٢٣/٢، ودرء تعارض النقل والعقل ٣٥٩/٥ .

(٦) وحكي عن الجهم أنه كان يسمي الله بالقادر والخالق، وذلك لأنه كان جبريا في القدر فالعبد ليس بقادر ولا خالق فلا تشبيه في زعمه بهذا الاسم، انظر مجموع الفتاوى ٣٥٥/٥، ٤٦٠/٨، ٣١١/١٢، و منهاج السنة النبوية ٥٢٦/٢ .

ثم انتقل ذلك إلى أصحاب عمر بن عبيد المعتزلي[1] وأخذوا منه شبهة التجسيم والتشبيه[2]، إلا أنهم زعموا أن ذلك يكون في إثبات الصّفات التي يسمونها أعراض وحوادث لا في تسميته بالأسماء، فاخترعوا عقيدة إثبات أسماء جامدة وأعلام محضة لا تدل على أي معنى ولا تتضمن أية صفة، وأنكروا الصّفات كلية تجهما وتلبسا، فهم في الصّفات جهمية محضة يعطلونها كلية وفارقوا الجهمية في الأسماء فأثبتوها لله خلافا للجهمية، ثم أجمعت المعتزلة على ذلك[3]، ووافقهم على ذلك ابن حزم الظاهري[4].

ثم جاء بعد ذلك قوم - وهم الأشاعرة والماتريدية - حاولوا تقليل النفي والتعطيل فقالوا بإثبات جميع الأسماء وبعض الصّفات وتأويل سائرها بالتأويل المفضي إلى التعطيل، وهم في هذه المقالة أيضا مختلفون إلا أنهم أجمعوا على نفي الصّفات الاختيارية، واختلفوا في الصّفات الذاتية[5]، وشبهتهم في ذلك هي نفس شبهة الجهمية والمعتزلة في نفي جميع الصّفات، فجمعتهم شبهة التشبيه والتجسيم وتفرقت بهم طرق الفرار منها إلى التتريه[6]، فهم اتهموا نصوص الأسماء والصّفات - التي يحب الله ﷻ من أحبها [7] - بأنها تثبت لله

---

(١) هو عمرو بن عبيد أبو عثمان البصري، كبير المعتزلة وأولهم، صحب الحسن البصري ثم اعتزله ولهذا قيل معتزلة، مات سنة ١٤٢هـ أو ١٤٣هـ .
انظر السير للذهبي ٦/١٠٤-١٠٥، وشذرات الذهب ١/٢١٠-٢١١ .

(٢) انظر مجموع الفتاوى ٦/٣٣-٣٤، ١٢/١١٩، ٥٠٣، ومنهاج السنة ٥/٣٩٢ .

(٣) انظر مقالة التعطيل والجعد بن درهم ص ٢٥، والمعتزلة وأصولهم الخمسة ص ١٠١.

(٤) انظر الفصل في الملل والنحل ٢/١٠٠، ومنهاج السنة النبوية ٢/٥٨٤، ودرء تعارض النقل والعقل ٥/٢٤٩، ٢٥٠ .

(٥) والمتأخرون منهم قالوا بنفي وتعطيل جميع الصّفات الذاتية والاختيارية ما عدا الصّفات السبع أو الثمانية التي يثبتونها بالعقل لا بالنقل، يقول ابن القيم : "فحدثت الطائفة السبعية، واشتقت قولا بين القولين، فلا للسلف اتبعوا ولا مع الجهمية بقوا " الصواعق المرسلة ١/٢٢٥.

(٦) ولذا كل من ينفي اسما أو صفة يسمي المثبت لها مجسما ومشبها، فلا عرفوا التشبيه ولا حققوا التتريه، انظر مجموع الفتاوى ٦/٤٠-٤٣، وبيان تلبيس الجهمية ١/١٠٤، وشرح الطحاوية ص ١١٨ .

(٧) كما في الحديث أن النبي ﷺ قال للذي يحب قراءة سورة الإخلاص لكونها صفة الرحمن:﴿ أخبروه أن الله يحبه ﴾، أخرجه البخاري في الصحيح كتاب التوحيد باب ما جاء في دعاء النبي ﷺ أمته إلى توحيد الله ١٣/٣٦٠/ برقم (٧٣٧٥) ومسلم في كتاب صلاة المسافرين ٦/٩٥/ برقم (٨١٣) .

ما لا يليق به سبحانه وتعالى، كأنهم بلسان حالهم يقولون إنهم أعلم بما يجوز أن يوصف الله به من صاحب الرسالة بل ومن الموصوف ﷻ " لئن كان ما يقوله هؤلاء المتكلمون المتكلفون هو الاعتقاد الواجب ... لقد كان ترك الناس بلا كتاب ولا سنة أهدى لهم وأنفع على هذا التقدير، بل كان وجود الكتاب والسنة ضررا محضا في أصل الدين "[1] فحاصل مذهبهم أنهم يعطلون كل صفة يزعمون أنها من جنس صفات المخلوق وإن تواترت فيها نصوص الكتاب والسنة وتظافرت أقوال الأئمة وخيار الأمة، وتعطيلهم على درجات ثلاث : تعطيل جميع الأسماء والصّفات، تعطيل جميع الصّفات دون الأسماء، تعطيل بعض الصّفات دون بعض، والله أعلم .

المطلب الرابع : أنواع التعطيل في باب الصفات.

- التعطيل الكلي .
- التعطيل الجزئي .

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله : " ولا ريب أن النفاة نوعان : أحدهما وهم الأصل المعتزلة ونحوهم من الجهمية فهؤلاء ينفون الصّفات مطلقا، وحجتهم على نفي قيام الأفعال به من جنس حجتهم على نفي قيام الصّفات به، وهم يسوون في النفي بين هذا وهذا، وأما الذين ينفون الأفعال الاختيارية القائمة به كابن كلاب والأشعري فإنهم فرقوا بين هذين "[2]

التعليق :

كما سبق أن درجات التعطيل في باب الأسماء والصّفات ثلاث، تعطيل الأسماء والصّفات جميعا كما يفعله الجهمية، وتعطيل الصّفات دون الأسماء كما يفعله المعتزلة، وتعطيل بعض الصّفات فقط كما يفعله الصّفاتية، والجهمية هي مرجع جميع المعطلين ومنهم أخذوا الشبهة فتجهمت المعتزلة في الصّفات كليا وقالت بنفي جميع الصّفات،

---

(١) مجموع الفتاوى ١٦/٥ .

(٢) الأصفهانية ٢/٩٨، ٩٩ .

فصاروا معهم في اعتقاد نفي الصّفات بالله مطلقا، ثم تجهم بعد ذلك أناس تجهما جزئيا فنفوا وعطلوا بعض الصّفات وأثبتوا بعضها، فالتعطيل والتجهم في باب الصّفات على نوعين : تجهم وتعطيل كلي، وتعطيل جزئي، فتعطيل الجهمية والمعتزلة ومن نحا نحوهم من الفرق الضالة هو تعطيل لجنس الصّفات فلا يثبون من الصّفات شيئا، وأما من يثبت بعض الصّفات ويعطل بعضها كمن يعطل الصّفات الاختيارية وبعض الصّفات الذاتية فهم دون الأوّل وتعطيلهم جزئي يتعلق ببعض أفراد الصّفات لا جنسها، وهذا كتعطيل الكلابية والأشاعرة والماتريدية مع خلاف بين أفراد كل فرقة منهم في كثير من الصّفات في التعطيل والتفويض والإثبات[1]،وشبهتهم جميعا واحدة كما سبق، فبعضهم طردها في جميع الصّفات وبعضهم قصرها في بعض الصّفات دون غيرها، والله أعلم .

المطلب الخامس :أنواع التشبيه .

- تشبيه الخالق بالمخلوق .
- تشبيه المخلوق بالخالق .

يقول العلامة ابن أبي العز رحمه الله : " التشبيه نوعان : تشبيه الخالق بالمخلوق، وهذا الذي يتعب أهل الكلام في رده وإبطاله، وأهله في الناس أقل من النوع الثاني الذين هم أهل تشبيه المخلوق بالخالق، كعباد المشايخ وعزير والشمس والقمر ... "[2]

التعليق :

التشبيه هو أن يشبه الشيء بالآخر في كيفيته وصفته ،ولا شك أن الله ﷻ ليس كمثله شيء لا في أسمائه ولا في صفاته ولا في أفعاله، فليس له سمي ولا كفو، فلا يمكن لأحد أن يشبه الله بشيء من خلقه في كل ما هو موصوف به، وإن اتفقت الصّفات في ظاهر اللفظ والاسم، فالفرق بينهما كالفرق بين الذاتين[3] ولذا كفر السلف من شبه الله بخلقه في

---

(١) انظر أقوالهم واختلافهم في التعطيل والإثبات مجموع الفتاوى ٣٢/١٢ وانظر أيضا ٥١/٦-٥٣.

(٢) شرح العقيدة الطحاوية ص ٢١٧، وانظر بيان تلبيس الجهمية ٥٨٨/١، ومنهاج السنة ٥١٣/٢، الكواشف الجلية ص ٨٩ .

(٣) انظر مجموع الفتاوى ٤٢٢/١٦ .

شيء من صفات[1]، والتشبيه في هذا الباب على نوعين : تشبيه الخالق بالمخلوق وتشبيه المخلوق بالخالق، وتكفير السلف يشمل كلا النوعين، فكل منهما كفر ظاهر مخالف لصريح النصوص الثابتة بالكتاب والسنة، وكلا النوعين متلازمان[2]، فمن شبه الخالق بالمخلوق فقد شبه هذا المخلوق بالخالق أيضا وكذا العكس، إلا أن الفرق بينهما أن تشبيه الخالق بالمخلوق تشبيه عام من وجه لأن المشبه يشبه صفات الله بصفات خلقه عموما كأن يقول يده كيد الإنسان ووجهه كوجه بني آدم، وكذا سمعه وبصره وعينه كلها تشبه صفات الإنسان، فهذا تشبيه عام بصفات جنس بني آدم[3]، وأما تشبيه المخلوق بالخالق هو أن يعطي لأحد من الخلق شيئا من صفات الرحمن فيشبهه بالخالق في بعض الصّفات فيكون التشبيه خاص بهذا المخلوق فقط دون بني جنسه، كتشبيه النصارى المسيح وأمه بالله سبحانه في صفات الألوهية والربوبية، وكذا ما يحصل من الفرق الضالة المنتسبين للإسلام، كغلاة الرافضة في اعتقاد الألوهية في أئمتهم وملاحدة المتصوفة الذين يعتقدون قدرة التصرف والتدبير في بعض مشايخهم ونحو ذلك[4]، والله أعلم .

المطلب السادس : أنواع التحريف .

- تحريف التنزيل .
- تحريف التأويل .

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله : "وقال تعالى في صفة المغضوب عليهم :﴿ من الذين هادوا يحرفون الكلم عن مواضعه ﴾ والتحريف قد فسر بتحريف التنزيل وبتحريف التأويل، فأما تحريف التأويل فكثير جدا، وقد ابتليت به طوائف من هذه الأمة، وأما

(١) انظر مجموع الفتاوى ٤٨٢/١١، شرح العقيدة الطحاوية ص ١١٧-١١٨.

(٢) انظر شرح العقيدة الطحاوية ص ١٢٠ .

(٣) انظر مجموع الفتاوى ٣٤/٦، ٤٨٢/١١، وبيان تلبيس الجهمية ٥١/١، ١٠٤، ومنهاج السنة ١١١/٢، والصواعق المرسلة ٢٣٠/١.

(٤) انظر إغاثة اللهفان ٢٢٦/٢-٢٣٣، والجواب الكافي ٩٤/١-٩٥ .

تحريف التتريل فقد وقع فيه كثير من الناس، يحرفون ألفاظ الرسول ويـــروون أحـــاديث بروايات منكرة وإن كان الجهابذة يدفعون ذلك، وربما تطاول بعضهم إلى تحريف التـــتريل وإن لم يمكنه ذلك، كما قرأ بعضهم ((وَكَلَّمَ اللَّـــهَ مُوسَى تَكْلِيْماً)) "[1]

يقول ابن القيم : "والتحريف العدول بالكلام عن وجهه وصوابه إلى غيره، وهـــو نوعان : تحريف لفظه وتحريف معناه، والنوعان مأخوذان من الأصل عن اليـــهود فـــهم الراسخون فيهما "[2] وقال أيضا : "والتحريف نوعان : تحريف اللفظ وهـــو تبديلـــه، وتحريف المعنى وهو صرف اللفظ عنه إلى غيره مع بقاء صورة اللفظ "[3]

التعليق :

إن الله ﷻ أخبر في كتابه أن من شيم اليهود تحريف الكلم عن مواضعه وذمَّهم علـــى ذلك فقال سبحانه : ﴿ فبما نقضهم ميثاقهم لعناهم وجعلنا قلوبهم قاسية يحرفون الكلم عن مواضعه ونسوا حظا مما ذكروا به ﴾[4] وقد ثبت عنهم نوعين من التحريف، تحريف في نص الكتاب المترل عليهم وتحريف في معانيه وتأويله[5]، ومعلوم أنه قد ثبت عن النبي ﷺ أن من هذه الأمة من يتبع سنن اليهود والنصارى شبرا بشبر وذراعا بذراع[6] فقد وجد في هـــذه الأمة من تبعهم في تحريف الكلم بكلا النوعين، فحرفوا نصوص الشريعة ألفاظها ومعانيها.

فالأوّل هو تحريف التتريل، وهو تغيير نصوص الوحي المترل وإبدالها إما بزيادة حـــرف فصاعدا أو نقصانه، وإما بتغيير الشكل المؤدي إلى تغيير المعنى المراد منها، فلقد وجـــدت محاولات لتحريف الوحي المترل من قبل كثير من الفرق المبتدعة لا سيما الرافضة الذيـــن

---

(١) اقتضاء صراط المستقيم ٢/٨ .

(٢) الصواعق المرسلة ١/٢١٥، وانظر هداية الحيارى ص ٦٠.

(٣) الصواعق المرسلة ١/٣٥٨ .

(٤) سورة المائدة الآية ١٣ .

(٥) انظر الصواعق المرسلة ١/٢١٦، ودراسات في الأديان اليهودية والنصرانية ص ٦٩-٨٣ .

(٦) كما في حديث أبي سعيد الخدري ﷺ في الصحيحين، أخرجه البخاري في كتاب أحاديث الأنبياء باب ما ذكر بني إسرائيل ٦/٥٧١/ برقم (٣٤٥٦)، ومسلم في كتاب العلم ١٦/٢١٩/ برقم (٢٦٦٩) .

هم أشبه باليهود، وكذا الجهمية بجميع فرقها [1]، كقراءة بعضهم قوله تعـالى : ﴿ الرحمن على العرش استوى ﴾ برفع العرش حتى يكون الاستواء صفة للعرش لا صفة للرحمن [2]، وأما تحريف التأويل فهو صرف اللفظ عما دل عليه من المعنى إلى غيره من غير دليل شـرعي، وهذا القسم قد ابتليت به جميع الفرق المبتدعة، فكل فرقة تؤول النصوص الشريعة الـتي تخالف بدعتها فتحرفها عن مقصود الشارع وإن خالفت في ذلك إجماع الصدر الأوّل من السلف الصالح، كتحريف الجهمية وأفراخهم جميع النصوص الواردة في الصّفات فحرفوها عن مقصود الشارع الذي هو إثبات الكمال لله ﷻ، فحرفوا مدلولاتها ومعانيها فجعلوها من جنس الألغاز والأحاجي، وعطلوا الرب عن الكمال الذي أثبته لنفسه، والأمثلـة في هذا الباب لا تحصر فكل فرقة تحرف النصوص إذا لم توافق عقولهم و لم تصادف أهواءهم، فكتبهم في التفسير والعقائد مشحونة بالتأويلات الباطلة والتحريفات الشنيعة لنصـوص الشريعة، والله المستعان .

المطلب السابع : أنواع الإلحاد في أسماء الله الحسنى

- تعطيلها ونفيها .
- تعطيل معناها وحقائقها .
- تشبيهها بالمخلوق .
- تسميته بما لا يليق به .

يقول العلامة ابن القيم رحمه الله : " والإلحاد في أسمائه هو العدول بها وبحقائقها ومعانيـها عن الحق الثابت لها... فالإلحاد في أسمائه تعالى أنواع : أحدها أن يسمى الأصنـام بهـا، كتسميتهم اللات من الإلهية، والعزى من العزيز، الثاني تسميته بما لا يليق بجلاله كتسـمية النصارى له أبا، وثالثها وصفه بما يتعالى عنه ويتقدس من النقائص كقول أخبث اليهود إنه فقير، ورابعها تعطيل الأسماء عن معانيها وجحد حقائقها، كقول من يقول من الجهميـة

---

(١) سبق بعض النماذج لتحريف المبتدعة لنصوص القرآن الكريم .

(٢) انظر الصواعق المرسلة لابن القيم ٢١٨/١ .

وأتباعهم إنها ألفاظ مجردة لا تتضمن صفات ولا معاني، وخامسها تشبيه صفاته بصفات خلقه تعالى الله عما يقول المشبهون علوا كبيرا ''[1]

وقال أيضا : '' ونفي معاني الأسماء من أعظم الإلحاد فيها ... والإلحاد : إما بجحدها وإنكارها، وإما بجحد معانيها وتعطيلها، وإما بتحريفها عن الصواب وإخراجها عن الحق بالتأويلات الباطلة، وإما بجعلها اسما لهذه المخلوقات المصنوعات كإلحاد أهل الاتحاد''[2] .

التعليق :

الإلحاد هو الميل والعدول عن القصد والصواب، ويستعمل في اللغة في كل معوج غير مستقيم[3]، وهو في باب الأسماء والصّفات يطلق على كل ميل وعدول عن القول الصواب والاعتقاد الصحيح، فيشمل جميع الانحرافات والأقوال المبتدعة والاعتقادات الباطلة في هذا الباب، ومجمل طرق هذه الانحرافات على أربعة أقسام :

الأوّل : تعطيل الأسماء ونفيها، فمن عطل الأسماء كلها أو بعضها فقد ألحد، لأن كل ذلك يطلق عليه أنه عدل عن القصد ومال عن الحق، ولذا فسر ابن عباس ترجمان القرآن الإلحاد في قوله تعالى : ﴿ وذروا الذين يلحدون في أسمائه ﴾[4] فسره بالتكذيب[5]، فالمعطل والنافي للاسم والصفة مكذب للنص الذي ورد فيه ذلك الاسم وأثبته لله ﷻ، فهذا هو عين العدول عن الصواب والجور عن الصراط .

والقسم الثاني من الإلحاد نفي معانيها وتعطيل مدلولاتها، لأن نصوص الأسماء والصّفات المقصود منها إثبات الكمال لله والثناء بها عليه ومدحه بها، ولذا كلما توسل أحد بها في دعائه كان أقرب إلى الإجابة، فنفي معانيها وتعطيل أحكامها وموجباتها من أعظم الإلحاد فيها .

---

(1) بدائع الفوائد ١٧٩/١، ١٨٠ باختصار .

(2) مدارج السالكين ٣٠/١ بتصرف واختصار، وانظر تفسير الطبري ١٣٤/٩، وتفسير البغوي ٢١٧/٢، وتفسير القرطبي ٢٠٨/٧ .

(3) انظر : النهاية في غريب الحديث ٢٣٦/٤، ولسان العرب ٣٨٨/٣.

(4) سورة الأعراف الآية ١٨٠ .

(5) رواه الطبري في تفسيره عن ابن عباس ١٣٤/٩ .

وأما القسم الثالث فهو تشبيهها بالمخلوقين، فالله تعالى ليس كمثله شيء لا في صفاته ولا في أسمائه، فتشبيه صفاته وأسمائه بصفات الخلق إلحاد فيها، ويشمل هذا كلا نوعي التشبيه كما سبق، فتسمية المشركين لآلهتهم بأسماء الله فيه تشبيه هذا الشريك بالله الذي ليس له سمي يستحق أن يسمى باسمه[1]، بل وأصل شركهم وجعلهم هذه الأصنام والأوثان آلهة تعبد من دون الله هذا فيه تشبيه لهذه المعبودات بالله الواحد الفرد، وكل هذا إلحاد في الأسماء والصّفات .

وأما القسم الرابع فهو وصفه وتسميته سبحانه وتعالى بما لا يليق به، لأنه كما سبق أن أسماءه كلها حسنى بالغة في الحسن فليس فيها اسم سيئ بل ولا فيها أسماء ينقسم مسماها ومعناها إلى محمود ومذموم، لأنها ليست حسنى من كل وجه[2]، ثم إن باب الأسماء والصّفات كما سبق أنه توقيفي فلا يسمى الله إلا ما سمى به نفسه وما سماه به رسوله صلى الله عليه وسلم ولا يوصف إلا ما وصف به نفسه وما وصفه به رسوله ﷺ، فمن سماه بأسماء ليست حسنى فقد ألحد فيها وتقول على الله، فمن هذا الإلحاد تسمية النصارى له بالأب ووصف اليهود له بصفات المخلوقين من التعب والفقر تعالى الله عما يقولون علوا كبيرا، فهذه مجمل أوجه وأنواع الانحرافات والإلحاد في باب الأسماء والصّفات، والله أعلم .

المطلب الثامن : أنواع الإنكار للأسماء والصفات

- إنكار تكذيب .
- إنكار تأويل .

يقول الشيخ محمد بن صالح العثيمين رحمه الله : " إنكار شيء من أسماء الله وصفاته نوعان : الأوّل إنكار تكذيب، وهذا كفر بلا شك، فلو أن أحدا أنكر اسما من أسماء الله

---

(١) وهذا أحد الأقوال الثلاثة في تفسير قوله تعالى : ﴿ **هل تعلم له سميا** ﴾ سورة مريم الآية ٦٦، انظر زاد المسير لابن الجوزي ٥/٢٥١ .

(٢) انظر شفاء العليل ص ١٣٢، ومختصر الصواعق ص ٢٥٠.

أو صفة من صفاته الثابتة في الكتاب والسنة مثل أن يقول : ليس لله يد فهو كافر بإجماع المسلمين، لأن تكذيب خبر الله ورسوله كفر مخرج من الملة، الثاني إنكار تأويل وهو أن لا يجحدها ولكن يؤولها ... "[1] .

التعليق :

كما سبق أن المؤول منكر ومعطل لحقيقة الصفة وظاهر اللفظ، فهو والمكذب يشترك في إنكار الصفة وجحد حقيقتها بل وظاهر لفظها أيضا، فإنكار شيء من أسماء الله وصفاته الثابتة بالكتاب والسنة على نوعين : إنكار تكذيب وإنكار تأويل .

فالأوّل هو من يجحد الصفة ويكذبها بتكذيب النص الوارد فيه تلك الصفة، سواء كان النص من القرآن أو السنة فمنكر السنة منكر للقرآن أيضا، ومن هذا إنكار الصّفات مطلقا فلا يثبت صفة لله سبحانه بل يصفه بالسلوب فقط، ولذا أراد من أراد منهم تحريف الألفاظ في نصوص الصّفات، كما حاول أحمد بن أبي دؤاد حين أشار على الخليفة أن يكتب على غلاف الكعبة (ليس كمثله شيء وهو العزيز الحكيم) بدلاً من قوله ﷻ : ﴿ ليس كمثله شيء وهو السميع البصير ﴾ [2]، ومنه أيضا إنكار من ينفي الصّفات الثابتة بالسنة فلا يثبت إلا ما في القرآن فقط، وما ثبتت بالسنة فلا يقبلها ولا يصف الله بها، فهذا مكذب للسنة وجاحد لها، وكل هذه الأنواع كفر مخرج من الملة[3] .

وأما الثاني فهو لا يكذب النص ولا يرده كليا، وإنما يسلك طريقا ملتويا بحيث إنه يرمي سهامه إلى المعنى المراد من النص والمفهوم من اللفظ، فيدنس أذهان المبتدئين والعوام بأنواع من الشكوك والشبهات، ويجعل للنص احتمالات ثم يختار منها ما يشتهيه ويجعله هو تأويل النص وحقيقة الصفة وينكر المعنى الظاهر من اللفظ، فيجعل الكمال نقصا والمدح ذما، فهذا في الحقيقة منكر لأصل الصفة وحقيقتها إلا أنهم هابوا أن يصرحوا بذلك، فأثبتوا اللفظ مع صرفه عن المعنى المراد إلى معنى غير ظاهر وسموه تأويلا، وقد تأثر بعض أعيان

---

(١) المجموع الثمين ٦٢/٢ .

(٢) انظر مجموع الفتاوى ٤٧٩/١١، ١٨٤/١٣ شرح العقيدة الطحاوية ص ١٤٦ .

(٣) انظر مجموع الفتاوى ٤٩٧/١٢-٤٩٨، وانظر ١١٦/٥، ٥٢/٦ .

المنتسبين إلى المذاهب الأربعة بل ومن المنتسبين إلى الحديث بشكوكهم وشبهاتهم فساروا في بعض الصّفات على سيرهم واختاروا مذهبهم، وهذا المذهب لا شك أنه مذهب مخالف لمذهب السلف الصالح إلا أن الغالب فيه أنه لا يصل إلى حد الكفر بل هو مذهب مبتدع لم يقل به أحد من سلف هذه الأمة، والله أعلم .

المطلب التاسع : أنواع التأويل .

- تأويل التفسير .
- تأويل التحريف .

يقول العلامة ابن القيم رحمه الله : " التأويل يتجاذبه أصلان : التفسير والتحريف، فتأويل التفسير هو الحق وتأويل التحريف هو الباطل، فتأويل التحريف من جنس الإلحاد فإنه هو الميل بالنصوص عن ما هي عليه إما بالطعن فيها أو بإخراجها عن حقائقها مع الإقرار بلفظها " (١)

التعليق :

التأويل هو في اللغة الرجوع إلى حقيقة الشيء، فالشيء إن كان غائبا فتأويله هو مشاهدة حقيقته وإدراكه إن كان ممكن الإدراك، وأما إن لم يكن ممكن الإدراك فتأويله هو التعبير عنه بما يفسره ويوضحه ويعرف حقيقته، ومعلوم أن هذا يكون للشيء الممكن تفسيره بحيث يعرف المفسر حقيقة الشيء وكنهه فحينئذ يفسره بما يعرف به حقيقة الشيء المؤول، وأما إن كان لا يعرف حقيقته وليس له نظير مشاهد فلا يكون هاهنا مجال للتأويل والتفسير .

ولا شك أن صفات الله العليا التي وصف الله بها نفسه أو وصفه بها رسوله ﷺ هي من الأمور الغيبية التي لا نشاهدها ولا نعرف حقيقتها وكنهها، فيجب علينا حينئذ الإيمان والتسليم بما يدل عليه النص والسياق من المعاني الظاهرة، إذ ليس هنا مجال للتأويل

---

(١) الصواعق المرسلة ٢١٧/١ .

والتفسير، ويكون تفسير مثل هذا هو قراءته مع الإيمان بما يدل عليه اللفظ من المفهوم والمعنى الظاهر، وأما صرفه عن المعنى الظاهر إلى المعنى الخفي المرجوح من غير دليل شرعي فهو من تحريف الكلم وليس من التأويل وأن سماه أربابه تأويلا فهو من تأويل التحريف وليس من تأويل التفسير .

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية : " معنى التأويل في اللغة التي نزل بها القرآن يراد به حقيقة الشيء كالكيفية، التي لا يعلمها إلا الله، كما قال مالك : « الاستواء معلوم والكيف مجهول »[(١)] ويراد به التفسير، وهو كقوله : الاستواء معلوم، فإن تفسيره ومعناه معلوم، ويراد به تحريف الكلم عن مواضعه كتأويلات الجهمية، مثل تأويل من تأول استوى بمعنى استولى، وهذا الذي اتفق السلف والأئمة على بطلانه وذم أصحابه " [(٢)].

المطلب العاشر : أنواع التأويل باعتبار مستنده

- بمسوغ لغوي .
- بدون مسوغ لغوي .

يقول الشيخ محمد العثيمين رحمه الله : " التأويل وهو أن لا يجحدها ولكن يؤولها وهذا نوعان : أن يكون لهذا التأويل مسوغ في اللغة العربية، فهذا لا يوجب الكفر، أن لا يكون له مسوغ في اللغة العربية، فهذا موجب الكفر لأنه نفاها نفيا مطلق فهو مكذب حقيقة ولو قال في قوله تعالى : ﴿ بل يداه مبسوطتان ﴾ المراد بيديه السماوات والأرض فهو كافر لأنه لا يصح في اللغة العربية ولا هو مقتضى الحقيقة الشرعية، فهو منكر مكذب، لكن إن قال المراد باليد النعمة أو القوة فلا يكفر لأن اليد في اللغة تطلق على النعمة "[(٣)].

---

(١) سبق تخريج الأثر .

(٢) درء تعارض العقل والنقل ٣٢٨/٧ وانظر مجموع الفتاوى ٦٨/٤ .

(٣) المجموع الثمين ٦٣/٢ بتصرف يسير .

التعليق :

هذا التقسيم هو لتأويل التحريف المصطلح عند المتأخرين والذي هو صرف اللفظ عن المعنى الراجح إلى المعنى المرجوح من غير دليل شرعي لذلك[1] فهذا على نوعين : أن يكون له مأخذ في اللغة العربية التي أنزل الله بها القرآن الكريم، بأن يكون هذا اللفظ مستعملا بالمعنى المؤول في اللغة، فيكون لهم دليل ومسوغ لغوي لهذا التأويل، أو لا يكون له مسوغ لغوي بحيث لا يعرف في لغة العرب استعمال اللفظ بالمعنى المؤول به وليس له شاهد فيها لا شعرا ولا نثرا، وإنما هو معنى مبتدع في اللغة فسر به المؤول اتباعا للهوى .

فمن الأوّل تأويلات جميع الفرق الصّفاتية لعامة نصوص الصّفات كتأويلهم لصفة اليد بالنعمة والعلو والفوقية بعلو وفوقية الشرف ونحو ذلك .

وأما الثاني كتأويل الجهمية لقوله تعالى : ﴿ وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا ﴾ بأن الله جرحه بأظافير حكمته تجريحا [2] وكذا قول من يقول بأن المراد بالإصبع في حديث اليهودي الذي جاء إلى النبي ﷺ وصدقه النبي ﷺ في إثبات صفة الأصابع فالمراد أن الله يخلق خلقا يقال له إصبع فيحمل السماوات والأرض فهذا في الحقيقة نفي وتكذيب إلا أنه سلك لذلك طريقا ملتويا بل وسائغا ومقبولا عند جميع الفرق المبتدعة باسم التأويل، فهذا المسلك باطل بل موجب للكفر إذ أن قولهم مبني على هواهم المحض وآرائهم الفاسدة وليس لهم مأخذ لغوي ولا شرعي، فهذا مثل تأويلات القرامطة الباطنية لنصوص الشريعة قاطبة حتى نصوص الأحكام من غير مأخذ ومسوغ شرعي ولا لغوي، وأما الأوّل فهو وإن كان باطلاً في نفسه إلا أن لهم مأخذ لغوي يسوغ لهم ما ذهبوا إليه ولهذا لم يكفرهم أحد من السلف، بل وقد ابتلي بهذا المذهب بعض أعيان المنتسبين إلى المذاهب الأربعة وفقهائهم بل وبعض المنتسبين إلى الحديث أيضا .

---

(١) انظر مجموع الفتاوى ٣/٥٥، ٥/٣٥، والصواعق المرسلة ١/٧٩ .

(٢) انظر مجموع الفتاوى ٣/١٦٥، والصواعق المرسلة ١/٢١٧ .

- الحلول الخاص .
- الحلول العام .
- الاتحاد الخاص .
- الاتحاد العام .

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله : "من جعل الرب هو العبد حقيقة فإما أن يقول بحلوله فيه أو اتحاده به، وعلى التقديرين فإما أن يجعل ذلك مختصا ببعض الخلق كالمسيح، أو يجعله عاما لجميع الخلق، فهذه أربعة أقسام : الأوّل هو الحلول الخاص، وهو قول من يقول أن اللاهوت حل في الناسوت وتدرع به كحلول الماء في الإناء ... الثاني : الاتحاد الخاص، وهو قول يعقوبية النصارى وهم يقولون إن اللاهوت و الناسوت اختلطا وامتزجا كاختلاط اللبن، الثالث : الحلول العام، وهو القول الذي ذكره أئمة أهل السنة والحديث عن طائفة من الجهمية المتقدمين، وهو قول غالب متعبدة الجهمية الذين يقولون : إن الله بذاته في كل مكان، الرابع : الاتحاد العام، وهو قول هؤلاء الملاحدة الذين يزعمون أنه عين وجود الكائنات " (1) .

التعليق :

الحلول هو أن يعتقد حلول الله في أحد من المخلوقات ويعتقد فيه ما يعتقد في الله ﷻ (2) وأما الاتحاد فهو أن يعتقد باتحاد الرب بخلقه فيكون المخلوق هو الرب بعينه فلا يكون هناك بينونة بين الخالق والمخلوق(3) وهذا لا يخلو من أن يجعله عاما بجميع الخلق أو خاصا ببعض المخلوقات فهما من حيث العموم والخصوص ينقسم إلى أربعة أقسام : الحلول العام والحلول الخاص، والاتحاد العام والاتحاد الخاص .

(1) مجموع الفتاوى ١٧١/٢،١٧٢ بتصرف، وانظر ٣٦٤/٢-٣٦٨، ٣٨١، ٢٩٣/٣ .

(2) انظر المصدر السابق ٢٩٣/١٢،٥٨٥.

(3) انظر المصدر السابق ١٤٠/٢، ٤٦٥-٤٦٦، والجواب الكافي ص ٣١١.

فالأوّل الحلول العام : وهو الاعتقاد بأن الله حل في كل مخلوق في هذا الكون فلا يخلو مكان من الله تعالى وهذا القول منقول عن الجهمية الغلاة المنسوبين منهم إلى التعبد والتصوف، وهو الذي يحكي عنهم السلف كما يقول ابن المبارك[1] : ((ولا نقول كما تقول الجهمية أنه هاهنا في الأرض)) [2]" وقال عبد الوهاب بن عبد الحكم الوراق[3] : ((من زعم أن الله هاهنا فهو جهمي خبيث)) [4] وقال يحيى بن عمار السجستاني[5] :((لا نقول كما قالت الجهمية إنه مداخل الأمكنة وممازج لكل شيء)) [6]" فهؤلاء يقولون أن الله قد حل في كل الأمكنة فهو موجود في كل مكان ويستدلون بمتشابه القرآن ويحرفون الكلم عن مواضعه[7] .

وأما الثاني وهو الحلول الخاص الذي هو الاعتقاد بأن الله حل في بعض المخلوقات دون سائرها، كما هو اعتقاد بعض فرق النصارى الذين يعتقدون بأن الله حل في عيسى عليه السلام وكذا من تبعهم من هذه الأمة من غالية الروافض والصوفية، فتعتقد غلاة الرافضة

---

(١) هو الإمام شيخ الإسلام أبو عبد الرحمن عبد الله بن المبارك الحنظلي مولاهم التركي ثم المروزي، الحافظ الغازي أحد الأعلام، ولد سنة ١١٨هـ، وتوفي سنة ١٨١هـ .

انظر سير أعلام النبلاء ٨/٣٧٨-٤٢١، وشذرات الذهب ١/٢٩٥-٢٩٧ .

(٢) الأثر أخرجه البخاري في خلق أفعال العباد ص ٨، والدارمي في الرد على الجهمية ص ٥٠، والبيهقي في الأسماء والصفات ٢/٣٣٥، وابن بطة في الإبانة ٣/١٥٥، قال ابن القيم : صح عنه صحة قريبة من التواتر، انظر إجتماع الجيوش الإسلامية ص ٩٥، ١٦٣، الذهبي في العلو للعلي الغفار ص .

(٣) هو الإمام القدوة الرباني أبو الحسن عبد الوهاب بن عبد الحكم البغدادي الوراق، كان من خواص الإمام أحمد رحمه الله، توفي رحمه الله سنة ٢٥١هـ .

انظر طبقات الحنابلة ١/٢٠٩-٢١٢، وسير أعلام النبلاء ١٢/٣٢٥-٣٢٦،

(٤) انظر بيان تلبيس الجهمية لابن تيمية ٢/٥٢٩ .

(٥) هو الإمام المحدث الواعظ يحيى بن عمار بن العنبس أبو زكريا الشيباني السجستاني، توفي سنة ٤٢٢هـ وله تسعون سنة .

انظر : سير أعلام النبلاء ١٧/٣٨١-٣٨٣، وشذرات الذهب ٣/٢٢٦ .

(٦) انظر المصدر السابق، والعلو للذهبي ص٢١٢، وإجتماع الجيوش ص ١٧٤ .

(٧) انظر مجموع الفتاوى ٢/١٧٢ .

بحلول الصّفات الإلهية في علي ﷺ والأئمة المعصومين عندهم فيعبدونهم ويشركونهم مع الله ﷻ وكذا غلاة الصوفية الذين يعتقدون بحلول الرب في بعض أوليائهم .

والقسم الثالث : الاتحاد العام فهو الاعتقاد بوحدة الوجود وأن الوجود كله واحد فليس هناك في الحقيقة خالق ومخلوق ولا رب ومربوب فكل شيء عنده رب حتى الكلاب والخنازير وسائر الأوساخ والأقذار، "ويقولون إن وجود المخلوق هو وجود الخالق لا يثبتون موجودين خلق أحدهما الآخر بل يقولون الخالق هو المخلوق والمخلوق هو الخالق " [1] كقول ابن عربي[2] حامل لواء وحدة الوجود :

العبد رب والرب عبد * فليت شعري من المكلف[3]

وكذا ما يحكى عن ابن الفارض[4] وابن السبعين[5] والقونوي[6] والتلمساني[7] وغيرهم[8] من أهل وحدة الوجود .

---

(١) مجموع الفتاوى لابن تيمية ٣٦٤/٢ .

(٢) هو أبو بكر محمد بن علي بن محمد الحاتمي الطائي الأندلسي، الملقب عند الصوفية بالشيخ الأكبر، ومحي الدين، من تأليفاته كتاب (الفصوص) الذي اشتمل على الكفر المحض، يقول الذهبي عنه : " فإن كان لا كفر فيه فما في الدنيا كفر، نسأل الله العفو والنجاة فوا غوثاه بالله ! " السير ٤٨/٢٣ .

انظر ترجمته في السير للذهبي ٤٨/٢٣-٤٩، وميزان الاعتدال ٦٥٩/٣-٦٦٠ .

(٣) انظر غاية الأماني ٣٥٥/٢ .

(٤) هو عمر بن علي بن مرشد الحموي المصري، (صاحب الاتحاد الذي ملأ به التائية ن فإن لم يكن في تلك القصيدة صريح الاتحاد الذي لا حيلة في وجوده، فما في العالم زندقة ولا ضلال) السير للذهبي، مات سنة ٦٣٢هـ .

انظر ترجمته في السير للذهبي ٣٦٨/٢٢، ولسان الميزان ٣١٧/٤-٣١٩.

(٥) هو عبد الحق بن إبراهيم بن محمد الإشبيلي أبو محمد، من أئمة أهل الاتحاد، وكان يقول بأن النبوة مكتسبة وقال : لقد تحجر ابن آمنة واسعا بقوله لانبي بعدى، مات سنة ٦٦٩هـ .

انظر النجوم الزاهرة ١٣٢/٧-١٣٣، والبداية والنهاية لابن كثير ٢٩١/١٣ .

(٦) هو محمد بن إسحاق بن محمد الرومي، كبير المشايخ الاتحادية، مات سنة ٦٧٣هـ .

انظر تذكرة الحفاظ ١٤٩٠/٤ .

(٧) هو سليمان بن علي بن عبد الله الكوفي التلمساني، من كبار الملاحدة الاتحادية، مات سنة ٦٩٠هـ .

انظر النجوم الزاهرة ٢٩/٨-٣١، وشذرات الذهب ٤١٢/٥ .

(٨) المصدر السابق ٢٩٤/٢،٣٦٤ .

والقسم الرابع : الاتحاد الخاص وهو أن يخصص الاتحاد ببعض خلقه دون سائرهم مـــن المخلوقات، كما يعتقده بعض فرق النصارى باتحاد اللاهوت بالناسوت فيعتقدون بألوهيـة المسيح وأمه وربوبيتهما ولا يفرقون بين الله وبين من اتحد به في أي مـــن الصّفـــات، ولا شك أن أهل وحدة الوجود الذين عموا الاتحاد بكل شيء أضل من هؤلاء الذين خصصوا ببعض المخلوقات وبمن يعظمونهم ويتبعونهم فقط، وإن كان كل منهم ظلمـــات بعضـــها فوق بعض " فلا خلاف بين الأمة أن من قال بحلول الله في البشر واتحاده به وإن البشـــر يكون إلها وهذا من الآلهة فهو كافر مباح الدم" [1] والله أعلم .

---

(١) مجموع الفتاوى ٤٨١/٢ .

الفصل الرابع :
التقسيمات المتعلقة بتوحيد الألوهية .

وفيه مبحثان :

المبحث الأول : التقسيمات المتعلقة بتوحيد الألوهية .

المبحث الثاني : التقسيمات المتعلقة بما يضاد التوحيد الألوهية .

المبحث الأول

التقسيمات المتعلقة بتوحيد الألوهية .

المطلب الأول : أنواع العبادات

- عقلي .
- ملي .
- شرعي .

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله :" أن الحسنات والعبادات ثلاثة أقسام : عقلية وهو ما يشترك فيه العقلاء مؤمنهم وكافرهم، وملي وهو ما يختص به أهل الملل كعبادة الله وحده لا شريك له، وشرعي وهو ما اختص به شرع الإسلام مثلا وأن الثلاثة واجبة فالشرعي باعتبار الثلاثة المشروعة وباعتبار يختص بالقدر المميز "[1] .

التعليق :

لا شك أن دين الله الذي أوجبه على عباده مع اختلاف مناهجه للأمم وتباين شرائعه كل لا يخلو من حكمة وعدل ومصالح للناس عاجلاً وآجلاً، إلا أنه من حيث اتفاق الملل والجماعات ينقسم إلى ثلاثة أقسام : عقلي وملي وشرعي .

أما العقلي فهو الأمور التي اتفق عليها العقلاء من بني آدم، وهي ما تدرك بالعقل أو الذي يشاهد نفعه ونتيجته، وغالب هذا يكون ما هو من البديهيات والضروريات العقلية والأمور الفطرية كوجود الإله القادر المطلق، وكذا كثير من المعاملات بين الناس كالعدل والإحسان إلى الخلق وترك الفواحش والظلم على الناس ونحو ذلك[2]" وكانت دعوة الرسولﷺ في حياته المكية غالبها إلى العبادات من هذا النوع[3] .

وأما الملي فهو ما اتفقت عليه الملل من أهل الكتب السماوية، وهو الأمور العقدية من التوحيد وأركان الإيمان الستة كما قال ﷺ :﴿ الأَنْبِيَاءُ إِخْوَةٌ مِنْ عَلاتٍ وَأُمَّهَاتُهُمْ شَتَّى

:

(١) الفتاوى لابن تيمية ٦٢/٢٠. ٦٦ .

(٢) المصدر السابق ٦٨/٢٠ .

(٣) المصدر السابق ٤٧٥/١٢.

﴿وَدِينُهُمْ وَاحِدٌ﴾[1]، فدين الأنبياء جميعهم واحد وهو الإسلام العام الذي لا يقبل من أحد غيره، فالكتب السماوية كلها متفقة على الأمور العقدية من التوحيد والإيمان بالغيب وغيرها[2]، قال تعالى : ﴿ ولقد بعثنا في كل أمة رسولا أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت ﴾[3] وكذا جنس بعض العبادات العملية، كما قال سبحانه : ﴿ يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم ﴾[4]

وأما الشرعي فهو ما اختص به الأمة المحمدية من الأمور التعبدية دون سائر الأمم قبلها، وقد جعل الله لكل أمة شرعة ومنهاجا كما قال سبحانه: ﴿لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً﴾[5] فقد اختص الله هذه الأمة بأمور تعبدية عملية لم يفرضها على أمم قبلها، فهذا النوع هو خاص بأنواع الشرائع والعبادات العملية التي خصها الله لهذه الأمة فقط[6]، وأما النوع الثاني فهو الأمور العقدية التي دعت إليها الرسل جميعهم وكذا بعض الأمور العملية أيضا، وكذا النوع الأول فهو مشتمل على بعض الأمور العقدية وعلى بعض الأمور العملية، والله أعلم .

---

(١) الحديث أخرجه مسلم في صحيحه كتاب الفضائل ١١٩/١٥/ برقم (٢٣٦٥) من حديث أبي هريرة ﷺ .

(٢) انظر مجموع الفتاوى ٤٦٠/٢.

(٣) سورة النحل الآية ٣٦ .

(٤) سورة البقرة ١٨٣

(٥) سورة المائدة الآية ٤٧ .

(٦) انظر مجموع الفتاوى لشيخ الإسلام رحمه الله ٦٦/٢٠-٧٢

المطلب الثاني : أنواع الأعمال من حيث ما يقوم بالعامل وبغيره

- ما يقوم بالعامل .
- ما يفعل لنفع غيره .
- ما يأمر غيره أن يفعله .

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله : " أعمال المرء المتعلّقة بدينه قِسمين : أحدهما أن يعمل ويترك، والثّاني أن يأمر غيره بالفعل والتّرك، ثم فعله : إمّا أن يختصّ هو بنفعه أو ينفع به غيرَه، فصَارت الأقسامُ ثلاثةً ليس لها رابعٌ: أحدهمَا ما يقُوم بالعامل ولا يتعلّق بغيره كالصّلاة مثلاً، والثاني ما يفعل لنفع غيره كالزّكاة، والثّالث ما يأمرُ غيره أن يّفعله فيكون الغير هو العامل وحظّه هو الأمر به، كالأمْر بالمعروف والنّهي عن المنْكر " [1] .

التعليق :

هذا التقسيم للعبادات هو من حيث قيام العمل بالعامل أو بغيره، فهي بهذا الاعتبار تنقسم إلى ثلاثة أقسام :

أما القسم الأول فهو العبادات التي يقوم بها العبد بنفسه ولا تتعدى إلى غيره لا مباشرة ولا نفعاً، كالصلاة والحجّ والصوم وقراءة القرآن ونحوها من العبادات التي يباشرها العبد بنفسه ولا يسوغ فيها النيابة ولا الوكالة من غير سبب ولا عذر شرعي بل هو عمل العبد بنفسه لنفسه، وأما القسم الثاني فهو يقوم بالعامل ويتعدى أثره إلى غيره أيضاً كالصدقة وسائر أنواع الإحسان التي يتعدى نفعه إلى غير العامل أيضاً، فهذا القسم من الأعمال تقوم بالعامل لكن يتعلق نفعها بغيره، وأما القسم الثالث فهو العبادات التي يعلّمها لغيره ويأمره بفعلها كالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فالعمل حينئذ يقوم بغيره ولا يتعلق به أصلا إلا أن النفع يعود إليه أيضا لقيامه بالتعليم والأمر والنهي، والله أعلم

---

(١) الاقتضاء لابن تيمية ص ١٩ .

المطلب الثالث : أنواع المأمور

والمراد من المأمور كل ما أمر الله به من العبادات الواجبة والمستحبة وهي نوعان:

- ظاهر على الجوارح
- باطن في القلب

يقول شيخ الإسلام رحمه الله : " المأمور نوعان : عمل ظاهر على الجوارح، و باطن في القلب، الأول كالوضوء والغسل وأفعال الصلاة من القيام والركوع والسجود وأفعال الحج، والنوع الثاني ما يكون باطنا في القلب كالإخلاص وحب الله ورسوله والتوكل عليه والخوف منه، وكنفس إيمان القلب وتصديقه بما أخبر به الرسول، فهذا النوع تعلقه بالقلب ظاهر فانه محله" (١)

التعليق :

فالمأمور الذي أمر الله به عباده إما أمور ظاهرة على الجوارح كالشهادتين والصلاة وسائر أعمال الشريعة الظاهرة التي يشترك في أدائها المؤمن التقي والمنافق المارق، أو باطنة من أعمال القلوب التي لا يطلع عليه أحد إلا الله سبحانه، وهو الفارق بين المؤمن والمنافق وأهل الجنة وأهل النار، فالأعمال الظاهرة التي أمر الله بها لا ينتفع صاحبها إلا بالإتيان بأركان العبادة و إكمال شروط القبول .

يقول شيخ الإسلام رحمه الله : "وهذا النوع هو أصل النوع الأول وهو أبلغ في الخير والشر من الأول فنفس إيمان القلب وحبه وتعظيمه لله وخوفه ورجائه والتوكل عليه وإخلاص الدين له لا يتم شئ من المأمور به ظاهرا إلا بها وإلا فلو عمل أعمالا ظاهرة بدون هذه كان منافقا" (٢)

---

(١) الفتاوى ١٤/ ١١٩ بتصرف يسير .

(٢) المصدر السابق ١٤/١١٩

المطلب الرابع : أنواع النية .

- قصد العبادة .
- قصد المعبود .

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله :" النية المعهودة في العبادات تشتمل على أمرين : على قصد العبادة، على قصد المعبود، وقصد المعبود هو الأصل الذي دلّ عليه قوله سبحانه : ﴿ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ ﴾ (1) وقول النبي ﷺ : ﴿ فَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ فَهِجْرَتُهُ إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ ﷺ وَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ إِلَى دُنْيَا يُصِيبُهَا أَوْ امْرَأَةٍ يَنْكِحُهَا فَهِجْرَتُهُ إِلَى مَا هَاجَرَ إِلَيْهِ﴾ (2) فانه ﷺ ميز بين مقصود ومقصود ... وأما قصد العبادة فقصد العمل الخاص، مثل قصد الصلاة دون الصوم ثم صلاة الظهر دون صلاة العصر ثم الفرض دون النفل، وهذه النية التي تذكر غالبا في كتب الفقه المتأخرة، وكل واحد من النيتين فرض في الجملة " (3)

ويقول العلامة ابن القيم رحمه الله : " ونية العبادات لها مرتبتان : إحداهما : تمييز العبادة عن العادة، الثانية : تمييز مراتب العبادات بعضها عن بعض " (4).

التعليق :

النية من الأعمال القلبية ومعناها القصد والإرادة، وهي من جهة تعلقها بالعقيدة والشريعة تنقسم إلى قسمين : قصد المعبود وقصد العبادة .

---

(1) سورة البينة الآية ٥ .

(2) الحديث متفق عليه من حديث عمر بن الخطاب ﷺ، أخرجه البخاري في عدة مواضع وهذا اللفظ أخرجه في كتاب النكاح باب من هاجر أو عمل خيرا لتزوج امرأة فله ما نوى ٩/١٧/ برقم (٥٠٧٠) ومسلم في كتاب الإمارة ١٣/٥٣/ برقم (١٩٠٧) .

(3) الفتاوى لابن تيمية ٢٦/٢٣ - ٢٥ .

(4) مدارج السالكين ١/١١٠، وانظر جامع العلوم والحكم ١/٦٥-٦٦ .

أما القسم الأول وهو قصد المعبود فهو المتعلق بالعقيدة القلبية الباطنة، إذ إن معناه إخلاص العبادة لله وحده لا شريك له" فبها يتميز من يعبد الله مخلصا له الدين ممن يعبد الطاغوت أو يشرك بعبادة ربه ومن يريد حرث الآخرة ممن يريد حرث الدنيا، وهو الدين الخالص الذي تشترك فيه جميع الشرائع والذي نهى الأنبياء عن التفرق فيه "[1] فهو فاصل بين الحق والباطل والشرك والتوحيد، وهو أصل كل عبادة وشرط لقبولها .

وأما القسم الثاني وهو قصد العبادة فهو المتعلق بالشريعة لأنه متعلق بالعبادات الظاهرة، " فبه تتميز أنواع العبادات وأجناس الشرائع، فيتميز المصلي من الحاج والصائم ويتميز من يصلي الظهر ويصوم قضاء رمضان ممن يصلي العصر ويصوم شيئا من شوال، و يتميز من يتصدق عن زكاة ماله ممن يتصدق من نذر عليه أو كفارة، وأصناف العبادات مما تتنوع فيه الشرائع "[2] وهذه النية هي شرط لصحة العبادات، وفقدانها يؤثر على صحة تلك العبادة وحدها إلا أنه لا يكون آثما على تركها بحيث يحتاج إلى التوبة منه بل لو أعاد العبادة مع استصحاب النية لصحت العبادة ولا شيء عليه، بخلاف الأول فهو يأثم إذا تركها عمدا وتبطل العبادة ويحتاج إلى التوبة منه لا سيما إذا كانت العبادة واجبة عليه، ففقدان تلك النية يؤدي إلى الشرك بالله ﷻ، فهذه النية متعلقة بالله ﷻ وأما الثاني فهو متعلق بالعبادات وتمييز بعضها من بعض .

المطلب الخامس : أنواع العبودية من حيث تعلقها بالجوارح

- ظاهرة .
- باطنة .

يقول العلامة ابن القيّم رحمه الله : " أنّ لله على العبد عبوديّتين : عبوديّة باطنه، عبوديّة ظاهره، فله على قلبه عبوديّة، وعلى لسّانه وجوارحه عبوديّة، فقيامُه بسورة

---

(١) الفتاوى لابن تيمية ٢٤/٢٦ .

(٢) المصدر السابق ٢٥/٢٦

العبوديّة الظاهرة مع تعرّيه عن حقيقة العبوديّة الباطنة مما لا يقرّبه إلى ربّه ولا يوجب له الثّواب "[1].

التّعليق :

إنّ الله تعالى خلق الثّقلين الجنّ والإنس لعبادته وحده، فمهامّ الثّقلين هو عِبَادة الله وحده، والعبادةُ هي مجموع الأعمَال والأقوال الظّاهِرة والبَاطِنة الّتي يحبُّها الله ﷻ، فعبودية العبد للرب من حيث الظُّهور والخفاءِ على نوعين : عبوديَّة ظاهِرَة على الجوارح، وعبوديَّة باطِنَة تتعلق بالقلب، فالعبوديَّة الظّاهرة هي كُلّ ما تعبَّدنا الله به من العبادات الظّاهرة على الجوارح من صلاة وصيام وصدقة وحجّ وذكر ونحو ذلك من الأعمال الظّاهرة، وهو معنى الإسلام كما فسر الإسلام في حديث جبريل المشهور بالأعمال الظاهرة .

وأما العبوديَّة الباطنة فهي الأعمال والأقوال الّتي محلُّها القلب والّتي لا يطلع عليها أحد إلا الله ﷻ نحو الإخلاص والمحبة والخوف والرجاء والتّعظيم ونحوها من الأعمال القلبيّة الباطنة، وكما سبق[2] أن العبودية القلبية هي الأصل فإذا فَقَدَها فلا تَنفع الأعمال الظّاهرة مَهما كثُرت وتنوَّعت، بَل هذا هو النّفاق الّذي صاحبه في الدَّرك الأسفل من النّار قال تعالى : ﴿ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرْكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ ﴾[3]، وأما من أتى بالعبودية القلبية الباطنة الواجبة فلا يُمكن أن يتعرّى صاحبه من العبوديَّة الظّاهرة مطلقا من ذكر وصلاة ونحوها، فالعبودية الباطنة هي الأصل والأساس ولا يصح إسلام أحد وعبوديته الظاهرة إلا مع سلامة العبودية الباطنة وصحتها، والله أعلم .

---

(١) بدائع الفوائد ٣/٧١٠ .

(٢) انظر الصفحة ( ) وانظر مجموع الفتاوى ١٧/٤٨٥ .

(٣) سورة النساء الآية ١٤٥ .

المطلب السادس : أنواع العبودية .

- عامة .
- خاصة .

يقول الحافظ ابن القيم رحمه الله : " العبودية نوعان : عامة خاصة، فالعبودية العامة عبودية أهل السماوات والأرض كلهم لله برهم وفاجرهم مؤمنهم وكافرهم، فهذه عبودية القهر والملك، قال تعالى:﴿ إن كل من في السماوات والأرض إلا آتي الرحمن عبدا ﴾ [1] فهذا يدخل فيه مؤمنهم وكافرهم، وقال تعالى :﴿ ءأنتم أضللتم عبادي هؤلاء ﴾[2] فسماهم عباده مع ضلالهم لكن تسمية مقيدة بالإشارة، وأما المطلقة فلم تجئ إلا لأهل النوع الثاني ...وأما النوع الثاني فعبودية الطاعة والمحبة واتباع الأوامر، قال تعالى : ﴿ فبشر عبادي الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه ﴾ [3] فالخلق كلهم عبيد ربوبيته، وأهل طاعته وولايته هم عبيد إلهيته " [4] .

التعليق :

هذا التَّقسيم للعبوديَّة هو من حيث تعلُّقها بالرُّبوبيَّة والألوهيَّة، فهي بهذا الاعتبار تنقسم إلى القسمين : عبوديَّة عامَّة وعبوديَّة خاصَّة، فالعبوديةُ العامَّة هي العبوديَّة المتعلِّقة بالرُّبوبيَّة، وهي عبوديَّة جميع الكائنات لربوبيَّته سبحانه وتعالى، فلا يخرج أحدٌ من مُلكه وسُلطانه وتدبيره وقدرته ومشيئته "وبهذا الاعتبار المخلوقون كلُّهمْ عباد الله من الأبرار والفجَّار والمؤمنين والكفَّار وأهل الجنَّة وأهل النَّار، إذ هو ربُّهم ومليكهم، لا يخرجُون عَن مشيئته وقدرته...فهو سبحانه رب العلمين وخالقهم ورازقهم، ومحييهم ومميتهم، ومقلِّب

---

(١) سورة مريم الآية ٩٣ .

(٢) سورة الفرقان الآية ١٧ .

(٣) سورة الزمر الآية ١٨ .

(٤) المدارج ١/١٠٥، وانظر مجموع الفتاوى لابن تيمية ١٠/١٥٤، ١٤/٢٩، ٣٠، وبدائع الفوائد ١/٢٢٠ وشرح ثلاثة الأصول للشيخ محمد العثيمين ص ٣٢ .

قلوبهم ومصرّف أمورهم، لا ربّ لهم غيره، ولا مالك لهم سواه، ولا خالق إلا هو، سواء اعترفوا بذلك أو أنكروه، وسواء علموا ذلك أو جهلوه "[1]، وهذه العبودية وحدها لا يثاب عليها ولا يحمد صاحبها، إذ إنّه ليس من مشيئته واختياره وإنما هو خضوعٌ وتذلُّلٌ لأمر الله الكوني القدري الذي هو كائنٌ لا محالة شاء العبد أم أبى.

يقول شيخ الإسلام رحمه الله: " ومثل هذه العبودية لا تفرق بين أهل الجنة والنار، ولا يصير بها الرجل مؤمنا، كما قال تعالى: ﴿ وما يؤمن أكثرهم بالله إلا وهم مشركون ﴾ [2] فإن المشركين كانوا يقرون أن الله خالقهم ورازقهم وهم يعبدون غيره ،قال تعالى: ﴿ ولئن سألتهم من خلق السماوات والأرض ليقولن الله ﴾ "[3] بل لا فرق في ذلك بين ميت وحي، ولا بين الحيوانات والجمادات، قال تعالى: ﴿ إن الذين تدعون من دون الله عباد أمثالكم ﴾ [4].

يقول الحافظ ابن كثير رحمه الله: "هذا إنكار من الله على المشركين الذين عبدوا مع الله غيره من الأنداد والأصنام والأوثان، وهي مخلوقة لله مربوبةٌ مصنوعةٌ، لا تملك شيئًا من الأمر...بل هي جماد لا تتحرّك ولا تسمع ولا تبصر"[5]

وأما العبوديّة الخاصّة فهي المتعلّقة بألوهيّته سبحانه وهو الخضوع والتّذلّل لأمره الشّرعي الدّيني، وهي التي يحبّها الله ﷻ ويأمر بها عباده ويكون عليها الجزاء والحساب، وهي الفارق بين العبد المؤمن الموحّد وبين الكافر والمشرك، وهي التي قاتل عليها الرسول ﷺ قومه – مع كونهم معترفين بالعبودية العامة إقراراً وتصديقاً –، فهي عبوديّة الأنبياء والمرسلين وأتباعهم الذين يخضعون ويتعبّدون بالأمر الشرعي الدّيني، قال تعالى: ﴿ فبشر

---

(١) الفتاوى لابن تيمة ١٠/١٥٤.

(٢) سورة يوسف الآية ١٠٦.

(٣) مجموع الفتاوى ١٠/١٥٦.

(٤) سورة الأعراف الآية ١٩٤.

(٥) تفسير القرآن العظيم ٢/٢٦٤.

عبادِ * الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ ﴾ [1]، وقال سبحانه : ﴿ يَا عِبَادِ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ وَلَا أَنتُمْ تَحْزَنُونَ ﴾ [2]، فهذه العبودية هي التي تستجلب محبة الله ﷻ ورضاه دون العبودية الأولى فهي تتعلق بمشيئة الله سبحانه وإرادته الكوني ولا تتعلق بالمحبة ولا بالرضا والله أعلم .

المطلب السابع : مراتب العبودية العلمية .

- العلم به سبحانه .
- العلم بدينه .

يقول الحافظ ابن القيم رحمه الله : " للعبودية مراتب بحسب العلم والعمل، فأما مراتبها العلمية فمرتبتان : أحدهما العلم بالله والثانية العلم بدينه ".[3]

التعليق :

العلم من أعظم أنواع العبودية وقد أمر الله ﷻ بالعلم قبل العمل فقال عز شأنه :﴿ فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ﴾ [4]، فالعلم أعظم أنواع العبادة، لأنه من أعظم أسباب زيادة الإيمان وهو الأصل الذي تنطلق منه الأعمال، وهذه العبودية من حيث متعلقها على قسمين : العلم بالله ﷻ والعلم بدينه، فهذه مراتب العبودية العلمية وأقسامها ولا شك أن لكل من القسمين أثر ظاهر على العبودية الظاهرة والباطنة، فالعلم به سبحانه يحصل به كمال العبودية القلبية والعلم بدينه يحصل به كمال العبودية الظاهرة كما سبق ذكره[5]، والله أعلم .

---

(١) سورة الزمر الآيتان ١٧، ١٨ .

(٢) سورة الزخرف الآية ٦٨ .

(٣) مدارج السالكين ١/١٠٧ .

(٤) سورة محمد الآية ١١٩ .

(٥) انظر ما سبق في أنواع العلم بالله في الفصل الثاني .

المطلب الثامن : مراتب العلم بالله عز وجل .

- العلم بذاته .
- العلم بصفاته .
- العلم بأسمائه .
- العلم بأفعاله .
- العلم بتنزيهه عما لا يليق به .

يقول الحافظ ابن القيم رحمه الله : " العلم به سبحانه خمس مراتب : العلم بذاته، وصفاته، وأفعاله، وأسمائه، وتنزيهه عما لا يليق به "[1] .

التعليق :

العلم به سبحانه هو أعظم أنواع العلم فضلا وشرفا فهو يتعلق بذاته المقدسة وما هو عليه من الكمال المطلق وما يتقدس عنه جل شأنه من العيوب والنقائص، فهذا من أعظم المطلوب من العبد، والاشتغال به من أفضل القربات وهو من حيث متعلقاته ينقسم إلى خمس مراتب: العلم بذاته المقدسة العلم بصفاته، العلم بأسمائه، العليم بأفعاله، العلم بما لا يليق بذاته المقدسة .

أما القسم الأول وهو العلم بذاته فهو وإن كان هو الأصل لبقية العلوم وسائرها راجعة إليه ومتعلقة به إلا أن الخوض وكثرة التفكر فيه مما نهى عنه الشارع، والمطلوب من العبد التفكر في أسمائه الحسنى وصفاته العليا وآثارها والاعتقاد بأنه موصوف بكل كمال ومنزه عن كل عيب ونقص ولا يمكن لأحد إدراك كنه ذاته .

وأما القسم الثاني فهو العلم بصفاته العليا التي لا تشبه بصفات المخلوقين، وحقيقة معرفة الرب إنما تحصل بمعرفة صفاته وكلما زاد معرفة العبد صفة من صفاته تزداد خشيته له ومحبته له، فالعلم بأي صفة من صفات الرب يقتضي عبوديته بمقتضى هذه الصفة .

---

(١) مدارج السالكين ١٠٧/١ .

وأما القسم الثالث فهو العلم بأسمائه الحسنى التي هي في غاية الحسن، فهذا العلم أيضا يبعث العبد على محبته وخشيته والتعظيم له، ولذا قد رتب الله على من أحصى منها تسعة وتسعين اسما أن يدخله الجنة .

وأما القسم الرابع فهو العلم بأفعاله فهو الحكيم الذي لا تخلو أفعاله كلها من حكمة وعدل، وأفعاله كلها خير وبركة ليس فيها عبث ولا ظلم البتة، فالعلم بها أيضا من أعظم أنواع العبودية العلمية إذ إنه يزيد رجاء العبد والخوف منه .

وأما القسم الخامس فهو العلم بما لا يليق بالرب ﷻ فهذا أيضا من أعظم أنواع العبودية العلمية، لأن التسبيح - الذي هو من أعظم أنواع الذكر - حقيقته هو تتريه الرب عن صفات النقص مع إثبات كمال ضدها، ولعدم معرفة كثير من الناس بما يتتره عنه الرب ﷻ وقعوا في أنواع من البدع من نفي كثير من الصفات التي وصف الله نفسه بها ووصفه رسوله ﷺ بها أو تشبيه صفاته بصفات الخلق الذي هو من أعظم النقص، فلما لم يعرفوا حقيقة التتريه وقعوا في التشبيه ثم التعطيل والتحريف، فالصفات التي يتتره عنها الرب هي صفات النقص إلا أنه لا يجوز لأحد أن يتجاوز الكتاب والسنة لا في الإثبات ولا في النفي، فهذه أنواع العبودية العلمية المتعلقة بالله ﷻ، والله أعلم .

المطلب التاسع : مراتب عبودية العلم بدينه .

- بدينه الشرعي .
- بدينه الجزائي .

يقول الإمام ابن القيم رحمه الله : " والعلم بدينه مرتبتان : أحدهما دينه الأمر الشرعي، وهو الصراط المستقيم الموصل إليه، والثانية دينه الجزائي المتضمن ثوابه وعقابه " [1] .

---

(١) مدارج السالكين ١/١٠٧ .

التعليق :

هذا التقسيم والمراتب هو باعتبار تعلق العلم بأنواع الدين، فالدين كما سبق ينقسم إلى قسمين : دين شرعي ودين جزائي[1] فالعلم بدينه أيضا على نوعين ومرتبتين :

الأول العلم بدينه الشرعي وهو العلم بشريعته التي شرعها الله لعباده وكلفهم بها، وهو علم الكتاب والسنة وفقههما، وأما الثاني فهو العلم بدينه الجزائي فهو العلم بما يترتب على دينه الشرعي من جزاء وعقاب في الدنيا والآخرة، والله أعلم .

المطلب العاشر : أنواع الولاية

- الخاصة .
- العامة .

يقول الشيخ السعدي رحمه الله : " فليس لنا ولي سواه فانه تولى خلقنا ورزقنا وتدبيرنا وتربيتنا العامة و الخاصة : فالولاية العامة، ولاية الخلق و التدبير الشاملة للبر والفاجر قال تعالى : ﴿ مالكم من دونه من ولي ﴾ ، والولاية الخاصة ولايته للمؤمنين المتقين يخرجهم بها من ظلمات الجهل و الكفر والمعاصي إلى نور العلم والإيمان والطاعة "[2] .

التعليق :

هذا التقسيم للولاية هو من حيث تعلقها بالربوبية والألوهية، فالولاية العامة هي ولاية الربوبية والتدبير لجميع خلقه الذي يحبه والذي يبغضه فهو وحده يتولى أمور الخلق كافة لا يخرج عن تدبيره أحد من الخلق، وهذه لا تستلزم المحبة والرضا والإنعام إذ إنها ولاية ربوبيته التي تشمل جميع المخلوقات، وأما الولاية الخاصة فهي ولايته لعباده المؤمنين خاصة

---

(١) انظر المبحث الأول تقسيم الدين .

(٢) الحق الواضح المبين للسعدي ص ٢١٦ .

دون الكافرين فيتولى أمورهم بعناية خاصة ويهديهم إلى طريق الحق والصراط المستقيم، يقول ﷻ : ﴿ الله ولي الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات إلى النور ﴾ [1]، وهذه الولاية هي ولاية المحبة والرضا، قال سبحانه : ﴿ ذلك بأن الله مولى الذين آمنوا وأن الكافرين لا مولى لهم ﴾ [2]، فهذه الولاية خاصة بالمؤمنين دون الكفار الذين تشملهم الولاية العامة التي تتعلق بربوبيته سبحانه، والله أعلم .

المطلب الحادي عشر : أنواع الذكر

- ذكر أسماء الرب وصفاته .
- ذكر أمره ونهيه وأحكامه .

يقول العلامة ابن القيم رحمه الله : " الذكر نوعان : أحدهما ذكر أسماء الرب تبارك وتعالى وصفاته والثناء عليه بهما، وتنزيهه وتقديسه عما لا يليق به تبارك وتعالى ... النوع الثاني من الذكر ذكر أمره ونهيه و أحكامه " [3] .

التعليق :

الذّكر يشمل كلّ ما يكون فيه تعلّق العبد بربّه وتعظيمه له سبحانه وتعالى، ولا شكّ أن هذا يكون باللسان كما يكون بسائر الجوارح، فباللسان أن يحمده ويشكر على نعمه ويثني عليه بذكر أسمائه وصفاته وإحصائها وعدّها، فإنّ الأسماء والصّفات الواردة في الكتاب والسنة كلّها ثناء ومدح وتمجيد وتقديس للرّبّ، وكلّ صفة واسم له معنى غير الذي يدلّ عليه الآخر فهي متباينة المعنى ولذا كلّما زاد من ذكر الاسم والصّفة كان المدح والثّناء أكثر وأحسن، فهذا هو النّوع الأوّل من ذكر الربّ سبحانه وتعالى وهو الحمد والثناء عليه بأسمائه وصفاته .

---

(١) سورة البقرة الآية ٢٥٨ .

(٢) سورة محمد الآية ١١ .

(٣) الوابل الصيب ص ١١٨، ١١٩ وانظر جلاء الأفهام له أيضا ص ٣٤٠ .

وأما النّوع الثّاني فهو ذكره عند أوامره ونواهيه بسائر الجوارح، فإن الله هو الذي يأمر وينهى، فيذكر العبد عظمة الآمر والناهي، وجليل نعمه عليـــه، واســتحقاقه للعبوديــة والطاعة، فضلا عن شدة عقوبته للممتنع عن الطاعة والانقياد فيتبادر إلى الطاعة وامتثــال ما يأمر به واجتناب ما ينهى عنه، وتقديم أوامره على ما تهواه الأنفس وتشتهيه القلـــوب، فهذا أيضا من أعظم الذكر لله سبحانه والتعظيم له، ومن ثم سمى الله الصلاة المشتملة علـى أعمال اللسان وسائر الجوارح ذكرا[1] فقال: ﴿ فاسعوا إلى ذكر الله ﴾[2] لأن العبـــادة وهي كمال المحبة مع غاية الذل وتعظيم المعبود إنما يظهر أثرها بالجوارح، والمحبةُ والتعظيــم لله والذل له هو لب الذكر وغايته[3] ومن هنا صار كل العبادات التي هي فعل الطاعـــات واجتناب المنكرات من أفضل أنواع الذكر، فالذكر ليس منحصرا في الأفكـــار القلبيــة والأوراد اللسانية فقط بل هو شامل لكل طاعة بسائر الجوارح، والله أعلم .

المطلب الثاني عشر: أنواع الذكر من حيث المعنى

- الذكر المضاعف .
- الذكر المفرد .

يقول العلامة ابن القيم رحمه الله : " تفضيل سبحان الله وبحمده عدد خلقه ورضـــا نفسه وزنة عرشه ومداد كلماته على مجرد الذكر بسبحان الله أضعافا مضاعفة، فإن مـــا يقوم بقلب الذاكر حين يقول سبحان الله وبحمده عدد خلقه من معرفته وتنزيهه وتعظيمه من هذا القدر المذكور من العدد أعظم مما يقوم بقلب القائل سبحان الله فقـــط ، وهـــذا يسمى الذكر المضاعف، وهو أعظم ثناء من الذكر المفرد فلهذا كان أفضل منه، وهذا إنمـا يظهر في معرفة هذا الذكر وفهمه، فإن قول المسبح سبحان الله وبحمده عدد خلقه يتضمن

(١) انظر فتح الباري لابن حجر ٢١٣/١١.

(٢) سورة الجمعة الآية رقم (٩)

(٣) وانظر ما ذكره شيخ الإسلام ابن تيمية في الفتاوى ٢٥١/١٠.

إنشاء وإخبارا عما يستحقه الرب من التسبيح عدد كل مخلوق كان أو هو كائن إلى ما لا نهاية له، فتضمن الإخبار عن تنزيهه الرب وتعظيمه والثناء عليه هذا العدد العظيم الذي لا يبلغه العادون، ولا يحصيه المحصون، وتضمن إنشاء العبد لتسبيح هذا شأنه" [1].

التعليق :

لا شك أن الأذكار تتفاضل وتتفاوت في شمولها للمعاني، فهناك أذكار مفردة تضم في طيّها معنى من معاني التعظيم والتقديس، وهناك بعض الأذكار أجمع لمعاني التعظيم والإجلال والتقديس، فهي تنقسم من حيث المعنى إلى قسمين :

الذكر المضاعف، والذكر المفرد .

فالمفرد هو إفراد كلمات التسبيح والتحميد والتمجيد ونحوها، والمضاعف هو ما ألحق به بعض الكلمات والعبارات ما تتضاعف معنى هذا الذكر أضعاف مما لو لم يلحقه به، فالذكر بـ (سبحان الله عدد ما خلق، وسبحان الله ملء ما خلق، وسبحان الله عدد ما في الأرض والسماء، وسبحان الله ملء ما في الأرض والسماء، وسبحان الله عدد ما أحصى كتابه، وسبحان الله عدد كل شيء وسبحان الله ملء كل شيء) أفضل من الذكر بمجرد (سبحان الله) فقط، فهذا هو الذكر المضاعف الذي ضوعف في معناه، وهو أفضل وأكثر ثناء من الذكر المفرد، كما قال النبي ﷺ لأبي أمامة الباهلي ﷺ حين كان يذكر ربه ويحرك شفتيه، فقال له : **﴿ ألا أخبرك بأفضل وأكثر من ذكرك الليل مع النهار والنهار مع الليل ؟، أن تقول : سبحان الله عدد ما خلق وسبحان الله ملء ما خلق ... الحديث ﴾** [2] وقال ﷺ لأم المؤمنين جويرية رضي الله عنها : **﴿ لَقَدْ قُلْتُ بَعْدَكِ أَرْبَعَ كَلِمَاتٍ ثَلاثَ مَرَّاتٍ، لَوْ وُزِنَتْ بِمَا قُلْتِ مُنْذُ الْيَوْمِ لَوَزَنَتْهُنَّ، سُبْحَانَ اللَّهِ**

---

(١) المنار المنيف لابن القيم ص ٣٤-٣٥ .

(٢) الحديث أخرجه أحمد في مسنده ٢٤٩/٥، وابن حبان في صحيحه ١١٢/٣ برقم (٨٣٠)، وابن خزيمة في صحيحه ٣٧٧/١ برقم (٧٥٤)، والحاكم ٥١٣/١ وصححه على شرط الشيخين ووافقه الذهبي، وقال الهيثمي في المجمع ٩٣/١٠ : رواه الطبراني من طريقين وإسناد أحدهما حسن .

وَبِحَمْدِهِ عَدَدَ خَلْقِهِ وَرِضَا نَفْسِهِ وَزِنَةَ عَرْشِهِ وَمِدَادَ كَلِمَاتِهِ ﴾ [1] فالأذكار المضاعفة أفضل وأكثر ثوابا من المفردة، والله أعلم

المطلب الثالث عشر : أنواع ذكر الثناء.

- إنشاء الذكر .
- الإخبار عن أحكام الأسماء والصفات .

يقول العلامة ابن القيم رحمه الله : " ذكر أسماء الرب تبارك وتعالى وصفاته والثناء عليه بهما وتتريهه وتقديسه عما لا يليق به تبارك وتعالى، وهذا أيضا نوعان : أحدهما إنشاء الثناء عليه بها من الذاكر، فأفضل هذا النوع أجمعه للثناء وأعمه نحو سبحان الله عدد خلقه، فهذا أفضل من مجرد سبحان الله ... الثاني الخبر عن الرب تعالى بأحكام أسمائه وصفاته نحو قولك : الله عز وجل يسمع أصوات عباده ويرى حركاقم ولا تخفي عليه خافية من أعمالهم، وهو أرحم بهم من آبائهم وأمهاقم، وأفضل هذا النوع الثناء عليه بما أثنى به على نفسه وبما أثنى به رسول الله ﷺ من غير تحريف ولا تعطيل ومن غير تشبيه ولا تمثيل " [2]

التعليق :

الذِّكر بأسمائه الحسنى والصِّفات العليا والثَّناء بها على الله ﷻ أيضا على نوعين اثنين، وذلك أنَّ نصوص الأسماءِ والصِّفاتِ متضَمِّنة لشيئين اثنين، أحدهما : الثَّناء على الرَّبِّ سبحَانه ومدحُه بها، والثَّاني : إخبار عباده بصفاته العُليا وأسمائِه الحسنى المستلزم توحيده بالمحبَّة والخوف والرَّجاء والتَّعظيم وصرف العبادات كلِّها له وحده، فهي كما أنها إخبار للعباد بصفاته وأسمائه حتىّ يعرفوه حقَّ مَعرفَته ويعبُدوه حَقَّ عبادتِه فهي في الوَقتِ نفسه

---

(1) الحديث أخرجه مسلم في صحيحه كتاب الذكر والدعاء ١٧/٤٤/ برقم (٢٧٢٦) .

(2) الوابل الصيب ص ١١٨، ١١٩ .

ثناءٌ ومدحٌ وتمجيد وتقديس للرَّبِّ، وعلى هذا فالذِّكر من العبد بأسمائه الحسنى وصفاتِه العُليا أيضا على نوعين :

ثناءٌ وحمدٌ للرَّبِّ بعدِّ أسمائه الحسنى وصفاته العليا وإحصائِها وحِفظِها ثُمَّ الخبر عنه وتعليم الجاهل له وتذكِير الغافل عنه، وهذان النوعان يشملهما الحديث القدسي الذي رواه أبو هريرة ﷺ عن النبي ﷺ أنه قال فيما يريه عن ربه : **﴿ من ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي ومن ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ خير منه ﴾** [1] فمن الأوَّلْ جميع ما يناجي به العبد ربَّه بأسمائه وصِفَاتِه وما يُثني به عَليه ويحمده في الصَّباحِ والمساءِ وفي كلِّ المناسبات وغيرها .

وأما الثاني فهو تعريف الرب بما هو موصوف بالصّفات وما هو عليه من الكمال المطلق ،وما هو منتف عنه ويتقدّس شأنه ويتعالى من النّقائص والعيوب وتعليم الجاهل وإخبار آثار ومقتضيات تلك الأسماء والصفات، وتذكير الغافل الذي هو محتف بكثير من آثار صفاته من الرحمة والإحسان والكرم وهو غافل عن تلك الآثار حتى يشكروه ويعبدوه حق عبادته، فهذا كلّه تشمله عبوديّة الذّكر والذي غايته تعظيم الرّب وعبادته بالمحبّة والرّجاء والخوف، ولا شك أنّ أسماء الله وصفاته توقيفية يجب التقيد فيها بما ورد في الكتاب والسنة وعدم تجاوزهما إلا عند الحاجة، كما حصل في القرون الأخيرة عند ما خاض الناس في مسائل الصفات والأحكام، ومن هنا وجب على علماء السنة أن يردوا على من خالف مذهب السلف ويفندوا شبهاهم، وإن لزمهم الأمر إلى إطلاق بعض التعبيرات التي لم ترد بها كتاب ولا سنة وإنما هي زيادة بيان وتوضيح .

فذكر الله ﷻ الذي هو تعظيمه وتمجيده وتحميده يكون بإنشاء الثناء والحمد من الذاكر وذكره في نفسه ويكون أيضا بإخباره لغيره وتعليمه لعامة الناس، والله أعلم .

---

(١) الحديث متفق عليه، أخرجه البخاري في كتاب التوحيد باب قول الله تعالى﴿ويحذركم الله نفسه﴾ ١٣/٣٩٥/ برقم (٧٤٠٥)، ومسلم في كتاب الذكر والدعاء ٢/١٧/ برقم (٢٦٧٥) .

- تعليمه لغيره .
- الامتثال للأمر .

يقول العلامة ابن القيم رحمه الله : " النوع الثاني من الذكر ذكر أمره ونهيه و أحكامه، وهو أيضا نوعان، أحدهما : ذكره بذلك أخبارا عنه أمر يكذا ونهى عنه كذا، وأحب كذا وسخط كذا ورضى كذا، والثاني : ذكره عند أمره فيبادر إليه وعند نهيه فيهرب منه، فذكر أمره ونهيه شئ وذكره عند أمره ونهيه شئ آخر "[1] .

التعليق :

كما سبق أن ذكر الله ﷻ يمكن عند أوامره ونواهيه إذ أنه هو الآمر وهو الناهي، وهذا التقسيم هو من حيث ما يجب على من علم شيئا من أوامر الله ﷻ ونواهيه، فيجب على العالم العمل بما علم أولا ثم تبليغه لعامة المسلمين، فذكر أمره.ونهيه ينقسم إلى هذين القسمين :

ذكره ﷻ عند أوامره ونواهيه فيتبادر إلى الأوامر فيمتثلها وإلى النواهي فيجتنبها تعظيما للآمر ومحبة له وخوفا منه ويطلب رضاه وحده فهذا من أعظم الذكر له ومن أفضل القربات وأحبها إليه سبحانه .

وأما الثاني فهو تبليغ أوامره ونوهيه إلى غيره فيعلم الجاهل ويذكر الغافل، فهذا أيضا من أعظم الذكر له سبحانه، كما فسر به غير واحد من السلف قوله ﷺ : ﴿ **إن الله تبارك وتعالى ملائكة سيارة فضلا يتبعون مجالس الذكر فإذا وجدوا مجلسا فيه ذكر قعدوا معهم وحف بعضهم بعضا بأجنحتهم حتى يملؤا ما بينهم وبين السماء الدنيا** ﴾[2] بأن مجالس الذكر هي مجالس العلم وحلق التدريس، قال عطاء[1] : ((مجالس الذكر

---

(١) الوابل الصيب ص ١١٨، ١١٩ .

(٢) الحديث أخرجه مسلم في صحيحه كتاب الذكر والدعاء ١٤/١٧ برقم (٢٦٨٩) من حديث أبي هريرة ﷺ

بمجالس الحلال والحرام، كيف يشترى ويبيع ويصوم ويصلي ويتصدق وينكح ويطلق ويحج ؟))[2] وقال معاذ بن جبل ﷺ : ((عليكم بالعلم فإن طلبه لله عبادة ومعرفته خشية والبحث عنه جهاد وتعليمه لمن لا يعلمه صدقة ومذاكرته تسبيح به يعرف الله ويعبد به يمجد ويوحد يرفع الله بالعلم أقواما يجعلهم للناس قادة وأئمة يهتدون بهم وينتهون إلى رأيهم))[3] وكون العلم والتعليم من الذكر لأنه يتعلق بدين الله الذي ارتضاه لعباده وأنزله عليهم فهم يذاكرون ويتدارسون ما أمر الله به وما نهاهم عنه فهم بذلك في ذكر الله ﷻ وتسبيحه وتمجيده، فذكر الله ﷻ عند الأوامر والنواهي يكون بهذين النوعين أن يتعبد بالأوامر والنواهي وأن يبلغ ذلك لغيره وينشره في الناس ويدعوهم إلى ذلك فكل ذلك يطلق عليه ذكر الله ﷻ، والله أعلم .

المطلب الثامن عشر : مراتب الذكر

- بالقلب واللسان .
- بالقلب فقط .
- باللسان فقط .

يقول العلامة ابن القيم رحمه الله : " وهي تكون بالقلب واللسان تارة، وذلك أفضل الذكر وبالقلب وحده تارة وهي الدرجة الثانية، وباللسان وحده تارة وهي الدرجة الثالثة، فأفضل الذكر ما تواطأ عليه القلب واللسان، وإنما كان ذكر القلب وحده أفضل من ذكر اللسان وحده لأن ذكر القلب يثمر المعرفة ويهيج المحبة ويثير الحياء ويبعث على المخافة

---

(١) هو عطاء بن أبي مسلم المحدث الواعظ الخراساني، مختلف في اسم أبيه، ولد سنة خمسين من الهجرة، وتوفي سنة ١٣٥هـ .

انظر سير أعلام النبلاء ٦/١٤٠-١٤٣، شذرات الذهب ١/١٩٢-١٩٣ .

(٢) رواه الخطيب في كتابه الفقيه والمتفقه ٣٠، وانظر أيضا شرح العيني لصحيح البخاري ٢٣/٢٨.

(٣) رواه ابن عبد البر في جامع بيان العلم وفضله ١/٢٤٠، .

ويدعو إلى المراقبة ويزع عن التقصير في الطاعات والتهاون في المعاصي والسيئات، وذكر اللسان وحده لا يوجب شيئا منها فثمرته ضعيفة "[1] .

التعليق :

هذا التقسيم هو من حيث حال الذاكر، لأن الذاكر قد يذكر الرب ﷻ في نفسه فقط وقد يذكر بلسانه فقط وقلبه مشغول ولاه عما يذكر بلسانه وقد يذكر بلسانه وقلبه، فهذه ثلاثة مراتب للذكر .

أما الذكر القلبي فهو " الفكر في عظمة الله تعالى وجلاله وجبروته وملكوته وآياته في سماواته وأرضه "[2] فهو يتعلق بالتفكر والتدبر في آيات الله المشهودة والمتلوة وما في هذا الكون من آثار أسمائه وصفاته وأفعاله المثمر محبته وتعظيمه والخوف والرجاء منه، ثم إن ضم مع هذا ذكره باللسان ومدحه والثناء عليه بأسمائه وصفاته جلاله أو ببيان وإخبار ما هو عليه من الكمال ونعوت الجلال فيكون هذا في غاية الكمال وأحسن الأذكار .

يقول ابن القيم رحمه الله : " وأفضل الذكر وأنفعه ما واطأ القلب اللسان، وكان من الأذكار النبوية، وشهد الذاكر معانيه ومقاصده "[3] فذكر اللسان مع حضور القلب أفضل من ذكر القلب وحده إذ إن فيه زيادة عمل[4] وقد يكون الذكر بقراءة القرآن فيحصل بكل حرف عشر حسنات، وأما الذكر باللسان وحده دون استحضار الفكر

---

(١) الوابل الصيب ص ١١٨، ١١٩ .

(٢) شرح النووي على مسلم ١٥/١٧ .

(٣) الفوائد ص ١٩١ .

(٤) انظر شرح النووي لصحيح مسلم ١٦/١٧، وأما حديث : ﴿ أفضل الذكر الذِّكرُ الخفي ﴾ فهو ضعيف كما قال العلامة الألباني في ضعيف الجامع الصغير، وعلى فرض صحته فإن المراد به ما دون الجهر كما قال سبحانه : ﴿ ادعوا ربكم تضرعا وخفية ﴾ سورة الأعراف الآية (٥٥)، وقال سبحانه : ﴿ واذكر ربك في نفسك تضرعا وخيفة ودون الجهر من القول ﴾ سورة الأعراف الآية ٢٠٥، وليس المراد الخفي في القلب دون التلفظ باللسان، وانظر الفتاوى لشيخ الإسلام ٣٣٣٦/١٥، والله أعلم .

وتدبر القلب فهو أدنى مرتبة من النوعين السابقين [1] إذ إن المقصود الأعظم الذي هو تعظيم الله ﷻ وتمجيده وتقديسه وهو لا يحصل بأوراد اللسان مع غيبوبة الفكر وشغل الخاطر بأمور الدنيا فثمرته أقل، ولا يحصل له الأجر إلا على أصل النية وعمل اللسان كما ثبت في الحديث أن النبي ﷺ قال : ﴿ **إن الرجل لينصرف وما كتب له إلا عشر صلاته تسعها ثمنها سبعها سدسها خمسها ربعها ثلثها نصفها** ﴾ [2]، وقد تفاوتت الدرجات والثواب لتفاوتهم في تواطؤ القلب بما يقوله ويورده على اللسان ونقص الثواب لغفلتهم ولشغل قلوبهم بوساوس الشيطان وأمور الدنيا، فأفضل الأنواع هو ما تواطأ عليه القلب مع اللسان ثم ما يكون بالقلب ثم ما يكون باللسان، والله أعلم .

المطلب السادس عشر : أنواع التسبيح

- بلسان المقال .
- بلسان الحال .

يقول الشيخ محمد العثيمين رحمه الله :" قوله تعالى :﴿ يسبح لله ما في السماوات وما في الأرض ﴾ عام يشمل كل شئ، لكن التسبيح نوعان : تسبيح بلسان المقال تسبيح بلسان

---

(١) ولذا ينبغي على من لا يعرف معاني الأذكار المسنونة أن يتعلمها ويفهم معانيها، إذ إن من لا يعرف معاني الأذكار التي يوردها على اللسان وإن كان حاضر القلب لا يحصل المقصود ولا يثمر كما أنه لو كان يعرف معناها، بل هذا تنجم منه بعض الأمور المكروهة والمبتدعة مثل الذكر الجماعي والترنم ثم الميل يمينا وشمالا والرقص ونحوها مما هي نتيجة عدم التفكر في معاني الأذكار بل بالجهل عن حقيقة وغاية الذكر التي هي تعظيم الرب وتمجيده وتقديسه، والله المستعان .

(٢) أخرجه أحمد في مسنده ٢٦٤/٤، ٣١٩، ٣٢١، وأبو داود في السنن كتاب الصلاة باب ما جاء في نقصان الصلاة ٣٥٣/١ برقم (٧٩٦)، والبيهقي في السنن كتاب الصلاة باب جماع أبواب الخشوع في الصلاة ٢٨١/٢ برقم (٣٣٤٢) من حديث عمار بن ياسر ﷺ وحسنه الشيخ الألباني في صحيح الجامع برقم (١٦٢٦) .

الحال، أما التسبيح بلسان الحال فهو عام﴿ وان من شئ إلا يسبح بحمده ﴾ وأما التسبيح بلسان المقال فهو عام كذلك لكن يخرج منه الكافر فان الكافر لم يسبح الله بلسانه "[1].

التعليق :

التسبيح هو تنزيه الله عن جميع العيوب والنقائص فالله سبحانه يسبحه جميع مخلوقاته، وتسبيحهم ينقسم إلى قسمين : تسبيح بلسان المقال وتسبيح بلسان الحال .

أما التسبيح بلسان المقال فهو التلفظ بالتسبيح والتكلم به، فجميع مخلوقاته سبحانه ما عدا الكفار يسبح الله ﷻ وينزهه عن جميع العيوب والنقائص ويصفه بصفات الكمال ونعوت الجلال حتى الحيوانات والجمادات أيضا، قال تعالى :﴿ وَاذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُدَ ذَا الْأَيْدِ إِنَّهُ أَوَّابٌ * إِنَّا سَخَّرْنَا الْجِبَالَ مَعَهُ يُسَبِّحْنَ بِالْعَشِيِّ وَالْإِشْرَاقِ ﴾[2] وفي حديث ابن مسعود ﷺ أنه قال : ﴿ **لقد كنا لنسمع تسبيح الطعام وهو يؤكل** ﴾[3] يقول القرطبي رحمه الله : " وإذا ثبت ذلك في جماد واحد جاز في جميع الجمادات ولا استحالة في شيء من ذلك، فكل شيء يسبح بالعموم "[3]

وأما التسبيح بلسان الحال فهو دلالة هذه الكائنات بما فيها من المخلوقات على وحدانيته وتفرده وعظيم قدرته وحكمته ما ينزهه عن مماثلة شيء من خلقه كما قيل :

وفي كل شيء له آية * تدل على أنه واحد

فكل شيء في نفسه يدل على وحدانية الله وقدرته وتنزيهه عن كل عيب ونقص كما قال ذلك الأعرابي حين سئل عن سبب إيمانه : ((البعر يدل على البعير والأثر يدل على المسير، فبحار ذات أمواج وسماء ذات أبراج وأرض ذات فجاج أفلا يدل على اللطيف

---

(١) شرح الواسطية لابن عثيمين ٣٥٩/١ – ٣٦٠.

(٢) سورة ص الآيتان ١٧ .

(٣) الحديث أخرجه البخاري كتاب المناقب باب علامة النبوة في الإسلام ٦٧٩/٦/(٣٥٧٩) .

(٣) الجامع لأحكام القرآن ١٧٤/١٠

الخبير)) [١] ،وقال غيره : ((سل الأرض من فجر أنهارك وسقى ثمارك وغرس أشجارك فان لم تجبك حوارا أجابتك اعتبارا)) [٢] وقد فُسر تسبيح الجمادات الواردة في النصوص بأنها بلسان الحال، كالتعميم الوارد في قوله تعالى :﴿ تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ وَالأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلاَّ يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لاَ تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ ﴾ [١]وقد فسر الآية بكلي التفسيرين [٢]، والتفسيران لا ينافي أحدهما الآخر [٣] .

المطلب السابع عشر : أنواع الحمد.

- الشكر .
- المدح والثناء .

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله : " إن الحمد على نوعين : حمد هو شكر، وذلك لا يكون إلا على نعمته، حمد هو مدح وثناء عليه ومحبّة له، وهو بما يستحقه لنفسه سبحانه " [٣] .

التعليق :

هذا التقسيم للحمد هو من حيث متعلقه، فهو ينقسم إلى قسمين : حمد لله على نعمه، وحمد له بما يستحقه .

أما القسم الأوّل فهو أن يحمد العبد ربه على نعمه الكثيرة وآلائه الجسيمة، فالله تعالى يحب أن يحمد على نعمه عند التنعم بها كما في الحديث :﴿ إِنَّ اللَّهَ لَيَرْضَى عَنْ الْعَبْدِ أَنْ

---

(١) انظر تفسير ابن كثير ٥٩/١ .

(٢) انظر مجموع الفتاوى لابن تيمية ٢٠٥/١٢

(١) سورة الإسراء الآية ٤٤ .

(٢) أي بأن التسبيح بلسان المقال أو بلسان الحال .

(٣) إلا أن بعض النصوص هي في لسان المقال أظهر لتصريحه بسماع الصوت بالتسبيح أو تخصيصه ببعض الأوقات والزمن أو بعض الأحوال فقط .

(٣) مجموع الفتاوى ٨٤/١٠ .

يَأْكُلَ الأَكْلَةَ فَيَحْمَدَهُ عَلَيْهَا، أَوْ يَشْرَبَ الشَّرْبَةَ فَيَحْمَدَهُ عَلَيْهَا ﴾ [1] فهذا الحمد الذي هو الشكر يتعلق بالنعم، والحمد على النعم يستجلب المزيد منها .

وأما القسم الثاني فهو الحمد له بالثناء عليه ومدحه، ولا يتعلق بنعمة منه إلى العبد بل بما يستحقه لجلال وجهه وعظيم سلطانه، فالله تعالى هو المستحق لكل أنواع الحمد والثناء والمدح، كما في الحديث أن رسول الله ﷺ قال : ﴿ اسْتَوُوا حَتَّى أُثْنِيَ عَلَى رَبِّي، فَصَارُوا خَلْفَهُ صُفُوفًا، فَقَالَ : اللَّهُمَّ لَكَ الْحَمْدُ كُلُّهُ، اللَّهُمَّ لا قَابِضَ لِمَا بَسَطْتَ، وَلا بَاسِطَ لِمَا قَبَضْتَ، وَلا هَادِيَ لِمَا أَضْلَلْتَ، وَلا مُضِلَّ لِمَنْ هَدَيْتَ، وَلا مُعْطِيَ لِمَا مَنَعْتَ، وَلا مَانِعَ لِمَا أَعْطَيْتَ، وَلا مُقَرِّبَ لِمَا بَاعَدْتَ، وَلا مُبَاعِدَ لِمَا قَرَّبْتَ ... الخ ﴾ [2] فهذا النوع يشمل جميع ما يثني العبد على الله بأسمائه الحسنى وصفاته العلى وبما هو أهل له، والله أعلم .

المطلب الثامن عشر : أنواع الرقية .

- بكلام الله ﷻ .
- بأسماء الله وصفاته .
- بما يعرف معناه .

يقول الشيخ سليمان رحمه الله : " وقال السيوطي : قد أجمع العلماء على جواز الرقى عند اجتماع ثلاثة شروط : أن يكون بكلام الله تعالى أو بأسمائه وصفاته، وباللسان العربي

---

(١) الحديث أخرجه مسلم في كتاب الذكر والدعاء ١٧/٥٠/(٢٧٣٤) .

(٢) الحديث أخرجه الإمام أحمد في المسند ٣/٤٢٤، والبخاري في الأدب المفرد ص ٢٤٣، والحاكم في المستدرك ٣/٢٦ وقال : صحيح على شرط الشيخين، والطبراني في الكبير ٥/٤٧، وقال الهيثمي في المجمع ٦/١٢١ : رواه أحمد والبزار ورجال أحمد رجال الصحيح، والحديث صححه العلامة الألباني في صحيح الأدب المفرد برقم (٦٩٩) .

وبما يعرف معناه، وأن يعتقد أن الرقية لا تؤثر بذاتها بل بتقدير الله ﷻ، فتلخص أن الرقية ثلاثة أقسام ""[1] .

التعليق :

هذا التقسيم هو باعتبار ما يرقى به، فهو على ثلاثة أنواع :

أما القسم الأول فهو الرقية بكلام الله الذي أنزله شفاء للناس، كما قال سبحانه :﴿وننزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين﴾ [2] وقال ﷺ في سورة الفاتحة : ﴿ وَمَا يُدْرِيكَ أَنَّهَا رُقْيَةٌ ﴾ [3]، فهذا النوع من أفضل الرقى، لأن القرآن هو أفضل الأذكار والأدعية،

وأما القسم الثاني فهو الرقية بأسماء الله الحسنى وصفاته، فهذا أيضا من أفضل الرقى إذ إنه توسل بأسمائه الحسنى وصفاته العلى الذي لا يكاد يرد معه الدعاء، وقال سبحانه : ﴿ ولله الأسماء الحسنى فادعوه بها ﴾، وفي رقية النبي ﷺ : ﴿ اللَّهُمَّ رَبَّ النَّاسِ مُذْهِبَ البأس اشْفِ أَنْتَ الشَّافِي، لا شَافِيَ إِلا أَنْتَ، شِفَاءً لا يُغَادِرُ سَقَمًا ﴾ [4]

وأما القسم الثالث فهو الرقية باللسان العربي وبما يعرف معناه، ولا شك أن هذا حماية لجناب التوحيد وسدا للذريعة إلى الشرك والكفر، لأن الكلمات والأسماء التي لا يعرف معناها قد يكون فيها شرك وكفر وعبادة للشياطين، فالرقية إن لم تكن من كلام الله ﷻ وبأسمائه وصفاته فيشترط حينئذ أن تكون بما يعرف معناه على ألا يكون فيه ما لا يجوز شرعا من التوسل البدعي أو الأدعية الشركية وغيرها [5] ، والله أعلم .

---

(١) تيسير العزيز الحميد ص ١٦٧ .

(٢) سورة الإسراء الآية ٨٢، وانظر تيسير الكريم الرحمن ص ٤١٦ .

(٣) الحديث متفق عليه من حديث أبي سعيد الخدري ﷺ، أخرجه البخاري كتاب الإجارة باب ما يعطى في الرقية ... ٥٢٩/٤/برقم (٢٢٧٦)، ومسلم في كتاب السلام ١٨٧/١٤/(٢٢٠١) .

(٤) الحديث متفق عليه، أخرجه البخاري في الطب باب رقية النبي ﷺ ٢١٦/١٠/(٥٧٤٢) من حديث أنس ﷺ، وأخرجه مسلم في كتاب السلام ١٨٠/١٤/ (٢١٩١) .

(٥) انظر مجموع الفتاوى ٢٧٨/٢٤ .

المطلب التاسع عشر : الصبر وأنواعه .

وفيه ستة فروع :

الفرع الأول : الصبر وأهميته .

الفرع الثاني : أنواع الصبر عموما .

الفرع الثالث : أنواع الصبر المحمود من جهة تعلقه بالله .

الفرع الرابع : أنواع الصبر المحمود من جهة تعلقه بالأعمال .

الفرع الخامس : أنواع الصبر باعتبار محله .

الفرع السادس : أنواع الصبر باعتبار تعلق الأحكام الخمسة به .

الفرع الأول : الصبر وأهميته .

الصبر في اللغة هو الحبس والكف والإمساك، ومنه القول : قتل فلان صبراً إذا حبس وقتل، وقال ﷻ : ﴿ واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه ﴾ [1] أي احبس نفسك معهم، [2]

والصبر من أجل مقامات العبد في الدين، بل الدين نصفان : نصف صبر ونصف شكر، قال سبحانه :﴿ إن في ذلك لآيات لكل صبار شكور ﴾ [3] وهو من الإيمان بمنزلة الرأس من الجسد، فلا إيمان لمن لا صبر له، ولذا ذكر الله الصبر في القرآن الكريم في نحو تسعين موضعا، فأحيانا يأمر به أو ينهى عن ضده أو يثني على أهله ويبشرهم، قال

---

(١) سورة الكهف الآية ٢٨ .

(٢) انظر لسان العرب ٢٧٥/٧، ومعجم مقاييس اللغة ٢٢٩/٣، والمفردات للأصفهاني ص ٤٧٤ .

(٣) سورة سبأ الآية ١٩ .

سبحانه : ﴿ ولنجزين الذين صبروا أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون ﴾.[(1)] وقال سبحانه : ﴿ ولنبلونكم بشيء من الخوف والجوع ونقص من الأموال والأنفس والثمرات وبشر الصابرين﴾ [(2)]، ووصف خاصة أوليائه وأحبابه بالصبر، كما قال سبحانه عن نبيه أيوب عليه السلام : ﴿إنا وجدناه صابرا نعم العبد إنه أواب ﴾، وأمر خليله ﷺ بالصبر لحكمه، فقال ﷻ : ﴿ واصبر لحكم ربك فإنك بأعيننا وسبح بحمد ربك حين تقوم ﴾ [(3)]، فهو من أرفع مقامات العبودية وأعرف المنازل في طريق التوحيد لا كما يقوله الصوفية بأنه أنكر المنازل في طريق التوحيد [(4)]" والله أعلم .

الفرع الثاني : أنواع الصبر عموما .

- صبر محمود .
- صبر مذموم .

يقول العلامة ابن القيم رحمه الله : " الصبر ينقسم إلى قسمين : قسم مذموم وقسم ممدوح، فالمذموم الصبر عن الله وإرادته ومحبته وسير القلب إليه، فإن هذا الصبر يتضمن تعطيل كمال العبد بالكلية وتفويت ما خلق له، وهذا كما أنه أقبح الصبر فهو أعظمه وأبلغه، فإنه لا صبر أبلغ من صبر من يصبر عن محبوبه الذي لا حياة له " [(5)].

التعليق :

الصبر كما سبق هو حبس النفس ومنعها، إلا أنه من حيث المدح والذم ينقسم إلى قسمين : قسم ممدوح وقسم مذموم .

---

(1) سورة النحل الآية ٩٦ .

(2) سورة البقرة الآية ١٥٥ .

(3) سورة الطور الآية ٤٨ .

(4) انظر ما سبق : مدارج السالكين ٢/١٥٢-١٦٢، وطريق الهجرتين ص ٣٩٨-٤٠٠ .

(5) عدة الصابرين ص ٣٣ .

فالصبر الممدوح هو حبس النفس على ما ينفعها في الدنيا والآخرة، وكذا عما يضرها فيهما، وهذا يدخل فيه جميع أنواع الصبر الذي أمر الله بها وأثنى على أهلها ووعدهم النصر والثواب في مقابل ذلك، فيشمل الصبر على أحكام الله الدينية والكونية جميعا،

وأما الصبر المذموم فهو الصبر على ما يضره في الدنيا والآخرة وكذا عما ينفعه، وهو الصبر على معاصي الله عن طاعته، وعلى الإعراض عنه عن محبته والشوق إليه كما قال سبحانه : ﴿ وانطلق الملأ منهم أن امشوا واصبروا على آلهتكم إن هذا لشيء يراد ﴾ [1]، فهذا الصبر هو صبر الكفار والمشركين المخالفين للرسل وأتباعهم وهو صبر المحجوبين عن الله وعن رحمته وإحسانه، فهذا صبر مذموم ومقبوح شرعاً وعقلاً .

يقول العلامة ابن القيم رحمه الله :"الصبر بجميع أقسامه أصل مقامات الإيمان وهو أصل لكمال العبد الذي لا كمال له بدونه، ولا يذم منه إلا قسم واحد وهو الصبر عن الله فإنه صبر المعرضين المحجوبين فالصبر عن المحبوب أقبح شيء وأسوؤه "[2]، فالصبر عن طاعته هو الصبر المذموم وأما غيره من أنواع الصبر فهو محمود، والله أعلم .

الفرع الثالث : أنواع الصبر المحمود من جهة تعلقه بالله

- صبر بالله .
- صبر لله .
- صبر مع الله .

يقول العلامة ابن القيم رحمه الله : " الصبر : وهو على ثلاثة أنواع : صبر بالله، صبر لله، صبر مع الله، فالأول أول الاستعانة به ورؤيته أنه هو المصبر، وأن صبر العبد بربه لا بنفسه، الثاني الصبر لله وهو أن يكون الباعث له على الصبر محبة الله وإرادة وجهه والتقرب إليه، لا لإظهار قوة النفس والاستحماد إلى الخلق وغير ذلك، الثالث الصبر مع

(١) سورة ص الآية ٦ .

(٢) طريق الهجرتين ص٤٠٧ .

الله وهو دوران العبد مع مراد الله الديني منه ومع أحكامه الدينية صابرا نفسه معها سائرا بسيرها مقيما بإقامتها"[1] .

وقال أيضا : "الصبر المحمود فنوعان : صبر لله وصبر بالله، قال الله تعالى : ﴿ واصبر وما صبرك إلا بالله ﴾ [2] وقال :﴿ واصبر لحكم ربك فإنك بأعيننا ﴾...وزاد بعضهم قسما ثالثا وهو الصبر مع الله واعلم أن حقيقة الصبر مع الله هو ثبات القلب بالاستقامة معه"[3] .

التعليق :

الصبر المحمود هو الذي يحمد عقباه ويثاب عليه وهو من حيث تعلقه بالربوبية والألوهية ينقسم إلى ثلاثة أقسام : صبر بالله، صبر لله، صبر مع الله .

أما الصبر بالله فهو المتعلق بربوبيته ومشيئته، فالصبر لا يكون إلا بمشيئة الله وتوفيقه وهو الذي يصبّر العبد ويعينه عليه، يقول ابن كثير:"وقوله تعالى: ﴿واصبر وما صبرك إلا بالله ﴾ تأكيد للأمر بالصبر وإخبار بأن ذلك لا ينال إلا بمشيئة الله وإعانته وحوله وقوته"[4].

وأما الصبر لله فهو يتعلق بالألوهية وهو إخلاص النية لله ﷻ وأن يطلب به مرضاة الله وثوابه وأن لا يكون صبره لغرض دنيوي زائل، وهذا الصبر هو الذي يثاب عليه ويأمر الله به ولا يلزم أن يحصل ذلك .

وأما الصبر مع الله فهو " ثبات القلب بالاستقامة معه وهو أن لا يروغ عنه روغان الثعالب ها هنا وها هنا، فحقيقة هذا هو الاستقامة إليه، وعكوف القلب عليه"[5] فيبقى معه في تفكيره وحركاته وأمله وعمله كله، ويحبس نفسه معه ،ويجعل نفسه وقفا لأوامره

---

(١) مدارج السالكين ٢/١٥٦، ١٥٧.

(٢) سورة النحل الآية ١٢٧ .

(٣) عدة الصابرين ض ٣٤ — ٣٧ باختصار .

(٤) تفسير ابن كثير ٢/٥٩٣ .

(٥) عدة الصابرين ض ٣٤ — ٣٧ باختصار .

ومحابه، فيلتذ بالطاعة ويتجرع المرارة من غير تعبس، فهذا هو حقيقة الصبر مع الله ﷻ ولذا جعله البعض أرفع أنواع الصبر وأعلاه [1]، فهذه أنواع الصبر باعتبار تعلقه بالربوبية والألوهية فالأول يتعلق بالربوبية وأما الثاني والثالث فيتعلقان بالألوهية فالثاني يتعلق بالإخلاص والتوحيد والثالث فهو يتعلق بالثبات والاستقامة، والله أعلم .

الفرع الرابع : أنواع الصبر المحمود من جهة تعلقه بالأعمال .

- على المصائب .
- على الطاعات .
- عن المعاصي .

يقول الإمام ابن القيم رحمه الله : " الصبر حبس النفس عن الجزع والتسخط، وحبس اللسان عن الشكوى، وحبس الجوارح عن التشويش، وهو ثلاثة أنواع : صبر على طاعة الله، صبر عن معصية الله، صبر على امتحان الله، فالأولان صبر على ما يتعلق بالكسب، والثالث صبر على ما لا كسب للعبد فيه، وسمعت شيخ الإسلام يقول : الصبر على أداء الطاعات أكمل من الصبر على اجتناب المحرمات وأفضل..." [2]

التعليق :

أصل الصبر هو الحبس فمن حبس شيئا فقد صبره، وهو من حيث متعلقه بالعمل ينقسم إلى ثلاثة أقسام : صبر على طاعة الله وصبر عن معصية الله وصبر على أقدار الله .

فالقسم الأول وهو الصبر على طاعة الله، لأن أداء الطاعة يحتاج إلى صبر النفس عليها حتى يؤديها كما جاء في القرآن : ﴿ وأمر أهلك بالصلاة واصطبر عليها ﴾ [3] لأنه كما ثبت في

---

(1) انظر مدارج السالكين ١/١٥٧ .

(2) مدارج السالكين ٢/١٥٦، وانظر التبيان في أقسام القرآن لابن القيم ص ٥٥، وطريق الهجرتين له أيضا ص ٤٠٠، وعدة الصابرين له ص ١٩، ومجموع الفتاوى لشيخ الإسلام ابن تيمية ١٠/٣٩، ١٧/٢٤، ٢٨/١٥٣، وجامع العلوم والحكم لابن رجب ٢/٢٥ .

(3) سورة طه الآية ١٣٢ .

الحديث﴿ **حفت الجنة بالمكاره** ﴾[1] التي تكرهها النفس في أول الوهلة مع ما اقترن بها من كيد العدو اللدود الذي لا يألو جهدا في إثنائه عن طاعة الله ﷻ ومنعه عن العبادة .

يقول النووي[2] رحمه الله : ''فأما المكاره فيدخل فيها الاجتهاد في العبادات والمواظبة عليها والصبر على مشاقها وكظم الغيظ والعفو والحلم والصدقة والإحسان إلى المسيء ''[3] .

ويقول العلامة المناوي[4] رحمه الله : ''وأطلق عليها مكاره لمشقتها وصعوبتها على العامل '' وقال : ''بالمكاره أي أحاطت بنواحيها جمع مكرهة وهي ما يكرهه المرء ويشق عليه من القيام بحقوق العبادة على وجهها كإسباغ الطهر في الشتاء '' [5]

وأما النوع الثاني فهو الصبر عن المعاصي، وهذا أيضا عمل شاق على العبد كما قال سهل بن عبد الله التستري[6] رحمه الله : ((أفعال البر يفعلها البر والفاجر وأما الصبر عن الآثام فلا يستطيع عليه إلا الصديق))[7]'' لأن العصيان قد اجتمع عليه داعي النفس والهوى والشيطان وأسباب الدنيا وقرناء الرجل وطلب التشبه والمحاكاة وميل الطبع، وكل

---

(١) الحديث أخرجه مسلم في صحيحه كتاب الجنة وصفة جنة نعيمها وأهلها ١٧/١٦٥/ برقم (٢٨٢٢) من حديث أنس ﷺ وبنحوه أخرج البخاري في صحيحه كتاب الرقاق باب حجبت النار بالشهوات ١١/٣٢٧/ برقم (٦٤٨٧) من حديث أبي هريرة ﷺ .

(٢) هو الحافظ يحيى بن شرف بن مري بن حسن بن حسين النووي الشافعي الدمشقي، ولد سنة ٦٣١هـ، من مصنفاته المنهاج شرح مسلم بن الحجاج، والمجموع شرح المهذب، روضة الطالبين، وتوفي سنة ٦٧٦ هـ .
انظر : طبقات الشافعية الكبرى للسبكي ٨/٣٩٥-٤٠٠، وشذرات الذهب ٥/٣٥٤-٣٥٦ .

(٣) شرح النووي على مسلم ١٧/١٦٥ .

(٤) هو العلامة عبد الرؤوف تاج العارفين بن علي بن زين العابدين المناوي القاهري الشافعي، ولد سنة ٩٥٢هـ، له الكواكب الدرية في تراجم السادة الصوفية والاتحافات السنية بالأحاديث القدسية، وتوفي سنة ١٠٣١هـ . انظر معجم المولفين لعمر رضا كحالة ٥/٢٢٠-٢٢١ .

(٥) فيض القدير شرح الجامع الصغير ٣/١٧٢، ٣٨٨ .

(٦) هو شيخ العارفين أبو محمد سهل بن عبد الله التستري الصوفي الزاهد، صحب محمد بن سوار وذا النون المصري، توفي رحمه الله سنة ٢٨٣هـ .
انظر السير للذهبي ١٣/٣٣٠-٣٣٣، وشذرات الذهب ٢/١٨٢-١٨٤ .

(٧) انظر مجموع الفتاوى ٢٠/١٣١، وطريق الهجرتين ص ٤١٤ .

واحد من هذه الدواعي يجذب العبد إلى المعصية ويطلب أثـــره، فكيـــف إذا اجتمعـــت وتظاهرت على القلب ؟ فأي صبر أقوى من صبر عن إجابتها، ولولا أن الله يصـــبره لمـــا تأتى منه الصبر " [1].

وأما الثالث فهو الصبر على أقدار الله ﷻ، لأن أقدار الله ﷻ ليس فيها كسب للعبـــد ولا يقدر على ردها ولا الخروج منها فما أصابه لم يكن ليخطئه، فيجب على العبد حينئذ الصبر عليها وعدم التسخط والجزع والهلع، قـــال تعـــالى : ﴿ وبشر الصابرين * الذين إذا أصابتهم مصيبة قالوا إنا لله وإنا إليه راجعون * أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة وأولئك هـم المهتدون ﴾ [2] فالصبر على أقدار الله سبب رحمة الله له، وأما الجزع والهلع فلا يزيـــده إلا بلاء ومقتا .

فهذه هي أقسام الصبر من حيث متعلقه، ولا شك أن الصبر على المشروع بقسميه هو أفضل من الصبر على المقدور إذ أن الأول يتأتى من إرادة واختيار من العبد ومحاربة النفس والهوى مع قدرته على مخالفته، وهو أيضا صبر أتباع الرسل دون الكفار والمشركين، وأمـا الثاني فلا يمكن للعبد أن يخالف ولا ينازع القدر فهو مقهور ومجبور أمام القدر[3] وهـــو مشترك بين المؤمن والكافر والبر والفاجر فهو بمجرده لا يثاب عليه حتى يقترن به إيمـــان واختيار[4] وقد اختلف العلماء في الصبر على الطاعة أو الصبر عن المعصية أيهما أفضـل ؟ على قولين .

يقول الحافظ ابن القيم رحمه الله : " وفصل النزاع في ذلك أن هذا يختلف بـــاختلاف الطاعة والمعصية، فالصبر على الطاعة المعظمة الكبيرة أفضل من الصبر عن المعصية الصغيرة الدنية، والصبر عن المعصية الكبيرة أفضل من الصبر على الطاعة الصغيرة، وصبر العبد على

---

(١) طريق الهجرتين ص ٤١٤ .

(٢) سورة البقرة الآيات ١٥٥-١٥٧ .

(٣) انظر مدارج السالكين لابن القيم ٢/١٥٦، ١٦٩، وعدة الصابرين له ص ٢٦، وجامع العلـوم والحكـم لابن رجب ٢١٩/١.

(٤) انظر التبيان في أقسام القرآن لابن القيم ص ٥٥ .

الجهاد مثلا أفضل وأعظم من صبره عن كثير من الصغائر، وصبره عن كبائر الإثم والفواحش أعظم من صبره على صلاة الصبح وصوم يوم تطوعا ونحوه، فهذا فصل النزاع في المسألة والله أعلم "[1].

الفرع الخامس : أنواع الصبر باعتبار محله .

- البدني الاختياري .
- البدني الاضطراري .
- النفساني الاختياري .
- النفساني الاضطراري .

يقول الحافظ ابن القيم رحمه الله : " الصبر ضربان : ضرب بدني وضرب نفساني، وكل منهما نوعان : اختياري واضطراري، فهذه أربعة أقسام : الأول البدني الاختياري كتعاطي الأعمال الشاقة على البدن اختيارا وإرادة ، الثاني البدني الاضطراري كالصبر على ألم الضرب والمرض والجراحات والبرد والحر وغير ذلك، الثالث النفساني الاختياري كصبر النفس عن فعل ما لا يحسن فعله شرعا ولا عقلا، الرابع النفساني الاضطراري كصبر النفس عن محبوبها قهرا إذا حيل بينها وبينه "[2] .

التعليق :

هذا التقسيم للصبر هو باعتبار محله، فهو بهذا الاعتبار ينقسم إلى قسمين : بدني ونفساني، فالبدني هو ما يتعلق بالجوارح، وهو حبس الجوارح علي ما يشق عليها من الأمور، وأما النفساني فهو المتعلق بالقلب الذي هو ملك الأعضاء وموجهها، وكل من هذين النوعين من حيث اختيار العبد وعدم اختياره ينقسم إلى قسمين : اختياري واضطراري، فالاختياري هو ما في وسع العبد أن يفعله أو يتركه، فالأمور التي هو يصبر

---

(١) طريق الهجرتين ٤١٥ .

(٢) عدة الصابرين ص ١٣، ١٤.

عليها إنما يتعاطاها باختياره وقصده، وأما الاضطراري فهو الأمور القدرية التي جرت عليه من غير اختيار منه ولا إرادة .

فالبدني الاختياري هو سائر العبادات الظاهرة التي يباشرها البدن، فهي كلها تكون باختيار العبد وإرادة ونية منه .

وأما البدني الاضطراري فهو صبر البدن على الأمور التي لا كسب له فيها وإنما هي أمور جرت عليه بقدر الله وقضائه ولا مفر له منها إلا بالتسليم والصبر كتحمل آلام الأمراض والأذى التي تصيبه في بدنه .

وأما النفساني الاختياري فهو حبس النفس عما تشتهيه مما يستقبح شرعا وعقلا أو يخرم مروءته عرفا فيصون نفسه عن كل ما يدنس دينه ويتنزه عن كل ما يخرم مروءته وإن كان من مقتضيات الطبع ومشتهيات الهوى .

وأما النفساني الاضطراري فهو الصبر عما ليس له إليه سبيلا مع شدة الشوق إليه والحرص على لقائه إلا أنه منعه عنه مانع القدر فلم يقدر عليه فيصبر عليه قهرا واضطرارا لا إرادة منه واختيارا .

فهذه أقسام الصبر باعتبار محله ومن حيث اختيار العبد وعدم اختياره، ولا شك أن ما كان من اختيار العبد ونية منه هو أفضل وأكمل مما اضطر إليه من غير قصد منه ولا إرادة فهذا يشترك فيه الناس كلهم[1] وإن كان الصبر على الأقدار التي تجري على العبد من غير كسب له أجر عظيم كما سبق بيانه، والله أعلم .

---

(١) انظر عدة الصابرين لابن القيم ص ٢٤.

الفرع السادس : أنواع الصبر باعتبار تعلق الأحكام الخمسة به

- الصبر الواجب .
- الصبر المندوب .
- الصبر المباح .
- الصبر المكروه .
- الصبر المحظور .

يقول ابن القيم رحمه الله : " انقسامه باعتبار تعلق الأحكام الخمسة به، وهو ينقسم بهذا الاعتبار إلى : واجب، ومندوب، ومحظور، ومكروه، ومباح، فالصبر الواجب ثلاثة أنواع : أحدها الصبر عن المحرمات، والثاني الصبر على أداء الواجبات، والثالث الصبر على المصائب التي لا صنع للعبد فيها، وأما الصبر المندوب فهو الصبر عن المكروهات، والصبر على المستحبات، والصبر على مقابلة الجاني بمثل فعله، وأما المحظور فأنواع : أحدها الصبر عن الطعام والشراب حتى يموت...وأما الصبر المكروه فله أمثلة : أحدها أن يصبر عن الطعام والشراب حتى يتضرر بذلك بدنه، صبره على المكروه، صبره عن فعل المستحب، وأما الصبر المباح فهو الصبر عن كل فعل مستوى الطرفين خير بين فعله وتركه والصبر عليه، وبالجملة فالصبر على الواجب واجب وعن الواجب حرام، والصبر عن الحرام واجب وعليه حرام، والصبر على المستحب مستحب وعنه مكروه، والصبر عن المكروه مستحب وعليه مكروه والصبر عن المباح مباح والله أعلم " [1] .

التعليق :

الصبر كما سبق أن منه ما هو مذموم كالصبر على المحرمات والمنهيات ومنه ما يمدح صاحبه بل بعضا منه يؤمر به إما أمر إيجاب أو أمر استحباب، فهو من حيث تعلق الأحكام الخمسة به ينقسم إلى خمسة أقسام :

---

(١) عدة الصابرين ص ٢٢، ٢٣ .

القسم الأول الصبر الواجب، وهو الصبر على الشرائع الواجبة من أداء الواجب واجتناب المحرم، فهذا شامل لأنواع الصبر الثلاثة من جهة تعلقه بالأعمال : الصبر على الطاعات الواجبات والصبر عن المحرمات والصبر على المصائب .

القسم الثاني الصبر المستحب، وهو الصبر على الطاعات المستحبة وعن المنهيات نهي تنزيه كالصبر على النوافل من الصلاة والصيام والحج والأذكار غير الواجبة ونحوها من الأمور المستحبة الفاضلة، وكذا الصبر عن أخذ الثأر من الجاني بمثله قال تعالى :﴿ وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُم بِهِ وَلَئِن صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِّلصَّابِرِينَ ﴾ [1]، وكذا الصبر عن القتال في الفتن، كما قال النبي ﷺ :﴿ **إِنْ اسْتَطَعْتَ أَنْ تَكُونَ عَبْدَ اللَّهِ الْمَقْتُولَ لا الْقَاتِلَ فَافْعَلْ**﴾ [2]

القسم الثالث الصبر المباح، وهو الصبر على الأمور المباحة التي لا تعلق لها بدينه ولا ضرر عليه فيها، وكذا الصبر عن الأشياء المباحة التي ليس بحاجة إليها، القسم الرابع الصبر المكروه، وهو ما يكره الصبر عليه أو عنه كالصبر عن الأمور المستحبة الفاضلة، والصبر على الأشياء المكروهة التي ينهى عنها نهي تنزيه .

القسم الخامس الصبر المحرم، وهو عكس الصبر الواجب، فهو الصبر على الأشياء المحرمة شرعا إما لضررها لدينه أو تضره في دنياه فالصبر عليها محرم، وكذا الصبر عن الأمور الواجبة المفروضة كالصبر عن دفاع نفسه عمن يقصد قتله وإهلاكه إلا أن يكون في حال الفتن بين المسلمين .

---

(١) سورة النحل الآية ١٢٧ .

(٢) الحديث أخرجه الإمام أحمد في المسند ٢٩٢/٥، والحاكم في المستدرك ٥٦٢/٤ من حديث خالد بن عرفطة ﷺ، وفي الإسناد علي بن زيد وهو ضعيف، لكن له شاهد من حديث خباب بن الأرت ﷺ أخرجه أحمد ١١٠/٥ وابن أبي شيبة في المصنف ٥٥٥/٧ (٣٧٨٩٦) وفيه رجل مبهم وبقية رجال إسناده ثقات، وللحديث شواهد أخرى بألفاظ مختلفة وقد ذكر بعضها ابن القيم في عدة الصابرين ص ٢٤ .

المطلب العشرون : أنواع المغفرة التامة

- المغفرة لمن تاب .
- مغفرة التأخير والتخفيف .

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله : " المغفرة العامة لجميع الذنوب نوعان : أحدهما : المغفرة لمن تاب، كما في قوله تعالى : ﴿ قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله ﴾ إلى قوله :﴿ ثم لا تنصرون ﴾ ، فهذا السياق مع سبب نزول الآية يبين أن المعنى لا ييأس مذنب من مغفرة الله ولو كانت ذنوبه ما كانت فان الله سبحانه لا يتعاظمه ذنب أن يغفره لعبده التائب، وقد دخل في هذا العموم الشرك وغيره فان الله تعالى يغفر ذلك لمن تاب منه...النوع الثاني : من المغفرة التي دل عليها قوله : ﴿ يا عبادي إنكم تخطئون بالليل والنهار وأنا أغفر الذنوب جميعا﴾ [1] المغفرة بمعنى تخفيف العذاب أو بمعنى تأخيره إلى أجل مسمى وهذا عام مطلقا" [2]

التعليق :

إن من أسماء الله الحسنى "الغفار، والغفور" ولا بد لهذين الاسمين الكريمين من آثار، وإلى هذا أشار النبي ﷺ بقوله : ﴿ **والذي نفسي بيده لو لم تذنبوا لذهب الله بكم ولجاء بقوم يذنبون فيستغفرون الله فيغفر لهم** ﴾ [3] فالله تعالى عفو يحب العفو والمغفرة، يغفر الذنوب جميعا كما قال سبحانه : ﴿ قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله إن الله يغفر الذنوب جميعا ﴾ [4] فهو سبحانه برحمته يغفر جميع الذنوب إلا أن مغفرته العامة الشاملة لجميع الذنوب على نوعين : مغفرة تامة ومغفرة مقيدة .

---

(١) الحديث سبق تخريجه .

(٢) الفتاوى لابن تيمية ١٨/١٨٥ . ١٩٢.

(٣) الحديث أخرجه مسلم في صحيحه كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار ١٧/٦٤،٦٥برقم (٢٧٤٩) من حديث أبي هريرة ﷺ.

(٤) سورة الزمر الآية ٥٣ .

فالمغفرة التامة فهي للتائب من الذنب فالله يغفر له الذنوب فلا يؤاخـذه عليها ولا يعاقب بل قد يبدل الله سيئاته حسنات كما قال ﷻ : ﴿ إلا من تاب وعمل عملا صالحا فأولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات ﴾ [1] فالله يغفر للتائب ويعفو عنه السيئات فلا يبقى له مع التوبة ذنب حتى وإن كان من أكبر الكبائر فالتائب من الذنب كمن لا ذنب له قال تعالى : ﴿ وإني لغفار لمن تاب وآمن وعمل صالحا ثم اهتدى ﴾ [2]،

وأما المغفرة المقيدة فهي عدم المؤاخذة بالفور كما قال سبحانه : ﴿ وربك الغفور ذو الرحمة لو يؤاخذهم بما كسبوا لعجل لهم العذاب﴾ [3] فبرحمته ومغفرته يؤخر عنهم العذاب، وقال سبحانه :﴿ ولو يؤاخذ الله الناس بما كسبوا ما ترك على ظهرها من دابة ﴾ [4]، وقال سبحانه : ﴿ وإن ربك لذو مغفرة للناس على ظلمهم وإن ربك لشديد العقاب ﴾ [5] فهذه المغفرة وهذا العفو إنما هو تأخير العذاب إلى أجل مسمى لأن العموم هنا يشمل جميع المكلفين المسلمين والكافرين والمشركين، فأما المشركين فعفوهم ومغفرتهم إنما هو في الدنيا ليضاعف لهم العذاب في الآخرة[6] وقد يكون المغفرة بتخفيف العذاب عما يستحقه كما خفف عن أبي طالب بشفاعة النبي ﷺ فيه كما في الحديث : **﴿ هو في ضحضاح من نار، لولا أنا لكان في الدرك الأسفل من النار ﴾** [7]، فالمغفرة التامة فهي المغفرة في الدنيا والآخرة وهي خاصة بالتائب وأما المغفرة العامة المقيدة فهي في الدنيا وأما في الآخرة

---

(١) سورة الفرقان الآية ٧٠ .

(٢) سورة طه الآية ٨٢ .

(٣) سورة الكهف الآية ٥٨ .

(٤) سورة النحل الآية ٦١ .

(٥) سورة الرعد الآية ٦ .

(٦) انظر فتح القدير للشوكاني ٣/٩٧ .

(٧) الحديث متفق عليه من حديث عباس بن عبد المطلب ﷺ، أخرجه البخاري كتاب المناقب باب قصة أبي طالب ٧/٢٣٢/ برقم (٣٨٨٣)، وكتاب الأدب باب كنية المشرك ١٠/٦٠٨/ برقم (٦٢٠٨)، وأخرجه مسلم كتاب الإيمان ٣/٧٤/ برقم (٢٠٩) .

خاصة بالتائب وأما المغفرة العامة المقيدة فهي في الدنيا وأما في الآخرة فالمسلم تحت المشيئة وأما الكافر والمشرك فلا رحمة ولا مغفرة له، والله أعلم .

المطلب الحادي والعشرون : أنواع الدعاء .

- دعاء العبادة .
- دعاء المسألة .

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله : " لفظ الدعاء والدعوة في القرآن يتناول معنيين : دعاء العبادة، دعاء المسألة، قال تعالى : ﴿ فلا تدع مع الله إلها آخر فتكون من المعذبين ﴾، ﴿ ومن يدع مع الله إلها آخر لا برهان له به فإنما حسابه عند ربه إنه لا يفلح الكافرون ﴾ ... وقد فسر قوله تعالى : ﴿ أدعوني أستجب لكم ﴾ بالوجهين، قيل : اعبدوني وامتثلوا أمري استجب لكم، وقيل سلوني أعطكم " [١]

التعليق :

الدعاء هو الطلب والسؤال، ودعاء الله ﷻ هو السؤال منه لما ينفعه إما في الدنيا أو في الآخرة من الثواب والجزاء الحسن، ومن هنا قد أطلق الدعاء على العبادة أيضا لأن العابد بعبادته يطلب رضا المعبود ويطلب منه ثوابه وجزاه، فالدعاء كما يطلق على سؤال شيء بعينه، فهو شامل أيضا لكل عبادة يريد بها العابد رضى الله وثوابه، وعلى هذا فالدعاء على نوعين : دعاء طلب وسؤال، ودعاء عبادة .

فالأول هو ما تضمن طلب شيء بعينه إما جلب منفعة أو دفع ضر ونحو ذلك، "وكان بعض السلف يسأل الله في صلاته كل حوائجه حتى ملح عجينة وعلف شاته" [٢] فهذا هو دعاء مسألة .

---

(١) مجموع الفتاوى ١٠/٢٣٧، ٢٣٨ وانظر أيضا ١٥/١٠، والنبوات له ص ٨٢ ، واقتضاء الصراط المستقيم ص ٤١١، وجلاء الأفهام لابن القيم ص ١٥٦، وصيغ الحمد له ص ٦١ .

(٢) جامع العلوم والحكم ١/٢٢٥ .

وأما الثاني فهو دعاء العبادة وهو كل عبادة يبتغي بذلك وجه المعبود ويطلب رضاه، فالعبادة مستلزم للسؤال والطلب لأن العابد راغب وراهب يرجو رحمة المعبود ويخاف عذابه [1]، وفي الحديث أن النبي ﷺ قال للصحابة لما رفعوا أصواتهم بالتكبير : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اربعوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ فَإِنَّكُمْ لا تَدْعُونَ أَصَمَّ وَلا غَائِبًا إِنَّهُ مَعَكُمْ إِنَّهُ سَمِيعٌ قَرِيبٌ تَبَارَكَ اسْمُهُ وَتَعَالَى جَدُّهُ ﴾ [2].

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية : "وكل سائل راغب راهب فهو عابد للمسؤول، وكل عابد له هو أيضا راغب وراهب، يرجو رحمته ويخاف عذابه ، فكل عابد سائل وكل سائل عابد، فأحد الاسمين يتناول الآخر عند تجرده عنه، ولكن إذا جمع بينهما فإنه يراد بالسائل الذي يطلب جلب المنفعة ودفع المضرة بصيغ السؤال والطلب، ويراد بالعابد من يطلب ذلك بامتثال الأمر وإن لم يكن في ذلك صيغ سؤال " [3] وقال أيضا : " أن النوعين متلازمان فكل دعاء عباد ة مستلزم لدعاء المسألة، وكل دعاء مسألة متضمن لدعاء العبادة "[4] .

المطلب الثاني والعشرون : أنواع الدعاء باعتبار الحكم

- مأمور به .
- مباح .
- منهي عنه .

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله : " فان دعاء العبد لربه ومسألته إياه ثلاثة أنواع : نوع : أمر العبد به إما أمر إيجاب وإما أمر استحباب مثل قوله :﴿ اهدنا الصراط المستقيم ﴾ ومثل دعائه في آخر الصلاة، نوع من الدعاء ينهى عنه كالاعتداء مثل أن

(١) انظر مجموع الفتاوى ٢٣٩/١٠، ٢٤٠ .
(٢) الحديث سبق تخريجه .
(٣) مجموع الفتاوى ٢٣٩/١٠، ٢٤٠ .
(٤) المصدر السابق ١١/١٥ .

يسأل الرجل مالا يصلح من خصائص الأنبياء وليس هو بنبي وربما هو من خصائص الرب سبحانه، ومن الدعاء ما هو مباح كطلب الفضول التي لا معصية فيها " [1].

التعليق :

هذا التقسيم هو لدعاء المسألة وباعتبار الحكم عليه، لأن دعاء العبادة كما سبق أنه شامل لجميع العبادات التي فيها أركان الإسلام الخمسة وأركان الإيمان الستة فهو أفضل من دعاء المسألة الذي هو سؤال باللسان، إلا أنه أيضا ينقسم باعتبار الحكم إلى ثلاثة أقسام بالنسبة إلى أنواع الأحكام الشرعية : مأمور به ومباح ومنهي عنه .

فالمأمور به هو الدعاء المطلوب من العبد إما إيجابا أو استحبابا، أما الاستحباب فكما سبق ينبغي على العبد أن يسأل حاجته كلها حتى شسع نعله وملح عجينه، لأن الدعاء فيه إظهار العبد فقره ومسكنته إلى الله فيتذلل ويخضع له ويرجو ويخاف، ولهذا قال النبي ﷺ: **﴿ الدعاء هو العبادة ﴾** [2] وأما الواجب فنحو الأدعية الواجبة في الصلاة كالدعاء الوارد في سورة الفاتحة التي يجب قراءتها على كل مصل .

وأما المنهي عنه فهو سؤال شيء محرم له شرعا أو عقلا، فهو يتعلق بالمسؤول عنه لكونه ما لا يجوز له كالدعاء بأن يتمكن من فعل المحرمات أو يسأله ما لا يمكن في أحكام الله الكونية كأن يدعو بأن يعطيه الله صفات الملائكة الخاصة بهم، وأيضا نحو الدعاء الذي فيه قطيعة رحم، فكل ذلك من الاعتداء المنهي عنه في قوله تعالى : ﴿ ادعوا ربكم تضرعا وخفية إنه لا يحب المعتدين ﴾ [3]

---

(١) الفتاوى ٧١٢/١٠ ، وانظر الاستقامة ٢/ ١٢٩.

(٢) أخرجه أحمد ٢٦٧/٤، ٢٧١، ٢٧٦، وأبو داود في كتاب الصلاة باب الدعاء ١٠٩/٢ (١٤٧٩)، والترمذي في التفسير ٢١١/٥ (٢٩٧٩)، وقال حسن صحيح، وابن ماجة في الدعاء باب فضل الدعاء ١٢٥٨/٢(٢٨٣٨)، وابن حبان في صحيحه ١٧٢/٣، والحاكم ٦٦٧/١ وصححه ووافقه الذهبي، وقال الحافظ ابن حجر أخرجه أصحاب السنن بسند جيد، انظر فتح الباري ٤٩/١، والحديث صححه الألباني، انظر المشكاة ٦٩٣/٢، والضعيفة ٧٥/١ .

(٣) سورة الأعراف الآية ٥٥ .

وأما الدعاء المباح فهو دعاء الفضول التي لا يحتاج إليها مما لا معصية فيها، فهذا أيضا يتعلق بالمسؤول عنه إذ إنه لم يكن محتاجا إليه، وأما الدعاء في أصله وحقيقته فهو مطلوب من العبد لأنه كما سبق فيه اعتراف العبد بعبوديته لله، فالنوع الأول الذي هو الدعاء المشروع والمطلوب من العبد فهو يتعلق بالفعل نفسه فالعبد مطلوب منه أن يدعو الله ويسأله حاجته كلها فهو مشروع له في كل حين، وأما ما ينهى عنه أو يقال فيه أنه غير مطلوب منه فهو بالنسبة إلى المسؤول عنه لا أصل الدعاء ، والله أعلم .

المطلب الثالث والعشرون : أنواع الرضاء بالقضاء

- بالطاعات .
- بالمصائب .
- بالمعايب .

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله : " والرضا بالقضاء ثلاثة أنواع، أحدها الرضا بالطاعات فهذا طاعة مأمور بها، والثاني الرضا بالمصائب فهذا مأمور به إما مستحب وإما واجب، والثالث الكفر والفسوق والعصيان فهذا لا يؤمر بالرضا به بل يؤمر ببغضه وسخطه، فإن الله لا يحبه ولا يرضاه كما قال تعالى : ﴿ إذا يبيتون ما لا يرضى من القول ﴾ وقال : ﴿ والله لا يحب الفساد ﴾ وقال: ﴿ ولا يرضى لعباده الكفر ﴾ وقال : ﴿ إن الله لا يحب الكافرين ﴾ وقال : ﴿ إن الله لا يحب المعتدين ﴾ "[1] .

التعليق :

هذا التقسيم للرضا هو باعتبار تعلقه بأنواع القضاء، فالقضاء كما سبق ينقسم إلى قسمين : كوني وشرعي، فقد يكون القضاء كونيا محضا لا يتعلق بالشرع البتة وهو على قسمين : مصائب ومعايب، وقد يكون كونيا شرعيا وهو الطاعات التي هي فعل الأوامر

---

(١) مجموع الفتاوى ١٠/٤٨٣ .

واجتناب النواهي، فالرضا بالقضاء بهذا الاعتبار ينقسم إلى ثلاثة أقسام ويختلف حكم كل قسم منها : الرضا بالطاعات والرضا بالمصائب أو بالمعايب .

أما الرضا بالطاعات فهو واجب شرعا إذ إنه يتعلق بالقضاء الشرعي الذي يحبه الله ﷻ ويأمر به فحبه والرضى به يتضمن الحب والرضا بالآمر والناهي وهو الرب ﷻ، فهو طاعة مأمورة بها .

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله : "وأما الرضا بما أمر الله به : فأصله واجب وهو من الإيمان كما قال النبي في الحديث الصحيح :﴿ **ذاق طعم الإيمان من رضى بالله ربا وبالإسلام دينا وبمحمد نبيا**﴾ وهو من توابع المحبة " [1]

ويقول العلامة ابن القيم رحمه الله : " الرضا به ربا وإلها، والرضا بأمره الديني : فمتفق على فرضيته، بل لا يصير العبد مسلما إلا بهذا الرضا "[2] .

وأما الرضا بالمصائب التي ليست من كسب العبد فهو مستحب ومأمور به في الجملة إذ إنه من فعل وتقدير أحكم الحاكمين وأرحم الراحمين، فالرضا بها مستحب على أصح قولي العلماء [3] ، وأما الصبر عليها فهو واجب كما سبق بيانه .

وأما الرضا بالمعايب التي هي من كسب العبد والتي لا يأمر الله بها بل يبغضها وينهى عنها فهو محرم شرعا بل يجب عليه أن ينازعها ويفرغ وسعه لإزالتها ومحوها ومدافعتها فضلا عن رضائه بها والصبر عليها، يقول الله ﷻ : ﴿ إِن تَكْفُرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنكُمْ وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ ﴾ [4] .

---

(١) الفتاوى ٤١/١٠ .

(٢) مدارج السالكين ١١٢/١ .

(٣) انظر مجموع الفتاوى ٤٠/١٠، و شفاء العليل ص ٢٧٨ .

(٤) سورة الزمر الآية ٧ وانظر ما سبق في أنواع القضاء الكوني .

المطلب الرابع والعشرون : أنواع وقاية السيئات

- وقاية فعلها .
- وقاية جزائها .

يقول ابن القيم رحمه الله : " ومن دعاء الملائكة للمؤمنين ﴿ وَقِهِمُ السَّيِّئَاتِ وَمَن تَقِ السَّيِّئَاتِ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمْتَهُ وَذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾ [1] وقاية السيئات نوعان : أحدهما وقاية فعلها بالتوفيق فلا تصدر منه، الثاني : وقاية جزائها بالمغفرة فلا يعاقب عليها، فتضمنت الآية سؤال الأمرين " [2] .

التعليق :

إن العبد لا يمكن له أن يتجنب الذنوب والسيئات إلا بتوفيق الله له على ذلك، فهو الذي يعصم عبده ويقيه من الآثام والمعاصي وإلا فالعبد يكون فريسة لعدوه اللعين ويضله عن سواء السبيل، ثم إنه سبحانه يغفر من الذنوب ما شاء عدا الشرك به، ويقي عبده من العذاب عليها والأخذ بها، فوقايته لعبده عن السيئة باعتبار قبل صدروها وبعده على نوعين : وقاية من الفعل ووقاية عن جزائه .

أما القسم الأول فهو الوقاية عن صدور السيئات مطلقا فلا يصدر من العبد ذنب ولا سيئة، وهذا من خالص توفيق الله للعبد وكرمه وإحسانه عليه وليس للعبد فيه كمال ولا منة على الله البتة كما قال ﷻ : ﴿ يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا قُل لَّا تَمُنُّوا عَلَيَّ إِسْلَامَكُم بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ لِلْإِيمَانِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴾ [3] فالعبد إن لم يعصمه الله ويهديه إلى الحق والصراط المستقيم فإنه يضله ويزيغه الشيطان اللعين كما في الحديث القدسي : « يا عبادي كلكم ضال إلا من هديته، فاستهدوني أهدكم » [4]

---

(١) سورة غافر الآية ٩ .

(٢) الجواب الكافي ص ٢٧٩ .

(٣) سورة الحجرات الآية ١٧ .

(٤) الحديث سبق تخريجه .

وأما القسم الثاني فهو الوقاية عن جزاء ما صدر من العبد من سيئة وذنب بمغفرته إياه وعفوه عنه، فهذه الوقاية هي بعد ارتكاب العبد الذنب واقترافه للخطيئة، فيغفر الصغائر باجتناب الكبائر، والكبائر بالتوبة ودعاء الغير وغيرها من الأسباب، ويقي صاحبها من أثرها وجزائها، فهو الذي يقيه أولا وأخرا، وقد فسر قوله ﷺ في خطبة الحاجة : **﴿ نعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا ﴾** بقسمي الوقاية عن السيئات صدورا وجزاء[1] .

المطلب الخامس والعشرون : أنواع التوبة .

- عن فعل المحرمات .
- عن ترك الواجبات .

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله : " التوبة قسمان : توبة عند فعل المحرمات ، توبة عن ترك المستحبات وفعل المكروهات " [2] .

التعليق :

هذا التقسيم للتوبة هو بالنسبة إلى أنواع المعاصي باعتبار العمل وهي كما سبق تنقسم إلى قسمين : ترك مأمور وفعل محظور، فكل من النوعين يجب التوبة منه، فالتوبة أيضا تنقسم إلى قسمين : توبة عن فعل المحرمات وتوبة عن ترك الواجبات، ولا شك أن التوبة من أحب الأعمال إلى الله ومن أوجب الواجبات إذ العبد لا يخلو من ارتكاب خطيئة أو فعل معصية فكل بني آدم خطاء وخير الخطائين التوابون كما ثبت ذلك عن النبي ﷺ [3]،

---

(١) انظر الجواب الكافي لابن القيم ص ٢٧٧

(٢) حامع الرسائل لابن تيميه ٢٦٧/١.

(٣) الحديث أخرجه الترمذي، كتاب صفة يوم القيامة ٦٥٩/٤/ برقم (٢٤٩٩)، وابن ماجة كتاب الزهد باب ذكر التوبة ١٤٢٠/٢/ برقم (٤٢٥١)، والدارمي في كتاب الرقاق باب في التوبة ٣٩٢/٢/ برقم (٢٧٢٧)، والحاكم ٢٤٤/٤ وقال صحيح الإسناد فتعقبه الذهبي بقوله : علي بن مسعدة لين، والحديث حسنه الشيخ الألباني في المشكاة ٧٢٤/٢ .

فيجب التوبة في كل حين ومن كل الذنوب مما يعلم ومما لا يعلم لأن ما لا يعلم أكثر مما يعلم من ترك واجب أو فعل محظور، والله أعلم .

المطلب السادس والعشرون : أنواع الهداية .

- الهداية المجملة .
- الهداية المفصلة .

يقول الحافظ ابن رجب رحمه الله : "الهداية نوعان : هداية مجملة، وهي الهداية للإسلام والإيمان وهي حاصلة للمؤمن، وهداية مفصلة وهي هداية إلى معرفة تفاصيل أجزاء الإيمان والإسلام وإعانته على فعل ذلك، وهذا يحتاج إليه كل مؤمن ليلا ونهارا، ولهذا أمر الله عباده أن يقرأوا في كل ركعة من صلاتهم قوله : ﴿ اهدنا الصراط المستقيم ﴾، وكان النبي ﷺ يقول في دعائه بالليل : **﴿ اهدني لما اختلف فيه من الحق بإذنك إنك تهدي من تشاء إلى صراط مستقيم ﴾**[1]"[2].

التعليق :

هذا التقسيم هو للهداية التوفيق والإلهام، فهي من حيث الإجمال والتفصيل تنقسم إلى قسمين : الهداية المجملة والهداية المفصلة .

فأما القسم الأول فهي الهداية المجملة وهي هداية التوفيق بالإقرار بكلمة التوحيد والدخول في الإسلام والخروج من ظلمات الشرك والكفر، قال تعالى :﴿ فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام ومن يرد أن يضله يجعل صدره ضيقا حرجا كأنما يصعد في السماء ﴾[3] " فمن يرد الله أن يهديه للتوحيد يشرح صدره لقبول نور الحق "[4]، فهذه هي الهداية

---

(١) الحديث أخرجه مسلم في صحيحه كتاب صلاة المسافرين ٦/٥٦ برقم (٧٧٠) .

(٢) جامع العلوم والحكم ١/٢٢٥ .

(٣) سورة الأنعام الآية ١٢٥ .

(٤) روح المعاني للألوسي ٤/٢٥ .

المجملة التي يخرج بها الرجل من ظلمات الشرك والكفر إلى نور التوحيد والإيمان، وهي حاصلة لكل مسلم موحد ومنتفية عن كل مشرك كافر .

وأما القسم الثاني فهي الهداية المفصلة وهي التوفيق لتفاصيل الإيمان والأعمال والعبادات الواجبة والمستحبة "فالعبد مفتقر في كل حال إلى هذه الهداية في جميع ما يأتيه ويذره من أمور قد أتاها على غير الهداية، وأمور هدي إلى أصلها دون تفصيلها، أو هدي إليها من وجه دون وجه فهو يحتاج إلى إتمام الهداية فيها ليزداد هدى، وأمور هو يحتاج إلى أن يحصل له من الهداية فيها بالمستقبل، وأمور هو خال عن اعتقاد فيها، فهو يحتاج إلى الهداية فيها، وأمور لم يفعلها فهو يحتاج إلى فعلها على وجه الهداية وأمور قد هدي إلى الاعتقاد الحق والعمل الصواب فيها فهو يحتاج إلى الثبات عليها إلى غير ذلك من أنواع الهدايات " [1] وهذه الهداية يتفاوت فيها أهلها، فمن الناس من يصدر أعماله كلها بالله فبه يسمع وبه يبصر وبه يمشي وبه يبطش، ومنهم من يعبد الله على حرف فإن أصابه خير اطمأن به وإن أصابته فتنة انقلب على وجهه، ولذا أمر الله ﷻ بطلب الهداية منه في كل ركعة من الصلاة وأكد ذلك في الحديث القدسي بقوله : ﴿ **يا عبادي كلكم ضال إلا من هديته فاستهدوني أهدكم** ﴾ [4] .

المطلب السابع والعشرون : أنواع البيان والهدى العام

- بآياته المشهودة .
- بآياته المسموعة .

يقول ابن القيم رحمه الله :" البيان العام وهو تبيين الحق وتمييزه من الباطل بأدلته وشواهده وأعلامه بحيث يصير مشهودا للقلب كشهود العين للمرئيات، وهذه المرتبة هي

---

(١) من كلام شيخ الإسلام ابن تيمية بتصرف يسير، انظر شفاء العليل لابن القيم ص ١٤٣، وجلاء الأفهام ص ١٧٥ .

(٤) الحديث سبق تخريجه .

حجة الله على خلقه ... قال تعالى : ﴿ وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَى عَلَى الْهُدَى ﴾ (1) فهذا هدى بعد البيان والدلالة ... وهو هدى التوفيق والإلهام، وهذا البيان نوعان : بيان بالآيات المسموعة المتلوة، وبيان بالآيات المشهودة المرئية، وكلاهما أدلة وآيات على توحيد الله وأسمائه وصفاته وكماله وصدق ما أخبرت به رسله عنه، ولهذا يدعوا عباده بآياته المتلوة إلى التفكر في آياته المشهودة ويحضهم في التفكر في هذه وهذه " (2) .

التعليق :

هذا التقسيم للهداية والبيان العام الذي هو بيان طريق الحق والضلال وسبيل الشكر والكفر، كما قال سبحانه: ﴿ إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا ﴾ (3) فالله تعالى دعا خلقه إلى عبادته وحده وأوضح الحجة ونصب الأدلة والبراهين وبين لهم الطريق إلى ذلك، وهذا البيان ونصب الأدلة على نوعين : بالآيات المسموعة والآيات المشهودة،

أما القسم الأول هو البيان العام بالآيات المسموعة فهو ما يتلى على الناس من آيات الله المترلة على الرسل عليهم السلام بما فيه الحق بأوضح أدلة عقلية وحسية، قال تعالى :﴿ الم * تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْحَكِيمِ * هُدًى وَرَحْمَةً ﴾ (4)

وأما القسم الثاني هو البيان بالآيات المشهودة، وهو ما نصب في هذا الكون من البراهين والأدلة على توحيده سبحانه وكمال قدرته وعظمته، قال سبحانه :﴿ سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ ﴾ (5)، فالله تعالى جعل في هذا الكون وما فيه من المخلوقات عبرة لمن اعتبر وذريعة للهداية لمن تدبر بعقل سليم وبفكر رصين، فبيان الله لطريق الحق وسبيل الهداية كان بهذين النوعين من الآيات .

---

(1) سورة فصلت الآية ١٧ .

(2) مدارج السالكين ٤٢/١ .

(3) سورة الإنسان الآية ٣ .

(4) سورة لقمان الآيات ١، ٢، ٣ .

(5) سورة فصلت الآية ٥٣ .

المطلب الثامن والعشرون : مراتب الإسماع .

- سماع الأذن .
- سماع القلب .
- سماع القبول والإجابة .

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله : " لفظ السمع يراد به إدراك الصوت ،ويراد به معرفة المعنى مع ذلك، ويراد به القبول والاستجابة مع الفهم، قال : ﴿ ولو علم الله فيهم خيرا لأسمعهم ﴾ ثم قال : ﴿ ولو أسمعهم ﴾ على هذه الحال التي هم عليها لم يقبلوا الحق ثم ﴿ لتولوا وهم معرضون ﴾ فذمهم بأنهم لا يفهمون القرآن ولو فهموه لم يعملوا به"[1]

يقول العلامة ابن القيم رحمه الله :"مرتبة الإسماع قال الله تعالى :﴿ وَلَوْ عَلِمَ اللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَأَسْمَعَهُمْ وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّوا وَهُمْ مُعْرِضُونَ ﴾ [2]...وهذا الإسماع أخص من إسماع الحجة والتبليغ، فإن ذلك حاصل لهم، وبه قامت الحجة عليهم، لكن ذاك إسماع الآذان وهذا إسماع القلوب، فإن الكلام له لفظ ومعنى، وله نسبة إلى الآذان والقلب وتعلق بهما فسماع لفظه حظ الأذن وسماع حقيقة معناه ومقصوده حظ القلب، فإنه سبحانه نفى عن الكفار سماع المقصود والمراد الذي هو حظ القلب وأثبت لهم سماع الألفاظ الذي هو حظ الأذن في قوله:﴿ مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ ذِكْرٍ مِنْ رَبِّهِمْ مُحْدَثٍ إِلَّا اسْتَمَعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ * لَاهِيَةً قُلُوبُهُمْ ﴾ [3] وهذا السماع لا يفيد السامع إلا قيام الحجة عليه أو تمكنه منها...ومرتبة السماع مدارها على إيصال المقصود بالخطاب إلى القلب، ويترتب على هذا السماع

---

(١) قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة ص ٩٦ .

(٢) سورة الأنفال الآية ٢٣ .

(٣) سورة الأنبياء الآيتان ٢، ٣ .

سماع القبول، فهو إذن ثلاث مراتب: سماع الأذن وسماع القلب وسماع القبول والإجابة "[1].

التعليق :

إن الله ﷻ إذا أراد هداية أحد شرح صدره للإسلام وأسمعه حقيقة ما يدعى إليه، وهذا السماع هو الذي نفى الله عن المشركين كما قال سبحانه :﴿ وَلَوْ عَلِمَ اللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَأَسْمَعَهُمْ وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّوا وَهُمْ مُعْرِضُونَ ﴾ [2] فالإسماع في هذه الآية هو إسماع القلوب حقيقة دعوة التوحيد و الإسلام، وإلا فالكفار كانوا يسمعون كلام الله يتلى عليهم بآذانهم كما قال سبحانه:﴿ وَيْلٌ لِكُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ * يَسْمَعُ آيَاتِ اللَّهِ تُتْلَى عَلَيْهِ ثُمَّ يُصِرُّ مُسْتَكْبِرًا كَأَنْ لَمْ يَسْمَعْهَا فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾ [3] فدلت الآية الأولى بأن الله لم يسمعهم إسماع القلوب ثم أوضحت بأنه لو أسمعهم ذلك لتولوا معرضين فلا يحصل منهم القبول والإذعان، لأنه طبع على قلوبهم و لم يوفقهم له و لم يسمعهم إسماع القبول والإجابة، فإسماع الهداية من الله سبحانه على هذه الأنواع والمراتب الثلاثة : إسماع الأذن، وإسماع القلوب، وإسماع التوفيق .

أما القسم الأول وهو إسماع الآذان، فهذا إسماع آياته وإبلاغ دعوته إلى الناس، وهذا حاصل لجميع الأمة المؤمن منهم والكافر، وبهذا الإسماع والإبلاغ تقوم حجة الله على الناس

وأما القسم الثاني وهو إسماع القلوب، فهذا إسماع أخص من الأول إذ بعد هذا لا يبقى أحد على ما هو عليه من الكفر والشرك إلا المعاند والمستكبر، قال تعالى :﴿ أَفَتَطْمَعُونَ أَنْ

(١) مدارج السالكين ٤٣/١، ٤٤ .

(٢) سورة الأنفال الآية ٢٣ .

(٣) سورة الجاثية الآية ٧، ٨ .

﴿يُؤْمِنُوا لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِنْ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [1] فهم من شدة عنادهم واستكبارهم لم يؤمنوا .

وأما القسم الثالث وهو إسماع التوفيق والإلهام المترتب عليه سماع القبول والإجابة، فهذا أخص أنواع الثلاثة وينتج منه سماع الانقياد والإذعان وسماع القبول والطاعة، قال تعالى : ﴿إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ الَّذِينَ يَسْمَعُونَ وَالْمَوْتَى يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ ثُمَّ إِلَيْهِ يُرْجَعُونَ﴾ [2] يقول القرطبي : " أي سماع إصغاء وتفهم وإرادة الحق، وهم المؤمنون الذين يقبلون ما يسمعون فينتفعون به ويعملون " [3] فهذا الإسماع خاص بالمؤمنين فقط وأما الإسماع الأول فهو عام لجميع المكلفين وأما الثاني فهو أيضا خاص بالمؤمنين إلا أنه قد يشترك فيه معهم بعض الكفار أيضا، والله أعلم.

المطلب التاسع والعشرون : أنواع شهادة الرب وبيانه وإعلامه .

شهادة الله عز وجل لنفسه على نوعين :

- بقوله .
- بفعله .

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية : " قوله تعالى : ﴿ شهد الله أنه لا إله إلا هو والملائكة وأولو العلم قائما بالقسط لا إله إلا هو العزيز الحكيم﴾ [4] والشهادة تضمنت مرتبتين : إحداهما : تكلم الشاهد وقوله وذكره لما شهد في نفسه به، والثاني : إخباره و إعلامه لغيره بما شهد به، وأنه إذا شهد أنه لا إله إلا هو فقد أخبر وبيّن وأعلم أنّ ما سواه ليس بإله فلا يعبد، و أنه وحده الإله الذي يستحق العبادة، **وشهادة الرب** وبيانه وإعلامه يكون : **بقوله تارة،**

(١) سورة البقرة الآية ٧٥ .

(٢) سورة الأنعام الآية ٣٦ .

(٣) تفسير القرطبي ٢٦٩/٦ .

(٤) سورة آل عمران الآية ١٨ .

وبفعله تارة، فالقول هو ما أرسل به رسله وأنزل به كتبه وأوحاه إلى عباده، و قد علم بالتواتر و الاضطرار أنّ جميع الرسل أخبروا عن الله أنّه شهد ويشهد أن لا إله إلا هو بقوله وكلامه، وأما بفعله فهو ما نصبه من الأدلة الدالة على وحدانيته التي تعلم دلالتها بالعقل، وإن لم يكن هناك خبر عن الله، وهذا يستعمل فيه لفظ الشهادة والدلالة والإرشاد..." (1)

التعليق :

إن الله تعالى خلق الثقلين لعبادته وحده قال سبحانه: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ (2) ولعظم شأن هذا الأمر بيّن الله سبحانه توحيده قولاً وشهادة في كتابه وفعلاً وعَمَلاً في الكون بخلق الآيات الدَّالَّة على وحدانيَّتهِ، فَهو سبحانه شهد لنفسه بالوحدانيّة بقوله وكلامه وأعلم به عباده، وأخبرهم بهذه الشَّهادة قولاً فقال سبحانه في محكم تنزيله: ﴿ شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ (3) فهذا ما شهد الله لنفسه بالوحدانيَّة بقوله وكلامه، فهو سبحانه بيّن في كتابه وحدانيّته بالرُّبوبيَّة واستحقاق الألوهيَّة في مواضع كثيرة بعبارات وأساليب متنوعة، فأحيانا يذكر لفظ الشهادة لنفسه بالوحدانية، وأحيانا يبين بأنّه قضى أن لا نعبد إلا إياه، وأحيانا يأمر عباده بعبادته وحده، وأحيانا يبين عجز المعبودات من دونه ونفي القدرة عنها مطلقا حتى الشفاعة عنده إلا بإذنه، كما قال سبحانه : ﴿ قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِن شِرْكٍ وَمَا لَهُ مِنْهُم مِّن ظَهِيرٍ * وَلَا تَنفَعُ الشَّفَاعَةُ عِندَهُ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُ ﴾ (4) فنفى في هذه الآية المباركة كل ما يمكن لأحد من الشركاء

---

(1) مجموع الفتاوى ١٤/ ١٦٨ - ١٧٣ بتصرف واختصار .

(2) سورة الذاريات الآية ٥٦.

(3) سورة آل عمران الآية ١٨ .

(4) سورة سبأ الآيتان ٢٢, ٢٣ .

عند شريكه عن المعبودات من دونه سبحانه وتعالى[1] ونحو ذلك من الأساليب المتكررة والمؤكدة، فالقرآن كلُّه وخاصَّةً السُّور المكيَّة كلها في بيان وحدانيَّته ونفي الشّريك له في شيء من الأمور[2].

وأما شهادته لنفسه بالوحدانية بفعله فهي ما نصبه من الأدلة وأوجده في هذا الكون من الآيات والعلامات الدالة على وحدانيته وتفرده بالربوبية واستحقاق الألوهية، فالكون كله دليل على كماله ووحدانيته، قال سبحانه :﴿ وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ لَّا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَٰنُ الرَّحِيمُ * إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِن مَّاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾[3]

يقول الحافظ ابن كثير رحمه الله :" يخبر تعالى عن تفرده بالإلهية، وإنه لا شريك له ولا عديل له بل هو الله الواحد الأحد الفرد الصمد الذي لا إله إلا هو الرحمن الرحيم، ثم ذكر الدليل على تفرده بالإلهية بخلق السماوات والأرض وما فيها وما بين ذلك مما ذرأ وبرأ من المخلوقات الدالة على وحدانيته" [4]، والله أعلم .

المطلب الثلاثون : أنواع المواثيق .

الميثاق هو ما أخذه الله تعالى على عباده على ربوبيته وعبادته وحده، ولعظم الشأن لهذا الأمر قد أكد الله الميثاق بتكراره وبتنوعه، فهناك ثلاث أنواع من المواثيق :

- الأول : في عالم الذر .
- الثاني : الفطرة .
- الثالث : إرسال الرسل .

يقول الشيخ حافظ الحكمي رحمه الله :" المواثيق كلها ثابتة بالكتاب والسنة، **الأول** :

---

(١) انظر مجموع الفتاوى ١/١١٤، ٨/٥١٩، والصواعق المرسلة ٢/٤٦١، ومدارج السالكين ١/٣٤٣ .

(٢) انظر العقيدة الأصفهانية ص ٦٢، ومجموع الفتاوى ٣/٣٦٤-٣٦٥ ، ١٠/٥٤-٥٥.

(٣) سورة البقرة الآيتان ١٦٣، ١٦٤ .

(٤) تفسير ابن كثير ١/١٩١ .

الميثاق الذي أخذه الله عليهم حين أخرجهم من ظهر أبيهم آدم عليه السلام وأشهدهم على أنفسهم ﴿ ألست بربكم قالوا بلى ﴾ [1] الآيات، وهو الذي قاله جمهور المفسرين رحمهم الله في هذه الآيات، وهو نص الأحاديث الثابتة في الصحيحين وغيرهما، **الميثاق الثاني** : ميثاق الفطرة، وهو أنه تبارك وتعالى فطرهم شاهدين بما أخذه عليهم في الميثاق الأول، كما قال تعالى : ﴿ فأقم وجهك للدين حنيفا فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ﴾ [2] وهو الثابت في حديث أبي هريرة [3] وعياض بن حمار [4]... في الصحيحين وغيرهما، **الميثاق الثالث** : هو ما جاء ت به الرسل وأنزلت به الكتب تجديدا للميثاق الأول وتذكيرا به ﴿ رسلا مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل ... الآية ﴾ [5]'' [6] .

التعليق :

إن الله تعالى خلق عباده لأمر عظيم ألا وهو عبادته وحده سبحانه، ولعظم شأن هذا الأمر وكثرة دواعي الانحراف والزيغ عنه قد أخذ سبحانه منهم مواثيق متنوعة حسب ما يقتضيه المقام .

فأوّلاً وقبل أن يأتي العبد إلى عالم التكليف وقبل أن يعرفوا الهوى والشهوات أخذ منهم الميثاق بأفواههم وعلى لسان قالهم أن الله ربهم وإلههم، كما في حديث أنس رضي الله عنه في الصحيحين وغيرهما أن النبي ﷺ قال : **« إِنَّ اللَّهَ يَقُولُ لأَهْوَنِ أَهْلِ النَّارِ عَذَابًا : لَوْ أَنَّ لَكَ مَا فِي الأَرْضِ مِنْ شَيْءٍ كُنْتَ تَفْتَدِي بِهِ ؟ قَالَ : نَعَمْ، قَالَ : فَقَدْ سَأَلْتُكَ مَا هُوَ**

---

(1) سورة الأعراف الآية ١٧٢ .

(2) سورة الروم الآية ٣٠.

(3) نص الحديث : **« مَا مِنْ مَوْلُودٍ إلا يُولَدُ عَلَى الْفِطْرَةِ فَأَبَوَاهُ يُهَوِّدَانِهِ وَيُنَصِّرَانِهِ »** سيأتي تخريجه .

(4) وهو حديث قدسي أخرجه مسلم في كتاب الجنة وصفة نعيمها برقم (٢٨٦٥)، ونصه : **« وَإِنِّي خَلَقْتُ عِبَادِي حُنَفَاءَ كُلَّهُمْ وَإِنَّهُمْ أَتَتْهُمْ الشَّيَاطِينُ فَاجْتَالَتْهُمْ عَنْ دِينِهِمْ وَحَرَّمَتْ عَلَيْهِمْ مَا أَحْلَلْتُ لَهُمْ وَأَمَرَتْهُمْ أَنْ يُشْرِكُوا بِي مَا لَمْ أُنْزِلْ بِهِ سُلْطَانًا »** .

(5) سورة النساء الآية ١٦٥ .

(6) معارج القبول ١/٤٨-٤٩ .

﴿أَهْوَنُ مِنْ هَذَا وَأَنْتَ فِي صُلْبِ آدَمَ أَنْ لا تُشْرِكَ بِي فَأَبَيْتَ إِلاَّ الشِّرْكَ﴾ [1] وهذا واضح وصريح في الميثاق الأول الذي أُخذ من بني آدم وهم في صلب أبيهم آدم [2]، وقد ذكر غير واحد من العلماء أن هذا الميثاق هو المراد بقوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ﴾ [3] وقد صح عن ابن عباس رضي الله عنهما وغيره من الصحابة موقوفا في تفسير الآية أنهم فسروها بالميثاق الأول حين أخرجهم من صلب أبيهم آدم عليه السلام [4]، وروي مرفوعا أيضا وصححه جماعة من أهل العلم [5].

ثم إنه سبحانه خلقهم على ملة الإسلام وعلى الميثاق الأول مقرين بالخالق مفطورين على الإقرار بربوبية الله وألوهيته، فهذا هو الميثاق الثاني الذي أخذ الله عليهم على لسان حالهم وخلقتهم، وهو الفطرة التي خلق الله الخلق عليها، قال تعالى: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ

---

(1) الحديث أخرجه البخاري في كتاب أحاديث الأنبياء باب خلق آدم وذريته، /٤١٩/ برقم (٣٣٣٤)، وفي كتاب الرقاق باب من نوقش الحساب عذب ٤٠٨/١١/برقم (٦٥٣٨) وباب صفة الجنة والنار ٤٢٤/١١/برقم (٦٥٥٧)، ومسلم في كتاب صفات المنافقين وأحكامهم /١٤٧/ برقم (٢٨٠٥).

(2) وقد ادعى الإمام إسحاق بن راهويه رحمه الله إجماع أهل العلم على هذا الميثاق والاستنطاق، انظر الروح لابن القيم ص ١٦٣.

(3) سورة الأعراف الآية ١٧٢، وانظر فتح الباري ٤٢٥/٦، و٤١١/١١ وقد نقل قول عياض، وفتح القدير للشوكاني ٣٨٣/٢، وقال العلامة الشوكاني: " وهذا هو الحق الذي لا ينبغي العدول عنه ولا المصير إلى غيره لثبوته مرفوعا إلى النبي ﷺ وموقوفا على غيره من الصحابة "، وبعض العلماء رجحوا بأن المراد بالآية هو الفطرة التي فطر الناس عليها وليس هناك ميثاق سابق على الفطرة، انظر الفتاوى ١٢/١، درء تعارض النقل والعقل ٤٨٤/٨، والروح لابن القيم ١١٠، ١٦١، وتفسير ابن كثير ٢٥٣/٢، والله أعلم.

(4) أثر ابن عباس رضي الله عنهما أخرجه الطبري في تفسيره ٢٢٣/١٣-٢٤١ (بأرقام ١٥٣٣٩، ١٥٣٤٠، ١٥٣٦٠، ١٥٣٦١) موقوفا عليه (تحقيق أحمد شاكر).

(5) أخرجه أحمد في المسند ٢٧٢/١، والطبري في التفسير ٢٢٣/١٣/برقم (١٥٣٣٨) والحاكم ٥٤٤/٢ وصححه ووافقه الذهبي، وصححه أيضا الشوكاني في التفسير ٣٨٣/٢، وأحمد شاكر في تعليقه على المسند، والشيخ الألباني في الصحيحة برقم (١٦٢٣)، بل ادعى الشيخ صالح المقبلي التواتر المعنوي في الأحاديث في ذلك كما ذكر ذلك الشيخ الألباني رحمه الله، انظر الصحيحة ١٦٢/٤ وضعفه الآخرون، انظر الروح لابن القيم ض ١٦١ وتفسير ابن كثير ٢٥١/٢.

لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ ﴾[1] يقول ابن كثير: " فطر خلقه على معرفته وتوحيده وأنه لا إله غيره "[2] كما في الحديث القدسي : ﴿ إِنِّي خَلَقْتُ عِبَادِي حُنَفَاءَ كُلَّهُمْ وَإِنَّهُمْ أَتَتْهُمُ الشَّيَاطِينُ فَاجْتَالَتْهُمْ عَنْ دِينِهِمْ وَحَرَّمَتْ عَلَيْهِمْ مَا أَحْلَلْتُ لَهُمْ وَأَمَرَتْهُمْ أَنْ يُشْرِكُوا بِي مَا لَمْ أُنْزِلْ بِهِ سُلْطَانًا﴾[3] وفي الحديث : ﴿ كل مولود يولد على الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه، كما تنتج البهيمة بهيمة جمعاء، هل تحسون فيها من جدعاء ﴾[4] .

وأما الميثاق الثالث فهو ما تم به حجة الله تعالى على خلقه وليس بعده من الناس إلا شقي أو سعيد، وهو إرسال الرسل وإنزال الكتب تجديدا وتذكيرا للميثاق الأول والثاني، مبشرين لمن أطاعهم ووفى ما عاهد الله عليه، ومحذرين عن العقاب والعذاب الأليم لمن عهده من الله وخالف أمره، فالميثاق الأول والثاني وإن كانا حجة على الناس لكن الله بلطفه وإحسانه بالناس لا يعذب أحدا حتى يبعث فيهم رسلا مبشرين ومنذرين، فيهلك من هلك عن بينة ويحيا من يحيى عن بينة، يقول تعالى :﴿ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا ﴾[5] وقال سبحانه :﴿ وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَى حَتَّى يَبْعَثَ فِي أُمِّهَا رَسُولًا يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا ﴾[6] فبإرسال الرسل تتم حجة الله البالغة يقول تعالى :﴿ رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ ﴾[7] فالذي هو باق على الميثاق الأول والثاني و لم تتلوث فطرته فهو يتبع الرسول في أول وهلة من غير توقف ولا تذبذب، لأن الرسل لا يـأتون إلا

---

(١) سورة الروم الآية ٣٠.

(٢) تفسير ابن كثير ٤١٦/٣ .

(٣) الحديث أخرجه مسلم في صحيحه كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها ١٩٧/١٧/ برقم(٢٨٦٥) .

(٤) الحديث سبق تخريجه .

(٥) سورة الإسراء الآية ١٥.

(٦) سورة القصص الآية ٥٩ .

(٧) سورة النساء الآية ١٦٥ .

ما هو موافق لفطرهم السليمة، فهو تذكير لهم إياها فليس هو بشيء أجنبي غير معقـول ولا مأنوس عندهم حتى يحتاج النظر فيما جاء به من التوحيد [1].

فهذه هي المواثيق الثلاثة : الأول : القولي، أخذه الله من بني آدم على لسان قالهم حين أخرجهم من صلب آدم، والثاني : الفطري، فقد فطر الله الخلق على الإقرار به وبوحدانيته وخلقهم على ملة الإسلام، والثالث : ما جاء به الرسل تذكيرا لما سبق من المواثيق وتجديدا وإتماما للحجة، فهذه هي حجة الله على خلقه فلا حجة على الله لأحد ولا عذر لمعتذر بعد هذه الحجج الثلاثة ،﴿ قُلْ فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ فَلَوْ شَاءَ لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [2] والله أعلم .

المطلب الحادي والثلاثون : أنواع القنوت

- عام .
- خاص .

يقول العلامة ابن القيم رحمه الله : " ونظير انقسام العبودية إلى خاصة وعامة انقسام القنوت إلى : خاص، وعام، قال الله تعالى في القنوت الخاص :﴿ أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ آنَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا

---

(١) انظر معارج القبول ٤٩/١، وقد أخطأ من قال من المتكلمين أن أول واجب على المكلف هو النظر أو القصد، انظر الإنصاف للباقلاني ص ٢٢، والإرشاد لإمام الحرمين ص ٣١ وشرح جوهرة التوحيد للباجوري ص ٣٨،

وهذا مخالف صريح لنصوص الكتاب والسنة الواضحة الصريحة الصحيحة الدالة على أن أول واجب على المكلف هو الإقرار بكلمة التوحيد شهادة أن لا إله إلا الله، لأن معرفة الرب والإقرار بوجوده فطري وبديهي لكل بشر، انظر : مجموع الفتاوى ٢/٢، ٣، ٣٤٩/٦-٣٣٠، ودرء تعارض النقل والعقل ٤٠٦/٧-٤٥٩، والحجة في بيان المحجة ١١٨/٢-١٢٢، وفتح الباري لا بن حجر ٣٤٩/١٣-٣٤٥، والانتصار لأبي مظفر السمعاني ص ٦١-٦٤.

(٢) سورة الأنعام الآية ١٤٩.

﴿ وَقَائِمًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ ﴾ (١) وقال في القنوت العـــام : ﴿ وَلَهُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلٌّ لَّهُ قَانِتُونَ ﴾ (٢) أي خاضعون أذلاء، " (٣) .

التعليق :

هذا التقسيم للقنوت هو من جهة تعلقه بالربوبية والألوهية ومن جهة محبة الرب لـــه والثواب عليه، فهو بهذا الاعتبار ينقسم إلى قسمين : قنوت عام وقنوت خاص .

فالقسم الأول هو القنوت العام، وهو قنوت عموم الخلق لربوبية الرب سبحانه وتعـالى وتقديره طوعاً وكرهاً، فجميع المخلوقات خاضعون وقانتون لله بهذا الاعتبار كما قـــال سبحانه : ﴿ وَقَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ بَل لَّهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلٌّ لَّهُ قَانِتُونَ ﴾ (٤)، فـــهذا القنوت مشترك بين الكفار والمؤمنين وبين المكلفين وغيرهم .

وأما القسم الثاني فهو القنوت الخاص وهو قنوت عباده المطيعين والمؤمنين خاصة وهـو قنوت لألوهيته وأوامره ونواهيه، قال تعـالى: ﴿ يَا مَرْيَمُ اقْنُتِي لِرَبِّكِ وَاسْجُدِي وَارْكَعِي مَعَ الرَّاكِعِينَ ﴾ (٥) وهذا القنوت هو الذي يأمر الله به عباده ويجازي عليه ويحب أهله، قـــال تعالى : ﴿ إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَانِتِينَ وَالْقَانِتَاتِ ﴾ إلى قوله تعالى : ﴿ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴾ (٦) فهذا القنوت خاص بالمؤمنين الموحديـــن الذيـــن يخضعـــون لأوامره وينقادون لشرائعه تعبّداً وتذلّلاً، فهو خاص من جهة أفراده ومن جهة أنه واقــــع منهم بإرادة واختيار .

---

(١) سورة الزمر الآية ٩ .

(٢) سورة الروم الآية ٢٦ .

(٣) مدارج السالكين ١/١٠٦ .

(٤) سورة البقرة الآية ١١٦ .

(٥) سورة آل عمران الآية ٤٣ .

(٦) سورة الأحزاب الآية ٣٥ .

- عام .
- خاص .

يقول ابن القيم رحمه الله : " ونظير انقسام العبودية إلى خاصة وعامة انقسام القنوت إلى : خاص، وعام، والسجود كذلك ... قال في السجود الخاص :﴿ إِنَّ الَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيُسَبِّحُونَهُ وَلَهُ يَسْجُدُونَ ﴾ [1] وقال في السجود العام :﴿ وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَظِلَالُهُم بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ ﴾ [2] " [3] .

التعليق :

هذا التقسيم للسجود هو أيضا من جهة تعلقه بالربوبية والألوهية ومن جهة تعلق محبة الله به والثواب عليه، فهي بهذا الاعتبار ينقسم إلى قسمين : سجود عام وسجود خاص، فالقسم الأول وهو السجود العام، فهو السجود والخضوع لربوبيته وحكمه الكوني القدري، فهو مشترك بين جميع المخلوقات يسجدون له طوعاً وكرهاً "لأن الكفار وإن لم يسجدوا لله سبحانه فهم منقادون لأمره وحكمه فيهم بالصحة والمرض والحياة والموت والفقر والغنى "[4] .

وأما القسم الثاني فهو السجود الخاص، وهو خضوع عباده المؤمنين وسجودهم لرب العالمين طوعاً واختياراً، فهذا أخص من الأول، قال تعالى :﴿ وَعِبَادُ الرَّحْمَٰنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا * وَالَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَامًا ﴾ [5]، وقال

---

(١) سورة الأعراف الآية ٢٠٦ .
(٢) سورة الرعد الآية ١٥ .
(٣) مدارج السالكين ١٠٦/١ .
(٤) فتح القدير للشوكاني ١٠٥/٣ .
(٥) سورة الفرقان الآيتان ٦٣، ٦٤ .

سبحانه : ﴿لَا تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَاسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾ [1] وكل سجدة مذكورة في القرآن إما بالمدح على أهلها أو بالأمر بها. فالمراد بها السجدة الخاصة، وأما السجدة العامة فهي بوحدها لا تنفع ولا يحمد صاحبها، والله أعلم .

المطلب الثالث والثلاثون : أنواع الإنابة.

- إنابة لربوبيته .
- إنابة لألوهيته .

يقول الحافظ ابن القيم رحمه الله :" الإنابة إنابتان : إنابة لربوبيته، وهي إنابة المخلوقات كلها يشترك فيها المؤمن والكافر والبر والفاجر، قال تعالى :﴿ وَإِذَا مَسَّ النَّاسَ ضُرٌّ دَعَوْا رَبَّهُم مُّنِيبِينَ إِلَيْهِ﴾ [2] فهذا عام في حق كل داع أصابه ضر كما هو الواقع، وهذه الإنابة لا تستلزم الإسلام بل تجامع الشرك والكفر...الإنابة الثانية إنابة أوليائه، وهي إنابة لإلهيته إنابة عبودية ومحبة، وهي تتضمن أربعة أمور : محبته، الخضوع له، الإقبال عليه، الإعراض عما سواه، فلا يستحق اسم المنيب إلا من اجتمعت فيه هذه الأربع " [3] .

التعليق :

الإنابة هي الرجوع إلى الشيء والإقبال عليه، والإنابة الى الله هي الرجوع إليه والإقبال عليه بعبادته وطاعته[4] وهذا التقسيم للإنابة أيضا من جهة تعلقه بالربوبية والألوهية، فهو بهذا الاعتبار تنقسم إلى قسمين : إنابة لربوبيته وإنابة لألوهيته .

أما القسم الأول فهي الإنابة لربوبيته، وهي عامة ومشتركة بين جميع من يلجأ إليه عند الحوائج والمصائب سواء يلجأ إليه وحده في جميع حوائجه أو يشرك معه غيره عند اللجوء

---

(١) سورة فصلت الآية ٣٧ .

(٢) سورة الروم ٣٣ .

(٣) مدارج السالكين ٣٣٤/١ .

(٤) انظر مجموع الفتاوى ٥٢٧/٨، ومدارج السالكين ٤٣٤/١-٤٣٥، والنهاية لابن الأثير ١٢٣/٥.

والإنابة سواء في السرّاء أو الضرّاء، فهذه إنابة اضطرارية وفطرية التي يجدها كل شـخص في قرارة نفسه عند نزول الكوارث وإصابة الضرر، كما قال سبحانه :﴿ وَإِذَا مَسَّ النَّاسَ ضُرٌّ دَعَوْا رَبَّهُم مُّنِيبِينَ إِلَيْهِ ﴾ (١)

وأما القسم الثاني فهي الإنابة لألوهيته، وهي الإنابة إليه وحده في جميع حوائجه وفي جميع حالاته، وهي إنابة أوليائه المتقين الذين يلجئون إليه في السرّاء والضراء وفي حالة الخوف والأمن، وهذه هي التي يحبها الله ﷻ ويأمر بها، قال تعالى:﴿ وَأَنِيبُوا إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا لَهُ ﴾ (٢) فهذه إنابة الموحدين الذين يوحدون الله في الإنابة ويعرضون عما سواه قال سبحانه :﴿ وَالَّذِينَ اجْتَنَبُوا الطَّاغُوتَ أَن يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوا إِلَى اللَّهِ لَهُمُ الْبُشْرَىٰ ﴾ (٣)

المطلب الرابع والثلاثون : أنواع التذكير .

- عام .
- خاص .

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية : " التذكير : عام، وخاص، فالعام هو تبليغ الرسالة إلى كل أحد، وهذا يحصل بإبلاغهم ما أرسل به من الرسالة، قال تعالى:﴿ وَمَا هِيَ إِلَّا ذِكْرَىٰ لِلْبَشَرِ ﴾ (٤)﴿ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَالَمِينَ * لِمَن شَاءَ مِنكُمْ أَن يَسْتَقِيمَ ﴾ (٥) فذكر العام والخاص والخاص هو التام النافع وهو الذي حصل معه التذكر لمذكر فان هذا ذكرى

---

(١) سورة الروم الآية ٣٣ .

(٢) سورة الزمر الآية ٥٤ .

(٣) سورة الزمر الآية ١٧ .

(٤) سورة المدثر الآية ٣١ .

(٥) سورة التكوير الآيتان ٢٧، ٢٨ .

والخاص والخاص هو التام النافع وهو الذي حصل معه التذكر لمذكر فان هذا ذكرى كما قال: ﴿ فَذَكِّرْ إِن نَّفَعَتِ الذِّكْرَىٰ * سَيَذَّكَّرُ مَن يَخْشَىٰ * وَيَتَجَنَّبُهَا الْأَشْقَى ﴾ (1) "(2).

التعليق :

القرآن فيه ذكر للعالمين كافة كما قال تعالى: ﴿ إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴾ (3) إلى قوله: ﴿ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَالَمِينَ ﴾ (4)، إلا أنه لا ينتفع به إلا المؤمن ولذا عقب الله هذه الآية بقوله: ﴿ لِمَن شَاءَ مِنكُمْ أَن يَسْتَقِيمَ ﴾ (5) فالذي يوفقه الله ﷻ ويهديه هو الذي ينفعه هذا الذكر ويتذكر به، فالأول هو التذكير العام والثاني هو التذكير الخاص.

أما القسم الأول فهو التذكير العام الشامل لعموم الخلق، فيشترك فيه المؤمن والكافر والبر والفاجر فالله يذكر الجميع بالقرآن الكريم بوعده ووعيده والبشارة والإنذار، وهذا التذكير به قامت حجة الله على الناس جميعا، فهو لا يعذب أحدا حتى يرسل إليهم رسولا يذكرهم ويخوفهم ويبشرهم.

وأما القسم الثاني فهو التذكير الخاص والتام النافع الذي يحصل به التذكر، فهو خاص بالمؤمنين الذين ينفعهم الذكر والتذكير، قال تعالى: ﴿ وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَىٰ تَنفَعُ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ (6) وأما الكفار الأشقياء فيتجنبون الذكرى والتذكير كما قال سبحانه: ﴿ فَذَكِّرْ إِن نَّفَعَتِ الذِّكْرَىٰ * سَيَذَّكَّرُ مَن يَخْشَىٰ * وَيَتَجَنَّبُهَا الْأَشْقَى ﴾ (7) أي يتجنب الذكرى فلا

---

(1) سورة الأعلى الآيات 9 - 11.
(2) الفتاوى لابن تيمية 16/157.
(3) سورة التكوير الآية 19.
(4) سورة التكوير الآيتان 27.
(5) سورة التكوير الآيتان 27، 28.
(6) سورة الذاريات الآية 55.
(7) سورة الأعلى الآيات 9 - 11.

يتذكرون ولا ينفعهم الذكرى، فالقسم الأول عام مشترك وأما التذكير الثاني فهو خاص بالمؤمنين، والله أعلم .

المطلب الخامس والثلاثون : أنواع الإنذار

- عام .
- خاص .

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله : " الإنذار : العام، قال تعالى : ﴿ فَإِنَّمَا يَسَّرْنَاهُ بِلِسَانِكَ لِتُبَشِّرَ بِهِ الْمُتَّقِينَ وَتُنذِرَ بِهِ قَوْمًا لُّدًّا ﴾ [1] وقال تعالى : ﴿ أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا أَنْ أَوْحَيْنَا إِلَىٰ رَجُلٍ مِّنْهُمْ أَنْ أَنذِرِ النَّاسَ وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا ﴾ [2] وقال في الخاص :﴿ إِنَّمَا أَنتَ مُنذِرُ مَن يَخْشَاهَا ﴾ [3]، ﴿ إِنَّمَا تُنذِرُ مَنِ اتَّبَعَ الذِّكْرَ وَخَشِيَ الرَّحْمَٰنَ بِالْغَيْبِ ﴾ [4] فهذا الإنذار الخاص وهو التام النافع الذي انتفع به المنذر، والإنذار هو الإعلام بالمخوف فعلم المخوف فخاف فآمن وأطاع " [5]

التعليق :

إن الله أرسل رسوله محمد ﷺ إلى كافة الناس بشيرا ونذيرا، فالخطاب بالأمر والنهي عام لجميع الثقلين، ولا شك أنه في أول أمره كان مرسلا إلى قوم مشركين فكان الخطاب بالإنذار والتبشير موجه إليهم وهم المنذَرون والمبَشَّرون إن آمن وأسلم فآمن من آمن منهم واتعظوا ونفعهم الإنذار و لم ينفع للباقين فلم يرفعوا بذلك رأسا ولذا خص الله الإنذار

(١) سورة مريم الآية ٩٧ .

(٢) سورة يونس الآية ٢ .

(٣) سورة النازعات الآية ٤٥ .

(٤) سورة يس الآية ١١ .

(٥) الفتاوى لابن تيمية ١٦/١٦٧.

للذين ينتفعون بالإنذار ويخافون بما يخوَّفون فقال سبحانه : ﴿ إِنَّمَا تُنذِرُ مَنِ اتَّبَعَ الذِّكْرَ وَخَشِيَ الرَّحْمَانَ بِالْغَيْبِ فَبَشِّرْهُ بِمَغْفِرَةٍ وَأَجْرٍ كَرِيمٍ ﴾ [(١)] فالإنذار من حيث العموم والخصوص ومن ثمرته ينقسم إلى : إنذار عام وإنذار خاص، أما القسم الأول هو الإنذار العام المشترك بين جميع المخاطبين الكفار منهم والمؤمنين وأما القسم الثاني فهو الإنذار الخاص بالمؤمنين الذين يخافون ويخشون بالإنذار والتخويف، والله أعلم .

المطلب السادس والثلاثون : أنواع المحبة .

- مشتركة .
- خاصة .

يقول العلامة ابن القيم رحمه الله : " المحبّة إذا كانت صادقة أوجبت للمحبّ تعظيما لمحبّوبه يمنعه من انقياده إلى غيره ... والمحبّة المشتركة ثلاثة أنواع : أحدها محبّة طبيعية مشتركة، كمحبّة الجائع للطعام والظمآن للماء وهذه لا تستلزم التعظيم ،والنوع الثاني محبّة رحمة وإشفاق، كمحبّة الوالد لولده الطفل ونحوها وهذه أيضا لا تستلزم التعظيم، والنوع الثالث محبّة أنس وإلف...فهذه الأنواع الثلاثة هي المحبّة التي تصلح للخلق بعضهم من بعض، وجودها فيهم لا يكون شركا في محبّة الله ... وأما المحبّة الخاصة التي لا تصلح إلا لله، ومتى أحب العبد بها غيره كان شركا لا يغفره الله، وهي محبّة العبودية المستلزم للذل والخضوع والتعظيم وكمال الطاعة وإيثاره على غيره، فهذه المحبّة لا تجوز تعلقها بغير الله أصلاً " [(٢)] .

ويقول الشيخ سليمان رحمه الله :" المحبّة قسمان : مشتركة، خاصة، فالمشتركة ثلاثة أنواع : محبّة طبيعية، محبّة رحمة وإشفاق، محبّة أنس وأنف، والقسم الثاني وهي المحبّة الخاصة التي لا تصلح إلا لله " [(٣)] .

---

(١) سورة يس الآية ١١ .

(٢) طريق الهجرتين ص ٤٤١، ٤٤٢ .

(٣) تيسير العزيز الحميد ص ٤٦٧ باختصار .

التعليق :

المحبّة هي أحد محرّكات القلب الذي هو ملك الأعضاء، فأصل الأعمال كلها هو المحبّة بل وأصل كل حركة في العالم هو المحبة والإرادة، والمحبّة باعتبار ما تستلزم التعظيم والذل للمحبّوب تنقسم إلى قسمين :

المحبّة المشتركة والمحبّة الخاصة .

أما القسم الأول فهو المحبّة المشتركة وهي التي لا تستلزم التعظيم والذل للمحبّوب، بل هي محبّة طبيعية جعلها الله في قلوب العباد وحبّب بعضهم إلى بعض وجعل بينهم مودة، كما قال سبحانه : ﴿ ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة ﴾ (١) وكان الرسول ﷺ يحب أصحابه وكان أحب الناس إليه عائشة ومن الرجال أبوها، وقال سبحانه في الأنصار : ﴿ يحبون من هاجر إليهم ﴾ (٢) فهذه المحبّة مباحة الأصل فإذا اقترن بذلك النية الخالصة لله سبحانه صارت عبادة يثاب عليها .

وأما القسم الثاني فهو المحبّة الخاصة لله ﷻ التي توجب التذلل والتعظيم والإجلال ويقترن به الخوف والرجاء وتستلزم الطاعة والانقياد التام بحيث لا يخالفه في أمره ونهيه كما قيل :

تعصي الإله وأنت تزعم حبه * هذا محال في القياس بديع

لو كان حبك صادقا لأطعته * فإن المحبّ لمن يحب مطيع(٣)

فهذه المحبّة خاصة لله ﷻ لا تصلح لأحد من الخلق " فهي قطب رحى السعادة وروح الإيمان وساق شجرة الإسلام، ولأجلها أنزل الله الكتاب والحديد، ولأجلها خلقت الجنة والنار " (٤) وهذه المحبّة هي التي أشرك المشركون مع الله آلهتهم كما قال سبحانه :﴿ ومن

---

(١) سورة الروم الآية ٢١ .

(٢) سورة الحشر الآية ٩ .

(٣) ديوان الشافعي ص ٥٨ .

(٤) طريق الهجرتين ص ٢٩٦ .

الناس من يتخذ من دون الله أندادا يحبونهم كحب الله﴾ (1) فجعل تسوية غيره به في هذه المحبّة شركاً به سبحانه .

المطلب السابع والثلاثون : أنواع المحبة من جهة تعلقها بالله .

- محبّته .
- المحبّة فيه .
- المحبّة معه

يقول العلامة ابن القيم رحمه الله : " فان المحبّة ثلاثة أقسام : محبّة الله، المحبّة له وفيه، والمحبّة معه، فالمحبّة له وفيه من تمام محبّته وموجباتها لا من قواطعها، فإن محبّة الحبيب تقتضي محبّة ما يحب ومحبّة ما يعين على حبه ويوصل إلى رضاه وقربه، أما المحبّة مع الله فهي المحبّة الشركية، وهي كمحبّة أهل الأنداد لأندادهم، كما قال الله تعالى : ﴿ ومن الناس من يتخذ من دون الله أندادا يحبونهم كحب الله والذين آمنوا أشد حباً لله﴾ (2) " (3) .

التعليق :

هذا التقسيم هو من جهة تعلقها بالله سبحانه وتعالى، فهي بهذا الاعتبار تنقسم إلى ثلاثة أقسام : محبّته سبحانه، المحبّة فيه وله، المحبّة معه .

أما القسم الأول فهو محبّته وهي كما سبق أنها تستلزم التعظيم والذل ويقترن بها الخوف والرجاء، فهذه هي روح العبادة وحقيقتها فلا يتم التوحيد إلا بها" وكلما ازداد

---

(1) سورة البقرة الآية .

(2) سورة البقرة الآية ١٦٥ .

(3) روضة المحبّين ص ٢٩٣، وانظر الإغاثة له ٢/١٤٩، وجواب الكافي ٤٤٣ .

القلب حبّاً لله ازداد له عبودية، وكلما ازداد له عبودية ازداد له حبّاً "[1]، فالله سبحانه هو المحبّوب لذاته وليس في الموجودات ما يحب لذاته سوى الله ﷻ[2] .

وأما القسم الثاني فهو محبّة ما يحبه الله فيحبه لحب الله له كحب الأنبياء والأولياء والأعمال الصالحة ونحوها، فهذه المحبّة وإن كانت متعلقة بغير الله سبحانه فليست شركا معه في محبّته، فهي لا تستلزم الذل والتعظيم المطلق للمحبوب، ولا يقترن بها الخوف ولا الرجاء منه، فلها حدود لا يجوز التجاوز عنها فإن جاوزها صار منِ الغلو والإطراء المنهي عنه، لأن المحبوب في هذه المحبة إنما هو لغيره لا لذاته بل هو لمحبة الله له ومحبته لله ﷻ .

وأما القسم الثالث فهو المحبة مع الله غيره محبة تستلزم الذل والتعظيم للمحبوب ويقترن بها الخوف والرجاء منه، فهذه المحبة هي المنهي عنها وهي التي تنافي التوحيد والمحبة الخاصة ويكون صاحبها مشركاً مخرجاً من الملة .

المطلب الثامن والثلاثون : أنواع الخوف .

- خوف السرّ .
- خوف المخلوقات
- خوف وعيد الله ﷻ .
- الخوف الطبيعي .

يقول الشيخ سليمان رحمه الله : " الخوف من أفضل مقامات الدين وأجلها ... وهو على ثلاثة أقسام : أحدها : خوف السرّ وهو أن يخاف من غير الله أن يصيبه بما يشاء من مرض أو فقر ونحو ذلك بقدرته ومشيئته...فهذا لا يجوز تعلقه بغير الله أصلاً...الثاني : أن يترك الإنسان ما يجب عليه... لخوف من الناس فهذا محرم، الثالث : خوف وعيد الله الذي توعد به العصاة وهو الذي قال الله فيه : ﴿ذلك لمن خاف مقامي وخاف وعيد﴾، وبقي

---

(١) مجموع الفتاوى لابن تيمية ١٩٣/١٠ .

(٢) انظر مجموع الفتاوى ٦٠٧/١٠، ٦٤٩ .

قسم رابع وهو الخوف الطبيعي كالخوف من عدو وسبع وهدم وغرق ونحو ذلك فهذا لا يذم "[1].

التعليق :

الخوف هو بمثابة المحافظ للقلب من التردي في المهالك كما قيل في تعريفه : ما حجزك عن محارم الله [2]، وهو ينقسم من حيث الحكم إلى أربعة أقسام :

خوف السرّ، خوف الناس من أداء الواجب، خوف وعيد الله، الخوف الطبيعي .

أما القسم الأول فهو خوف السر وهو الخوف التّعبّدي الذي يستلزم التذلل والرجاء ممن يخافه، فهذا لا يجوز تعلقه بغير الله ﷻ أصلاً، لأنه ليس في الكون أحد من يقدر على شيء استقلالاً سواه، ولذا جعل الله الخوف منه وحده هو شرط للإيمان، فقال ﷻ :﴿ فلا تخافوهم وخافون إن كنتم مؤمنين ﴾ [3] وقال سبحانه :﴿ وإياي فارهبون ﴾ [4]"

وأما القسم الثاني فهو الخوف من الناس الأمر الذي يودى إلى ترك ما يجب عليه من القيام بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والجهاد في سبيل الله، فهذا الخوف محرم شرعاً وينافي كمال التوحيد الواجب إلا انه لا يناقضه ولا ينافي خوف السر لعدم مقارنة الذل والتعظيم لمن يخافهم .

وأما القسم الثالث فهو الخوف من وعيد الله الذي توعد به العصاة فهذا الخوف هو حقيقة خوف السر التعبدي إذ الخوف من الله سبحانه ليس كالمحبة له فليس الخوف عائدا إلى نفس الذات بل هو يتعلق بأفعال الرب سبحانه، ولهذا يزول الخوف في الجنة بخلاف الحب فهو يزداد فيها[5] .

---

(١) تيسير العزيز الحميد ص ٤٨٣ .

(٢) هذا التعريف لشيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله كما في مدارج السالكين ٥١٤/١ .

(٣) سورة آل عمران الآية ١٧٥ .

(٤) سورة البقرة الآية ٤٠ .

(٥) انظر طريق الهجرتين لابن القيم ص ٢٨٤ .

وأما القسم الرابع فهو الخوف الطبيعي الجبلي الذي لا يستطيع أحد أن يدفعه من نفسه، وهذا الخوف لا يذم لا سيما إذا كان هناك سبب ظاهر وتوقع مكروه، ولهذا لم يسلم منه أحد حتى الرسل عليهم السلام كما قال سبحانه في حق خليله ﷺ :﴿ فأوجس منهم خيفة قالوا لا تخف﴾ [1]" وقال عن موسى :﴿ قال رب إني قتلت منهم نفسا فأخاف أن يقتلون ﴾ [2] " لكن إن حمل على ترك واجب أو فعل محرم فهو محرم " [3]

المطلب التاسع والثلاثون : أنواع النذر باعتبار المنذور .

- طاعة .
- معصية .

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله :" أما النذر فهو نوعان : طاعة ومعصية، فمن نذر صلاة أو صوما أو صدقة فعليه أن يوفي به، وان نذر ما ليس بطاعة مثل النذر لبعض المقابر والمشاهد وغيرها زيتا أو شمعا أو نفقة أو غير ذلك فهذا نذر معصية، وهو شبيه من بعض الوجوه، النذر للأوثان كاللات والعزى ومناة الثالثة الأخرى فهذا لا يجوز الوفاء به بالاتفاق " [4] .

التعليق :

النذر هو إيجاب العبد على نفسه ما ليس بواجب عليه[5]، وهو باعتبار المنذور ينقسم إلى قسمين : نذر طاعة ونذر معصية .

(١) سورة الذاريات الآية ٢٨ .

(٢) سورة القصص الآية ٣٣ .

(٣) القول المفيد على كتاب التوحيد للشيخ محمد العثيمين ص ٢٠٥ .

(٤) مجموع الفتاوى ٣٥/٣٥٤ .

(٥) انظر مجموع الفتاوى ٣١/٢٤٧، وحاشية ابن القيم على سنن أبي داود ٧/٢٦ .

أما القسم الأول فهو نذر طاعة وهو أن يوجب العبد على نفسه فعل طاعة من الطاعات المستحبة والمندوبة فيجب عليه الوفاء به ويكون المستحب والمندوب في حقه واجباً، أو يوجب على نفسه ترك المكروهات فتكون محرمة عليه، كما قال ﷺ: **﴿ من نذر أن يطيع الله فليطعه ﴾** [1].

وأما القسم الثاني فهو نذر معصية وهو أن يوجب على نفسه فعل معصية من ترك مأمور أو فعل محظور، فهذا لا يجوز الوفاء به لكونه نذر به، إذ النذر لا يجعل المحرم جائزاً فضلاً عن كونه واجباً فالمحرم محرم وإن نذر به وأوجبه على نفسه، كما قال ﷺ: **﴿ ومن نذر أن يعصي الله فلا يعصه ﴾** [2] .

المطلب الأربعون: أنواع النذر من حيث تعلقه بالسبب.

- نذر التبرر .
- نذر المجازاة .
- نذر اللجاج والغضب .

يقول الحافظ ابن حجر رحمه الله : " قال القرطبي : النذر من العقود المأمور بالوفاء بها المثني على فاعلها، وأعلى أنواعه ما كان غير معلق على شيء كمن يعافي من مرض فقال : لله علي أن أصوم كذا أو أتصدق بكذا شكرا لله تعالى، ويليه المعلق على فعل طاعة كإن شفى الله مريضي صمت كذا أو صليت كذا، وما عدا هذا من أنواعه كنذر اللجاج ... أو يحمل على نفسه مما يشق عليه فعله ويتضرر بفعله فإن ذلك يكره وقد يبلغ بعضه التحريم " [3] .

---

(١) الحديث رواه البخاري في صحيحه كتاب الأيمان والنذور، باب النذر فيما لا يملك وفي معصية ١١/٥٩٤/ برقم (٦٧٠٠) من حديث عائشة رضي الله عنها .

(٢) الحديث جزء من الحديث السابق تخريجه من حديث عائشة رضي الله عنها .

(٣) فتح الباري ١١/٥٨٤ .

التعليق :

هذا التقسيم للنذر هو من حيث تعلقه بالسبب لذلك، فهو بهذا الاعتبار ينقسم إلى ثلاثة أقسام : نذر التبرر، ونذر المجازاة، ونذر اللجاج والغضب .

أما القسم الأول فهو نذر التبرر وهو النذر بالطاعة ابتداء من غير تعليق الفعل بأمر يتم له أو لغيره، فهذا النوع محمود وجائز الابتداء به [1]، وقد أثنى الله على من ينذر هذا النذر ثم يوفي ذلك في قوله :﴿ يوفون بالنذر ويخافون﴾ [2] .

يقول الحافظ ابن حجر : " وقد أخرج الطبري بسند صحيح عن قتادة[3] في قوله تعالى :﴿ يوفون بالنذر﴾ قال : كانوا ينذرون طاعة الله من الصلاة والصيام والزكاة والحج والعمرة وما افترض عليهم فسماهم الله أبرارا)) وهذا صريح في أن الثناء وقع في غير نذر المجازاة "[4]، وهذا أيضاً إذا لم يبالغ فيه بحيث يشق على نفسه الوفاء به فيستثقل الطاعة ويندم على نذره وقد لا يفي بذلك، وفي الحديث : **﴿ لن يشاد أحد الدين إلا غلبه﴾** [5]، وفيه أيضا :**﴿ عليكم من الأعمال ما تطيقون فإن الله لا يمل حتى تملوا ﴾** [6]، ولهذا قد كره بعض العلماء هذا النوع من النذر أيضا بل قد حرمه بعضهم[7] .

---

(١) انظر تعليق الدكتور عاصم القريوتي على كتاب قطف الثمر لصديق حسن خان في ص ١١٥ .

(٢) سورة الإنسان الآية ٧ .

(٣) هو الحافظ المحدث قتادة بن دعامة قتادة السدوسي البصري الضرير، ولد سنة ٦٠هـ، وتوفي سنة ١١٧هـ وقيل ١١٨هـ .
انظر السير ٥/٢٦٩-٢٨٣، وشذرات الذهب ١/١٥٣ .

(٤) فتح الباري ١١/٥٨٧ .

(٥) الحديث أخرجه البخاري في كتاب الإيمان باب الدين يسر ١/١١٦/(٣٩) من حديث أبي هريرة ﷺ .

(٦) الحديث متفق عليه من حديث عائشة رضي الله عنها، أخره البخاري في كتاب التهجد باب ما يكره من التشديد في العبادة ٣/٤٣/(١١٥١)، ومسلم في كتاب صلاة المسافرين ٦/٧٤/(٧٨٥) .

(٧) انظر القول المفيد على كتاب التوحيد للشيخ محمد العثمين ١/٣٢٠،٣٢١ فقد مال الشيخ إلى تحريم النذر مطلقا تبعا لشيخ الإسلام ابن تيمية .

وأما القسم الثاني فهو نذر المجازاة والمعاوضة وهو تعليق فعل الطاعة بحصول غرض معين بحيث إنه لو لم يحصل ذلك الغرض و لم يتم له ذلك الأمر لا يفعل أو لا يجب عليه فعل تلك الطاعة، فهذا النوع من النذر هو الذي نهى عنه النبي ﷺ وقال فيه :﴿ **إنه لا يأتي بخير وإنما يستخرج به من البخيل** ﴾ [(1)] إلا أنه يجب الوفاء به، وأما الابتداء به فهو المنهي عنه في الحديث فقال بعض أهل العلم أنه مكروه والنهي للتتريه وقال بعضهم إنه حرام وإن كان الوفاء به واجب [(2)] .

وأما القسم الثالث فهو نذر اللجاج والغضب فهو في الحقيقة من الأيمان وليس من النذور وإن كان لفظه لفظ النذر، وهذا قد اختلف العلماء في حكمه فقيل إنه ليس نذرا في الحقيقة فيكفي فيه الكفارة ولا يتعين الوفاء به، وقيل إنه نذر فالحكم على ظاهره ويجب الوفاء به [(3)] .

المطلب الحادي والأربعون : أنواع التوسل

- توسل مشروع .
- توسل ممنوع .

يقول الشيخ صالح الفوزان حفظه الله : " فالتوسل قسمان : توسل مشروع ، توسل ممنوع، والتوسل المشروع أنواع... أما التوسل الممنوع فهو التوسل بذوات المخلوقين " [(4)] .

---

(1) الحديث متفق عليه من حديث أبي هريرة وابن عمر رضي الله عنهم، أخرجه البخاري كتاب القدر باب إلقاء العبد النذر إلى القدر ١١/٥٠٨(٦٦٠٨،٦٦٠٩) وكتاب الأيمان والنذور باب الوفاء بالنذر ١١/٥٨٤(٦٦٩٢،٦٦٩٢،٦٦٩٣)، ومسلم في كتاب النذور ١١/٩٧(١٦٣٩،١٦٤٠).

(2) انظر أقوال أهل العلم في ذلك فتح الباري لابن حجر ١١/٥٨٥-٥٨٧ .

(3) انظر مسألة نذر اللجاج في مجموع الفتاوى ٣٣/١٣٨، ١٩٨-٢٠٠، ٢٤٨-٢٥٨ .

(4) محاضرات في العقيدة ص ٣٢، وانظر التوصل إلى حقيقة التوسل للشيخ الرفاعي ص ١٤ .

التعليق :

هذا التقسيم هو من حيث الحكم عليه، فهو بهذا الاعتبار على قسمين :

الأول هو التوسل المشروع، وهو كل ما ثبت في الشرع أنه يتوسل بــه إلى الله ﷻ في دعائه، وقد ثبتت أنواع من التوسل في الشرع، وسيأتي مزيد من التفاصيل لذلك عند بيان أنواعه .

والثاني فهو التوسل الممنوع شرعا، وهو كل توسل لم يدل عليه دليل شــرعي، نحــو التوسل بذوات المخلوقين أو بجاههم ونحو ذلك من الأسباب التي لا تقتضــي حصــول المطلوب واستجابة الدعاء، لأن هذا توسل بأمر أجنبي عن السائل .

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله : "فالتوسل إلى الله بالنبيين هو التوسل بالإيمان بهم وطاعتهم ومحبتهم وموالاتهم، أو بدعائهم وشفاعتهم وأما نفس ذواتهم فليس فيها مــا يقتضي حصول مطلوب العبد، وإن كان لهم عند الله الجاه العظيم والمترلة العالية "[1].

وقال أيضا : " إن كان سؤالا بمجرد ذات الأنبياء والصالحين فهذا غير مشروع، وقــد نهى عنه غير واحد من العلماء ...وهو سؤال بسبب لا يقتضي حصول المطلوب، بخــلاف من كان طالبا بالسبب المقتضي لحصول المطلوب، كالطلب منه سبحانه بدعاء الصــالحين وبالأعمال الصالحة فهذا جائز "[2]، والله أعلم .

المطلب الثاني والأربعون : أنواع التوسل المشروع

- بأسماء الله وصفاته .
- بالأعمال الصالحة .
- بدعاء الصالحين .

يقول العلامة الألباني رحمه الله : "إن الذي ظهر لنا بعد تتبع مــا ورد في الكتــاب الكريم والسنة المطهرة أن هناك ثلاثة أنواع للتوسل شرعها الله تعالى " وقال : " التوســل

---

(١) مجموع الفتاوى ١٣٣/٢٧ .

(٢) القاعدة الجليلة ص ٢٧٤ .

المشروع الذي دلت عليه نصوص الكتاب والسنة، وجرى عليه عمل السلف الصالح، واجمع عليه المسلمون هو : التوسل باسم من أسماء الله تبارك وتعالى أو صفة من صفاته، التوسل بعمل صالح قام به الداعي، التوسل بدعاء رجل صالح " [1] .

التعليق :

هذا التقسيم للتوسل هو من حيث الوسيلة الجائزة التي يتوسل بها العبد إلى الشيء المطلوب، فهو بهذا الاعتبار ينقسم إلى ثلاثة أقسام :

أما القسم الأول فهو التوسل بأسماء الله الحسنى وصفاته العليا، فهذا من أعظم ما يسأل الله به، لأن أسماؤه وصفاته تقتضي آثارا وأحكاما في الخلق، فجميع أفعاله سبحانه بالعباد هي من مقتضى أسمائه وصفاته [2]" فيتوسل العبد بالأسماء والصفات إلى حصول مقتضاها وموجباتها" فأفضل الدعاء وأحوبه ما توسل فيه الداعي إليه بأسمائه وصفاته، قال الله تعالى : ﴿ولله الأسماء الحسنى فادعوه بها﴾" [3] .

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله : " وأما سؤال الله بأسمائه وصفاته التي تقتضي ما يفعله بالعباد من الهدى والرزق والنصر، فهذا أعظم ما يسأل الله تعالى به" [4] .

والثاني هو التوسل بالأعمال الصالحة التي يقوم بها العامل، فالإيمان والعمل الصالح قد جعله الله سببا لإجابة الدعاء [5]" قال تعالى : ﴿ ويستجيب الذين آمنوا وعملوا الصالحات ويزيدهم من فضله ﴾ [6] فيتوسل العبد بإيمانه وأعماله الصالحة ليستجيب الله دعاءه كما حكاه الله عن المؤمنين : ﴿ ربنا إننا سمعنا مناديا ينادي للإيمان أن آمنوا بربكم فآمنا ربنا فاغفر لنا ذنوبنا

---

(١) التوسل أنواعه وأحكامه ٣٢، ٤٦، وانظر التوصل إلى حقيقة التوسل للشيخ محمد نسيب الرفاعي ص ١٤، ومحاضرات في العقيدة لفضيلة الشيخ صالح الفوزان ص ٣٢ .

(٢) انظر القاعدة الجليلة ص ٩٢ .

(٣) الصواعق المرسلة ٩١١/٣ .

(٤) قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة ص ١٠٨ .

(٥) انظر المصدر السابق ص ٩٧ .

(٦) سورة الشورى الآية ٢٦ .

﴿ وكفر عنا سيئاتنا وتوفنا مع الأبرار ﴾[1] لأن الأعمال الصالحة يحبها الله ﷻ محبة تقتضي إجابة صاحبه، ومن هذا قصة أصحاب الغار الذين توسلوا بصالح أعمالهم لتفريج كربتهم فاستجاب الله سبحانه دعاءهم[2] .

وأما الثالث فهو التوسل بدعاء الصالحين، كأن يطلب من الرجل الصالح أن يدعو الله لقضاء حاجته وكشف كربته، وهذا إذا تحقق صلاح ذلك الرجل وقوة إيمانه فحينئذ يجوز لغيره أن يطلب منه الدعاء له، كما في الحديث : أن النبي ﷺ قال : ﴿ **إِنَّ رَجُلا يَأْتِيكُمْ مِنْ الْيَمَنِ يُقَالُ لَهُ أُوَيْسٌ، لا يَدَعُ بِالْيَمَنِ غَيْرَ أُمٍّ لَهُ، قَدْ كَانَ بِهِ بَيَاضٌ فَدَعَا اللَّهَ فَأَذْهَبَهُ عَنْهُ إِلا مَوْضِعَ الدِّينَارِ أَوْ الدِّرْهَمِ، فَمَنْ لَقِيَهُ مِنْكُمْ فَلْيَسْتَغْفِرْ لَكُمْ** ﴾[3]وفي رواية : ﴿ **إِنَّ خَيْرَ التَّابِعِينَ رَجُلٌ يُقَالُ لَهُ أُوَيْسٌ، وَلَهُ وَالِدَةٌ، وَكَانَ بِهِ بَيَاضٌ، فَمُرُوهُ فَلْيَسْتَغْفِرْ لَكُمْ** ﴾[4] فدعاء الرجل الصالح أقرب إلى الإجابة لمحبة الله له ورضاه له ولصلاحه .

المطلب الثالث والأربعون : أنواع التوكل .

- في الأمور الدنيوية .
- في الأمور الدينية .

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله : " التوكل يتناول : التوكل عليه ليعينه على فعل ما أمر، والتوكل عليه ليعطيه ما لا يقدر العبد عليه "[5] .

يقول ابن القيم رحمه الله : "التوكّل على الله نوعان : أحدهما توكّل عليه في جلب حوائج العبد وحظوظه الدنيوية أو دفع مكروهاته ومصائبه الدنيوية، والثاني : التوكّل عليه

---

(١) سورة آل عمران الآية ٩٣ .

(٢) القصة أخرجها البخاري في أحاديث الأنبياء باب حديث الغار برقم (٣٤٦٥)، ومسلم في الذكر برقم (٢٧٤٣) .

(٣) الحديث أخرجه مسلم في كتاب فضائل الصحابة برقم (٢٥٤٢) من حديث عمر ﷺ .

(٤) أخرجها مسلم أيضا .

(٥) مجموع الفتاوى ١٧٧/٨ .

في حصول ما يحبه هو ويرضاه من الإيمان واليقين والجهاد والدعوة إليه، وبين النّوعين من الفضل ما لا يحصيه إلا الله، فمتى توكّل عليه العبد في النّوع الثاني حق توكّله كفاه النّوع الأول تمام الكفاية، ومتى توكّل عليه في النّوع الأول دون الثاني كفاه أيضاً لكن لا يكون له عاقبة المتوكّل عليه فيما يحبه ويرضاه " [1] .

التعليق :

هذا التقسيم للتوكّل هو باعتبار غايته، فهو بهذا الاعتبار ينقسم إلى قسمين : توكّل في الأمور الدنيوية وتوكّل في الأمور الدينية .

أما القسم الأول فهو التوكّل على الله ﷻ في حصول الحوائج الدنيوية المحضة من رزق وعافية والاعتماد عليه مع مباشرة الأسباب، فهذا وإن كانت غايته المطلوبة ليست عبادة لذاتها لأنها محض حظ العبد إلا أن التوكّل فيه على الله هو مطلوب من العبد محبوب عند الله فهو عبادة يثاب عليها، بل ويعاقب تاركه لأن الذي لا يتوكّل على الله في جلب حوائجه ودفع مصائبه يحصل منه التوكّل على غيره الذي هو نوع من الشرك الذي لا يغفره الله .

وأما القسم الثاني فهو التوكّل على الله ﷻ في حصول حظوظه الدينية التي يحبها الله ﷻ من الإيمان والهداية وجهاد العدو وغيرها من العبادات، فهذا النّوع كما أن التوكّل فيه عبادة يحبها الله ﷻ كذلك غايته أيضا عبادة محضة يحبها الله، فهذا النّوع أعظم وأفضل من النّوع الأول بل هذا هو تحقيق معنى قوله : ﴿إياك نعبد وإياك نستعين﴾، أي نستعين بك وحدك ونتوكّل عليك في عبادتنا إياك ولذا ذكر العبادة أوّلاً ثم ذكر الاستعانة وهكذا جمع الله ﷻ في عدة مواضع بين العبادة والتوكل كما قال سبحانه : ﴿ فاعبده وتوكل عليه﴾ [2] والله أعلم .

---

(١) الفوائد ص ٨٦ ، وانظر طريق الهجرتين ص ٣٩٥، والفتاوى لابن تيمية ص ١٨/١٠.

(٢) سورة هود الآية ١٢٣، وانظر مجموع الفتاوى لابن تيمية ١٩/١٠ .

- بالله .
- باسم من أسمائه الحسنى .
- بصفة من صفاته .

يقول الإمام البغوي رحمه الله : " واليمين لا تنعقد إلا بالله أو باسم من أسمائه أو صفة من صفاته، ولا تنعقد بشيء من المخلوقات، فاليمين بالله، كقوله : والذي نفسي بيده، والذي أعبده ونحو ذلك، واليمين بأسمائه، كقوله : والله، والرحمن، والخالق، ونحو ذلك، واليمين بصفاته، كقوله : وعزة الله، وجلال الله، وكلام الله، وعلم الله، ونحو ذلك " [1]

التعليق :

هذا التقسيم لليمين بالله هو من حيث نوع القسم به،فهو على ثلاث أقسام :

أما القسم الأول فهو اليمين بذاته سبحانه وهذا كالقسم بالألفاظ الدالة عليه سبحانه والتي يخبر بها العبد عنه ﷻ، كما كان أكثر يمين النبي ﷺ : ﴿ **ومقلب القلوب** ﴾ [2] وفي غالب يمين الصحابة رضي الله عنهم عند مخاطبة الرسول ﷺ : ((والذي بعثك بالحق)) ونحوها من العبارات الدالة على الرب تبارك وتعالى .

وأما القسم الثاني فهو اليمين باسم من أسمائه الحسنى، لأن الاسم هو للمسمى كما قال سبحانه : ﴿ ولله الأسماء الحسنى ﴾ فأسماؤه الحسنى كلها تدل على ذاته .

وأما القسم الثالث فهو اليمين بصفة من صفاته، لأن الصفات تابعة للموصوف ودالة عليه فهي تأخذ حكم الموصوف، فصفات الله ﷻ يجوز الحلف بها والاستعاذة والتوسل بها، والله أعلم .

---

(١) شرح السنة ١٦٩/١ .

(٢) أخرجه البخاري في كتاب الأيمان والنذور باب كيف كانت يمين النبي ﷺ ٥٣١/١١/ برقم (٦٦٢٨) .

المبحث الثاني :

التقسيمات المتعلقة بما يضاد توحيد الألوهية .

وفيه ثمانية عشر مطلبا

- الرّياء المحض .
- الرّياء الطارئ .
- الرّياء الأصغر .

يقول الحافظ ابن رجب رحمه الله : " واعلم أن العمل لغير الله أقسام : فتارة يكون رياء محضاً بحيث لا يراد به سوى مراءاة المخلوقين لغرض دنيوي، كحال المنافقين في صلاتهم ...وتارة يكون العمل لله ويشاركه الرّياء، فإن شاركه من أصله فالنصوص الصحيحة تدل على بطلانه وحبوطه، وأمّا إن كان أصل العمل لله ثم طرأت عليه نيّة الرّياء فإن كان خاطراً ودفعه فلا يضرّه بغير خلاف، فإن استرسل معه فهل يحبط عمله أم لا يضرّه ذلك ويجازي على أصل نيّته ؟ في ذلك خلاف بين العلماء من السلف ،" [١] .

يقول الشيخ حافظ الحكمي رحمه الله :" ثمّ اعلم أن الرّياء قد أطلق في كتاب الله كثيرا ويراد به النّفاق، والفرق بين هذا الرّياء الذي هو النّفاق الأكبر وبين الرّياء الذي سمّاه النّبي ﷺ شركاً أصغراً خفياً هو حديث : ﴿ **الأعمَالُ بِالنّياتِ** ... ﴾ [٢] فالنّية هي الفرق في العمل في تعيينه وفيما يراد به ... فإن كان الباعث على العمل هو إرادة غير الله عز وجل فذلك النّفاق الأكبر، سواء في ذلك من يريد به جاها ورئاسة وطلب دنيا ومن يريد حقن دمه وعصمة ماله ... وإن كان الباعث على العمل إرادة الله عز وجل والدار الآخرة ولكن دخل عليه الرّياء في تزيينه وتحسينه ذلك هو الذي سمّاه النّبي ﷺ الشّرك الأصغر وفسّره برياء العمل "[٣] .

---

(١) جامع العلوم والحكم ٧٩/١-٨٣ باختصار وانظر القول المفيد للشيخ محمد العثيمين .

(٢) الحديث سبق تخريجه، انظر الصفحة ٣٩ .

(٣) معارج القبول للحكمي ٣٩٧/١ باختصار .

التعليق :

هذا التقسيم للرياء هو باعتبار أصل العمل والباعث عليه، فهو بهذا الاعتبار ينقسم إلى ثلاثة أقسام : رياء محض، ورياء أصغر، ورياء طارئ .

أمّا القسم الأوّل وهو الرّياء المحض الذي هو مراءاة المخلوقين فقط في أعماله كلها وليس في قلبه مثقال ذرة من إيمان، فهذا هو حال المنافقين الذين يؤدون الأحكام الإسلامية الظاهرة وذلك ليراه النّاس فقط، قال ﷻ : ﴿ وإذا قاموا إلى الصلاة قاموا كسالى يراءون الناس ولا يذكرون الله إلا قليلا ﴾ [1] .

وأمّا القسم الثّاني وهو الرّياء الأصغر هو أن يكون العمل لله ﷻ ثم يشاركه مراءاة المخلوقين أيضا، فكان العمل قبل صدوره خالصاً لله ﷻ إلا أنّه عند صدور العمل شلوك الرّياء لبعض المخلوقين لأغراض دنيوية محضة، فهذا شرك يحبط العمل كلّه الذي أشرك فيه مع الله غيره، كما في الحديث القدسي الشريف ﴿ **أَنَا أَغْنَى الشُّرَكَاءِ عَنْ الشِّرْكِ مَنْ عَمِلَ عَمَلا أَشْرَكَ فِيهِ مَعِي غَيْرِي تَرَكْتُهُ وَشِرْكَهُ** ﴾ [2].

وأمّا القسم الثّالث وهو الرّياء الطارئ فهو اختلاس يختلسه الشيطان في حين غفلة منه أثناء صدور العمل مع كون العمل في بدايته خالصاً لله ﷻ لكنه طرأ عليه الرّياء قبل نهايته والفراغ منه، "فهذا المعوّل فيه على الباعث الأوّل ما لم يفسخه بإرادة جازمة لغير الله، فيكون حكمه حكم قطع النية في أثناء العبادة وفسخها، أعني قطع ترك استصحاب حكمها "[3] ثم إن كان العمل يرتبط آخره بأوّله فيبطل العمل كلّه، وأمّا ما لا ارتباط فيه فيبطل حين انقطاع الإخلاص ويجازى على ما سبق من العمل بالإخلاص [4] .

---

(١) سورة النساء الآية ١٤٢ .

(٢) الحديث أخرجه مسلم في صحيحه كتاب الزهد والرقائق ١١٥/١٨/ برقم (٢٩٨٥) من حديث أبي هريرة ﷺ .

(٣) إعلام الموقعين لابن القيم ١٨٢/٢ .

(٤) انظر أعلام الموقعين ١٨٢/٢ ، وجامع العلوم والحكم ٨٣/١، .

- الرّياء الخالص المذموم .
- الرّياء المحمود .

يقول العلامة ابن القيم رحمه الله : "المشاهدة في العمل لغير الله نوعان : مشاهدة تبعث عليه أو تقوي باعثه فهذه مراءاة خالصة أو مشوبة، كما أن المشاهدة القاطعة عنه أيضا من الآفات والحجب، ومشاهدة لا تبعث عليه ولا تعين الباعث بل لا فرق عنده بين وجودها وعدمها، فهذه لا تدخله في التزين بالمراءاة ولاسيما عند المصلحة الراجحة في هذه المشاهدة أمّا حفظا ورعاية ... أو مشاهدة ناظر إليك يريد أن يتعلم منك فتكون محسنا إليه بالتعليم وإلى نفسك بالإخلاص، أو قصدا منك للاقتداء وتعريف الجاهل فهذا : رياء محمود، والله عند نية القلب وقصده، فالرّياء المذموم أن يكون الباعث قصد التعظيم والمدح والرغبة فيما عند من ترائيه أو الرهبة منه "[1]،

التعليق :

هذا التقسيم للمشاهدة والمراءاة هو من حيث مناقضتها للإخلاص وتعارضها معه، فالمراءاة قد تناقض الإخلاص وتنافيه وقد لا تنافيه ولا تضره، فهي بهذا الاعتبار تنقسم إلى قسمين : مراءاة مذمومة تنافي الإخلاص، ومراءاة محمودة لا تنافي الإخلاص .

أمّا القسم الأوّل فهو المراءاة المذمومة الّتي تنافي الإخلاص وتناقضه ولا تجامعه البتة، فهذا الرّياء مذموم ومحرّم شرعاً ،كما قالﷺ : ﴿ مَنْ سَمَّعَ سَمَّعَ اللَّهُ بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ﴾[2] والعمل المصاحب له باطل غير مقبول، كما قال تعالى: ﴿فمن كان يرجوا لقاء ربه فليعمل

---

(١) مدارج السالكين ٨٤/٢ .

(٢) الحديث أخرجه البخاري في صحيحه كتاب الأحكام باب من شاق شق الله عليه ١٣٨/١٣/ برقم (٧١٥٢)، وأخرج نحوه أيضا في كتاب الرقاق باب الرياء والسمعة ٣٤٣/١١/ برقم (٦٤٩٩) وأخرج مسلم في كتاب الزهد والرقائق ١١٦/١٨/ برقم (٢٩٨٦) من حديث جندب ﷺ .

﴿عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾ [1] وقال سبحانه في الحديث القدسي : ﴿ أَنَا أَغْنَى الشُّرَكَاءِ عَنْ الشِّرْكِ، مَنْ عَمِلَ عَمَلًا أَشْرَكَ فِيهِ مَعِي غَيْرِي تَرَكْتُهُ وَشِرْكَهُ ﴾ [2] فقصد مراءاة الناس ومشاهدتهم للعمل لأغراض دنيوية محضة مناقضة للإخلاص وإشراك مع الله غيره .

وأما القسم الثاني فهو المراءاة المحمودة، وهي التي لا يريد العامل من ورائها نيل غرض من الأغراض الدنيوية المحضة بل يقصد وراء هذه المراءاة تعليم الجاهل وتنبيه الغافل وتشجيع العامل، وهذا له أسوة حسنة بعمل الرسول ﷺ حين أظهر أصحابه بصلاته ثم قال:﴿ إِنَّمَا صَنَعْتُ هَذَا لِتَأْتَمُّوا وَلِتَعَلَّمُوا صَلَاتِي﴾ [3]، فهذه دعوة وتبليغ مطلوبة من العالم وليس من الرياء المذموم بشيء .

المطلب الثالث : أنواع المحرمات

- محرّم مطلقا .
- محرّم في حال دون حال .

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله :" المحرّمات قسمان ، أحدهما : ما يقطع أن الشرع لم يبح منه شيئا لا لضرورة ولا لغير ضرورة، كالشرك والفواحش والقول على الله بغير علم والظلم المحض، وهي الأربع المذكورة في قوله تعالى : ﴿ قل إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ ﴾ [4] فهذه الأشياء محرّمة في جميع الشرائع، وبتحريمها بعث الله جميع الرّسل و لم يبح منها شئ قطّ، الثّاني : كالدّم والميتة ولحم الخنزير، حرّمه في حالٍ دون حال وليس

(١) سورة الكهف الآية ١١٠ .

(٢) الحديث سبق تخريجه .

(٣) الحديث متفق عليه من حديث سهل بن سعد الساعدي ﷺ، أخرجه البخاري في صحيحه كتاب الجمعة باب الخطبة على المنبر ٤٦١/٢/ برقم (٩١٧)، ومسلم كتاب المساجد ومواضع الصلاة ٣٣/٥/ برقم (٥٤٤) .

(٤) سورة الأعراف الآية ٣٣ .

مطلقاً، وكذلك الخمر يباح لدفع الغصّة بالاتّفاق، ويباح لدفع العطش في أحد قولي العلماء، والميسر يباح للحاجة في مصلحة الجهاد، وبيع الغرر أباح منها أنواع عند الحاجة ورجحان المصلحة "[1].

التعليق :

إنّ الله لا يشرع شيئا إلا وفيه مصالح للعباد في الدنيا والآخرة، فلا يأمر بشيء إلا وفيه مصلحة محققة أو راجحة ولا ينهى عن شيء إلا وفيه مفسدة محققة أو راجحة، فالشريعة مبناها على تحصيل المصالح وتكميلها وتعطيل المفاسد وتقليلها، كما وصف الله بذلك نبيه ﷺ فقال: ﴿ يَأْمُرُهُم بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ ﴾ "[2] فالفعل إذا كانت مفسدته وضرره راجح فلا يؤمر به بل ينهى عنه ما لم يتعارض مع مصلحة أعظم من تلك المفسدة فحينئذ يباح ويؤمر به، وأمّا إذا لم تكن فيه مصلحة راجحة على المفسدة الّتي من أجلها نهى الشارع عنه فهو لا يباح ولا يؤمر به مطلقاً ولهذا نهى الشارع عن بعض الأشياء و لم يبحها مطلقاً مهما اضطرّ الشخص إليها لأن مفسدتها أعظم من كل مصلحة، وبعض المنهيات أباحها عند الحاجة والضرورة، وعلى هذا فالمنهيات الّتي نهى عنها الشارع من حيث إباحتها عند الضرورة وعدم إباحتها تنقسم إلى قسمين : ما لم يبح مطلقاً وما أباحه عند الضرورة إليه .

أمّا القسم الأوّل فهو ما لم يبحه مطلقاً لا لضرورة ولا لغير ضرورة، كالشرك والقول على الله بغير علم والفحشاء والمنكر والبغي ونحو ذلك من المنهيات، فهذه لم تبح بحال من الأحوال و لم تبح في شريعة من الشرائع[3] لأن المفاسد فيها أعظم من كل مصلحة، سواء

---

(١) الفتاوى لابن تيمية ٤٧٠/١٤.

(٢) سورة الأعراف الآية ١٥٧ .

(٣) انظر إعلام الموقعين ١١٦/٢ .

مصلحة الحفاظ على النفس أو البدن أو غيرها، كما قال ﷺ : ﴿ لا تُشْرِكْ بِاللَّهِ شَيْئًا وَإِنْ قُتِلْتَ وَحُرِّقْتَ﴾ (١) .

وأمّا القسم الثّاني فهو ما أباحه عند الضرورة ومصلحة راجحة كالدّم والميتة ولحم الخنزير، كما قال سبحانه ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنْزِيرِ وَمَا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ ﴾ إلى قوله :﴿فَمَنِ اضْطُرَّ فِي مَخْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِإِثْمٍ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ (٢) فهذه الأشياء المحرّمة أباحها عند الضرورة ومصلحة الحفاظ على النفس، فكانت المصلحة في حفظ النفس أعظم من المفسدة والضرر بالأكل والاغتذاء بها، فالتحريم والإحلال إنما يقع حسب المصلحة والمفسدة، فأيهما غلبت على الأخرى ورجحت كان الحكم ما يناسبها.

المطلب الرابع : أنواع معبودات المشركين

- العاقل.
- غير العاقل .

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله :" فان معبود المشركين يدخل فيه : من يعلم كالملائكة والأنبياء والجن والإنس ومن لا يعلم"(٣) .

يقول الشيخ حافظ الحكمي رحمه الله :" ثم اعلم أن ما عُبد من دون الله إمّا عاقلٌ أو غير عاقلٍ، فالعاقل كالآدمي والملائكة والجن، وأمّا غير العاقل من الأشجار والأحجار

---

(١) الحديث أخرجه ابن ماجة في كتاب باب الصبر على البلاء ١٣٣٩/٢ (٤٠٣٤) ، والبخاري في الأدب المفرد ص ٢٠ (١٨) من حديث أبي الدرداء ﷺ وفيه شهر بن حوشب وهو ضعيف لكن له شواهد يرتقي بها إلى الصحة، وقد ذكر تلك الشواهد الألباني ثم قال : وجملة القول أن الحديث بهذه الطرق والشواهد صحيح بلا ريب، انظر ارواء الغليل ٩١/٧ والمشكاة ١٨٣/١ وصحيح أدب المفرد ص ٣٩ .

(٢) سورة المائدة الآية ٣ .

(٣) الفتاوى لابن تيمية ٥٩٥/١٦ وانظر : ٤٦٠/١٧ .

وغيرها مما لا يعقل فيشملها قوله تعالى : ﴿ إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنتُمْ لَهَا وَارِدُونَ ﴾ [1] " [2] .

التعليق :

إن الله شبّه المشركين بالأنعام لشركهم مع الله من لا يضرّهم ولا ينفعهم بل ضرّه أقرب إليهم من نفعه، فقد وصل بهم الهوى إلى أن عبدوا الأحجار والأشجار الّتي ليست ذات إرادة وعقل، فمعبوداتهم لم تقتصر على من له عقل وإرادة ولو في زمن ما، بل شملت أيضاً ما لا روح فيها من الجمادات، ومعبوداتهم بهذا الاعتبار تنقسم إلى قسمين : عاقل وغير عاقل .

أمّا القسم الأوّل فهو العاقل من ذوات أرواح، فكانوا يعبدون بعض بني آدم والملائكة والجنّ وغيرهم، وقد يكون هذا المعبود من أولياء الله ﷻ وعباده المتّقين وغيرهم، فغلوا فيهم ورفعوهم عن درجتهم ومكانتهم حتى عبدوهم كما كانت النّصارى تعبد عيسى عليه السلام وتعبد اليهود عزيرا عليه السلام، قال تعالى: ﴿ اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَٰهًا وَاحِدًا ﴾ [3] وقد يكون معبودهم مثلهم من الكفار والفجّار كما كان يعبد أهل مصر فرعون الذي يدعي الربوبية لنفسه .

وأما القسم الثّاني فهو المعبود غير العاقل الذي لا روح فيه، وهذا كان غالب المعبودات في المشركين وإن كانوا يسمّونها بأسماء بعض ذوات الأرواح ويصوّرونها على صورهم فكانوا يعبدون الأصنام التي تُصنع بالأحجار والأشجار أو غيرها، ولذا قال

---

(1) سورة الأنبياء الآية ٩٨ .

(2) معارج القبول للحكمي ٣٩٢/١ .

(3) سورة التوبة الآية ٣١ ،ومن هذه الآية وغيرها يتبين خطأ شبهة بعض مشركي هذا الزمان بأن مشركي القدامى كانوا يعبدون الأصنام والأوثان فقط ولذا أنكر الله عليهم ونهاهم عن ذلك، وهم مخالفون لهم ويعبدون أولياء الله وأحباءه ويتقربون بهم إلى الله، وهذا بزعمهم ليس مخالفا لدعوة الرسل عليهم السلام، ﴿ **كبرت كلمة تخرج من أفواههم إن يقولون إلا كذبا** ﴾ انظر الشبهة والرد عليها مفصلا في رسالة ((جهود علماء الحنفية في إبطال عقائد القبورية)) للشيخ شمس السلفي رحمه الله ١٣١٣/٣ وما بعدها .

سبحانه : ﴿ إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنتُمْ لَهَا وَارِدُونَ ﴾ [1] " الآية إنما نزلت خطاباً لأهل مكّة في عبادتهم الأصنام الّتي هي جمادات لا تعقل، ليكون ذلك تقريعاً وتوبيخاً لعابديها "[2] .

المطلب الخامس : أنواع المعبود العاقل

- راض بالعبادة .
- غير راض بها .

يقول الشيخ حافظ الحكمي رحمه الله : " فالعاقل كالآدمي والملائكة والجنّ وينقسمون إلى قسمين : راضٍ بالعبادة له وغير راضٍ بها، فالأوّل ككفر فرعون وإبليس وغيرهما من الطّواغيت، وهؤلاء في النّار مع عابديهم ... والقسم الثّاني : هو من كان مطيعاً لله وغير راضٍ بالعبادة له من دون الله، كعيسى ومريم وعزير والملائكة وغيرهم، فهم برآء ممّن عبدهم في الدّنيا والآخرة " [3].

التعليق :

هذا التقسيم هو من حيث رضى المعبود العاقل من دون الله ﷻ بهذه العبادة وعدم رضاه بها، فالمعبودات بهذا الاعتبار تنقسم إلى قسمين : راض بالعبادة له وغير راض بها، أما القسم الأوّل فهو المعبودات التي ترضى بعبادة النّاس لها وأن يشركوهم مع الله ويأمروهم بذلك، فهؤلاء لا شك من أكفر الكفرة وأشد النّاس عذاباً يوم القيامة، لأنهم نازعوا الله في ربوبيته وألوهيته، وفي الحديث :﴿ **الْعِزُّ إِزَارُهُ وَالْكِبْرِيَاءُ رِدَاؤُهُ فَمَنْ يُنَازِعُنِي**

(1) سورة الأنبياء الآية ١٠٢ .

(2) تفسير ابن كثير ١٩٤/٣ .

(3) معارج القبول للحكمي ٣٩٢/١ .

عَذَّبْتَهُ ﴾ [1] فهذا الطّاغوت الأعظم ينازع الله في جميع صفاته وأفعاله، فهو من أعظم الذنوب بل هو أعظمها .

وأما القسم الثاني فهو المعبود الذي غير راض بالعبادة له ولا يحبها بل ينهى عن ذلك، وهؤلاء هم أولياء الله الموحدين الذي يعبدون الله وحده ويدعون غيره إليه، ولذا يتبرءون إلى الله من عبادتهم يوم القيامة، يقول ﷻ : ﴿ ويوم يحشرهم جميعا ثم يقول للملائكة أهؤلاء إياكم كانوا يعبدون * قالوا سبحانك أنت ولينا من دونهم بل كانوا يعبدون الجن ﴾ [2] وقال سبحانه : ﴿ وإذ قال الله يا عيسى ابن مريم ءأنت قلت للناس اتخذوني وأمي إلهين من دون الله قال سبحانك ما يكون لي أن أقول ما ليس بحق ﴾ إلى قوله : ﴿ إن تعذبهم فإنهم عبادك وإن تغفر لهم فإنك أنت العزيز الحكيم ﴾ [3] وهنا تبرأ نبي الله عيسى ؑ عن عبادتهم ولذا ذكر صفتي العزة والحكمة و لم يستعطف عليهم فلم يذكر صفتي الرحمة والمغفرة لأن المقام مقام غضب وانتقام [4] .

المطلب السادس : أنواع سيئات الأعمال

- مساويها .
- ما يسوء العامل .

يقول العلامة ابن القيم رحمه الله :" كان النّبي ﷺ يقول في خطبته المعروفة : ﴿ ونَعُوذُ بِاللهِ مِن شُرُورِ أنفُسِنَا وَمِن سَيِّئاتِ أعمَالِنَا ﴾ [5] وسيئات الأعمال نوعان : أحدهما : مساويها وقبائحها، فتكون الإضافة فيه من النوع إلى حنسه وهي إضافة بمعنى (

---

(1) الحديث سبق تخريجه .

(2) سورة سبأ الآيتان ٤٠، ٤١ .

(3) سورة المائدة الآيات ١١٦-١١٨ .

(4) انظر القواعد الحسان للشيخ ناصر السعدي ص ٦١ ضمن المجموعة الكاملة .

(5) هذا حزء من الخطبة الحاجة التي كان النبي ﷺ يعلمها أصحابه، وسبق تخريجها في المقدمة .

من) أي السّيئات من أعمالنا، الثّاني : أنّها ما يسوء العامل ممّا يعود عليه من عقوبة عمله فيكون من إضافة المسبب إلى سببه وتكون الإضافة بمعنى اللام، وشرّ النفس نوعان: صفة، عمل والعمل ينشأ عن الصّفة، والصّفة تتأكّد وتقوى بالعمل فكل منهما يمد الآخر "[1].

التعليق :

السيئات هي المعاصي التي تسوء العبد يوم القيامة كما قال سبحانه :﴿ ثُمَّ كَانَ عَاقِبَةَ الَّذِينَ أَسَاءُوا السُّوأَى أَنْ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَكَانُوا بِهَا يَسْتَهْزِئُونَ ﴾[2] فعاقبة العمل السيئ سيئة أيضا، فالمعاصي سيئة في نفسها وسيئة عاقبتها، فسيئات الأعمال على نوعين اثنين : الأعمال السيئة، عقوبتها .

أما القسم الأول فهو العمل نفسه أي الأعمال السيئة، إذ أعمال العبد تنقسم إلى حسنة وسيئة، فالأعمال الحسنات هي امتثال أوامر الله واجتناب نواهيه وضد ذلك هو الأعمال السيئة فهي ترك الأوامر وارتكاب النواهي .

وأما القسم الثاني فهو عاقبة العمل السيئ وجزاؤه، فالأعمال السيئة قد يجازي الله عليها بسيئة مثلها كما قال تعالى :﴿ وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا ﴾[3] فالسيئة الأولى هي العمل السوء والسيئة الثانية هي العقاب على الأولى وجزاؤها، والسيئة الأولى تكون من العبد في دار التكليف والسيئة الثانية تكون عقوبة له على الأولى في الدنيا أو في الآخرة، والله أعلم.

---

(١) شفاء العليل لابن القيم ص ٢٧٣.

(٢) سورة الروم الآية ١٠ .

(٣) سورة الشورى الآية ٤٠ .

- شرك .
- عدوان .

يقول الشيخ محمد العثيمين رحمه الله : " السحر ...ينقسم إلى قسمين :

الأولى : عقد ورقى، أي قراءات وطلاسم يتوصل بها الساحر إلى استخدام الشياطين فيما يريد به ضرر المسحور ...

الثاني : أدوية وعقاقير تؤثر على بدن المسحور وعقله وإرادته وميله، فتجده ينصرف ويميل، وهو ما يسمى عندهم بالصرف والعطف "[1] .

التعليق :

هذا التقسيم للسحر هو من حيث ما يتذرع به الساحر للسحر والحكم عليه، فهو بهذا الاعتبار ينقسم إلى قسمين :

أما القسم الأول فهو السحر باستخدام الشياطين لإيصال الضرر إلى الغير، فيتقرب إلى الشيطان بالعبادة له فيخدمه الشيطان ويفعل ما يريده في المسحور لأن الشيطان يرى الإنس من حيث لا يرونه، ومعلوم أن الشيطان لا يخدم الإنسان غالبا إلا إذا أطاعه الإنسان وفعل كل ما أراد منه، والشيطان لا يريد منه إلا الخروج من الملة والعبادة له، فهذا النوع من السحر لا يمكن في الغالب إلا بالكفر بالله ﷻ وعبادة الشيطان والكواكب وغيرها [2] .

وأما القسم الثاني فهو السحر فهو بواسطة الأدوية والعقاقير فيتضرر بها المسحور في بدنه حتى يهلك أو في عقله وقد يصل إلى حد الجنون، فهذا وإن لم يصل إلى حد الكفر إلا أنه من أكبر الكبائر لعظم مضرته ومفسدته على عموم الناس، ولذا عده النبي ﷺ في السبع الموبقات بعد الإشراك بالله ﷻ كما في الحديث : ﴿ **اجتنبوا سبع الموبقات . قالوا**

(١) القول المفيد ٢/٥ وانظر المغني لابن قدامة ٣٤/٩ .

(٢) انظر تيسير العزيز الحميد ص ٣٨٤، والقول المفيد ٢/٧ .

: يا رسول الله وما هن ؟ قال : الشرك بالله، والسحر ... الحديث ﴾ [1] وهذا يشمل كل أنواع السحر والله أعلم

المطلب الثامن : أنواع النشرة

- بسحر .
- بالرقية .

يقول الحافظ ابن القيم رحمه الله : " وسئل ﷺ عن النُّشرة فقال : **﴿ هي من عمل الشَّيطَان ﴾** [2] ذكره احمد وأبو داود، والنُّشرة حل السّحر عن المسحور، وهي نوعان : حلّ سحر بسحر مثله، وهو الذي من عمل الشيطان، فإن السّحر من عمله فيتقرب إليه الناشر والمنتشر بما يحب فيبطل عمله عن المسحور، والثّاني النُّشرة بالرّقية والتّعويذات والدّعوات والأدوية المباحة، فهذا جائزٌ بل مستحب، وعلى النّوع المذموم يحمل قول الحسن : ((لا يحلّ السّحر إلا ساحر)) " [3] .

التعليق :

إن الله ﷻ جعل لكل داء دواء مباحا، وقد يكون الدواء لداء معين في شيء محرّم أيضاً علاوة على الدواء المباح، فيشفي الله هذا الداء بذلك الدواء المحرّم شرعاً بغض النظر عما يحصل من مفاسد وأضرار أخرى لارتكابه المحرّم [4] فالنُّشرة التي هي حل السّحر عن المسحور تنقسم إلى قسمين من حيث الحكم :

---

(١) الحديث متفق عليه من حديث أبي هريرة ﷺ، أخرجه البخاري في كتاب الوصايا ٤٦٢/٥/(٢٧٦٦)، ومسلم في الإيمان ٨٢/٢/(٨٩) .

(٢) الحديث أخرجه أحمد ٢٩٤/٣، وأبو داود في الطب باب في النشرة ٦/٤/(٣٨٦٨) والحاكم ٤١٨/٤ وصححه ووافقه الذهبي، من حديث جابر ﷺ .

(٣) إعلام الموقعين ٣٩٦/٤ .

(٤) لأنه كما سبق أن المحرمات فيها مفسدة محققة أو راجحة ولأجلها حرمها الشارع، وقد يكون بعض المحرمات فيها بعض المنافع إلا أن إثمها وضررها أكبر من نفعها .

بالسّحر المحرم، وبالرقية المباحة .

أما القسم الأول فهو حل السّحر بسحر مثله، فالسحر محرّم شرعاً بل عدّه النبي ﷺ من الموبقات السبع الكبائر، فهو لا يجوز بحال من الأحوال لا لضرورة ولا لغير ضرورة ومفاسده أعظم من كل المصالح والمنافع، فهو من عمل الشيطان الملعون الذي ليس عنده إلا الشرّ، ولذا أمر أمير المؤمنين عمر أمراءه بقتل كل ساحر [1].

أما القسم الثاني فهو النُّشرة المباحة وهي حل السحر بالرقية والأدوية المباحة، فالرقية بالدعاء المباح جائزة في كل شيء بل ومستحبة ومأمور بها كما قال ﷺ: **﴿ لا بَأْسَ بِالرُّقَى مَا لَمْ يَكُنْ فِيهِ شِرْكٌ ﴾** [2] فهذا عام في جميع الأمراض .

المطلب التاسع : أنواع علم النجوم

- علم التأثير .
- علم التسيير .

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله : " أن النجوم نوعان : حساب ،وأحكام، فأما الحساب فهو معرفة أقدار الأفلاك والكواكب وصفاتها ومقادير حركاتها وما يتبع ذلك، فهذا في الأصل علم صحيح لا ريب في ذلك، كمعرفة الأرض وصفاتها ونحو ذلك، لكن جمهور التدقيق منه كثير التعب قليل الفائدة ...وأما الأحكام التي هي من جنس السحر... منها ما هو دعاية الكواكب وعبادة لها " [3]

يقول الحافظ ابن رجب رحمه الله : " قال طاووس : ((رب ناظر في النجوم ومتعلم حروف أبي جاد ليس له عند الله خلاق)) وخرجه حميد بن زنجويه من رواية طاووس عن

(١) الأثر أخرجه أبو داود في السنن كتاب الخراج باب في أخذ الجزية من مجوس ٣/٢٨٤/ برقم (٣٠٤٣) .

(٢) الحديث أخرجه مسلم في صحيحه كتاب السلام ١٤/١٨٧/ برقم (٢٢٠٠) من حديث عوف بن مالك الأشجعي ﷺ .

(٣) مجموع الفتاوى ٣٥/١٨١ .

ابن عباس [1]، وهذا محمولٌ على : علم التّأثير، لا علم التّسيير، فإن علم التأثـــير بـــاطل ومحرّم، وفيه ورد الحديث المرفوع : ﴿ **مَنْ اقْتَبَسَ عِلْمًا مِنْ النُّجُومِ اقْتَبَسَ شُـــعْبَةً مِـــنْ السِّحْرِ زَادَ مَا زَادَ** ﴾ [2] والعمل بمقتضاه كالتقرب إلى النّجوم وتقريب القرّابين لها كفر، وأمّا علم التّسيير فإذا تعلّم منه ما يحتاج إليه للاهتداء ومعرفة القبلة والطّرق كان جـــائزا عند الجمهور " [3] .

التعليق :

علم النجوم هو العلم المتعلق بالنجوم ومواقعها وصفاتها ودورانها وطلوعها وغروبهـــا، وهذا من حيث تعلقه بالاعتقاد وعدمه ينقسم إلى قسمين :

علم الحساب وهو المسمى بعلم التسيير، وعلم الأحكام وهو المسمى بعلم التأثير .

أما القسم الأول فهو علم التسيير الذي هو مجرد حساب لمعرفة الأوقات والجـــهات، فهذا من جملة حكمة الله التي من أجلها خلق النجوم كما قـــال ســـبحانه : ﴿ وعلامات وبالنجم هم يهتدون ﴾ [4] فالنجوم يهتدي بها العارف بمطالعها ومغاربهـــا ومواقعـــها إلى معرفة القبلة والأوقات، فهذا النوع لا شك أنه غير داخل فيما نهى عنه الشارع إذ إنـــه لا يقترن به أي اعتقاد تأثير أو تصرف في النجوم .

وأما القسم الثاني فهو علم التأثير الذي هو من جنس السحر والكهانة وهو الاستدلال بحركات النجوم على الحوادث السفلية وهو المنهي عنه في الحديث المذكور .

---

(١) أثر ابن عباس أخرجه أيضا ابن أبي شيبة في المصنف ٢٤٠/٥، عبد الرزاق في المصنف ٢٦/١١، والبيـــهقي في السنن ١٣٩/٨ وفي الشعب ٣٠٦/٤ بسند صحيح .

(٢) الحديث أخرجه أحمد في المســـند ٢٢٧/١، ٣١١، وأبـــو داود في كتـــاب الطـــب بـــاب في النجـــوم ١٤٥/٤/(٣٩٠٥)، وابن ماجة في الأدب باب تعلم النجوم ١٢٢٨/٢/(٣٧٢٦)، والبيـــهقي في الكـــبرى ١٣٨/٨، والحديث صححه الشيخ الألباني في الصحيحة برقم (٧٩٣) .

(٣) فضل علم السلف على علم الخلف لابن رجب ص ١١، وانظر القول في علم النجوم للخطيب البغـــدادي ص ١٢٦، فيض القدير للمناوي ١٧/٤ .

(٤) سورة النحل الآية ١٦ .

يقول الإمام الخطابي رحمه الله : " علم النجوم المنهي عنه هو ما يدعيه أهل التنجيم من علم الكوائن والحوادث التي لم تقع وستقع في مستقبل الزمان، كإخبارهم بأوقات هبوب الرياح ...يزعمون أنهم يدركون معرفتها بسير الكواكب في مجاريها وباجتماعها واقترانها، ويدعون لها تأثيرا في السفليات، وأنها تتصرف على أحكامها، وتجري على قضايا موجباتها " [1].

ويقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله : "صناعة التنجيم التي مضمونها الأحكام والتأثير وهو الاستدلال على الحوادث الأرضية بالأحوال الفلكية والتمزيج بين القوى الفلكية والقوابل الأرضية صناعة محرمة بالكتاب والسنة وإجماع الأمة، بل هي محرمة على لسان جميع المرسلين في جميع الملل " [2] والله أعلم .

المطلب العاشر : أنواع التنجيم

- علمي .
- عملي .

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله : " النجوم التي من السحر نوعان : أحدهما : علمي، وهو الاستدلال بحركات النجوم على الحوادث من جنس الاستقسام بالأزلام، الثاني : عملي، وهو الذي يقولون إنه القوى السماوية بالقوى المنفعلة الأرضية كطلاسم ونحوها، وهذا من أرفع أنواع السحر "[3] .

التعليق :

هذا التقسيم للتنجيم هو لعلم التأثير الذي هو اعتقاد التأثير في النجوم على الحوادث السفلية، وهذا من حيث اعتقاد كيفية التأثير ينقسم إلى قسمين :

---

(١) معالم السنن ٤/١٤٥،١٤٦ .

(٢) مجموع الفتاوى ١٩٢/٣٥ .

(٣) مجموع الفتاوى ١٧١/٣٥، وانظر تيسير العزيز الحميد ص ٤٤١ والقول المفيد ١٢٥/٢ .

القسم الأول فهو اعتقاد أن حركات النجوم يستدل بها على الحوادث الأرضية، وأن اجتماعها واقترانها وتغيراتها يعلم بها الأمور المستقبلية والغائبة، فهذا لا شك في تحريم تعليمه واعتقاده، لأن النجوم وحركاتها ليست علامات على الحوادث لا شرعا ولا قدرا، فهو دعوى لعلم الغيب الذي استأثر الله بعلمه بما لا يدل عليه، ومعلوم أن دعوى علم الغيب كفر مخرج من الملة، والله تعالى : ﴿ قل لا يعلم من في السماوات والأرض الغيب إلا الله ﴾ [1] قال قتادة رحمه الله : ((إن الله تبارك وتعالى خلق هذه النجوم لثلاث خصال : جعلها زينة السماء، وجعلها يهتدي بها، وجعلها رجوما للشياطين، فمن تعاطى فيها غير ذلك فقد قلل رأيه وأخطأ حظه وأضاع نصيبه وتكلف ما لا علم له به، وإن ناسا جهلة بأمر الله تعالى قد أحدثوا في هذه النجوم كهانة، من أعرس بنجم كذا وكذا كان كذا، ومن ولد بنجم كذا وكذا كان كذا، وكذا ولعمري ما من نجم إلا يولد به القصير والطويل والأحمر والأبيض والحسن والدميم، وما علم هذه النجوم وهذه الدابة وهذه الطير شيئا من الغيب ،وقضى الله أنه ﴿لا يعلم من في السموات والأرض الغيب إلا الله﴾ [2] .

وأما القسم الثاني فهو ليس اعتقادُ استدلالٍ علميٍ فقط بل يعتقد أن الكواكب هي بنفسها تؤثر في العالم السفلي ويقولون بأن الموجودات في العالم السفلي مركبة على تأثير الكواكب والروحانيات، وأن الكواكب فاعلة مختارة[3] ومن ثم العمل بمقتضاها بالتقرب إليها والعبادة لها، وكان الصابئة المنجمين الذين بعث إليهم إبراهيم الخليل عليه السلام يعتقدون هذا فكانوا يعظمون الشمس والقمر والكواكب تعظيماً يسجدون لها ويتذللون لها ويبنون لكل كوكب موضعا لعبادته [4] فهذا الاعتقاد لا شك أنه كفر أكبر، والله أعلم

---

(١) سورة النمل الآية ٦٥ .

(٢) أخرجه أبو الشيخ في العظمة ١٢٢٦/٤، وقال ابن كثير : رواه ابن أبي حاتم بحروفه، وهو كلام جليل متين صحيح ا.هـ تفسير ابن كثير ٣٦٠/٣ .

(٣) انظر تيسير العزيز الحميد ص ٤٤١ .

(٤) تيسير العزيز الحميد ص ٤٤١ .

المطلب الحادي عشر : أقسام سؤال العراف

- السؤال المجرد .
- التصديق .
- الاختبار .
- لإظهار عجزه .

يقول الشيخ ابن عثيمين رحمه الله: "فسؤال العراف ونحوه ينقسم إلى أقسام : القسم الأول : أن يسأله سؤالا مجردا، فهذا حرام لقول النبي ﷺ : ﴿مَنْ أَتَى عَرَّافًا فَسَأَلَهُ عَنْ شَيْءٍ لَمْ تُقْبَلْ لَهُ صَلاةٌ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ﴾ [1] فإثبات العقوبة على سؤاله يدل على تحريمه، إذ لا عقوبة إلا على فعل محرم، القسم الثاني : أن يسأله فيصدقه ويعتبر قوله، فهذا كفر لأن تصديقه في علم الغيب تكذيب للقرآن ... القسم الثالث : أن يسأله ليختبره هل هو صادق أو كاذب؟ لا لأجل أن يأخذ بقوله، فهذا لا بأس به، ولا يدخل في الحديث ... القسم الرابع : أن يسأله ليظهر عجزه وكذبه، وهذا مطلوب وقد يكون واجبا"[2] .

التعليق :

فهذا التقسيم لسؤال العراف والكهان ونحوهم هو من حيث الغاية والحكم، فهو بهذا الاعتبار ينقسم إلى أربعة أقسام :

الأول أن يسأله سؤالا فيما يتعلق بالأمور الغيبية، فهذا حرام لا يقبل الله له صلاة أربعين ليلة [3]، لأن إتيان الكهان منهي عنه كما في حديث معاوية السلمي ﷺ أنه قال ﴿ قُلْت: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنِّي حَدِيثُ عَهْدٍ بِجَاهِلِيَّةٍ، وَقَدْ جَاءَ اللَّهُ بِالإِسْلامِ، وَإِنَّ مِنَّا رِجَالا يَأْتُونَ الْكُهَّانَ، قَالَ :فَلا تَأْتِهِمْ ﴾ [4] فمجرد إتيانهم منهي عنه فلو سألهم مع ذلك عن

---

(١) سبق تخريج الحديث .

(٢) القول المفيد ٢/٦٠، ٦١ باختصار وتصرف .

(٣) وراجع ما سبق في أقسام القبول .

(٤) جزء من حديث طويل أخرجه مسلم في صحيحه في كتاب المساجد ٥/٢٠/برقم (٥٣٧) .

شيء فله العقوبة المذكورة في الحديث السابق، لأن إتيانهم ثم سؤالهم من غير إنكار عليهم أو تكذيبهم فيه نوع إقرار لهم على فعلهم .

والثاني أن يسأله فيصدقه فيما يقول ويعتقد ذلك، فهذا لا شك أنه كفر مخرج من الملة، كما في الحديث : ﴿ **من أتى عرافا أو كاهنا فصدقه بما يقول فقد كفر بما أنزل على محمد ﷺ** ﴾ [1] فمتى اعتقد صدق الكهان والعراف فيما يقولون فقد كفر .

والثالث هو أن يسأله ليختبره مع إيمانه أنه لا يعلم الغيب فلا يعتقد إذا أخبره من أمور الغيب، لكن يسأله ليختبره هل هو صادق أم كاذب ؟ ولا شك أن هذا إن كان مع الإنكار عليه وتكذيبه إن ادعى الغيب ونحو هذا فلا بأس به، وأما مجرد السؤال فقط فإن كان يشك في كذبه في دعوى الغيب فهو كفر[2] .

والرابع هو سؤاله لإظهار كذبه أمام الناس حتى يعرفوا حقيقته، فلا يصدقه في أخباره الغيبية، فهذا أمر مطلوب مهما وجد إلى مثل ذلك سبيلا، لأن هذا من باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والله أعلم .

المطلب الثاني عشر : أنواع الاستسقاء بالنجوم

- كفر .
- محرم .

يقول الشيخ سليمان رحمه الله : " الاستسقاء بالنجوم نوعان : أحدهما أن يعتقد أن المنزل للمطر هو النجم، فهذا كفر ظاهر، إذ لا خالق إلا الله، وما كان المشركون هكذا، بل كانوا يعلمون أن الله هو المنزل للمطر كما قال تعالى : ﴿ولئن سألتهم من نزل من السماء

---

(١) أخرجه الإمام أحمد في المسند ٤٢٩/٢، والحاكم في المستدرك ٨/١، والبيهقي في السنن ١٣٥/٨، والطبراني في الكبير ٧٦/١٠، وقال الحاكم صحيح على شرطهما ووافقه الذهبي، والحديث صححه العلامة الألباني رحمه الله ، انظر إرواء الغليل برقم (٢٠٠٦).

(٢) انظر تيسير العزيز الحميد ص ٤٠٦ .

ماء فأحيا به الأرض من بعد موتها ليقولن الله﴾ ... الثاني : أن ينسب إنزال المطر إلى النجم مع اعتقاد أن الله تعالى هو الفاعل لذلك المترل له إلا أنه سبحانه تعالى أجرى العادة بوجود المطر عند ظهور ذلك النجم ... والصحيح أنه محرم لأنه من الشرك الخفي ''(1) .

التعليق :

هذا التقسيم للاستسقاء هو من حيث الحكم تبعا لاعتقاد المستسقي بها، فهو على نوعين : كفر أكبر، محرم .

أما القسم الأول فهو أن ينسب المطر إلى النجوم بالقدرة المطلقة، فيعتقد أن النجوم هي التي تترل المطر وتتصرف في هذا الكون، فهذا لا شك كفر أكبر مخرج من الملة لأنه جعل ندا لله ﷻ في التدبير والتصرف والربوبية، وهذا الاعتقاد قد يجر إلى تصرف العبادة لها بدعائها والتقرب إليها مما هو شرك في الألوهية (2) .

وأما القسم الثاني فهو أن ينسب حصول الأمطار إلى النجوم باعتبارها سببا لها فيجعل ظهور النجوم وحركاتها ودورانها سببا لترول الأمطار مع اعتقاد أن الله هو المتصرف في إنزاله وهو الفاعل لذلك، فهذا لا شك وإن لم يبلغ درجة الكفر المخرج من الملة إلا أنه أيضا محرم شرعا بل هو من الشرك الأصغر لأن الله ﷻ لم يجعل هذا سبباً لا شرعا ولا قدرا، و''كل من جعل سببا لم يجعله الله سببا لا بوحيه ولا بقدره فهو مشرك شركا أصغر '' (3)وأما معرفة الأوقات والفصول الذي أجرى الله العادة فيها بإنزال المطر بالنجوم فليس ذلك داخل في الاستسقاء بالنجوم (4) إذ إنه لم يجعل نفس ظهور النجم وحركته سببا لترول المطر وإنما جعله وسيلة لمعرفة الأوقات وفصول السنة، والله أعلم

---

(1) تيسير العزيز الحميد ص ٤٥٤، وانظر القول المفيد ١٤١/٢ .

(2) انظر القول المفيد ١٤١/٢ .

(3) القول المفيد ١٤٢/١ .

(4) انظر السنن الكبرى للبيهقي ٣٥٨/٣، تفسير ابن كثير ٣٠٠/٤ .

المطلب الثالث عشر: أنواع الذبح لغير الله

- شرك أكبر .
- مباح .

يقول الشيخ محمد العثيمين رحمه الله : " والذبح لغير الله ينقسم إلى قسمين :

أن يذبح لغير الله تقربا وتعظيما، فهذا شرك أكبر مخرج من الملة .

أن يذبح لغير الله فرحا وإكراما، فهذا لا يخرج من الملة، بل هو من الأمور العادية التي قد تكون مطلوبة أحيانا وغير مطلوبة أحيانا، فالأصل أنها مباحة [(١)].

التعليق :

هذا التقسيم للذبح لغير الله هو من حيث القصد وعقيدة الذابح، فهو بهذا الاعتبار ينقسم إلى قسمين :

أن يقصد بالذبح لغيره سبحانه التقرب إلى المخلوق والتعظيم له، فهذا لا شك شرك بالله في العبادة، لأن الذبح على سبيل القربة والتعظيم عبادة [(٢)] ولذا أمر الله ﷻ أن تخلص له وحده فقال : ﴿ قل إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين * لا شريك له وبذلك أمرت وأنا أول المسلمين ﴾ [(٣)]" وقال ﷻ : ﴿ فصل لربك وانحر ﴾ [(٤)] والنسك هو الذبيحة لله ابتغاء وجهه، وهذا من أجل ما يتقرب به إلى الله [(٥)]" فصرفه لغيره لأجل التقرب والتعظيم شرك به سبحانه وتعالى .

وأما القسم الثاني فهو أن لا يقصد بالذبح لأحد التقرب إليه وإنما هو استبشاراً بقدومه وفرحاً وإكراماً له، فهذا جائز لا مانع فيه شرعاً، بل قد يؤجر عليه إذا كان الإكرام في الله

---

(١) القول المفيد ٢٧٥/١، وانظر تيسير العزيز الحميد ص ١٩٠، ١٩١ .

(٢) انظر تيسير العزيز الحميد ص ١٩٤ .

(٣) سورة الأنعام الآيتان ١٦٢، ١٦٣ .

(٤) سورة الكوثر الآية ٢ .

(٥) انظر التفسير الكبير لابن تيمية ٤٩/٧ .

ولله، كما ذبح جابر داجنا لرسول الله ﷺ حين أتاه، فقال رسول الله ﷺ : ﴿ يَا جَابِرُ كَأَنَّكُمْ عَرَفْتُمْ حُبَّنَا اللَّحْمَ ﴾[1] ثم دعا لهم، فهذا ونحوه ليس من الشرك بشيء والله أعلم.

المطلب الرابع عشر : أنواع التوكل على غير الله

- شرك أكبر .
- شرك أصغر .
- جائز مباح .

يقول الشيخ سليمان آل الشيخ رحمه الله :"التوكل على غير الله قسمان : أحدهما التوكل في الأمور التي لا يقدر عليها إلا الله، كالذين يتوكلون على الأموات والطواغيت في رجاء مطالبهم من النصر والحفظ والرزق والشفاعة فهذا شرك أكبر، فإن هذه الأمور ونحوها لا يقدر عليها إلا الله تبارك وتعالى، الثاني التوكل في الأسباب الظاهرة العادية، كمن يتوكل على أمير أو سلطان فيما جعله الله بيده من الرزق أو دفع الأذى ونحو ذلك، فهذا النوع شرك خفي، والوكالة الجائزة هي توكل الانسان في فعل مقدور عليه ولكن ليس له أن يتوكل عليه وإن وكله، بل يتوكل على الله ويعتمد عليه في تيسير ما وكله فيه "[2].

التعليق :

التوكّل من أعظم العبادات التي هي من حق الله الخالص ومن أوجب الواجبات ،قال تعالى :﴿ وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾[3] " فجعل التوكل شرطاً في الإيمان فدل

---

(١) الحديث أخرجه أحمد في المسند ٣٠٣/٣، وابن حبان في صحيحه ٢٦٤/٣ بسند صحيح .

(٢) تيسير العزيز الحميد ص ٤٩٧-٤٩٨، شرح الواسطية لابن عثيمين ١٨٦/١، وانظر الإرشاد إلى صحيح الاعتقاد للشيخ صالح الفوزان ص ٧٨ .

(٣) سورة المائدة الآية ٣٣ .

على انتفاء الإيمان عند انتفاء التوكل"[1] لأنه هو الذي يدبر الأمور كلها وبيده الملك كله، فلا يجوز التوكل على أحد غير الله سبحانه، فمن توكل على أحد غيره فقد أشركه مع الله، وهو باعتبار الحكم ينقسم إلى ثلاثة أقسام : شرك أكبر، وشرك أصغر، ومباح .

أما القسم الأول فهو التوكّل على غير الله توكل اعتماد وتعبّد، فهذا شرك أكبر إذ إنه يعتقد في هذا الذي يتوكل عليه نوع من القدرة المطلقة التي هي من صفات الله المختصة به سبحانه أو يعتقد أنه مشارك مع الله في تصريف الأمور استقلالا فيتذلل له ويخاف ويرجو منه، فهذا ينافي ويناقض التوحيد جملة وتفصيلاً، إذ التوكل له تعلق بجميع الأسماء الحسنى والصفات العليا[2] .

أما القسم الثاني فهو التوكل والاعتماد على الأسباب مع الاعتقاد بأن الله هو الذي يدبر شؤون العباد ويتصرف فيهم، فهذا توكل ينافي كمال التوحيد الواجب، لأن الواجب على العبد ألا يلتفت إلى الأسباب إلا من حيث الأسباب فقط فلا يعتمد عليها وإنما يتوكل ويعتمد على مسبب الأسباب الذي بقدرته صار السبب سبباً .

أما القسم الثالث فهو التوكل المباح وهو توكيل الغير على شيء ثم الاعتماد عليه لكونه يقدر على الأمر الموكل إليه، فالوكالة في بعض المعاملات قد أباحها الشارع والتوكل فيها للوكيل جائز بل لا تحصل الوكالة إذا لم يكن الوكيل ممن يعتمد عليه .

المطلب الخامس عشر : أنواع التعلق بغير الله

- ما ينافي التوحيد .
- ما ينافي كمال التوحيد .
- ما لا ينافي التوحيد أصلا .

يقول الشيخ محمد العثيمين رحمه الله : " أقسام التعلق بغير الله : الأول : ما ينافي التوحيد من أصله، وهو أن يتعلق بشيء لا يمكن أن يكون له تأثير، ويعتمد عليه اعتماداً

---

(١) طريق الهجرتين لابن القيم ص ٣٨٦

(٢) انظر مدارج السالكين ١٢٥/٢ .

معرضاً عن الله ...فهذا لا شك أنه شرك أكبر مخرج من الملة، الثاني : ما ينافي كمال التوحيد، وهو أن يعتمد على سبب شرعي صحيح مع الغفلة عن المسبب، وهو الله ﷻ وعدم صرف قلبه إليه، فهذا نوع من الشرك، ...الثالث : أن يتعلق بالسبب تعلقاً مجردا لكونه سببا فقط مع اعتماده الأصلي على الله ... فهذا لا ينافي التوحيد لا كمالا ولا أصلا "[1]

التعليق :

هذا التقسيم للتعلق بغير الله هو باعتبار حكمه، فهو بهذا الاعتبار ينقسم إلى ثلاثة أقسام : ما يناقض التوحيد والإيمان، ما ينافي كماله، ما لا ينافي التوحيد أصلا .

أما القسم الأول فهو التعلق بغيره سبحانه بالقلب والقالب والاعتماد التام عليه بحيث يعتقد فيه التأثير والقدرة المطلقة، فهذا قد جعل هذا المخلوق الذي تعلق به مساويا بالله وندا له، وهذا شرك أكبر مخرج من الملة، فمن تعلق بشيء غير الله واعتمد على حوله وقوته وكله الله إليه وخذله وأبعده في الدنيا والآخرة .

أما القسم الثاني فهو التعلق بغيره سبحانه وتعالى لكن بالأسباب التي جعلها الله سببا لجلب شيء أو دفعه، فهو في الحقيقة سبب شرعي يجوز استعماله ولا ينافي التوحيد والتوكل أصلا، لكن إذا اعتمد عليه حتى نسي المسبب و لم ينصرف القلب إليه كليا وغفل عنه فهو نوع شرك به سبحانه .

وأما القسم الثالث فهو التعلق بالأسباب التي جعلها الله سببا لشيء وهو يعتمد مع ذلك على الله في حصول المسبب، فهذا لا يذم صاحبه أصلا بل يذم من ينكر ذلك، لأن مباشرة الأسباب من تمام التوكل على الرب سبحانه، والله أعلم .

---

(١) القول المفيد ١/٢٣٠، ٢٣١ .

المطلب السادس عشر: أنواع الغلو.

- في الاعتقادات.
- في العبادات .

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله : "وقوله ﷺ ﴿ إياكم والغلو في الدين ﴾ [(1)] عام في جميع أنواع الغلو : في الاعتقادات والأعمال، والغلو هو مجاوزة الحد بأن يزاد في حمد الشيء أو ذمه على ما يستحق ونحو ذلك " [(2)] .

التعليق :

هذا التقسيم للغلو هو باعتبار محله، فهو على قسمين :

أما القسم الأول فهو الغلو في الاعتقادات، وهو مجاوزة الكتاب والسنة في الاعتقاد ومسائل الإيمان، فيشمل كل من خالف الكتاب والسنة في مسائل الإيمان المتعلقة بالله وبملائكته وكتبه ورسله وباليوم الآخر والقدر وتفاصيلها، فمنه الغلو في إثبات الصفات المؤدي إلى التشبيه أو في التتريه المؤدي إلى التعطيل، ومنه أيضا الغلو في التعظيم لأحد حتى يصل إلى حد الشرك بالله ﷻ .

وأما القسم الثاني فهو الغلو في العبادات، فهذا يشمل كل العبادات التي لم يدل عليها دليل من الكتاب والسنة، أو يغلو في العبادات المشروعة بحيث تتضرر نفسه بها أو يخاف منه الانقطاع والاستحسار كصيام الدهر كله وقيام الليل كله ونحوها [(3)]" وهذا هو الذي عناه النبي ﷺ بقوله: ﴿ إِنَّ الدِّينَ يُسْرٌ وَلَنْ يُشَادَّ الدِّينَ أَحَدٌ إِلا غَلَبَهُ فَسَدِّدُوا وَقَارِبُوا

---

(1) أخرجه أحمد في المسند ٢١٥/١، ٣٤٥، والنسائي في السنن كتاب مناسك الحج باب التقاط الحصى ٢٦٨/٥/(٣٠٥٧)، وابن ماجة كتاب المناسك باب قدر حصى الرمي ١٠٠٨/٢/(٣٠٢٨)، وابن حبان في صحيحه ١٨٣/٩، وابن خزيمة ١٧٤/٤، والحاكم ٦٣٧/١وقال : صحيح على شرط الشيخين ووافقه الذهبي، والطبراني ٢٨٩/١٨، وابن أبي عاصم في السنة ٤٦/١، وصححه شيخ الإسلام ابن تيمية في الاقتضاء ص ١٠٦، والعلامة الألباني في ظلال الجنة ٤٦/١.

(2) اقتضاء الصراط المستقيم ص ١٠٦ وانظر القول المفيد ٤٨٢/١ .

(3) مدارج السالكين ٤٩٦/٢ .

وَأَبْشِرُوا وَاسْتَعِينُوا بِالْغَدْوَةِ وَالرَّوْحَةِ وَشَيْءٍ مِنْ الدُّلْجَةِ ﴾ [1] وقال في حديث آخر : ﴿ عَلَيْكُمْ بِمَا تُطِيقُونَ فَوَاللَّهِ لا يَمَلُّ اللَّهُ حَتَّى تَمَلُّوا وَكَانَ أَحَبَّ الدِّينِ إِلَيْهِ مَادَامَ عَلَيْهِ صَاحِبُهُ ﴾ [2] فنهى عن تكلف ما لا يطاق من الأعمال ولو كان من الأعمال المستحبة أو النوافل المشروعة [3] ومن هذا الباب ما ابتدعه كثير من الصوفية من العبادات والأوراد والطرق في المناسبات أو غيرها مما لم يدل عليه دليل شرعي، فكل هذا من مجاوزة الحد في دين الله الحنيف والغلو المنهي عنه .

المطلب السابع عشر : أنواع طاعة الأحبار المحرمة

- كفر .
- محرم .

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله : " وهؤلاء الذين اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا، حيث أطاعوهم في تحليل ما حرم الله وتحريم ما أحل لله، يكونون على وجهين : أحدهما أن يعلموا أنهم بدلوا دين الله فيتبعونهم على التبديل، فيعتقدون تحليل ما حرم الله وتحريم ما أحل الله اتباعا لرؤسائهم، مع علمهم أنهم خالفوا دين الرسل، فهذا كفر وقد جعله الله ورسوله كفرا ... الثاني: أن يكون اعتقادهم وإيمانهم بتحريم الحلال وتحليل الحرام ثابتا، لكنهم أطاعوهم في معصية الله، كما يفعله المسلم ما يفعله من المعاصي التي يعتقد أنها معاص، فهؤلاء لهم حكم أمثالهم من أهل الذنوب " [4]

(١) الحديث أخرجه البخاري في كتاب الإيمان باب الدين يسر ١١٦/١/برقم (٣٩) من حديث أبي هريرة ﷺ .

(٢) الحديث متفق عليه من حديث عائشة رضي الله عنها، أخرجه البخاري في الإيمان باب أحب الدين إلى الله أدومه ١٢٤/١ برقم (٤٣)، ومسلم في صلاة المسافرين برقم (٧٨٢) .

(٣) انظر فتح الباري ١٢٦/١ .

(٤) مجموع الفتاوى ٧٠/٧ .

التعليق :

هذا التقسيم للطاعة من حيث نوع طاعتهم، فهي على قسمين :

الأول أن يقلدوهم في تبديل دين الله ﷻ عملا واعتقادا مع علمهم بأنهم بدلوا دين الله ﷻ، فهذا لا شك أنه شرك أكبر في الألوهية مخرج من الملة، وهذا هو المراد بقوله تعالى : ﴿ اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله ﴾ [1] أي اتبعوهم فيما حللوا وحرموا وشرعوا لهم خلاف ما شرعه الله لهم [2].

وأما القسم الثاني فهو طاعتهم في غير المعروف وفي المعصية مع اعتقادهم أنها معصية لله ﷻ ومخالفة لأمره الواجب، فهذا لا شك وإن لم يبلغ درجة الكفر بالله ﷻ والإشراك به إلا أنه من كبائر الذنوب، لأن طاعة العلماء والرؤساء إنما تجب ما أمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر فهي داخلة في طاعة الله وطاعة رسوله كما قال ﷻ : ﴿ يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم ﴾ [3] فإن خالفوا الكتاب والسنة فلا طاعة لهم، ولهذا حذف الفعل عند الأمر بطاعتهم [4] وقال ﷺ : **« لا طاعة لبشر في معصية الله، إنما الطاعة في معروف »** [5].

---

(١) سورة التوبة ٣١ .

(٢) انظر تفسير ابن كثير ٣٣٤/٢ وتيسير الكريم الرحمن ص٢٩٥ .

(٣) سورة النساء الآية ٥٩ .

(٤) انظر تيسير الكريم الرحمن ص ١٤٩ .

(٥) الحديث متفق عليه من حديث علي ﷺ، أخرجه البخاري في أخبار الآحاد ٢٤٥/١٣/(٧٢٥٧) ومسلم في كتاب الإمارة ٢٢٧/١٢/(١٨٤٠).

المطلب الثامن عشر : أنواع تبديل الدين .

تبديل دين الله يكون على نوعين :

- تبديل الخبر .
- تبديل الأمر .

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية : " ولهذا حصل من الذين لبسوا الحق بالباطل تبديل لما بدلوا من الدين وتحريف الكلم عن مواضعه ...والتّبديل نوعان : أحدهما أن يناقضوا خبره، الثاني أن يناقضوا أمره، فإن الله بعثه بالهدى ودين الحق وهو صادق فيما أخبر به عن الله، آمر بما أمر الله به، وأهل التّبديل الذين يضيفون إلى دينه وشرّعه ما ليس منه...تارة يناقضون في خبره، فينفون ما أثبته أو يثبتون ما نفاه ،كالجهمية الذين ينفون ما أثبته من صفات الله وأسمائه، والقدرية والقدريّة المجبرة وأمثال ذلك ... كما أن طوائف من أهل العبادة والزهد والإرادة والمحبة والتصوف سلكوا طرقاً ظنّوا أنّه لا يوصل إلى الله إلا بها ... وهي عند التحقيق طرق مضلة إنما توصل إلى رضى الشيطان وسخط الرحمن، كالعبادات التي ابتدعها ضلال أهل الكتاب والمشركين وخالفوا بها دين المرسلين، فهؤلاء في الأحوال البدعية وأولئك في الأقوال البدعية، والقول الحق هو القرآن والحال الحق هو الإيمان " (1) .

التعليق :

كما سبق أن دين الله تعالى مشتمل على الأمور الخبرية العلمية المطلوب اعتقادها وعلى الأمور الطلبية العملية المطلوب امتثالها، فتبديل الدين يندرج فيه التّبديل لهذين الأمرين .

أما الأول فهو تبديل الأمور الخبرية التي يجب للمسلم اعتقادها والإيمان بها ومناقضة الأخبار الواردة في الكتاب والسنّة عن الأمور الغيبية وهذا التبديل يشمل كل من تجاوز

---

(1) النبوات ص ١١٦ .

نصوص الكتاب والسنّة الخبرية المتعلقة بالأمم والحوادث السابقة أو المستقبلة، كما يشمل أيضا كل من خالف الكتاب والسنة لما يجب عليه من الاعتقاد بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره، فمن اعتقد في الله ما ليس في الكتاب والسنة أو عطل شيئا مما فيهما أو نفى القدر أو اعتقد الجبر فكل ذلك من تبديل دين الله الخبرية الاعتقادية .

وأما النّوع الثاني من تبديل دين الله فهو تبديل شريعته وأحكامه، ومناقضة أوامره ونواهيه، فإن الله تعالى أمر باتباع الرسول وحذر عن مخالفته و لم يجعل لأحد الخيرة بعد قضاء الله ﷻ وأمره، وأكمل لهم دينهم الذي ارتضاه لهم، وجعل كل عمل ليس عليه أمر الله وأمر رسوله مردودا على صاحبه، وحكم على كل بدعة في الدين بالضلال وفي الآخرة بالنار،فمن ابتدع فيه ببدعة ونسبها إلى دين الإسلام ودعا الناس إليها، أو عارض أوامره وشريعته بآراء ظنية وقوانين وضعية وفرضها على العباد دون شرع الله الذي جاء به المصطفى ﷺ فهو من تبديل دين الله العملي، والله أعلم .

الخاتمة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، وبفضله ومنّه تنمو الحسنات، رفيع الدرجات، غافر الذنوب والخطيئات، والصلاة والسلام على سيد البشر وأشرف المخلوقات، وبعد:

فأحمد الله سبحانه الذي منّ عليّ بإتمام هذا البحث الذي جمعت فيه كثير من التقسيمات المتعلقة بأنواع التوحيد الثلاثة، فله الحمد كله وله الشكر كله، وفي نهاية هذا المطاف أذكر بعض الأمور التي يتلخص فيها بعض أهم مواضيع البحث،

١- الدين يشمل ما يضاف إلى الله سبحانه من حيث التشريع والجزاء وما يصدر من العبد على اختلاف مراتبهم من حيث التدين به، فمنهم المحسن السابق بالخيرات، والمؤمن المقتصد، والمسلم الظالم لنفسه .

٢-جميع المخلوقات مستسلمون لله تعالى كونا وقدرا، وأما من يتبع الأديان السماوية الصحيحة فهم مستسلمون شرعا ودينا، ويطلق في هذا الزمان على الأمة المحمدية فقط.

٣-الإيمان مشتمل على الأقوال والأعمال، وتتفاوت الشعب في الحكم على من تركها، فمنها ما يكفر بتركها، ومنها ما ليس كذلك.

٤-قد تنوعت أساليب العلماء في تقسيم التوحيد، فمنهم من قسمه إلى قسمين، وهو الغالب عند المتقدمين، ومنهم من قسمه إلى ثلاثة أقسام، وجميع التقسيمات تؤدي إلى مضمون واحد، وهو توحيد الله في أفعاله معرفة واعتقادا، وفي أفعال العباد قصدا وطلبا.

٥-(الفسوق)، (النفاق)، (المعصية)، (الظلم) ؛ هذه الأجناس من المعاصي تشتمل على أمور عقدية وعملية، وكل منها تختص بحكم مغاير للآخر، فبعضا منها يخرج بها صاحبها من ملة الإسلام، وبعضا منها تنافي كمال الإيمان الواجب، ولا تنافي أصله .

٦-وكذلك (الكفر) جنس يشتمل على أنواع متعددة، فمنه ما ينافي كمال الإيمان، كما أطلقه الشارع على بعض الأعمال مع بقاء اسم الإيمان على عامله، ومنه ما ينافي أصل الإيمان، كمن يكفر بشيء مما جاء به الرسول ﷺ ولا يصدقه فيه ونحو ذلك.

٧-و(الشرك) فهو ضد التوحيد ومناقض له، وأصله التعطيل، إما تعطيل الصانع عما هو عليه، أو تعطيله سبحانه عما يستحق من العبادات، فيشمل جميع المخالفات في توحيد

الله سبحانه وتعالى معرفة واعتقادا، قولا وعملا، جليا كان أو خفيا، إلا أن بعضا منها ينافي كمال التوحيد الواجب، فلا يكون صاحبه مخرجا من الملة، ولا يخلد في النار خلود الكفار.

٨-الردة تكون إما عن الدين كله، أو عن بعض الدين، والكل في الحكم سواء.

٩-إن الله سبحانه تعرف إلى عباده بآياته المتلوة والمشهودة، وآياته التي تدل على وحدانيته وكمال قدرته وعلمه كثيرة، بل كل شيء في هذا الكون يدل على كماله ووحدانيته، ولهذا أمر الله سبحانه بالنظر في هذا الكون بل وفي نفس الإنسان بالبصيرة الباطنة التي تؤدي إلى معرفة الرب سبحانه المعرفة الخاصة المستلزمة لخشيته سبحانه المعنية في قوله سبحانه ﴿إنما يخشى الله من عباده العلماء﴾،

١٠- إن الله سبحانه هو رب كل شيء ووليه، فهو سبحانه بربوبيته وولايته العامة يهدي كل مخلوق إلى ما ينفعهم في حياتهم الدنيوية، وبربوبيته وولايته الخاصة لعباده المؤمنين يهديهم إلى ما ينفعهم في الحياة الدنيا وفي الآخرة إلى أن يصلوا إلى رضوان الله وجنته، والمؤمنون في ذلك على مراتب متفاوتة.

١١- علم الله سبحانه محيط بكل شيء، وبهذا العلم الأزلي قدر مقادير الخلائق وكتبه في اللوح المحفوظ، ثم إنه يبدي ما كتبه للملائكة الموكلين بأمور الخلق والتدبير ما يخص بأعمالهم، فيُعلم الملك الموكل بالرحم بما يخص بالجنين، وكذلك يفصل من اللوح المحفوظ أمر السنة وما يجري فيها إلى الكتبة، ثم إنه سبحانه يوجد ويخلق كل ذلك بمشيئته وإرادته، فكل ما يحصل في هذا الكون هو من تقديره وخلقه حتى الأسباب التي يستعملها المخلوق لدفع القدر الذي قد وقع أو قد انعقدت أسبابه ولما يقع .

١٢- إن الله سبحانه قد أخذ الميثاق من بني آدم حين أخرجهم من ظهر أبيهم آدم عليه السلام بأنه وحده ربهم وإلههم، وخلقهم على هذا الميثاق، وأرسل إليهم الرسل تأكيدا لهذا الميثاق، ونصب لهم الأدلة عليه بقوله وفعله، وبذلك تمت حجة الله البالغة على كل الناس،

١٣- مع كثرة وجود أدلة وجود الخالق الواحد الأحد إلا أن فئاما من الناس أنكروا وجود خالق للكون مغاير له، ونسب الخلق والتدبير إلى طبيعة الكون، وهم الدهرية

الطبيعية، أو إلى مبدع لا تقوم به صفة ولا فعل وهم الدهرية الإلهية، أو إلى إلهين مستقلين، وهم المجوس ومن نحا نحوهم من القدرية المجوسية .

١٤- أسماء الله تعالى كلها حسنى بالغة في الحسن لأنها تتضمن صفات الكمال وتدل عليها إما بطريق التضمن أو باللزوم، فليس فيها اسم يتضمن الشر، ولهذا لا يضاف الشر إلى الله سبحانه مباشرة، ولا تطلق الأسماء التي لا تتضمن الكمال عند الإطلاق إلا مقرونة أو مقيدة بما يكون به الكمال، كالمانع والضار والمنتقم والعفو ونحوها، ونحوه صفة الكيد لا يوصف الله سبحانه به مطلقا، بل بما يحمد به الله سبحانه.

١٥- أسماء الله الحسنى منها ما يختص المعنى به سبحانه، فلا يسمى بها غيره سبحانه، ومنها ما يختص الكمال والإطلاق به سبحانه، فهذا قد يسمى بها غيره،

١٦- إحصاء أسماء الله يتضمن إحصاء ألفاظها وفهم معانيها، لأنها إما تثبت الكمال لله سبحانه أو تنفي عنه النقائص والعيوب، ثم التعبد والدعاء بها،

١٧- صفات الله العلا تؤخذ من الأسماء الحسنى، أو من الأفعال الثابتة لله سبحانه، أو بنص ظاهر في الصفة، إلاّ أن دلالة النص قد يكون مخفية على بعض الناس، وقد وردت الأحاديث في إثبات الصفات قولا وفعلا وتقريرا، وكذا الأدلة في نفي التمثيل عن البلوي سبحانه وردت خبرا وطلبا .

١٨- الصفات منها ما ترجع إلى ذات الباري سبحانه، وهي تسمى الصفات الذاتية، ومنها ما ترجع إلى أفعاله سبحانه، وهي الصفات الفعلية وهي إما متعلق بذاته المقدسة، أو متعلق بالمخلوقات، ومنها ما ترجع إلى التتريه المحض، وكثير من الصفات يشترك في إثباتها العقل مع السمع، وبعضا منها لا سبيل للعقل الخوض فيها.

١٩- المضافات إلى الله سبحانه في الكتاب والسنة إما تكون صفاته الذاتية، أو صفاته الفعلية، أو مخلوق من مخلوقاته.

٢٠- السمع المضاف إلى الله سبحانه المراد به إدراك الصوت أو الإجابة، أما الأول فيطلق إما للتهديد أو للتأييد أو لبيان إحاطته سبحانه.

٢١- الرؤية المضافة إلى الله سبحانه المراد بها الرؤية العلمية أو البصرية، والبصرية تطلق إما للتهديد أو للتأييد أو لبيان إحاطته سبحانه.

٢٢- أمر الله، وإرادته، وكلماته، وقضاؤه، وكتابته، وإذنه، وتحريمه، وإيتاؤه، وبعثــه، وإرساله، وإنشاؤه، واختياره، وحكمه، وجعله، ينقسم في كتاب الله إلى ديني شـــرعي، يتعلق بالمحبة والرضى، وكوني قدري، يتعلق بالمشيئة فقط، ولا يلـــزم أن يتعلـــق بالمحبـــة والرضى،

٢٣- قضاء الله سبحانه وحكمه الكوني يكون إما مصائب، والذي ليس للعبـــد فيـــه كسب واختيار، أو معايب، يكون للعبد فيه كسب واختيار، فالأول يجب علـــى العبـــد الصبر والاستسلام، ويستحب الرضا به، والثاني يجب عليه أن يدافعه وينازعــه، ويحـــرم الرضا به.

٢٤- حفظ الله سبحانه لعباده، وقربه بهم، ومعيته، وكذا إحسانه ونعمـــه عليـــهم، ورزقه لهم ينقسم إلى عام يشمل جميع مخلوقاته، وخـــاص بعبـــاده المؤمنـــين وأوليائـــه المخلصين.

٢٥- إن الله سبحانه يتوب على العبد بتوفيقه له بالتوبة، ثم بالقبول إياها منه، وهـــي إما عن فعل المحرمات، أو ترك الواجبات.

٢٦- إن المؤمن يحب لقاء الله عند الموت، فيحب الله لقاءه، وإن الكافر يكره لقـاء الله فيكره الله لقاءه.

٢٧- علم الله سبحانه قد يكون مؤثرا في المعلوم، وقد لا يكون كذلك، كعلمه بنفسه المقدسة.

٢٨- علم الغيب مطلق أو مقيد، فالمطلق لا يعلمه إلا الله سبحانه.

٢٩- تكليم الله سبحانه لعباده قد يكون من وراء حجاب، أو بإرســـال رســـول، أو بالإلهام في القلب، وقد يطلق على الجميع اسم الوحي، وقد يخص اسم الوحي بـــالنوعين الأخيرين، وحينئذ يخص التكليم بالنوع الأول.

٣٠- المعطلون في باب الأسماء والصفات على درجتين: تعطيل كلي، وتعطيل جزئـي، وقد يعطلون حقائق الأسماء والصفات، وقد يعطلون أحكامها وموجباتها.

٣١- التحريف قد يقع في المعنى وقد يقع في المبنى، والجميع مأخوذون من اليهود .

٣٢- والتأويل يراد به حقيقة الشيء، ويراد به التفسير، ويراد به التحريف وهو الذي ذمه السلف واتفقوا على بطلانه، وهو إن كان له مسوغ شرعي أو لغوي فهذا لا يوجب الكفر، وأما ما ليس له مسوغ لغوي فهذا يستلزم الإنكار للحقيقة والتكذيب لها .

٣٣- الحلول والاتحاد إما أن يجعلهما عاما بجميع الخلق، أو خاصا ببعض المخلوقين.

٣٤- العبادات منها ما اتفق العقلاء على مدحها وتحسينها، ومنها ما اتفق الملل على وجوبها، ومنها ما تختص بهذه الأمة فقط، وهي إما تقوم بالعامل ولا تتعلق بغيره، أو تقوم به وتتعلق بغيره، أو تقوم بغيره.

٣٥- العبودية إما ظاهرة على الجوارح، أو باطنة في القلب، وهي عامة تتعلق بالربوبية، أو خاصة تتعلق بالألوهية، وكذا القنوت، والإنابة، والسجود عامة، وخاصة.

٣٦- العلم بالله سبحانه يشمل العلم بذاته، وبأسمائه، وصفاته، وأفعاله، وما لا يليق به نفسه، وكذا العلم بدينه الجزائي والشرعي.

٣٧- ذكر الرب سبحانه يشمل ذكر أوامره ونواهيه، تعليما وامتثالا، وكذا يشمل ذكر أسمائه وصفاته، إنشاء أو إخبارا، والذكر المضاعف أفضل من الذكر المفرد، ومراتبه ثلاثة: بالقلب واللسان، وبالقلب فقط، وباللسان فقط.

٣٨- يجوز الرقية بكلام الله سبحانه، وبأسماء الله وصفاته، وبما يعرف معناه.

٣٩- الصبر على المعاصي مذموم، وأما الصبر على الطاعة، وعن المعاصي، والمصائب محمود، ويختلف الحكم باختلاف متعلقه فهو إما واجب، أو سنة، أو مباح، أو مكروه، أو محرم.

٤٠- مغفرة الله سبحانه للذنوب إما عامة وشاملة، وهذا للمؤمن في الدنيا والآخرة، أو خاصة ومقيدة، وهذا في الدنيا فقط، وتعم المؤمن والكافر.

٤١- الدعاء على نوعين: دعاء مسألة، وهو الدعاء بجلب منفعة، أو دفع مضرة، ودعاء العبادة، وهو جميع أنواع العبادة، وكلاهما إما مأمور به، أو مباح، أو منهي عنه.

٤٢- الإنذار والتذكير عام لجميع الخلق، وخاص بالمؤمنين فقط.

٤٣- المحبة المستلزمة للتعظيم والذل للمحبوب لا تجوز إلا لله عز وجل، أما المحبة الطبيعية التي لا تستلزم الذل والخوف والتعظيم للمحبوب فهي تصلح للخلق أيضا.

٤٤- وكذا الخوف المستلزم للذل والرجاء والتعظيم لا يجوز إلا من الله سبحانه.

٤٥- النذر بالمعصية معصية، وأما النذر بالطاعة فهو إن كان ابتداء من غير تعليق على حصول شيء فهو مباح، وأما إن كان من المجازاة والمعاوضة فهو منهي عنه .

٤٦- التوسل بأسماء الله الحسنى، وبالأعمال الصالحة، وبدعاء الصالحين مشروع، وأما التوسل بذوات الأشخاص وبجاههم فهو ممنوع.

٤٧- التوكل على الله مطلوب من العبد في أموره الدنيوية، والدينية، والثاني أفضل، وأما التوكل على غيره والتعلق به فهو إن كان في الأمور التي لا يقدر عليه أحد إلا الله، فهو شرك أكبر، وأما إن كان في الأسباب الظاهرة العادية فهو ينافي كمال التوحيد .

٤٨- تنعقد اليمين بالله، وبصفة من صفاته، وباسم من أسمائه، ولا تنعقد بغير ذلك.

٤٩- الرياء المحض يبطل العمل، وأما الطارئ إن دفعه فلا يضره، وإن استرسل معه ففيه خلاف بين العلماء، وأما المراءاة من أجل التعليم والتشجيع فغير مذموم.

٥٠- المحرمات منها ما لم يبحها الشرع في حال من الأحوال، كالشرك بالله سبحانه، ومنها ما أباحها عند الحاجة الملحة، كالخمر ونحوه.

٥١- معبودات المشركين منها العاقل، وغير العاقل، والعاقل منهم من يرضى بعبادة الناس إياه، ومنهم من لا يرضى بذلك .

٥٢- الأعمال السيئة سيئة في نفسها، وسيئة عاقبتها، فوقاية السيئات تكون ابتداء فلا تصدر سيئة من العبد، وتكون في معاقبتها أيضا، فلا يعاقب عليها.

٥٣- السحر محرم بجميع أنواعه، حتى وإن كان لحل سحر عن المسحور .

٥٤- علم النجوم إن كان مجرد حساب لمعرفة الأوقات والجهات فهذا علم مباح شرعا، ومرغوب فيه، وأما إن كان يستدل بحركاته على الحوادث المستقبلية فهو من جنس السحر والكهانة، وأما إن كان يعتقد أن النجوم هي فاعلة مختارة، ويعتقدون فيها القدرة المطلقة، فيتقربون إليها، فهذا شرك أكبر مخرج من الملة.

٥٥- الذبح لغير الله إن كان على جهة التعظيم والذل فهذا شرك أكبر، وأما إن كان فرحا وإكراما له فهذا مباح .

٥٦- الغلو محرم شرعا، سواء في العبادات أو الاعتقادات .

الفهارس

فهرس الآيات القرآنية

فهرس الأحاديث النبوية

طرف الحديث	رقم الصفحة
إن الله لا ينام ولا ينبغي له أن ينام	٢١٢
إن لله تسعة وتسعين اسماً من أحصاها دخل الجنة..	١٩٩
إن لله تعالى ملائكة سيارة فضلا............	٣٤٩
إن منا ناس يأتون الكهان ،	٤٢٦
إنه لا يأتي بخير ، وإنما يستخرج من البخيل ...	٤٠٣
إني خلقت عبادي حنفاء كلهم	٣٨٧
أول ما خلق الله تعالى القلم	١٥٥
اهدني لما اختلف فيه من الحق بإذنك	٣٧٧
الإيمان بضع وسبعون أو بضع وستون شعبة	٣٥
إياكم والغلو في الدين	٤٣٣
بني الإسلام على خمس	٢٧
تحقرون صلاتكم مع صلاتهم	٥٩
جعل الله الرحمة مائة جزء	٢٢٣
حتى يضع رب العزة فيها قدمه	٢١٧
حفت الجنة بالمكاره	٣٦٢
الحمد لله الذي وسع سمعه الأصوات	٢٢٦
خير الأسماء عبد الله وعبد الرحمن	٤٩
الدعاء هو العبادة	٣٧٢
الراحمون يرحمهم الرحمن	١٩٠
رأيت رسول الله ﷺ يضع إبهامه على أذنه	٢١٧
ربي غضب اليوم غضبا لم يغضب مثله قبله	٢٠٤
سباب المسلم فسوق وقتاله كفر	٦١ ، ٨٩
الشرك في هذه الأمة أخفى من دبيب النمل	١٠٤

طرف الحديث	رقم الصفحة
لن يموت عبد حتى يستكمل رزقه	٢٨٠
لو كانت الدنيا تعدل عند الله جناح بعوضة	٢٤٨
ليس بين العبد وبين الشرك أو الكفر	٩٠
ما بال أقوام يتنزهون عن أشياء	١٣٦
ما تعمدت منذ ذكرت ذلك لرسول الله ﷺ	٢٦٤
ما ظنك باثنين الله ثالثهما	٢٨٨
ما من عبد قال لا إله إلا الله	٨٦
مطلي الغني ظلم	١١٨
من أتى عرافاً فسأله عن شيء	٨٩ ، ٢٧٠
من أتى كاهنا أو عرافا فصدقه	٤٢٧
من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه	٢٧٥
من أعتق شركاً له في عبد	٩٦
من أخذ شبرا من الأرض	١١٨
من حلف بغير الله فقد أشرك	١٦٨
من حلف على يمين يقتطع بها مال امرئ	٢٧٦
من ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي	٣٤٨
من سره أن يبسط له في رزقه وينسأ له	٢٨٠
من سمّع سمع الله	٤١٢
من شأنه أن يغفر ذنباً ويفرج كرباً.............	١٥٧
من شرب الخمر لم يقبل الله له صلاة	٢٧٠
من اقتبس علما من النجوم	٤٢٣
من نذر أن يطيع الله	٤٠١
ومن نذر أن يعصي الله فلا يعصيه	٤٠١

فهرس الأعلام

فهرس المصادر والمراجع

- **القرآن الكريم** .
- **الإبانة عن أصول الديانة** . لأبي الحسن علي بن إسماعيل الأشعري ت (٣٢٤هـ)، تحقيق د. فوقية حسين محمود ط / دار الأنصار القاهرة، الطبعة الأولى ١٣٩٧هـ .
- **الإبانة عن شريعة الفرقة الناجية ومجانبة الفرقة المذمومة** . للإمام ابن بطة العكبري، الكتاب الثالث، تحقيق د.يوسف الوابل و الوليد بن محمد نبيه بن سيف النصر، ط : دار الراية ، الطبعة الأولى ١٤١٥هـ .
- **اجتماع الجيوش الإسلامي على غزو المعطلة والجهمية**، للعلامة شمس الدين أبي عبد الله محمد بن قيم الجوزية، تحقيق بشير محمد عيون، مكتبة المؤيد الرياض، الطبعة الأولى ١٤١٤هـ ١٩٩٣ م .
- **الأحكام في أصول الأحكام** . للحافظ أبي محمد علي بن حزم الظاهري، تحقيق محمد أحمد عبد العزيز، ط/مكتبة العارف القاهرة، الطبعة الأولى ١٣٩٨هـ ١٩٧٨م .
- **الأدب المفرد** . لأبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري الجعفي ت ٢٥٦هـ، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، ط/ دار البشائر الإسلامية بيروت، الطبعة الثالثة ١٤٠٩هـ ١٩٨٩ م.
- **الإرشاد إلى قواطع الأدلة في أصول الاعتقاد** . لإمام الحرمين، تحقيق أسعد تميم، ط/ مؤسسة الكتب الثقافية بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ،
- **إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل** . للشيخ محمد ناصر الدين الألباني، ط/ مكتب الإسلامي، الطبعة الثانية ١٤٠٥هـ ١٩٨٥م .
- **الاستقامة** . لشيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله، تحقيق د. محمد رشاد سالم، ط/ جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الطبعة الأولى ١٤٠٣ هـ .

- **الاستيعاب في معرفة الأصحاب** للحافظ أبي عمر يوسف بن عبد الله بن عبد البر الأندلسي ت ٤٦٣هـ، تحقيق علي محمد البجاوي، ط/ دار الجيل بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٢هـ،
- **الأسماء والصفات** . لأبي بكر أحمد بن الحسين البيهقي، تحقيق عبد الله محمد الحاشدي، ط/ مكتبة السوادي السعودية، الطبعة الأولى ١٤١٣هـ ١٩٩٣ م .
- **الإصابة في تمييز الصحابة**. للحافظ أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، ت(٨٥٢هـ) تحقيق عادل عبد الموجود وعلي معوض، ط/ دار الكتب العلمية بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٥هـ ١٩٩٥م .
- **أضواء البيان في تفسير القرآن بالقرآن** . للشيخ محمد الأمين الشنقيطي رحمه الله، ط/ مطبعة المدني ١٣٨٦هـ ١٩٩٧م .
- **الاعتقاد على مذهب السلف أهل السنة والجماعة** . لأبي بكر أحمد بن الحسين البيهقي ت ٤٥٨هـ، ط/ دار الكتب العلمية بيروت، الطبعة الثانية ١٤٠٦هـ ١٩٨٦ م .
- **إعلام السنة المنشورة** . للشيخ حافظ بن أحمد بن محمد الحكمي ت ١٣٧٧هـ، تحقيق أحمد علي علوش مدخلي ط/مكتبة الرشد الرياض، الطبعة الأولى ١٤١٨هـ ١٩٩٨م .
- **إعلام الموقعين عن رب العالمين** . للعلامة محمد بن أبي بكر أبو عبد الله بن قيم الجوزية ت (٧٥١هـ)، تحقيق طه عبد الرؤوف سعد، ط/ دار الجيل بيروت، العام ١٩٧٣م .
- **إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان** . للعلامة محمد بن أبي بن القيم الجوزي رحمه الله ، تحقيق محمد حامد الفقي، ط/ دار المعرفة بيروت، الطبعة الثانية ١٣٩٥هـ ١٩٧٥م .
- **اقتضاء الصراط المستقيم مخالفة أصحاب الجحيم** . لشيخ الإسلام أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني، تحقيق محمد حامد الفقي، ط/ مطبعة السنة المحمدية القاهرة، الطبعة الثانية ١٣٦٩هـ .

- **الانتصار لأصحاب الحديث** . لأبي المظفر منصور بن محمد السمعاني، ت ٤٨٩هـ، تعليق محمد بن حسين الجيزاني، ط/ مكتبة أضواء المنار للنشر والتوزيع بالمدينة المنورة، الطبعة الأولى ١٤١٧هـ ١٩٩ م .
- **الإنصاف فيما يجب اعتقاده ولا يجوز الجهل به** . للقاضي أبي بكر الباقلاني، تحقيق محمد زاهد الكوثري ،ط/ مؤسسة الخانجي١٣٨٢هـ .
- **أنواع التوحيد** . للعلامة الشيخ عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ، ضمن الجامع الفريد، طبع على نفقة محمد بن إبراهيم النعمان، بدون تاريخ .
- **بدائع الفوائد** . للعلامة ابن قيم الجوزية، تحقيق هشام عبد العزيز عطا وجماعة، الناشر مكتبة نزار مصطفى الباز، الطبعة الأولى العام ١٤١٦ هـ ١٩٩٦ م .
- **بيان تلبيس الجهمية في تأسيس بدعهم الكلامية**، لشيخ الإسلام تقي الدين ابن تيمية الحراني، تحقيق محمد بن عبد الرحمن بن قاسم ط/ مطبعة الحكومة، الطبعة الأولى ١٣٩٢هـ ،
- **تاج العروس** . للسيد محمد مرتضى الزبيدي، ط/ دار صادر بيروت، ١٣٨٦هـ ١٩٦٦ م .
- **التبصير في معالم الدين** . للإمام محمد بن جرير أبي جعفر الطبري ت ٣١٠ هـ، تحقيق علي بن عبد العزيز الشبل، ط/ دار العاصمة الرياض، الطبعة الأولى ١٤١٦هـ ١٩٩٦ م .
- **التبيان في أقسام القرآن** . لعلامة محمد بن أبي بكر بن القيم الجوزي، ط/ دار الفكر، بدون تاريخ .
- **تجريد التوحيد المفيد** . للإمام أحمد بن علي المقريزي ت ٨٤٥هـ، تحقيق علي محمد العمران، ط/ دار عالم الفوائد مكة المكرمة، الطبعة الأولى ١٤١٧هـ .
- **التحذير من مختصرات الصابوني** . لفضيلة الدكتور بكر أبو زيد، الطبعة الثانية ١٤١٠هـ .

- **تحفة الأحوذي شرح سنن الترمذي** . للعلامة محمد عبد الرحمن المباركفوري ت ١٣٥٣هـ، ط/ دار الكتب العلمية بيروت، بدون تاريخ .
- **التسعينية** . لشيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله، تحقيق ودراسة د. محمد بن إبراهيم العجلان، ط/ مكتبة المعارف الرياض، الطبعة الأولى ١٤٢٠هـ، ١٩٩٩ م .
- **تفسير الأسماء الحسنى** . لأبي إسحاق إبراهيم بن السري الزجاج ت ٣١١هـ، تحقيق أحمد يوسف الدقاق، ط/ مطبعة محمد هاشم الكتبي، ١٣٩٥هـ ١٩٧٥ م.
- **تفسير القرآن العظيم** . لأبي الفداء بن كثير إسماعيل بن كثير القرشي الدمشقي ت ٧٧٤هـ، ط/ دار الحديث القاهرة، الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ ١٩٨٨ م .
- **التفسير الكبير** . للإمام شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله ، تحقيق د. عبد الرحمن عميرة، ط/ دار الكتب العلمية بيروت، بدون تاريخ .
- **تعظيم قدر الصلاة** . لأبي عبد الله محمد بن نصر المروزي ت ٢٩٤هـ، تحقيق د. عبد الرحمن عبد الجبار الفريوائي، ط/ مكتبة الدار المدينة المنورة، الطبعة الأولى ١٤٠٦هـ .
- **تقوية الإيمان** . للشاه إسماعيل الهندي ت ١٢٤٦هـ، ط/ الحجرية باكستان .
- **تلخيص الاستغاثة** . لشيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله، تحقيق محمد علي عجال، ط/ مكتبة الغرباء الأثرية المدينة المنورة، الطبعة الأولى ١٤١٧هـ .
- **تلخيص المستدرك** . للحافظ الذهبي ت ٧٤٨هـ، مع أصله المستدرك للحاكم، الناشر المكتب المطبوعات الإسلامية حلب .
- **التنبيهات السنية على العقيدة الواسطية**، للشيخ عبد العزيز الناصر الرشيد، ط/ دار الرشيد، الطبعة الثانية ١٤١٦هـ ١٩٩٥م .
- **كتاب التوحيد وإثبات صفات الرب ﷻ** . للإمام الحافظ محمد بن إسحاق بن خزيمة رحمه الله ، تعليق محمد خليل هراس، ط/ دار الفكر الطبعة الثانية ١٣٩٣هـ ١٩٧٣ م .

- **توضيح الكافية الشافية في الإنتصار للفرقة الناجية للشيخ عبد الرحمن بن ناصر** السعدي رحمه الله ، ضمن المجموعة الكاملة لمؤلفات الشيخ .
- **التوسل أنواعه وأحكامه** . للعلامة محمد ناصر الدين الألباني رحمه الله ، ط/ المكتب الإسلامي بيروت، الطبعة الخامسة ١٤٠٦هـ .
- **التوصل إلى حقيقة التوسل** . للعلامة محمد نسيب الرفاعي رحمه الله ، الطبعة الأولى بيروت، ١٣٩٤هـ ١٩٧٤ م .
- **تهذيب اللغة** . للإمام أبي منصور محمد بن أحمد الأزهري ت ٣٧٠هـ، تحقيق عبد السلام محمد هارون ط/ دار القيومية العربية، ١٣٨٤هـ ١٩٦٤ م .
- **تيسير العزيز الحميد شرح كتاب التوحيد** . للشيخ سليمان بن عبد الله آل الشيخ رحمه الله ت ١٢٣٣هـ، ط/ المكتب الإسلامي ، بدون تاريخ .
- **تيسير الكريم الرحمن في تفسير الكلام المنان** . لعبد الرحمن بن ناصر السعدي ت ١٣٧٦هـ، تقديم فضيلة الشيخ محمد ابن عثيمين، ط/ مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى ١٤١٩هـ ١٩٩٨ م .
- **جامع البيان عن تأويل آي القرآن** . للإمام محمد بن جرير أبو جعفر الطبري ت(٣١٠هـ) ط/ دار الفكر بيروت، ١٤٠٥هـ .

  وتحقيق محمود محمد شاكر، ط/ دار المعارف بمصر، بدون تاريخ .
- **جامع الرسائل** . لشيخ الإسلام ابن تيمية الحراني رحمه الله ، جمع وتحقيق د. محمد رشاد سالم، ط/ بمصر، بدون تاريخ .
- **جامع العلوم والحكم في شرح خمسين من الجوامع الكلم** . للحافظ أبي الفرج ابن رجب الحنبلي ت ٧٩٥هـ، تحقيق شعيب الأرناؤوط وإبراهيم باجس، ط: مؤسسة الرسالة بيروت، الطبعة الرابعة ١٤١٣هـ ١٩٩٣ م .
- **الجامع الفريد** . وهو مجموعة كتب ورسائل لعدد من الأئمة، طبع على نفقة محمد بن إبراهيم النعمان، بدون تاريخ .

- **الجامع في أحكام القرآن** . لأبي عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي، ت ٦٧١ هـ، ط : دار الكتب العلمية بيروت لبنان، ١٤١٣هـ ١٩٩٣ م .
- **جلاء الأفهام في الصلاة والسلام على خير الأنام** . للعلامة ابن القيم الجوزي، تحقيق وتخريج محيي الدين مستو، ط : مكتبة دار التراث للنشر والتوزيع المدينة المنورة، الطبعة الثانية ١٤١٣هـ ١٩٩٢م .
- **الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي** . للحافظ أبي عبد الله بن القيم الجوزي، تحقيق مصطفى بن أبو النصر الشلبي، ط/ مكتبة السوادي جدة، ١٤١٤هـ ١٩٩٤م .
- **الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح** . لشيخ الإسلام ابن تيمية الحراني رحمه الله تحقيق د. علي حسن ناصر ود.عبد العزيز العسكر ود.حمدان محمد، ط/ دار العاصمة الرياض، الطبعة الأولى ١٤١٤هـ .
- **جهود علماء الحنفية في إبطال عقائد القبورية** . للدكتور شمس الدين السلفي الأفغاني رحمه الله ، رسالة دكتوراة، ط/ دار الصميعي، الطبعة الأولى ١٤١٦هـ ١٩٩٦ م .
- **حادي الأرواح في بلاد الأفراح** للعلامة محمد بن أبي بكر بن قيم الجوزية رحمه الله ت ٧٥١هـ، ط/ دار الكتب العلمية بيروت، بدون تاريخ .
- **الحجة في بيان المحجة** . للحافظ قوام السنة أبي القاسم إسماعيل بن محمد التيمي الأصبهاني، تحقيق الدكتور محمد بن ربيع المدخلي ومحمد محمود أبو رحيم، ط : دار الراية الرياض، الطبعة الأولى ١٤١١هـ ١٩٩٠ م .
- **الحق الواضح المبين** . لعبد الرحمن بن ناصر السعدي، ضمن المجموعة الكاملة لمؤلفات الشيخ .
- **حلية الأولياء** . للحافظ أبي نعيم أحمد بن عبد الله الأصبهاني ت ٤٣٠هـ، ط/ دار الكتاب العربي بيروت، الطبعة الرابعة ١٤٠٥هـ .

- **خلق أفعال العباد.** للإمام محمد بن إسماعيل البخاري ت ٢٥٦هـ، تحقيق د.عبد الرحمن عميرة، ط/ دار المعارف السعودية الرياض، ١٣٩٨هـ ١٩٧٨م .
- **درء تعارض النقل والعقل،** لشيخ الإسلام أحمد بن عبد الحليم بن تيمية رحمه الله، تحقيق د. محمد رشاد سالم، ط/ دار الكنوز الأدبية الرياض، ١٣٩١ هـ .
- **دراسات في الأديان (اليهودية، والنصرانية).** للدكتور سعود بن عبد العزيز الخلف حفظه الله، ط/ مكتبة العلوم والحكم، الطبعة الأولى ١٤١٤هـ.
- **الرد على الجمهية .** للإمام الحافظ محمد بن إسحاق بن منده أبي عبد الله ت ٣٩٥هـ، تحقيق الدكتور علي بن ناصر الفقيهي، الطبعة الأولى ١٤٠١هـ ١٩٨١م.
- **الرد على الجهمية،** للإمام عثمان بن سعيد الدارمي، تحقيق بدر بن عبد الله البدر، ط/ الدار السلفية، الطبعة الأولى .
- **الروح .** للعلامة أبي عبد الله محمد بن أبي بكر بن القيم الجوزي ت ٧٥١هـ، ط/ دار الكتب العلمية بيروت، ١٣٩٥هـ ١٩٧٥م .
- **روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني .** للعلامة محمود الألوسي أبو الفضل، ت(١٢٧٠هـ)، ط/ دار إحياء التراث العربي بيروت .
- **روضة المحبين ونزهة المشتاقين .** للعلامة ابن قيم الجوزية رحمه الله ، ط/ دار الكتب العلمية بيروت ١٤١٢هـ ١٩٩٢م .
- **زاد المسير في علم التفسير .** للحافظ عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي ت(٥٩٧هـ)، ط/ المكتب الإسلامي بيروت، الطبعة الثالثة ١٤٠٤هـ.
- **زاد المعاد في هدي خير العباد .** لابن قيم الجوزية، تحقيق وتخريج شعيب الأرنؤوط وعبد القادر الأرنؤوط، ط : مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة السادسة والعشرون ١٤١٢هـ ١٩٩٢ م .
- **زاد المهاجر (رسالة التبوكية) .** للعلامة ابن القيم الجوزي، تحقيق د. جميل غازي، ط/ مكتبة المدني بجدة، بدون تاريخ .

- **سبل السلام في شرح بلوغ المرام** . للعلامة محمد بن إسماعيل الصنعاني الأمير، تحقيق محمد عبد العزيز الخولي، ط/ دار إحياء التراث العربي بيروت، الطبعة الرابعة ١٣٧٩هـ،
- **سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها** . للشيخ محمد ناصر الدين الألباني رحمه الله، المجلد الأول والثاني من ط/ مكتب الإسلامي، الطبعة الرابعة ١٤٠٥هـ ١٩٨٥م والثالث وما بعده من ط/ مكتبة المعارف الرياض .
- **سلسلة الأحاديث الضعيفة وأثرها السيئ على الأمة**، للشيخ محمد ناصر الدين الألباني، ط/ مكتبة المعارف الرياض، الطبعة الأولى ١٤١٢هـ ١٩٩٢م .
- **سنن الترمذي** . للإمام محمد بن عيسى أبو عيسى الترمذي السلمي، ت(٢٧٩)، تحقيق أحمد شاكر وآخرون، ط/ دار إحياء التراث العربي بيروت، بدون تاريخ .
- **سنن الدارمي** . للإمام أبو محمد عبد الله بن عبد الرحمن الدارمي ت ٢٥٥هـ، تحقيق فواز أحمد وخالد العلمي ط/ دار الكتاب العربي بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٧هـ .
- **سنن أبي داود** . للإمام أبي داود سليمان بن الأشعث السجستاني ت ٢٧٥هـ، إعداد عزت عبيد الدعاس وعادل السيد، ط/ دار ابن حزم بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٧هـ ١٩٩٧م .
- **سنن ابن ماجة** . للحافظ أبي عبد الله محمد يزيد القزويني، ت(٢٧٥هـ)، تحقيق وترقيم محمد فؤاد عبد الباقي، دار الريان للتراث، بدون تاريخ .
- **السنن الكبرى** . للحافظ أبي بكر أحمد بن الحسين البيهقي ت ٤٥٨هـ، وفي ذيله الجوهر النقي لابن التركماني، ط / دار الفكر، بدون تاريخ .
- **سنن النسائي** . لأبي عبد الرحمن أحمد بن شعيب النسائي ت ٣٠٣هـ، تحقيق عبد الفتاح أبو غدة، ط/ مكتب المطبوعات الإسلامية حلب، الطبعة الثانية ١٤٠٦هـ ١٩٨٦ م .

- **السنة** . للحافظ أبي بكر عمرو بن أبي عاصم الضحاك بن مخلد الشيباني ت (٢٨٧هـ)، مع تخريجه ظلال الجنة للألباني، ط/ المكتب الإسلامي بيروت، الطبعة الثالثة ١٤١٤هـ ١٩٩٣م .
- **السنة** . لعبد الله بن أحمد بن حنبل الشيباني ت ٢٩٠هـ، تحقيق د. محمد سعيد سالم القحطاني، ط/ دار ابن القيم الدمام، الطبعة الأولى ١٤٠٦هـ .
- **سير أعلام النبلاء** . للحافظ محمد بن أحمد أبي عبد الله الذهبي ت ٧٤٨ هـ، تحقيق شعيب الأرنؤط ومحمد نعيم العرقسوسي، ط/ مؤسسة الرسالة بيروت، الطبعة التاسعة ١٤١٣هـ .
- **شأن الدعاء** . للحافظ حمد بن محمد الخطابي ت ٣٨٨هـ، تحقيق أحمد بن يوسف الدقاق، ط/ دار المأمون للتراث، الطبعة الأولى ١٤٠٤هـ .
- **شرح ثلاثة الأصول للشيخ محمد بن عبد الوهاب** . للشيخ محمد بن صالح العثيمين، إعداد فهد بن ناصر بن إبراهيم السليمان، ط / دار الثريا السعودية، الطبعة الثانية، ١٤١٤هـ ١٩٩٤ م .
- **شرح اعتقاد أهل السنة والجماعة من الكتاب والسنة** . للإمام أبي القسم هبة الله ابن الحسن الطبري اللالكائي ت ٤١٨هـ، تحقيق د. أحمد سعد حمدان الغلمدي، ط/ دار طيبة الرياض، الطبعة الرابعة ١٤١٦هـ ١٩٩٥م .
- **شرح حديث أبي الدرداء** . للحافظ ابن رجب الحنبلي ت ٧٩٥هـ، مراجعة عبد الظاهر أبو السمح، ط/ دار الشهداء بدون تاريخ .
- **شرح السنة** . للإمام أبو محمد الحسن بن علي بن خلف البربهاري ت ٣٢٩هـ، تحقيق د. محمد سعيد سالم القحطاني، ط/ دار القيم الدمام، الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ.
- **شرح السنة** . للإمام أبي محمد الحسين بن مسعود البغوي ت ٥١٦هـ، تحقيق الشيخ علي معوض والشيخ عادل أحمد، ط/دار الكتب العلمية بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٢هـ١٩٩٢ م.

- **شرح العقيدة الطحاوية** . لابن أبي العز الحنفي ت ٧٩٢ هـ، تحقيق جماعة من العلماء وتخريج الشيخ الألباني، ط/ المكتب الإسلامي، الطبعة الثامنة ١٤٠٤هـ ١٩٨٤م .
- **شرح العقيدة الواسطية لشيخ الإسلام ابن تيمية** . للشيخ محمد بن صالح العثيمين، تخريج سعد فواز الصميل، ط/ دار ابن الجوزي، الطبعة الثالثة ١٤١٦ هـ .
- **شرح القصيدة النونية لابن القيم** . للشيخ عبد الرحمن السعدي، ضمن المجموعة الكاملة لمؤلفات الشيخ، ط/ مركز صالح بن صالح الثقافي العنيزة، الطبعة الثانية ١٤١٢هـ ١٩٩٢م.
- **شرح القصيدة النونية لابن القيم** . للدكتور محمد خليل هراس، ط/ مكتبة ابن تيمية القاهرة، ١٤٠٧هـ ١٩٨٦م.
- **شرح لمعة الاعتقاد** . للشيخ محمد الصالح العثيمين، تحقيق أشرف عبد المقصود، ط/ مكتبة دار طبرية الرياض، الطبعة الثالثة ١٤١٥هـ، ١٩٩٥ م .
- **شعب الإيمان** . للحافظ أحمد بن الحسين البيهقي ت ٤٥٨هـ، تحقيق محمد السعيد زغلول، ط/ دار الكتب العلمية بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٠هـ .
- **شفاء العليل في القضاء والقدر والحكمة والتعليل** . للعلامة محمد بن القيم الجوزي رحمه الله ، تحقيق محمد بدر الدين، ط/ دار الفكر بيروت ١٣٩٨هـ ١٩٧٨م
- **الشرك في القديم والحديث** . رسالة ماجستير للأخ أبي بكر محمد زكريا بالجامعة الإسلامية المدينة المنورة، بإشراف فضيلة الأستاذ الدكتور أحمد عطية الغامدي .
- **الصارم المسلول على شاتم الرسول ﷺ** . لشيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله، تحقيق عصام فارس الحرستاني، ط/ المكتب الإسلامي الطبعة الأولى ١٤١٤هـ ١٩٩٤م .
- **الصحاح** . للعلامة إسماعيل بن حماد الجوهري، تحقيق أحمد عبد الغفور العطاء، ط/ دار العلم بيروت، الطبعة الثانية، ١٣٩٩هـ، ١٩٧٩ م .

• **صحيح البخاري مع شرحه فتح الباري** . للإمام محمد بن إسماعيل البخاري ت (٢٥٦هـ)، ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي، ط/ دار الريان للتراث القاهرة، الطبعة الأولى ١٤٠٧هـ ١٩٨٦م .

• **صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان** . **للحافظ أبي** حاتم ابن حبان البستي ت (٣٥٤هـ) بترتيب ابن بلبان الفارسي ت (٧٣٩ هـ)، تحقيق شعيب الأرنؤوط، ط/ مؤسسة الرسالة بيروت، الطبعة الثانية ١٤١٤ه ١٩٩٣م .

• **صحيح ابن خزيمة** . للإمام أبي بكر محمد بن إسحاق بن خزيمة ت ٣١١هـ، تحقيق د. مصطفى الأعظمي، ط/ المكتب الإسلامي بيروت، ١٣٩٠هـ ١٩٧٠م .

• **صحيح مسلم ابن الحجاج** . للإمام مسلم بن الحجاج القشيري ت ٢٥٦هـ، ط/ دار الكتب العلمية بيروت مع شرح النووي، توزيع مكتبة دار الباز، بدون تاريخ .

• **صحيح الجامع الصغير وزياداته** . للشيخ محمد ناصر الدين الألباني رحمه الله، ط/ المكتب الإسلامي، الطبعة الثالثة ١٤٠٨هـ ١٩٨٨م .

• **الصفات الإلهية في ضوء الكتاب والسنة** . للشيخ محمد بن أمان الجامي رحمه الله، رسالة الدكتوراه ،ط : الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، الطبعة الثانية ١٤١٣هـ .

• **الصفدية** . لشيخ الإسلام أبي العباس ابن تيمية الحراني، تحقيق د. محمد رشاد سالم، الطبعة الثانية ١٤٠٦هـ .

• **الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة** . لابن القيم الجوزي، ت ٦٩١هـ، تحقيق د. علي بن محمد الدخيل الله، ط / دار العاصمة الرياض، الطبعة الثالثة ١٤١٨هـ ١٩٩٨م .

• **صيغ الحمد** . للعلامة محمد بن قيم الجوزية، تحقيق محمد بن إبراهيم السعران، ط/ دار العاصمة الرياض، الطبعة الأولى ١٤١٥هـ .

• **طبقات الحنابلة** . لأبي الحسين محمد بن أبي يعلى الحنبلي ت ٥٢١هـ، تحقيق محمد حامد الفقي، ط/ دار المعرفة بيروت، بدون تاريخ .

- **الطرق الحكمية في السياسة الشرعية** . للعلامة ابن القيم رحمه الله ، تحقيق د. محمد جميل غازي، ط/ مطبعة المدني القاهرة، بدون تاريخ .
- **طريق الهجرتين ودار السعادتين** . للعلامة محمد بن أبي بكر بن القيم الجوزي، تحقيق أبو عمر عمر بن محمود، ط/ دار ابن القيم الدمام، الطبعة الثانية ١٤١٤هـ ١٩٩٤ م .
- **ظلال الجنة في تخرج السنة لابن أبي عاصم** . لمحمد ناصر الدين الألباني رحمه الله، مطبوع مع كتاب السنة، المكتب الإسلامي، الطبعة الثالثة، ١٤١٣هـ ١٩٩٣م.
- **عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين** . للعلامة محمد بن أبي بكر بن القيم الجوزي، تحقيق زكريا علي يوسف، ط/ دار الكتب العلمية بيروت، بدون تاريخ .
- **عقيدة السلف أصحاب الحديث**، للإمام أبي عثمان إسماعيل بن عبد الرحمن الصابوي ت ٤٤٩هـ، تحقيق بدر بن عبد الله البدر، ط/ مكتبة الغرباء الأثرية، الطبعة الثانية ١٤١٥هـ ١٩٩٤م .
- **العقيدة الأصفهانية** . لشيخ الإسلام ابن تيمية الحراني رحمه الله ، تحقيق إبراهيم السعيداي، ط/ مكتبة الرشد الرياض الطبعة الأولى ١٤١٥هـ .
- **العقيدة الطحاوية** . لأبي جعفر أحمد بن محمد الأزدي الطحاوي ت ٣٢١هـ، مطبوع مع شرحه لابن أبي العز الحنفي، ط/ المكتب الإسلامي بيروت، الطبعة الثامنة ١٤٠٤هـ ١٩٨٤م.
- **العقيدة الواسطية** . لشيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله، مع شرح الشيخ الدكتور صالح الفوزان، ط/ مكتبة المعارف الرياض، الطبعة الرابعة، ١٤٠٧هـ ١٩٨٧ م .
- **مختصر العلو للعلي الغفار**، للحافظ شمس الدين محمد بن أحمد الذهبي ت ٧٤٨هـ، اختصار العلامة محمد ناصر الدين الألباني رحمه الله ، ط / المكتب الإسلامي الطبعة الثانية ١٤١٢هـ ١٩٩١ م .
- **عمدة القاري شرح صحيح البخاري** . للعلامة بدر الدين محمود بن أحمد العيني ت ٨٥٥هـ ط/ دار الفكر بيروت بدون تاريخ.

- **عون المعبود شرح سنن أبي داود** . للعلامة أبي الطيب شمس الحق العظيم آبـادي، ط/ دار الكتب العلمية بيروت، الطبعة الثانية ١٤١٥هـ .
- **غاية الأماني في الرد على النبهاني** . للعلامة أبي المعالي محمود شكري الألوسي ت ١٣٤٢هـ، ط/ مطابع النجد التجارية الرياض .
- **فتاوى اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء** . جمع وترتيب الشيخ أحمد بن عبد الرزاق الدويش، ط/ دار العاصمة، الطبعة الثالثة ١٤١٩هـ،
- **الفتاوى الكبرى** . لشيخ الإسلام أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني أبو العباس، تحقيق حسنين محمد مخلوف، ط/ دار المعرفة بيروت، الطبعة الأولى ١٣٨٦هـ .
- **فتاوى وتنبيهات ونصائح** . للشيخ عبد العزيز بن باز رحمه الله، ط/ مكتبة السنة (الدار السلفية لنشر العلم) القاهرة، ، الطبعة الثانية رمضان ١٤٠٩هـ أبريل ١٩٨٩م .
- **فتح الباري شرح صحيح البخاري** . للحافظ زين الدين أبي الفرج ابن رجب الحنبلي ت ٧٩٥هـ، تحقيق طارق عوض الله محمد، ط/ دار ابن الجوزي الدمام، الطبعة الأولى ١٤١٧هـ ١٩٩٦ م .
- **فتح الباري شرح صحيح البخاري** . للحافظ محمد بن علي بن حجر العسقلاني، تصحيح وتعليق سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز رحمه الله ومحب الدين الخطيب رحمه الله، وترقيم محمد فؤاد عبد الباقي، ط/ دار الريان للتراث القاهرة، الطبعة الأولى ١٤٠٧هـ ١٩٨٦م.
- **فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير**. لعلامة محمد بن علي الشوكاني، تحقيق سعيد محمد اللحام ، ط : دار الفكر، الطبعة الأولى عام ١٤١٢هـ ١٩٩٢ م .
- **الفصل في الملل والأهواء والنحل** . للإمام أبي محمد علي بن أحمد بن حزم الظاهري، ط : دار المعرفة، الطبعة الثانية، ١٣٩٥ هـ ١٩٧٥ م، وبهامشه الملل والنحل للشهرستاني .

- **الفقه الأكبر**، للإمام أبي حنيفة ت ١٥٠هـ، مع شرحه لملا علي القاري، ط/دار الكتب العلمية بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٤هـ ١٩١٤ م .
- **الفقيه والمتفقه** . للخطيب علي بن أحمد البغدادي ت ٤٦٣هـ، ط/ دار الكتب العلمية بيروت، الطبعة الثانية ١٤٠٠هـ ١٩٨٠ م .
- **الفوائد** . للإمام محمد بن أبي بكر بن قيم الجوزية، ط/ دار الكتب العلمية بيروت، الطبعة الثانية ١٣٩٣هـ ١٩٧٣ م .
- **فيض القدير شرح الجامع الصغير** . للعلامة عبد الرؤوف المناوي، ط/ المكتبة التجارية مصر، الطبعة الأولى ١٣٥٦هـ .
- **قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة** . لشيخ الإسلام أحمد بن عبد الحليم بن تيمية رحمه الله، تحقيق فضيلة الأستاذ ربيع بن هادي عمير المدخلي، ط/ مكتبة لينة، الطبعة الأولى ١٤١٢هـ، ١٩٩٢ م .
- **القواعد الحسان في تفسير القرآن** . للعلامة عبد الرحمن ناصر السعدي رحمه الله ، ضمن المجموعة الكاملة لمؤلفات الشيخ .
- **القواعد المثلى في صفات الله وأسمائه الحسنى** . لفضيلة الشيخ محمد الصالح العثيمين رحمه الله ، ط/ الجامعة الإسلامية، الطبعة الخامسة ١٤١٤هـ .
- **القول السديد شرح كتاب التوحيد** . للشيخ عبد الرحمن السعدي رحمه الله ، ضمن المجموعة الكاملة لمؤلفات الشيخ .
- **القول السديد في الرد على أنكر تقسيم التوحيد** . للأستاذ الدكتور عبد الرزاق البدر حفظه الله، تقديم فضيلة الشيخ صالح الفوزان، دار عفان، الطبعة الأولى ١٤١٧ هـ ١٩٩٧ م .
- **القول في علم النجوم** . للحافظ الخطيب أبي بكر علي بن أحمد بن ثابت البغدادي ت ٤٦٣هـ، تحقيق د. يوسف بن محمد السعيد، ط/دار أطلس، الطبعة الأولى ١٤٢٠هـ، ١٩٩٩ م .

- **القول المفيد شرح كتاب التوحيد** . للشيخ محمد بن صالح العثيمين حفظه الله، اعتنى به د. سليمان بن عبد الله أبا الخيل ود. خالد بن علي المشيقيح، ط/ دار العاصمة الرياض، الطبعة الأولى ١٤١٥هـ .
- **كتاب الصلاة وحكم تاركها** . للعلامة ابن القيم الجوزي، تحقيق محمد نظام الدين الفتيح، ط: مكتبة دار التراث المدينة المنورة، الطبعة الثانية ١٤١٢هـ ١٩٩٢م .
- **كرامات أولياء الله ﷻ وإظهار آيات أصفيائه**. للإمام أبي القاسم هبة الله بن الحسن الطبري اللالكائي ت ٤١٨هـ، تحقيق الدكتور أحمد سعد بن حمدان الغامدي،ط/ دار طيبة الرياض، الطبعة الثانية ١٤١٥هـ ١٩٩٤م .
- **الكواشف الجلية عن معاني الواسطية**. للشيخ عبد العزيز المحمد السلمان، الطبعة الثامنة عشر ١٤١٣هـ .
- **لسان العرب** . للإمام محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي ت ٧١١هـ، ط/ دار إحياء التراث العربي، الطبعة الثانية ١٤١٧هـ ١٩٩٧ م .
- **لوامع الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية لشرح الدرر المضيئة في عقيدة الفرقة الناجية** . للعلامة محمد بن أحمد السفاريني الأثري، مع تعليق الشيخ أبا بطين والشيخ سليمان بن سحمان وغيرهما، ط/مؤسسة الخافقين دمشق، الطبعة الثانية ١٤٠٢هـ ١٩٨٢م .
- **مباحث العقيدة في سورة الزمر**، للشيخ ناصر علي، رسالة ماجستير، ط/ مكتبة الرشد الرياض الطبعة الأولى ١٤١٥هـ ١٩٩٥ م.
- **مجمع الزوائد ومنبع الفوائد** . لعلي بن أبي بكر الهيثمي، ط/ دار الريان للتراث القاهرة، ١٤٠٧هـ .
- **مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله** . جمع وترتيب عبد الرحمن بن قاسم النجدي وابنه محمد .

- **المجموع الثمين من فتاوى فضيلة الشيخ ابن عثيمين رحمه الله** . مجموع فتـــاوى الشيخ ابن عثيمين رحمه الله، جمعها فهد بن ناصر السليمان، ط/ دار الوطن الريـــاض، الطبعة الأولى ١٤١٠هـــ .
- **المجموعة الكاملة لمؤلفات الشيخ عبد الرحمن السعدي** . مجموع مؤلفات الشـــيخ عبد الرحمن ناصر السعدي رحمه الله ، ط/ مركز صالح بن صـــالح الثقـــافي بعنـــيزة السعودية، الطبعة الثانية ١٤١٢ هـــ ١٩٩٢ م.
- **المحلى بالآثار** . لأبي محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي الظـاهري ت ٤٥٦هـــ، تحقيق الدكتور عبد الغفار سليمان البنداري، ط/ دار الكتب العلمية بيروت لبنان، بدون تاريخ.
- **مختصر الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة** . للعلامة ابـــن قيـــم الجوزيـــة، اختصره العلامة محمد بن الموصلي، ط/ دار الكتب العلمية بيروت .
- **مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين** . للعلامة شمس الدين ابـــن القيم، تحقيق محمد حامد الفقي رحمه الله، ط : دار الكتاب العربي بـــيروت الطبعـــة الثانية، ١٣٩٢ هـــ ١٩٧٢ م .
- **المدخل لدارسة العقيدة الإسلامية** . للدكتور إبراهيم البريكان، ط/ دار الســـنة للنشر والتوزيع الخبر، المملكة العربية السعودية، الطبعة الثالثة ١٤١٥هـــ .
- **المستدرك على الصحيحين** . للإمام الحافظ أبي عبد الله محمد بن عبد الله الحـاكم النيسابوري ت (٤٠٥هـــ)، وبذيله التلخيص للحـــافظ الذهـــبي، الناشـــر المكتـــب المطبوعات الإسلامية حلب، بدون تاريخ .
- **المسند** . لإمام أهل السنة والجماعة أحمد بن حنبل أبي عبد الله الشيباني رحمـــه الله ت ٢٤١هـــ ط/ مؤسسة قرطبة مصر، بدون تاريخ .
- **مسند الطيالسي** . للإمام أبي داود سليمان بن داود الطيالسي ت ٢٠٤هـــــ، ط/ دار المعرفة بيروت .

• **مسند أبي يعلى** . للحافظ أحمد بن محمد أبو يعلى الموصلي التميمي ت ٣٠٧هـ، تحقيق حسين سليم أسد، ط/ دار المأمون للتراث دمشق، الطبعة الأولى ١٤٠٤هـ، ١٩٨٤ م .

• **المسند المستخرج على صحيح مسلم** . للحافظ أبي نعيم أحمد بن عبد الله الأصبهاني ت ٤٣٠هـ، تحقيق محمد حسن الشافعي، ط/ دار الكتب العلمية بيروت، الطبعة الأولى ١٩٩٦ م .

• **مشكاة المصابيح** . للخطيب التبريزي، تحقيق محمد ناصر الدين الألباني، ط/ المكتب الإسلامي، الطبعة الثالثة ١٤٠٥هـ ١٩٩٥م بيروت .

• **مصباح الزجاجة في زوائد ابن ماجة**، لأحمد بن أبي بكر البوصيري ت٨٤٠هـ، تحقيق محمد الكشناوي، ط/ دار العربية بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٠٣هـ ,

• **المصنف** لأبي بكر عبد الرزاق بن همام الصنعاني ت٢١١هـ، تحقيق حبيب الرحمن الأعظمي، ط/ المكتب الإسلامي بيروت، الطبعة الثانية ١٤٠٣هـ .

• **المصنف** . لأبي بكر عبد الله بن محمد بن أبي شيبة ت ٢٣٥هـ، تحقيق كمال يوسف الحوت، ط/ مكتبة الرشد الرياض، الطبعة الأولى ١٤٠٩هـ .

• **معارج القبول بشرح سُلّم الوصول إلى علم الأصول في التوحيد** . للشيخ حافظ بن أحمد حكمي ت ١٣ هـ، تعليق صلاح محمد عويضة وتخريج أحمد يوسف القادري، ط/ دار الكتب العلمية بيروت، الطبعة الأولى ١٤١١هـ -١٩٩٠م .

• **معالم التنزيل** . للحافظ حسين بن مسعود الفراء البغوي أبو محمد ت(٥١٦هـ)، تحقيق خالد العك ومروان سوار، ط/ دار المعرفة بيروت، الطبعة الثانية ١٤٠٧هـ ١٩٨٧م.

• **معالم السنن في شرح سنن أبي داود** . للحافظ حمد بن محمد أبو سليمان الخطابي ت ٣١٩هـ، مطبوع مع السنن، ط/ دار ابن حزم بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٨هـ ١٩٩٧ م .

- **معتقد أهل السنة والجماعة في توحيد الأسماء والصفات** . لفضيلة الأستاذ الدكتور محمد بن خليفة التميمي حفظه الله، ط/ دار إيلاف الدولية، الطبعة الأولى ١٤١٧هـ ١٩٩٦ .
- **معتقد أهل السنة والجماعة في أسماء الله الحسنى**، للأستاذ الدكتور محمد خليفة التميمي، ط/ دار إيلاف الدولية الكويت، الطبعة الأولى ١٤١٧هـ ١٩٩٦ م .
- **المعجم الكبير**، للإمام سليمان بن أحمد أبو القاسم الطبراني ت ٣٦٠هـ، تحقيق حمدي عبد المجيد السلفي، ط/ مكتبة العلوم والحكم الموصل، الطبعة الثانية ١٤٠٤هـ١٩٨٣م .
- **معجم مقاييس اللغة العربية** . لأبي الحسين أحمد بن فارس بن زكريا ت ٣٩٥هـ، تحقيق عبد السلام هارون، ط/ دار الفكر، ١٣٩٩هـ ١٩٧٩ م .
- **المغني** . للعلامة عبد الله بن أحمد بن قدامة المقدسي ت ٦٢٠هـ، ط/ دار الفكر بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ .
- **مفتاح دار السعادة** . للعلامة محمد بن أبي بكر بن القيم الجوزي رحمه الله، تحقيق سيد إبراهيم وعلي محمد، ط دار الحديث القاهرة، الطبعة الأولى ١٤١٤هـ ١٩٩٤م.
- **المفردات في غريب القرآن** . للعلامة الراغب الأصفهاني ت ٤٢٥هـ، تحقيق صفوان عدنان، ط/ دار القلم دمشق، الطبعة الأولى ١٤١٢هـ ١٩٩٢ م .
- **المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم** . للإمام أبي العباس أحمد بن عمر القرطبي ت ٦٥٦هـ، تحقيق محيي الدين مستو و جماعة من العلماء ط/درا ابن كثير دمشق بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٧هـ١٩٩٦م.
- **مقالة التعطيل والجعد بن درهم** لفضيلة الشيخ محمد بن خليفة التميمي حفظه الله، ط/ أضواء السلف الرياض، الطبعة الأولى ١٤١٨هـ ١٩٩٧م.
- **المنار المنيف** . لابن القيم الجوزي رحمه الله ، تحقيق عبد الفتاح أبو غدة، ط/ مكتب المطبوعات الإسلامية حلب، الطبعة الثانية ١٤٠٣ هـ ١٩٨٣م .

- **منهاج السنة النبوية في الرد على الرافضة والقدرية** . لشيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله، تحقيق د. محمد رشاد سالم، ط/ مؤسسة قرطبة، الطبعة الأولى ١٤٠٦ هـ .
- **المنهاج الأسنى في شرح الأسماء الحسنى**، للدكتور زين محمد شحاته، ط / مكتبة العواصم، الطبعة العاشرة ١٤٢٢هـ .
- **المنهاج شرح مسلم بن الحجاج** . لإمام محي الدين أبي زكريا يحيى بن شرف النووي ت ٦٧٦هـ، ط/ دار الكتب العلمية بيروت، توزيع مكتبة دار الباز، بدون تاريخ .
- **الموطأ**، للإمام مالك بن أنس أبو عبد الله الأصبحي رحمه الله ت ١٧٩هـ، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، ط/ دار إحياء التراث العربي مصر .
- **النبوات** . لشيخ الإسلام أحمد بن عبد الحليم بن تيمية أبو العباس ت ٧٢٨هـ، ط/ المطبعة السلفية القاهرة، ١٣٨٦هـ .
- **نواقض التوحيد** . لأبي أسامة حسن بن علي العواجي، ط/ مكتبة لينة للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى ١٤١٣هـ، ١٩٩٣م .
- **النهاية في غريب الحديث والأثر** . للإمام مجد الدين أبي السعادات المبارك بن محمد الجزري ابن الأثير ت ٦٠٦ هـ، تحقيق طاهر أحمد الزاوي ومحمود محمد الطناحي، ط/ المكتبة العلمية بيروت، بدون تاريخ .
- **نيل الأوطار في شرح منتقى الأخبار** . للإمام محمد بن علي الشوكاني ت ١٢٥٥هـ، ط/ دار الجيل بيروت ١٩٧٣ م، بدون تاريخ
- **الوابل الصيب من ا لكلم الطيب** . للعلامة ابن قيم الجوزية، تحقيق محمد عبد الرحمن عوض، ط/ دار الكتاب العربي بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٥ - ١٩٨٥.

هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى . للعلامة حمد بن قيم الجوزية، ط/ دار الكتب العلمية بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٧هـ ١٩٨٧ م .

فهرس الموضوعات

المبحث الثاني : التقسيمات المتعلقة بما ينافي باب الإيمان .

الفصل الثاني : التقسيمات المتعلقة بتوحيد الربوبية .

المبحث الأول : التقسيمات المتعلقة بتوحيد الربوبية